



العتبة العباسية المقدسة
قلم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

الإمام الحسين

بن علي أبي طالب

دراسة في الظروف المحيطة بالنهضة الحسينية المباركة وفي طرق مواجهة الإمام سيد
الشهداء صلوات الله عليه وسلامه لمحنة الإسلام والأمة يومذاك الإسلام والأمة، بلغا
مفترقا، من الخطورة بمكان والحسين صرخ المسار وأعاد ارتباط الأمة بالإسلام

تأليف

الشيخ محمد البغدادي

وَحَدَّثَ النَّاسَ بِشَيْءٍ مِّنَ الشَّيْءِ



الهيئة العامة للثقافة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الإعلام

وحدة الدراسات والنشر

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٦٣-١٧٥

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

الكتاب: الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب..

الكاتب: الشيخ محمد البغدادي.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة.

مراجعة: وحدة الدراسات والنشر / شعبة الإعلام.

التدقيق اللغوي: مصطفى كامل محمود.

الاخراج الطباعي والتصميم: علاء سعيد الاسدي.

رقم التسجيل في دار الكتب والوثائق في بغداد ٧٦٩ لعام ٢٠١٣ م.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠.

ربيع الثاني ١٤٣٤ - آذار ٢٠١٣

روایتان

عن الإمام سيد الشهداء عليه السلام في خطاب له في صحبه الأبرار:
«إِنْ كُنْتُمْ وَطَّنتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى مَا وَطَّنتُ نَفْسِي عَلَيْهِ فاعلموا: أَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَهَبُ الْمَنَازِلَ
الشَّرِيفَةَ لِعِبَادِهِ لاحتِمَالِ المَكَارِهِ.
وإنَّ اللَّهَ كَانَ خَصَّنِي مَعَ مَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ الَّذِينَ أَنَا آخِرُهُمْ بَقَاءً فِي الدُّنْيَا مِنْ
الكَرَامَاتِ، بِمَا يَسْهَلُ عَلَيَّ مَعَهَا احْتِمَالُ المَكْرُوْهَاتِ، فَإِنَّ لَكُمْ شَطْرًا مِنْ كَرَامَاتِ اللَّهِ.
واعلموا: إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوْهَا وَمَرَّهَا حَلَمٌ، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها،
والشقي من شقي فيها»^(١).

وعن مهدي آل محمد - إمام زماننا، وحجة عصرنا -:
«فَلَنُنْ أَخْرَجَنِي الدُّهُورَ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ المَقْدُورَ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِبًا،
وَلَمْ يَنْصَبْ لَكَ العِدَاوَةَ مَنْاصِبًا، فَلَا تُدْبِنَنَّ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَلَا بَكِيْنًا لَكَ بَدَلَ الدِّمْوَعِ
دَمًا، حَسْرَةً عَلَيْكَ، وَتَأْسَفًا عَلَى مَا دَهَاكَ، وَتَلَهْفًا، حَتَّى أَمُوتَ بِلُوعَةِ المُصَابِ، وَغُصَّةِ
الْاِكْتِنَابِ»^(٢).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥ ص ٩٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٨ ص ٣١٧، ومزار محمد بن المشهدي، ص ٥٠١.

دراسة في الظروف المحيطة بالنهضة الحسينية المباركة
وفي طرق مواجهة الإمام سيد الشهداء صلوات الله عليه وسلامه لمحنة الإسلام والأمة
يومذاك.
الإسلام والأمة، بلغا مفترقاً، من الخطورة بمكان والحسين عليه السلام صحح المسار
وأعاد ارتباط الأمة بالإسلام.

التقديم

أرفع كتابي هذا

إلى نائر الحسين

إلى بقيّة الله تعالى في أرضه ^(١)

إلى أمل الأنبياء والأوصياء والشهداء والصلحاء

إلى الغائب المنتظر سميّ رسول الله ﷺ

الإمام الحجة أبي القاسم - محمّد بن الحسن - المهدي

صلوات الله تعالى وسلامه عليه

وأرواحنا وأرواح العالمين لمقدمه الفداء

أرفع هذه الأوراق فيمن سطر بدمه ودم أعزائه ملحمة الفداء الخالدة مشاركة خجولة

في تلبية نداء سيد الشهداء وأبي الأحرار

يوم عاشوراء

والأمر إليك سيدي ومولاي

يا صاحب الأمر

(١) ورد في بعض الروايات أن الإمام المهدي ﷺ هو «بقيّة الله» المقصود في الآية الكريمة ﴿يَقِيْتُ اللَّهَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة هود الآية ٨٦، وأنه ﷺ يُسَلَّمُ عليه بعد ظهوره بالقول له: السلام عليك يا بقيّة الله في أرضه، فراجع تفسير كنز الدقائق، للشيخ محمد بن المشهدي، ج ٤ ص ٥٣٦ وما بعدها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين موجدهم عن عدم، ومكرّم آدم وولده من بينهم فلذلك قضى عليهم السير طبق مناهج أنبيائه وخلفائه وحتمّ، والصلاة والسلام على خير رسله - محمّد - الذي به رسالاته ختم، وعلى آله وخلفائه المعصومين المطهّرين خير من لبيّ وعزم، واللعنة الدائمة على أعدائه أعداؤهم من غلبهم الشيطان حقاً وهزم.

آفاق الثورة الحسينية: ^(١)

إن دراسة الثورة الحسينية تفتح للمرء آفاقاً:

١- لفهم الكتاب والسنة بشكل أوضح وأصحّ، وذلك لأنّ مواقف الإمام الحسين عليه السلام هي التطبيق العملي للقوانين الإلهية التي تضمنتها الآيات الشريفة والأحاديث المباركة، فمراحل تعامله مع تفاصيل الحدث، ينبوع متدفق لأحكام إلهية كثيرة لا نجدها في مطاوي الروايات، هذا في الجانب الفقهي.

٢- وفي السيرة: تُحدّثنا كربلاء عن بعض جوانب العظمة في هذه الشخصية الربانية، وعن ملكاتها، وعن صلابة الإيمان، والفدائية، والإيثار في صحبه، وعن إخلاصهم المنقطع النظير.

٣- وفي الجانب الخُلقي: أنّ المرء مهما أهدقت به الكوارث والأهوال، فأحرى أن لا تزلّ به قدم، وأن لا يضطرب، ولا يتزلزل، ويتقدم بثبات حسبما أمره الله سبحانه،

(١) أُلقي أصل هذا الكتاب، ومادته الأساسية، على بعض السجناء الكرام في سجن أبي غريب - قسم الأحكام الخاصّة ببغداد - في محرم ١٤٠٩ هـ. ق أيام كنت أقضي حكماً بالسجن المؤبد فيه.

وبهذا يكون المفاز.

٤- في الجانب الإيماني: الاقتداء بالحسين، الذي وهب كل شيء لله سبحانه، وضحي بكل غال ونفيس لربه المتعال.

وهب ذاته، وفلذات كبده -أولاده- صغيرهم وكبيرهم، بل وهب تمام عائلته وذوي رحمه، وأردفهم بخُلص أحبائه وصحبه، أي كل ما يتعلق به، فأعرض عن الدنيا بكل شؤونها ونفائسها، واختار الله سبحانه، فما تظن بمن هذا شأنه، كيف يشكر الله سبحانه له هبته، وهو يُجازي على القليل الكثير.

لقد وهب الله تعالى للحسين ما لم يهبه لأحد، وميّزه على كل خلقه بمزايا لا تُحصى، وكلها عظيمة وجليلة.

الحقيقة: إنّ الهبة الإلهية للحسين لا تقف عند حد، ويصح لنا أن نسميها: المطلق. وهذه نتيجة متناسبة مع الموقف الحسيني، لأن الحسين قدم غاية ما يمكنه، لله، وللأمة، ولأهل بيته، وصحبه، بل حتى لأعدائه.

إذ استمات في سبيل تحكيم الإرادة الإلهية، وفعل جميع ما يحبه الله ويرضاه. كما نصح أمة جده، وحاول إنقاذها من الفئة التي أنشبت برائتها فيها، وأوقعتها في التيه، وتأخذ بها حثيثاً إلى هاوية سحيقة، لا مفلت من هلكتها.

بل بلغ الغاية في سبيل إنقاذ قتلته، مما ينتظرهم من غضب الهي محقق، وإستمر في هذا حتى لحظاته الأخيرة.

بالإضافة إلى أنّه بالغ في النصيحة لأرحامه ولصحبه، فقد عرض عليهم الرجوع، وسهّله لهم، واستمر في هذا إلى أواخر أزمته الإمكان.

فلا عجب أن يفيض عليه البارئ سبحانه من كرم عطائه، ما لا حدّ له، وما ورد:

من أن الله عوضه عن قتله، أن جعل الأئمة من ذريته، والشفاء في تربته، والإجابة تحت قبته^(١)، إنما هو بعض الجزاء بلا ريب، وقد قدمنا أنه بلا حد.

ومما ورد بشأن الحسين عليه السلام: أن المهدي ثأره^(٢)، إذ سيقتل به أمة عظيمة من البشر -لعدوانهم عليه، ولرضاهم بقتله-.

وسيميز الله سبحانه قتلته بهون العذاب في كل مراحل مسيرتهم الوجودية. كما قد بارك الله تبارك وتعالى في ثورته، فقام الدين على سوقه بتضحياته، وستشرق الآخرة بنوره، ويشفع الشفاعة العظيمة فيها، إذ له مقام محمود في ذلك اليوم. بل إن البكاء عليه، وحرقة القلب له، وانكسار النفس لمصيبته ومظلمته، فيها من الثواب الجزيل والثناء الجميل ما لا يُستهان به ولا يُزهد فيه، ولا تنتهي الإفاضات والمقامات، والتي تتكفل ببيانها كتب الروايات.

إننا ما نزال بحاجة إلى الدراسات العلمية العميقة والرصينة لأحداث الطف وما يرتبط بها من موقف وحدث، لإستدرار الموقف العملي لنا من خلالها، فما زلنا نفتقر إلى الدراسات الجادة الواعية لثورة الإمام الحسين، والتي تخرج عن حدود حكاية الثورة بتفاصيلها -رغبة في الثواب- إلى تحليل أحداثها وتجسيم وقائعها، بما يُعرب عن التشريع الإلهي الذي يغذي فكر الأمة بقوانين وتوجيهات تدفع مسار الحركة الإسلامية ومجتمعها إلى أمام، ويظهر الموقف الحسيني جلياً، لا أن تبقى قضيته على نحو: «قضية في واقعة»^(٣) لها ظروفها وأسرارها، مما لا يمكن القياس عليها، واستجلاء أحكامنا وتكليفنا من خلالها.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٢١ ح ١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٢٩٥، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٣ ص ٢٨٦.

(٣) التزم بهذا جمع من الأعلام، نحتفظ بأسمائهم.

إِنَّ السُّنَّةَ الْمُطَهَّرَةَ - وهي أهم مصدر تشريعي، لاستيعابها أكثر التفاصيل التشريعية المعروفة فعلاً - إنما هي قول المعصوم وفعله وتقريره، وملحمة كربلاء المقدسة وما يرتبط بها تشتمل على الكثير مما هو فعل للمعصوم أو قول له أو تقريره، وقد نُقلت إلينا بتفاصيل كثيرة، وبدقة لم ترزقها غيرها من الوقائع، وقد نقلها المخالف والمؤلف، بل العدو والناصب.

إِنَّ ملحمة عاشوراء معينٌ ثَرَّ لاستنباط أحكام الدفاع عن الإسلام وتشريعاته ومقدساته، وأحكام مناهضة السلطة الجائرة المتغلبة على بلاد المسلمين، بل لأحكام الدفاع عن النفس والعرض.

ملحمة الطف التي ما خبت جذوتها غروب يوم عاشوراء حتى أعلنت خِسة أولئك المجرمين المغفلين الذين حاولوا إطفاء نور الله سبحانه، ودحر دينه، وإنهاء وجوده في مسرح الحياة الدنيا وإعادتها جاهلية، هذا الدين الذي حمل مشعله ولوائه عشرات الآلاف من الأنبياء والأوصياء، والعلماء والصلحاء وَمِنْ ورائهم الله جلَّ جلاله بكل جبروته وعزته وحكمته وجنده: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١). وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ^(٢)

وقد استأصل المولى سبحانه أعدائه بالطير الأبايل وبالصيحة والريح والمسح بل استأصل أعدائه بأعدائه وما ذلك من الظالمين ببيعد.

﴿وَمَكْرُهُمْ مَكْرًا وَمَكْرُنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥٠) فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ^(٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا

(١) سورة الفتح، الآية ٧.

(٢) سورة المدثر، الآية ٣١.

فِي ذَلِكَ آيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

وما كانت سُنَّةُ الله سبحانه مع الحسين ومظلوميته ببدع عن تلك السنن الإلهية، فقد ابتدأ النصر الإلهي للحسين في ساحة المعركة قبل بدء القتال^(٢) أمام جيش الكفر والضلال اليزيدي مُنذراً ومُحذراً بسوء العاقبة لهم لبيع دينهم بديناهم - وهو الثمن الأبخس - فما ازدادوا إلا عتّوا، غير نفرٍ قليل انعطفوا إلى الحسين تائبين، فنالوا الكرامة مخلصين.

ثم أنزل المولى سبحانه العذاب الهون بيزيد وابن زياد وعمر بن سعد وشمر وحرملة وجميع القتلة فأخذوا قتلاً وتنكيلاً ولاحتقتهم اللعنات في عصرهم وبعده، وتبرأ منهم قومهم ومن إليهم يتمون، ولهم يُشيدون: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾^(٣).

ملحمة الطف التي ما غربت عنها الشمس حتى ألهمت مشاعر المسلمين وفجّرت طاقاتهم، وأدّرت أموالهم بل نفوسهم، لله سبحانه بغية رفعة الإسلام وعزّه، وأشعلت الثورات، ما تهدأ واحدة حتى تنطلق أخرى، وكلها من الحسين أخذ، وبه ينادي، وبمشعله يستنير - حقيقة، أو ادعاءً بغية التزلف للجماهير ولتحريك عواطفهم ورجاء إسنادهم -.

والواقع: أنّ حركة الإمام عليه السلام كانت دافعاً ومحركاً ومرشداً لكثير من ثورات التاريخ، ولكن هيهات أن تنتمي إليها - حقيقةً - إلا من انتسبت إليها، واستلهمت منها،

(١) سورة النمل، الآية ٥٠ - ٥٢.

(٢) نقلت الكتب المُفصّلة لأحداث الطف ما أُصيب به بعض جند الضلالة من عذاب قبل بدء القتال.

(٣) سورة الدخان، الآية ٢٩.

وحملت أهدافها ومعتقداتها، وإلاّ فحركة بني العباس دعت إلى الأخذ بثأر الحسين عليه السلام ثم هدمت قبره، وحرثت الأرض لتضييع أثره^(٤) ومنعت شيعته ومحبيه من مجرد زيارته، وكم لبني العباس من مثيل.

فما دام الأمر كذلك، علينا أن لا نتناول واقعة كربلاء بوصفها -فقط- ظلماً أحاط بأهل بيت العصمة والطهارة، بل بما يرفدنا بالمعطيات العقائدية والتوجيهات السلوكية، فيرفع عنا الحيرة، ويحدّد لنا التكليف الإلهي، في أمور قلّ توفر النصوص الواضحة بشأنها، ووُجد التعارض بين المتوفر منها، وأحاط بمدليلها الغموض، وفُقد من بعضها الأسانيد، وكل هذا نتيجة مئات من السنين عاشها أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم في تقيّة شديدة، وضغط من السلطات الحاكمة السائرة على خط يزيد، وقلة في إمكانيات المواجهة مع المتلاعبين بالإسلام وأهله، مما دعا إلى قلة بحث في هذه المسائل، وإلى طول إمساك، بل إعراض عنها، حتى أحاطها الغموض، وأضحت معه من غرائب المسائل، ولا زلت تجد الإعراض عن التفقه فيها، والاندھاش من نتائجها.

ما إن مالت شمس يوم العاشر من محرم الحرام عام ٦١ من الهجرة النبوية المباركة إلى الغروب، إلّا وكانت أرواح خير أهل الأرض قد انطلقت إلى المولى سبحانه حاملة معها شكواها من أمة مجرمة اقترفت الجريمة الأعظم في تاريخ الإنسانية الطويل المليء بالمآسي والعظائم.

جريمة ما أعظمها، اقترُفت بحق وديعة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وريحانته من الدنيا

(٤) فعل هذا المتوكل العباسي - لع - فراجع كتاب بحار الأنوار ج ٤ ص ٣٩٠، ونقله أيضاً السيد محسن الأمين في كشف الارتباب ص ٣١٠ عن تأريخ الخلفاء للسيوطي، ومروج الذهب للمسعودي.

وسيد شباب أهل الجنة.

ابتدأ بهذه الشكوى سيد الكائنات في حياته المقدسة على ما روي عنه^(١).

وهذا سبطه المظلوم يوم الطف: بسط يده تحت حنكه، فامتألت راحتاه بالدم، فرمى به إلى السماء ثم قال:

«اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك»^(٢).

الإمام السبط الذي أوصى به جدّه الرسول الأعظم ﷺ أمّته، وبشّرهم بهذا الإمام المنقذ لهم في الدنيا والآخرة، وأبان عن محاسن ملكاته، وجيليل إنعام المولى سبحانه عليه بما يقتضي علوّ مقامه، وصلاحيّة قيادته للأمة، وقيامه مقام جدّه النبي الأكرم ﷺ، بل امتياز به بانحصار استحقاق هذا المقام فيه - وفي أبيه وأخيه من قبله - وإنّ الله ورسوله قد اختاراه لإمامة الأمة وزعامتها: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣).

وضع النبي الأكرم ﷺ إحدى يديه تحت قفا الحسين عليه السلام والأخرى تحت ذقنه ثم وضع فاه على فيه فقبّله وقال:

«حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط»^(٤).

تأمل في هذه الرواية واعجب، وانظر إلى التفاوت العظيم بين صنيع خاتم المرسلين، ومن لا ينطق عن الهوى مع الحسين، وإلى صنيع الأمة بالحسين، كي تتيقن آية أمة هذه،

(١) معالم المدرستين، ج ٣ ص ٢٩.

(٢) الإرشاد للمفيد، ج ٢ ص ١٠٩، وحياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٣ ص ٢٨٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

(٤) الحسين عليه السلام، الجلال، ص ٣٨ عن مختصر تأريخ دمشق لابن منظور، ج ٧ ص ١٢٠.

وعلى منهاج مَنْ تسير.

هذه الأمة التي شارك بعضها في جريمة قتل الحسين عليه السلام، وتخاذل بعض، وسكت آخرون حتّى وقعت الفاجعة، ومن الأمة من تسترّ على المجرم، وعلى تفاصيل ما أجرم، وترى البعض يهوّن جريمته، أو يبرر لها، بالتماس الأعذار، وتسقّط أو افتعال أخبار التوبة، كيما تندثر معالم الجريمة، وأخيراً يأتي من يغصّ في مؤلفاته عن تفاصيل الجريمة، أو ليحذف من الكتب التي يحققها - كطبقات ابن سعد ^(١) - ما سُجّل فيها حول مقتل الإمام عليه السلام والفجائع التي تمّت يوم الطف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ ^(٢).

عجباً إنه نور الله فكيف يمكن إطفاءه: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٣). ومهما حاول هؤلاء، ويحاول أمثالهم من الخلف لبئس السلف، فلن يتداركوا أمرهم، بل فلت من أيديهم الزمام، ولن يحصدوا إلاّ الخيبة والخسران، وعكس ما يأملون في مسعاهم.

هذه الكتب والمقالات في الحسين، وثورة الحسين، وفضل الحسين، وإمامة الحسين، وقضية الحسين، بالعشرات بل المئات تُكتب وتُنشر في شرق الأرض وغربها بيد الشيعة والمحيين والمنصفين بل بيد الأعداء والنواصب - والحق ينطق منصفاً وعنيداً - ولا يمر عام إلاّ ويكتب في الحسين ويُنشر.

طُبِعَ كتاب بعنوان «كتاب شناسي إمام حسين عليه السلام» وهو فهرست لأسماء ما طُبِعَ في الحسين عليه السلام وثورته باللغتين العربيّة والفارسيّة، كما أورد السيد عبد العزيز

(١) وجد السيد عبد العزيز الطباطبائي رحمه الله تعالى في نسخة خطية منه ما يتعلق بالمقتل فنشره

فراجع: الحسين، للجلالي، ص ١٦٦ الهامش.

(٢) سورة الصف، الآية ٨.

(٣) سورة الصف: الآية ٨.

الطباطبائي رحمته الله في كتابه «أهل البيت في المكتبة العربية» أسماء مجموعة كبيرة من الكتب ألفت في الحسين رحمته الله وثورته بأقلام مؤلفي العامة.

وقد سجل بعض الأعلام في مدونات مستقلة، أو في أثناء كتاباتهم، ما وقع من تحريف في التأليف أو الطباعة، لما يتعلق بأهل بيت النبي صلّى الله عليه وآله من فضائل، أو بأعدائهم من رذائل، فممن تعرّض لهذا: الشيخ الأميني في موسوعته الغدير، فراجع كتاب: على ضفاف الغدير - عنوان: التحريف والتصحيح^(١) - وكذلك كتاب: تدوين السّنة الشريفة^(٢).

ومن الغريب خلوّ تاريخ ابن عساكر^(٣) بالرغم من موسوعيّته من أخبار مقتل سيد الشهداء وسبط رسول الله صلّى الله عليه وآله.

يقول رحمته الله: «الحسن والحسين هما ريحانتي من الدنيا»^(٤) أو أن ابني هذين ريحانتي^(٥). ويقول: «الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة»^(٦).

(١) الكتاب ألف تحت إشراف السيد فاضل الميلاني، فراجع: ص ٦٤ منه.

(٢) الكتاب للسيد محمد رضا الجلاي، راجع: كتاب الحسين رحمته الله له، ص ١٦٤.

(٣) راجع الحسين رحمته الله للجلاي، ص ١٦٤.

(٤) الحسين رحمته الله، الجلاي، ص ٤٣، عن مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٧ ص ١١٨، وفضائل الخمسة، للفيروز آبادي ج ٣ ص ١٨٣، عن مصادر الجمهور المعتبرة عندهم كالترمذي ومسند أحمد والبخاري في بعض كتبه وغيرهم.

(٥) الإرشاد، المفيد ج ٢ ص ٢٨، ولاحظ: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، الفيروز آبادي، ج ٣ ص ١٨٣.

(٦) الحسين رحمته الله للجلاي، ص ٤٣ عن مختصر تاريخ دمشق، ج ٧ ص ١١٩، وفضائل الخمسة، للفيروز آبادي، ج ٣ ص ٢١٢ عن الترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرک وأبي نعيم في حلية الأولياء والخطيب في تاريخ بغداد وابن حجر في الإصابة وفي كنز العمال ومجمع المهيمني وكنوز الحقائق للمناوي وذخائر العقبى وغيرها.

فبربك قل لي: هل سيادة الحسن والحسين لشباب أهل الجنة - وكلهم شباب - فيها استثناء لأحد غير جدّهما وأبيهما وأمهما - وهذا الاستثناء استفدناه من نصوص عدة - ومنه تعلم عظم مقامهما، وأنه مقام ينحدر عنه السيل، ولا يرقى إليه الطير، ومن غير المعقول أن مفاد الرواية كونها في الجنة سادة على من عدا مئات الآلاف من البشر أو عشرات الآلاف، إذ لا مُقَيّد في البين، وحاشا سيد المرسلين، وسيد الفصحاء، والذي لا ينطق عن هوى، إلّا أن يكون كلامه حاكياً عن عين الحقيقة بأجل بيان وأوضحه.

وكلامنا هنا، مع من يُقدّم عليهما غيرهما، من صحابة أو غيرهم، ومع من يرى تفضيل عامة الأنبياء ﷺ عليهما - صلوات الله عليهما - إذ كيف يكون الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنة، وأكثر من مائة ألف نبي أفضل منهما؟

أبداً، فالحسن والحسين بحسب مفاد هذه الرواية المذكورة عند الفريقين أفضل الخلق أجمعين، باستثناء النبي الأكرم ﷺ ووصيه أمير المؤمنين، والزهراء البتول ﷺ. وعنه ﷺ: «من أحبهما أحبته، ومن أحبته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم وله عذاب مقيم»^(١).

وقوله ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ: «أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم»^(٢).

وهما - الحسن والحسين - من الخمسة أصحاب الكساء^(٣)، ومن الثقلين^(٤) اللذين

(١) الحسين ﷺ للجلالي ص ٤٣، عن مختصر تأريخ دمشق ج ٧ ص ١٢١، وفضائل الخمسة ج ٣ ص ٢٠٢، عن عدة من مصادر الجمهور.

(٢) الحسين ﷺ للجلالي ص ٥٥، وفضائل الخمسة ج ١ ص ٢٥١، عن الترمذي وأحمد وغيرهما.

(٣) فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها.

(٤) راجع له: نفحات الأزهار، للميلاني ج ١ - ٢ - ٣ فهذه الأجزاء خاصة بحديث الثقلين، وأيضاً

هما منار الهداية إلى يوم القيامة، وهما من أهل البيت الذين هم سفينة نجاة الأمة^(١) والذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً^(٢) وهما إمامان إن قاما وإن قعدا^(٣). في الحقيقة: أنه منذ غروب يوم العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ تغير تاريخ المسلمين، وانفرطت وحدتهم وإلى الأبد، إلا أن يشاء الله سبحانه، ويغير ما بنا بتغيير واقعنا.

فنحن نفهم ما تشتمل عليه بعض النفوس الخائرة الضعيفة من حب للدينا، ومن تهالك على الجاه والمال والسلطة، ومن الرغبة في التروؤس وإصدار الأوامر. أمّا أن يُسلطَ الطلقاء، وأصحاب الملك العضوض، والمتجاهرون بالخلاعة وإرتكاب عظام المحرمات، سيفهم على رقبة ابن بنت رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة، وما أراد إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يصدر عنه للتعبير عن الأمر والنهي غير ترك البيعة، وإذا بهم يزعجون عن مسكن نفسه ومأنس روحه - المدينة الطيبة - فيرتحل بعائلته وأهل بيته من أرض إلى أرض، وأخيراً يذبحونه صبراً من الوريد إلى الوريد، ويسيّرون الخيل على صدره، ويسلبونه كل ما عليه من ثياب مع إنها ممزقة^(٤) ويتركونه عارياً في فلاة من الأرض، ويفعلون من الأفاعيل به وبصحبه وأطفاله ونسائه - ونساؤه نساء بيت النبوة - ما لا يسمح به الإسلام مع أسارى المشركين، فهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض، ولا يُغفر عمر الدهر، ولا ينمحي أثره حتى تصفية حسابه.

كتاب: حديث الثقلين، للميلاني، وفضائل الخمسة ج ٢ ص ٤٣.

(١) فضائل الخمسة ج ٢ ص ٥٦.

(٢) فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٢٤.

(٣) مسند الإمام المجتبى ص ١٨٤، وذكر اجتماع أهل القبلة على روايته.

(٤) الحسين ﷺ للجلالي ص ١٧٨: إن سيد الشهداء سلب وجرد من ثوب ممزق لا يرغب فيه أحد.

ويكفيك أن والي المدينة الوليد بن عتبة -وهو أموي ومأمور من يزيد بأخذ البيعة من الإمام أو قتله عليه السلام - يقول لمروان بن الحكم المصّر على قتل الإمام إن أصر الإمام عليه السلام على رفض البيعة:

يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، والله ما أحبّ أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها وأنّي قتلت حسيناً.
سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال لا أباع.

والله إنّي لأظنّ أنّ إمراً يجاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة^(١).
هذا أموي، وابن عمّ ليزيد، والوالي المطالب بأخذ البيعة من سيد الشهداء، يستغرب أن يكون جزاء ترك الإمام عليه السلام للبيعة هو القتل، بل ويعتقد أن قاتل الحسين سيتهي إلى الخسران والهلاك.

عجباً لهذه الأمة: ترفع الطلقاء على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وتأتمر بأوامرهم وتأخذ الدين منهم، لكنّها تُقصي آل محمد صلى الله عليه وآله عن موقع قيادة الأمة، وتشكك في ما لا يُحصى من النصوص في حقهم، وتذر علومهم ظهرياً، وآخر الأمر تقتل أولاد محمد بسيف آل حرب، ومع ذلك تدّعي الإسلام، وتأمل الفوز بالجنان.
لا وألف لا.

أيها المنتسبون لدين أفضل الرسل، والمبلّغ لأفضل الأديان وأكملها صلى الله عليه وآله حدّدوا موقفكم من هذه الجريمة واصطفوا مع من قرّرت أن تُحشروا معه أمام الله في يوم الله، يوم الفصل، يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه، وفريق في الجنة وفريق في السعير، ويومها لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً.

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ٣٣ - ٣٤.

فما ترون: إلى أين سيُحشر آل محمد وأنصارهم؟ وما مآل من خذلهم، أو أعان عليهم، أو اصطفَّ مع أعدائهم وقتلتهم، ولو بأن يلتمس لهم المعاذير، ويهون من جرائمهم، كل ذلك من أجل حفنة من المال، وعمرٍ لو طال فمئة عام، وحلوه - إن كان فيه حل - عشرون أو ثلاثون عاماً. وكيف يختار عاقل الأدنى، ويُعرض عن ملك طويل عريض، يُخلد فيه مع الأنبياء والأوصياء والشهداء والصلحاء.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾^(١).

كيف يُستبدل ذلك النعيم، بالسكنى مع المجرمين، في أسفل دركٍ من الجحيم، فانتظروا، فستعلمون من يأتيه عذابٌ يُخزيه، ويحلُّ عليه عذابٌ مقيم.

إن الثورة الحسينية قد استطاعت أن تحترق كل أجواء الحصار والتعتيم والتشويه التي اصطنعها آل أمية، إذ انطلقت من هوة المكان الذي شهد النزال ضد جيش النفاق، واخترقت كل الهوس الإعلامي للنظام الحاكم وأذنا به، فتداركت ما لفقه آل أمية من تحريف للحقائق، ومن ذرٍّ للرماد في العيون، للتعتيم على إبطال الثورة وأهدافهم.

استطاعت أن تفضح طغاة الأمة وعُباد الشهوات، أولئك الفراغة الذين استأسدوا على الأمة وليسوا بهم بأسود بل قروء^(٢)، نزوا على منبر رسول الله ﷺ في غفلة من الزمن، وفي مؤامرة واسعة النطاق، لإقصاء أوصياء النبي ﷺ وعلماء الأمة وقادتها الربانيين الحقيقيين، عن مقاعدتهم التي رتبهم الله سبحانه فيها.

(١) سورة المطففين، الآية ٣٤ - ٣٦.

(٢) راجع فضائل الخمسة، للفيروز آبادي، ج ٣ ص ٢٤٨، فقد نقل هذا عن الرازي وغيره.

لقد فضحت ثورة الحسين العظيم فراغنة الأمة أمام أوليائهم وأعدائهم، فلم تُبق عذراً لمعتذر يقتفي آثار أولئك الظلمة ومحرفي الشريعة الذين حاولوا بكل ما أوتوا إطفاء نور الله سبحانه، ولكن المولى تبارك وتقدس وعد التمام لنوره مهما بلغ سعيهم ومكرهم وعديدهم وعجيجهم ولكن هذا مما لم يستوعبه البعض إلى الآن، فدين الله سبحانه إن كبا فإنه ينهض، وهكذا الأمر باستمرار، رغم كل الأهوال، وألوان الإجرام التي يُحاط بها من فرعون ونمرود وأمثالهما، وتنتهي سلسلة فرعونية، وتقوم أخرى، والدين باقٍ قائم على سوقه:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَرْزُونَ﴾^(١).

لا تستبدلوا الحسين بآل حرب، فإنها بثست الصفقة الخاسرة.

هذا شأنكم.

أما نحن فمن حقنا أن نحتفل كل عام بل كل يوم بالحسين وهل لأمة مثل الحسين ﷺ؟ ومن حق الحسين أن يدوم فينا ذكره، وهذا شأن كل أمة مع عظيمها ومحقق ذاتها وسبب بقائها^(٢)، إذ لا أمة من الأمم -ولا دين أو مذهب في عموم الأرض وعبر التاريخ- ظهر فيها كالحسين فمن حقنا الفخار به والحزن له، ومن حق أجيالنا أن تنمو في ظل قضية الحسين ومراميه، أن لا يجرفها تيار الانحراف والضلالة.

روي عن جدّه فيه، وفي أخيه الحسن المجتبي: «من أحبّ الحسن والحسين ﷺ أحبّته، ومن أحبّته أحبّه الله، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ أدخله الجنة، ومن أبغضها أبغضته، ومن

(١) سورة الأنعام، الآية ٣١.

(٢) إذ الإسلام، محمدي الوجود، حسيني البقاء.

أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلّده في النار»^(١).

هذا هو الحسين، والذي هو كما قالت فيه عقيلة بني هاشم زينب بنت علي عليها السلام -ملاذ حيرتنا ومفزع نازلتنا^(٢)-.
 -

كان على الأمة بأجمعها أن تنهض لنصرته، لما تعلم من طهارة ذاته، وللحمته برسول الله ﷺ، ولما ورد في حقّه من لا ينطق عن هوى، ولما تعلمه الأمة من وضاعة عدوّه، وقدم كفره، ولئيم خصاله، وخساسة ذاته.

كان على الأمة أن تهبّ لنصرته بعد أن كرّر النبي ﷺ عليهم مرات ومرات أن ولده سيُقتل^(٣) وبعد أن كرّر الحسين عليه السلام على بعضهم قطعية استشهاده.

كان على الأمة أن تهبّ وتتخذ -في الأقل- التدابير لمنع وقوع هذه الفاجعة، بالتوسل بكل وسيلة، وما أكثر الوسائل، لكن الأمة تماهلت وتقاعست وتواكلت فشربت بهذا كأس السمّ حتى آخر قطرة.

كانت الأمة سكرى، فاستفاقت ودماء الحسين تصبغ الأفق، استفاقت بعد أن اشترك الجميع في جريمة قتل سبط رسول الله ولكن كل بقدر، ومن جهة.

ثم من بعدُ ينقل التاريخ لنا قصص احتفالات^(٤) قام بها بعض النواصب هنا وهناك في العالم الإسلامي فرحاً بقتل الحسين عليه السلام.

ويذكر السيد الشهيد دستغيب: أن أناساً من الخوارج والنواصب استمروا يحملون الهدايا لذرية من داسوا صدر الحسين عليه السلام.

(١) المفيد، الإرشاد، ج٢ ص ٢٨.

(٢) مقتل الحسين، السيد محمد بحر العلوم، ص ٩٤.

(٣) فضائل الخمسة، الفيروز آبادي، ج٣ ص ٢٨٢ وما بعدها.

(٤) الثورة الحسينية، السيد دستغيب، ص ٧٥.

كما ذكر البيروني: لقد فعلوا بالحسين ما لم يُفعل في جميع الأمم بأشرار الخلق من القتل بالسيف والرمح والحجارة وإجراء الخيول، وقد وصل بعض هذه الخيول إلى مصر فقلعت نعالها، وسُمّرت على أبواب الدور تبرُّكاً، وجرت بذلك السنّة عندهم، فصار أكثرهم يعمل نظيرها، ويُعلّق على أبواب الدور^(٥). لم يحتفل هؤلاء بقتل الحسين عليه السلام ولم يفرحون لفرح آل أبي سفيان، إن كانوا مسلمين وكانوا على نهج النبي، فيوالون أولياء الله ورسوله، ويعادون أعدائهما.

لقد خرج الكثير على الحكام عبر التاريخ، وعلى بني أمية بالخصوص، فلم يحتفل هؤلاء إلا بقتل الحسين عليه السلام، وسبي أهل بيته، وهم عائلة النبي عليه السلام، ودمه، ولحمه، والدعاة إلى اتباع أمره ونهيه.

طريق الحسين: طريق الكرامة إذ هو السبيل إلى الله جلّ وعلا.
طريق الحسين: هو الطريق الذي فيه استشراف للمستقبل غير المنظور.
هو الطريق الذي يوصل إلى النصر من جميع الجهات، وإن بدا لأوّل وهلة أنه مسار خسارة، إلا أنها خسارة دنيوية آتية سرعان ما تنجلي غبرتها عن نصر عظيم.
من يوصله طريقه إلى الجنة فهو المنتصر، ومن يصل بطريقه إلى النار فهو الخاسر الأعظم، فكيف إذا كان طريق الأول كله نصر إلا الخطوة الأولى، وطريق الثاني كله هزائم وانكسارات إلا الخطوة الأولى.

طريق الحسين: طريق الكرامة بكلّ المقاييس.

لا فرق فيه سواء قلنا:

(٥) مسند الإمام الشهيد، للعطاردي، ج ٢ ص ٢٠٢.

إنَّ خروج الحسين كان لإنقاذ أناس مستضعفين مقهورين من جبابرة العصر. أو كان خروجه لإحياء دين جدّه، ولنفخ الروح فيه من جديد.

أو لإزاحة سَكِّيرٍ فاجر - لا يؤتمن على قطيع غنم، فضلاً عن أن يؤتمن على مقام الأنبياء والأوصياء - عن مقام خلافة الله ورسوله في الأرض.

أو دفاعاً عن نفسه المقدسة، وحُرْمه وعياله وأهل بيته.

أو دفاعاً عن السيرة التي يريد سلوكها في حياته، فلا يحيا بما يأباه الشريف والأبيّ، إذ يريدون منه الموافقة على تدمير الإسلام، وانتهاك كل الحرمات، وإقرار نهج الجاهلية الثانية - وهيئات من الحسين -.

حتى نصل باحتمالية خروجه طلباً للسلطة وهو طريق نوافقه للإمام ونرتضيه.

إذ فارق عظيم: بين أن يتولى الخلافة سبط رسول الله ﷺ، وسيد شباب أهل الجنة، ومن عُجَن الإسلام والإيمان بلحمه ودمه وكل وجوده، بل هو عِذْلُ القرآن، وأحد الثقلين اللّذين من تمسك بهما فقد نجا.

وبين إن يتولاها السكير العابث الكافر والقاتل:

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل

إذ تنازع مثل الحسين - والحسين إمام الأُمّة بنصّ رسول الله ﷺ - لطلب السلطة مقام كرامة له، وفوز للأمة، لأنّه إن تولّى الأمر أزهرت الدنيا به، وبإزاحته لذلك الفاجر إراحة للعباد والبلاد من المبادل، ومن دناءة المقاصد، ومن ظلمات لا حدَّ لها ولا منتهى.

حركة الحسين: انفجار النور في أعتم الظلمة، وإخراج للأمة من خطر عظيم أحاط بها بعد ما استكلب عليها كل رذل، وكل من يعدّ من أكثر أبنائها انحطاطاً وفجوراً، فهذا: أزنّى ثقيف، وذاك: من لا يُعرف له أب، وآخر: الطليق بن الطليق، ورابع: طريد

رسول الله ﷺ، وإلى آخر قائمة من هم وصمة عار في جبين الأمة مدى الدهر.

فائدة البحث في أطراف القضية الحسينية :

١- إن القضية الحسينية وتفصيلها مشوشة في أذهان بعض المسلمين نتيجة عوامل عدة منها: عدم متابعة المؤلفات والمصادر المعتبرة في هذا الشأن، ولتلاعب وعبث بعض المؤلفين والباحثين من ذوي الغرض السيئ والمشبوه بالنصوص نقلاً وتأويلاً.

٢- إن تفهّم الوجه في مجريات القضية الحسينية عسرٌ على بعض الأذهان، فيحتاج الأمر إلى صياغة برهانية إقناعية -بحيث يؤدي الاستدلال فائدة البرهنة والإقناع، أي إحداث أثر صناعتي البرهان و الخطابة معاً- لجعلها سهلة الفهم و التناول.

٣- إن الظلم الواقع على الحسين ﷺ لم تتضح معالمة عند عامة المسلمين بما يبصرهم بعظم الجريمة التي وقعت في تلك المساحة من الزمان والمكان من العالم الإسلامي، ويظهر لهم بجلاء حقيقة القائمين بالجريمة وأهدافهم.

وفائدة هذا: كشف المجموعة التي قادت العالم الإسلامي، ووجهت الحدث والفكر فيه، حيث سامت الأمة الذل والهوان، وجرّعت أبناءها الغصص، وأرثهم ألواناً من الظلم يبرأ منها الإسلام، ويندى لها جبين الإنسانية، ومع ذلك يُحسب أولئك من رجال المسلمين وقادتهم، ويُعتبر الحكم نظاماً إسلامياً.

إن تعريف الأمة بقادتها الحقيقيين الربانيين الرساليين المضحين، واجب على الجميع وهو على ذوي العلم أو جب، وبعنقهم ألزم.

كما إن من أعظم الواجبات، وأفضل القُرْبَات إلى المولى سبحانه، تعريف الأمة بالخونة والمجرمين الذين حرفوا مسيرة الإسلام والمسلمين عن النهج الصحيح،

وأدغلوا في الدين، وأذاقوا الأمة كل غصة، وتركوا في كل بيت نائحة، وأوردوا ما لا يُعدُّ ويحصى من أفراد الأمة إلى دركات جهنم، وأضحوا حجاباً بين الأمم وبين الدخول في دين الله أفواجاً، بل أعظم مانع.

ألقيَ نظرك إلى بلاد الهند - مثلاً - واعجب:

بلد ذو حضارة وثنية عريقة، تحوي ساحته مئات الديانات، فهذا يقُدّس البقر، وذاك يعبد البشر، والفأر معبود عندهم أيضاً، وللنار حصّة من العبادة، ثم هذا بوذي، وذاك سيخي، وهكذا.

جاءهم الفتح الإسلامي، وانحسر عنهم، بعد مئات من السنين، وبقي الكفر مستولٍ على البلاد، وهم الآن أكثر من ألف مليون إنسان، أغلبهم كافر بالله العظيم، ويعتنق ديانات من أرذل ديانات البشرية، وأكثرها إثارة للسخرية.

كيف بقي الكفر في تلك البلاد إلى يوم الناس هذا، والإسلام دين الفطرة، يهواه ويحبّه ويقتنع به ويعتقده من عاش تفاصيله، ورأى محاسنه عن قرب، وخصوصاً إذا كانت الأمة المعاشرة هي الأمة الهندية، المستعدة طبعاً وسليقة لقبول الإسلام السهل السمح.

رسول الله ﷺ أزال الشرك من جزيرة العرب كلها في أقل من عشر سنين وبدأ بنشر الإسلام في مصر والحبشة والشام والعراق وفارس والبحرين.

أم أنّ هدف أولئك كان توسيع الرقعة، وجلب الغنائم والعبيد، وإن بقي الناس في ضلالتهم ومتاهتهم.

كان الإعرابي يسمع القرآن فيؤمن، ويسمع بتشريعات الإسلام فيؤمن، ويرى محاسن خلق الإسلام فيؤمن، حتى ظهر دين الله سبحانه، والعتاة كارهون.

الجريمة كل الجريمة: في استيلاء تلك الزمر على دست الحكم في بلاد الإسلام، ولما يتجذّر الإسلام في العقول والنفوس، وقبل أن يأخذ أبناء الأمة بقوانينه القرآنية والمعصومية - معاً - كدستور أبدي للحياة، فعلاً وتركاً.

لابدّ من تعريف الأمة بالقادة المرضيين عند الله سبحانه، الدعاة إليه والدالين عليه، وفضح أولئك المحرّفين والمجرمين من عشقة الجاه والمنصب، لتأخذ الأمة بنهج وفكر الربانيين، وتنبذ نهج وفكر المحرفين، الحجة عن ساحة رحمة الله سبحانه.

٤ - إن القضية التي ثار الحسين لأجلها ما زالت حيّة لم يُغلق سجّلها بعد، والهدف الذي استشهد الحسين ﷺ لأجله لم يتحقق إلى اليوم، والجريمة قائمة الذيول، والجرح لم يندمل.

في رحاب حياة الإمام عليه السلام

الميلاد المبارك:

وُلد الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة، يوم ٣/ شعبان/ ٣ هـ.ق، على المعروف بين الشيعة^(١)، بعد أخيه الإمام الحسن عليه السلام.

والوارد إن حمل سيدة النساء بالحسين عليه السلام كان أقلّ الحمل، أي: ستة أشهر فقط.
موقعه:

ينتمي الحسين ويتنسب إلى أشرف خلق الله سبحانه، وإلى مصطفىاه:

رسوله الأكرم محمد عليه السلام، فهو سبطه -ابن ابنته-.

ثم الأب: علي بن أبي طالب عليه السلام، وصيّ الرسول، وخليفته في أمته، وقسيم الجنة والنار، وتلو الرسول الأعظم في الاصطفاء الإلهي^(٢).

والأم: فاطمة الزهراء عليها السلام، سيدة نساء العالمين، ومن يغضب الله لغضبها ويرضى

(١) لم يذكر الشيخ القرشي في ج ١ ص ٢٨ من كتابه «حياة الإمام الحسين عليه السلام» اليوم الثالث من شعبان بالخصوص مع كونه المعروف بين الشيعة، وعملهم عليه، وهو مذكور في البحار، وما أدري لم لم يرجع الشيخ للبحار ج ٤ ص ٢٦٠ لغرض الإحاطة بالأقوال في هذه المسألة مع جامعية البحار للمطالب المذكورة فيه.

(٢) عن النبي الأعظم عليه السلام: في قوله لبضعته الزهراء: «أما علمت أن الله عز وجل أطلع إلى أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً، ثم أطلع الثانية فاختار بعلك، فأوحى إليّ فأنكحته واتخذته وصياً»، كنز العمال، للهندي، ج ٦ ص ١٥٣، فراجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ١٧٣.

لرضاها^(١)، فهي معصومة، وهي المعصومة الوحيدة في الإسلام، بل في المجموعة البشرية، ولا تشاركها في العصمة امرأة غير مريم ابنة عمران، إلا إنها تليها في الفضل والمرتبة.

والأخ: الإمام الحسن السبط عليه السلام، سيد شباب أهل الجنة.

والأخت: زينب عليها السلام، عقيلة بني هاشم، وشريكة الحسين في جهاده ومحتته.

والعم: جعفر الطيار عليه السلام.

.. وهكذا يحف به الجمع من بني هاشم.

والبيت الهاشمي أشرف بيت في قريش، بل في العرب، بل في الدنيا بأسرها. وهذا الموقع النسبي للحسين، وفر له ملكات وخصائص وذاتيات لا نظير له فيها -إلا أخوه الحسن السبط- كما وفر له تربيةً عاليةً جداً، بعد أن عاش في كنف النبي والوصي والبتول، وبرفقة الحسن المجتبي وزينب العقيلة، بالإضافة إلى مواهب ربانية عظيمة، قام الدليل القطعي على توفرها فيه، كل هذا دعى النبي الأعظم عليه السلام إلى كشف حقيقة حاله، وعلو خصائصه، وجليل ميّزاته، إلى الأمة، بأحاديث بقيت تدوي عبر التاريخ، بالرغم من كل الجهود الجبّارة لطواغيت الأمة وأتباعهم، لمحاصرة تلك الأحاديث وطمسها وإعفائها من ساحة الوجود، بهدف الحيلولة بين الأمة ومنقذها الحقيقي، وكي تبقى الأمة تتقلب تحت أفياء فروع الشجرة الملعونة في القرآن: بنو أمية، ولن نخلي كتابنا من بعض تلك الأحاديث الجليلة.

قضى الحسين عليه السلام من العمر بصحبة جدّه الرسول الأعظم سنين سبع -بعد إن كانت ولادته في شعبان سنة ثلاث من الهجرة، ووفاة جدّه النبي عليه السلام في صفر سنة إحدى

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، للفيروزآبادي، ج ٣ ص ١٥٥، فقد نقله عن عدة من مصادر الستة، منها كنز العمال وأسد الغابة.

عشرة للهجرة المباركة-.

ومن خلال النصوص المتوفرة في كتب السُّنة والشريعة على السواء، عن النبي الأكرم ﷺ في سبطه الحسين، نعلم أنَّ السنِّيَّ السبع للحسين، والتي قضاهما في كنف أصحاب الكساء -وهو أحدهم- لم تكن بالصيغة التي يحياها كل طفل -بطبيعة الحال- بل هي حياة خاصة، تناسب الموقع الذي هو فيه، والمقام الذي سيصير إليه، من خلافة الله ورسوله في الأرض.

وما تقدّم: يحكي عنه بأحسن بيان، نصّ النبي الأكرم:

«الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة^(١)».

فبأيّ مزية يكون الحسين سيد شباب أهل الجنة، لولا توفّر كمالات وخصائص ذاتية فيه، ولولا صدور أعمالٍ جليّةٍ منه، هي الأفضل والأكمل والأزكى بحيث تعلو به على كل ذي كمال بشري، وكل ذي عملٍ جليل، فهو الأعلى مراقبة في الجنة، حتى من جميع الأنبياء والأوصياء، فضلاً عمّن عداهم -باستثناء النبي ووصيّيه وبضعته الزهراء وذلك لنصوص خاصة- وإلاّ فالمولى سبحانه لا يهب المقامات جُزأفاً ولا النبي ينطق عن هوى.

والحسين من أهل البيت الذين هم:

أ- أحد الثقلين: اللذين تركهما النبي ﷺ في الأمة، لا يضلّ أبداً من اتبعهما، وأخذ بهديهما.

ب- وسفينة نوح هذه الأمة: فكما أنّ من ركب السفينة نجا، فمن اتبع آل محمد -والحسين منهم- فسينجو أيضاً.

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٣ ص ٢١٢، وراجع: مسند الإمام الحسين، للعطاردي، ج ١ ص ١٣٠، فقد نقل هذا عن مصادر عدّة منها: صحيح الترمذي، ج ٢ ص ٣٠٦.

ج- وقربى النبي ﷺ الذين أوجب الله مودتهم ومحبتهم -لا أن يناصبهم المرء العدا، ويقتلهم، ويستقي الأرض من دمائهم، ويملاها من قبورهم-.

وهو أحد إمامي الأمة، الثابتة إمامتها -بالنصوص القطعية- إن قاما وإن قعدا. والمضامين المتقدمة: يكفي أحدها ليركس كل مناوئي الحسين ومن يتعصب لهم على رؤوسهم في جهنم، لصراحتها في عظمة الحسين ﷺ، ولنقل كتب المسلمين قاطبة لها فالتمرد عن الانصياع لها، متمرد على إرادة الله، وتبليغات رسوله، وليس لهذا المتمرد إلا النار كما صرحت النصوص بهذا.

إن جميع ما صدر عن النبي الأعظم ﷺ لبيان حقيقة الحسين، وواقع مقامه عند الله ورسوله، بما يفصح عن ذاتياته، وملكاته، وكفائاته، صراحةً، أو ضمناً، أو بالملازمة، إنما صدر ولم يبلغ الحسين ﷺ التاسعة من عمره المبارك.

و ذلك المدح، وتلكم الإشادات، إنما صدرت ممن بعثه الله رحمةً للعالمين، وممن جاء ليغير العالم كله إلى النهج المستقيم، وليبدل دار الدنيا من وضعها المقيت إلى الحياة الأسعد.

ومن المعلوم أنه ﷺ لا ينطق عن هوى أبداً، وأنه يضع الشيء في موضعه الصحيح، وإن ما تضمنته النصوص من تصريحات وتلميحات وإشارات، كان بمحض من الصحابة، ومع ملاحظة استعداداتهم وانتماءاتهم وإمكاناتهم.

ومع توفر مجموع الظرف والمظروف، فإنه ﷺ صرح بأن الحسين إمام المسلمين إن قام وإن قعد، وأنه سيد شباب أهل الجنة في الآخرة، فإذن:

له السيادة على الأمة كلها إلى يوم القيامة، وفي الدارين.

بل المستفاد بوضوح من النص، إن الحسين سيد الدنيا والآخرة على جميع من عدا

النبي ﷺ والوصي علي والزهاء والحسن المجتبى ﷺ وهذا الاستثناء لنصوص خاصة أوجبه، وأما عموم سيادته، فلاقتضاء إطلاق سيادته على شباب الجنة دون استثناء أحد أبداً، إلا من قدمنا ذكرهم ﷺ.

وليست السيادة الدنيوية والأخروية للحسين على البشرية كلها إنما تقتضي له الاحترام والتوقير ونحو هذه من العناوين فقط - وإن لم تحصل هذه أيضاً من معظم الأمة - كما يصر بعض من ينتمي لطائفة السُّنَّة، على فهم ما ورد في أهل البيت بهذه الشاكلة، إذ هذا مراد ضيق الدائرة جداً، عما تفيده النصوص الكثيرة، وهو مفاد لا يفهمه من يعرف الكلام العربي، ويُنزَّه عن أن يقصده النبي الأعظم ﷺ، في أن يكون هذا حدّ مراده واقعاً.

وما أدري كيف يقف هؤلاء من أهل البيت عند حدود الاحترام والتوقير، والنصوص - الكثيرة والمتواترة - تفرض طاعتهم على الأمة جمعاء، بل البشرية، وبدون استثناء، إذ تبين إن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وحبهم حبّ الله، وبغضهم بغض الله، ومحاربتهم محاربة الله، والسلم معهم سلم مع الله، وعلى هذه الوتيرة، وحديث السفينة من حججنا العظيمة عليهم، وكم لدينا من نظير.

رحيل الرسول الأعظم ﷺ:

وبرحيل الرسول الأعظم ﷺ إلى ربّه المتعال، تكون أبواب الفجائع قد انفتحت على مصراعيها في حياة الإمام الحسين ﷺ، وابتدأت الانهيارات - منظورة وغير منظورة - في الكيان الهائل الذي بناه رسول الرحمة لأمة أتى بها إلى الوجود من لا شيء، وأنعشها بعد طول جاهلية وخمول.

وفاجعة رحيل الرسول الأعظم، في حياة الحسين - بل في حياة كل مؤمن حق -

عظيمة ومهولة فكيف إذا تالت الرزايا العظام.

ها هو الرسول الأكرم الأبرّ، بعد محاولات اغتيال عديدة ومُحَكِّمة انتهت جميعها إلى الفشل، يموت مسموماً بيد عصابة مأكرة منافقة، وما أكثر الشواهد على هذا، ولعل نسبة التسبب بتسميم النبي إلى اليهودية الخيرية لتنبيه المؤمن والإشارة إلى ما ومن ينبغي الالتفات إليه، نعم، لعل القاتلة يهودية إلا إنها من سنخ غير خيريري.

ثم ها هو النبي ﷺ متروك بلا تغسيل، وبلا تجهيز، أياماً ثلاثة، إذ الصحابة مشغولون في حسم قضية الخلافة، وها هو الأمر يُتَقَقُّ عليه بين جَمْع، ويُفَرَضُ فرضاً على الآخرين، بمن فيهم الأسرة القريبة جداً من خاتم المرسلين، والتي لها موقع خاص في الإسلام، بل أوجب الله ورسوله على الأمة جمعاء - من دون أي استثناء - الإطاعة المطلقة لسيد هذه الأسرة: علي عليه السلام.

ويرفض بيعة أبي بكر جمع، يتصدّروهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه، وعامة بني هاشم، وجمع من خيرة صحابة النبي الأكرم ﷺ كسلمان وعمار والمقداد وآخرين.

وقد ذكّرهم الإمام الوصي عليه السلام بوصايا رسول الله ﷺ في أمر الخلافة وبتعيينه له من بعده - وهذا التعيين، كما هو حق للإمام الوصي فكذلك هو من الواجبات الملقاة على عاتقه، فليس هو من الحقوق الخاصة المحضة، كي يتنازل عنها أو يتسامح بشأنها - . وكان نتيجة موقف أبي بكر ومن معه، مقابل إصرار الإمام وأهل بيته وصحبه على الامتناع، أن طُوق بيت الإمام من مجموعة يقودها عمر بن الخطاب، ثم قامت هذه المجموعة بتهديد من فيه بإحراقه عليهم، وفي البيت فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ، والحسن والحسين سبطا النبي وريحانته، و جمع من الصحابة، بالإضافة إلى الإمام الوصي أخو الرسول وخليفته في أمته، ومن قام الإسلام بسيفه، ثم ينتهي الأمر إلى

كسر الباب، وعصر ابنة الرسول بالباب وهي حامل -وهي التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها-، وإسقاط جنينها، وضربها على وجهها -تلك الضربة التي تركت أثراً في عينها إلى آخر حياتها- ثم ضَرَبَها بالسوط على عضدها، وكسر ضلعها، ونفوذ مسبار إلى صدرها -بسبب عصر الباب- وبعد كل هذا يبدأ الهجوم على الوصي، فيُسحب من رقبته إلى مقر أبي بكر، ويطلب بالبيعة قهراً، ويهدد بالقتل، ومع التهديد إطلاق اليمين بقتله لو استمر في امتناعه^(١)، ولا تسل بعد كل هذا عن الأجواء القائمة في حياة الحسين يومذاك، وعمرهما لا يتجاوز السنوات التسع.

وتمر الأيام كئيبة حزينة، وتستشهد الزهراء، سيدة نساء العالمين، بعد فترة قليلة جداً، نتيجة أمور ثلاث:

أ- رحيل أبيها ﷺ.

ب- المصائب التي حصلت بعد أبيها، من اغتصاب الخلافة، والاعتداء على الوصي، بل على عامة أسرة النبي الأعظم ﷺ.

ج- الاعتداء عليها: بالضرب، وكسر الضلع، وإسقاط الجنين، بالإضافة إلى الآلام النفسية الهائلة، مما عجل بشهادتها.

وها هي ابنة الرسول، وسيدة نساء العالمين، تُدفن سراً فلا يُعلم قبرها إلى اليوم، كشاهد صارخ على الجريمة التي ارتكبتها الفئة الحاكمة ومن ساندتها، بحقها.

ثم ها هم أهل البيت النبوي يعتزلون الأوضاع، وتلهو عنهم الفئة الحاكمة ومن يسايرها، فتخفت أخبارهم، ولا يُنقل عن تفاصيل حياتهم، ومن فقههم وعلومهم الدينية إلا قليل، مع إنَّ علياً باب مدينة علم النبي، وهو وأهل بيته سفينة نجاة الأمة،

(١) راجع: مأساة الزهراء، للسيد جعفر مرتضى العاملي، للإطلاع على تفاصيل ومصادر هذه الواقعة العظيمة في التاريخ الإسلامي.

وأحد الثقلين اللذين تركهما النبي للأمة، عصمة من الضلالة.

ولا يفهم من كلامنا المتقدم أن لا خبر عنهم، ولا تحرك لهم على الإطلاق في هذه المرحلة، بل هناك الكثير مما يُذكر في المقام، إنّما المقصود إن المستوى الموجود في التعامل معهم هو دون المطلوب بكثير، بحيث ينزل المنزل التي ذكرناها.

ولا يفوتنا التنبيه إلى طبيعة النهج الذي سلكه المعصومون الثلاثة عليه السلام في هذه المرحلة مع الخلفاء الثلاثة، وهو الإرشاد والتنبيه على الخطأ والانحراف، لحماية الإسلام وصيانتها، ولم يكن فيه ما يدل على تصحيح استلام الثلاثة للخلافة أبداً، فموقفهم من هذه المسألة ثابت ومعروف، ولم يتراجعوا عنه قيد أنملة مدى حياتهم، هم، وذريتهم المعصومون، وشيعتهم، ومن يلتزم نهجهم، ولعلّ هذا واضح، ومن نافلة القول.

فترة الوصي والمجتبى:

صحب الإمام الحسين عليه السلام والده الوصي عليه السلام طيلة حياة الوالد العظيم، بما فيها أيام تمكّن الوصي من الخلافة الظاهرية، وكان بمعيته في تمام الأحداث التي واجهها. كما سار الإمام الحسين عليه السلام على منهاج أبيه، في طريقة العيش، وذلك:

١- لأن علياً لم يكن يسمح إلا بهذا النمط من العيش لنفسه، ولمن هو لصيق به. فهو -صلوات الله عليه وسلامه- يروض نفسه على خشونة العيش في جميع أمره، ويأمر بهذا من يقتدي بهديه، ويستنير بمناره، بل كان عليه السلام صارماً في هذا الأمر، وقضيته عليه السلام مع أخيه عقيل من الشواهد.

والقاعدة في منهاج علي -صلوات الله عليه وسلامه- أنه:

كلما كان المرء أقرب له نسباً وسبباً، وعقيدةً ومنهاجاً، كان أبعد عن أن ينال من علي شيئاً من التفضيل والتميّز في شؤون الرفاهية ودعة العيش، أو أن يحيا في هذه الأجواء،

وهذا الأمر دستور في حياة علي، والشواهد عليه متعددة.

٢- على أن لا تفاوت أصلاً في منهاج حياة الإمام علي عليه السلام، ومنهاج حياة ولده الحسين عليه السلام، فهما يصدران عن منبع واحد «الرسول صلى الله عليه وآله والقرآن الكريم» كما إن الحسين عليه السلام تلميذ والده، وأفضل متمسكٍ بنهجه، ومن أراد معرفة علي عليه السلام، فلينظر إليه من خلال ولده الحسين عليه السلام، فحياة الحسين عليه السلام مرآة لحياة علي عليه السلام، وفيها الكاشفية عن تلك الحياة، وذلك المنهج، غير إن فرقاً في جانب أثر فرقاً في المنهج الحياتي بعض الشيء وهو استلام علي صلوات الله عليه للخلافة الظاهرية وهو ما لم يحصل للحسين صلوات الله عليه.

والحاصل أن علياً لم يستفد من الخلافة شيئاً من مباحج الدنيا، ولم تزده الخلافة غير المسؤوليات، والتكاليف، والآلام، والمحن، فلم يعيش عيشة إلا دون ما يحياه أقل فرد من رعيته، فلم ينزل القصور، ولم يلبس ناعم الثياب، ولا أكل الطيبات، ولا استفاد من منصبه ما يغتنم الآخرون معه فرصة القدرة التي يوفرها المنصب لنيل آمالهم ومطامحهم، أو للانتقام من عدوٍّ أو مشاغب.

كان أقوى الناس عندما يريد تحكيم إرادة الله ورسوله، غير أنه حينها يتعلق الأمر بالمغانم ورغد العيش، فإن علياً له خبر مختلف تماماً، لم تتعارف البشرية مثله قط.

والنصوص كثر فيما قدمناه، فراجع لها نهج البلاغة، والمجلدات الخاصة بأمير المؤمنين في بحار الأنوار، وما كُتب عن علي عليه السلام مما حوى أخباره يستعصي على الإحصاء والاستقصاء، كيف وقد كتب عنه الشيعة، والسُّنة، والمسيحيون، ونُظم الشعر في مدائحه، ومناقبه، وسيرته العديدة النظر، فهذه القصيدة الأزرية الألفية^(١) -وهي قرابة ألف بيتٍ من الشعر، يوجد منها الآن أكثر من خمسمائة- في مدحه، لناظمها الملا

(١) هذه القصيدة، مطبوعة في كتاب خاص بها، بعنوان: «الازرية».

كاظم الأزري وهو من الشيعة، والقصيدة العُمرية لشاعر الموصل السُني عبد الباقي العُمري^(١):

أنت العليّ الذي فوق العُلا رُفعا بطن مكّة وسط البيت إذ وُضعا
وأنت أنت الذي حُطّت له قدم في موضع يده الرحمن قد وضعا
سمّتك أمك بنت الليث حيدرّة أكرم بلبوة ليث أنجبت سُبعا

وهذه قصيدة الغدير، للشاعر المسيحي بولس سلامة، وهي تُقارب الثلاثة آلاف بيت^(٢)، وأخرى للقاضي المسيحي عبد المسيح الانطاكي وهي «٥٥١٥» بيت^(٣)، وقصائد ابن أبي الحديد، المعتزلي عقيدة، السُني تفقها:

يا برق إن جئت الغريّ فقل له أترك تعلم من بأرضك مُودع
فيك ابن عمران الكليم وبعده عيسى يقفّيه وأحمد يتبع
بل فيك جبريل وميكال وإسرافيل والملا المقدّس أجمع
بل فيك نور الله جل جلاله لذوي البصائر يستشفّ ويلمع
فيك الإمام المرتضى فيك الوص سيّ المجتبى فيك البطين الأنزع
يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكف أربعون وأربع^(٤)

وهذه القصائد الطويلة، مع اختلاف ناظميها في الأديان والمذاهب، تكشف عن

(١) قصائد العمري، مطبوعة في ديوانه: «الترياق الفاروقي».

(٢) قصيدته مطبوعة في كتاب بعنوان: «الغدير».

(٣) راجع: الغدير، الأمين، ج ٣ ص ٢١ ط مركز الغدير.

(٤) القصائد العلويات السبع، لابن أبي الحديد، وهي مطبوعة مع الهاشميات، للكميت بن زيد

مقدار ما أحدثته شخصيّة علي بن أبي طالب، وسيرته العظيمة، في المتقدم ذكرهم، على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم، حتى اخذوا ينضمون القصائد المثنوية والألفية، للتعبير عما يحيش في صدورهم، من إكبار وإعجاب، بهذا الإنسان الكامل الفرد، والذي ما سمح الدهر بمثله - باستثناء أخيه خاتم المرسلين ﷺ والذي لا يدانيه إنسان قط -.

لقد سبق الكتاب والسنة الجميع، إلى رفع علي عليه السلام، على كل أفراد الجنس البشري. فالقرآن أوجب طاعته على الكل دون استثناء - باستثناء رسول الله ﷺ بطبيعة الحال، وهذا واضح - حيث قال:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ ۝ ﴾^(١).

وبحسب نصوص الشيعة والسنة، فان صاحب هذه الآية، المعبر عنه فيها بـ:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۝ ﴾.

هو علي عليه السلام لا غير، وتجري في أولاده المعصومين الأحد عشر صلوات الله عليهم لتوفر الملاك فيهم.

وأما رسول الله ﷺ، فمما نقل عنه، ما رواه المحب الطبري - وهو من أعلام العامة - في كتابه - الرياض النضرة -:

«كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله تعالى، قبل أن يخلق آدم عليه السلام بأربعة عشر ألف عام»^(٢).

الرجاء أن تتأمل في أبعاد هذا النص الشريف، وأن تجعله بمحضرك حينما تريد أن تتصور علياً في نفسه، أو أن تقايسه بغيره، والله يهدي من يشاء إلى صراطه، ودينه،

(١) سورة المائدة، الآيات ٥٥ - ٥٦.

(٢) فضائل الخمسة، ج ١ ص ١٦٨، عن الرياض النضرة، ج ٢ ص ١٦٤.

ونعمته.

أقول: من يتربى في مدرسة علي عليه السلام، ويعيش في عوالمه، لا يكون إلاّ أعجوبة من أعاجيب الدنيا، وليس هو إلاّ واحد دهره، وهكذا كان الحسين طول حياته.

كان الإمام الحسين عليه السلام يحيا في ظلال أجواء مدرسة أبيه، وينهج نهجه، وقد شارك أبيه في جهاده للنكثين والقاسطين والمارقين، والذين تبّه إلى أمرهم سيد الرسل صلّى الله عليه وآله إذ أخبر الوصي عليه السلام بمقاتلته لهم^(١)، وذكر للأمة مؤكّداً أنّ هذه الفئات الثلاث هي الطرف الضالّ في تلك الحروب، والحق مع علي دائماً، وفي تلك الحروب أيضاً.

غير إنّ الحسين كان لهما وضع خاص في دولة الوصي عليه السلام، يجدر التنبيه إليه، والفت النظر نحوه.

ففي الوقت الذي لم يكن للحسين تميّز خاص، فيما يتعلق بالرفاهية الدنيوية، أيام خلافة أبيهما الوصي - إذ إنّ سياسته كانت قائمة على أن يأخذ لنفسه، ويعطي للآخرين - من يتعلق به أو غيره - بمستوى واحد، دون تمييز لآله في كثير أو قليل إلاّ أنّه كان يميّزهما في شيء آخر، ومن حيثية مهمة.

ذلك أنّه كان يتعامل معهما من منطلق إنهما ابنا رسول الله صلّى الله عليه وآله، فكان يصونهما، ويدود عنهما المخاطر، حفظاً لهذه النسبة، وتنبيهاً للامة على ما ينبغي لها أن تصنعه معهما. وأما ذلك وشاهده، أنّه عليه السلام كان يقذف بولده محمد في المخاطر، ويصون الحسين منها، وقد تكرر هذا منه، والوارد عنه تصريحه بأن السبب في هذا، انتساب الحسين للنبي الأعظم صلّى الله عليه وآله فهو يصونهما ويفدّيهما بولده محمد.

في حرب صفين، هجم الحسن عليه السلام لمقاتلة القاسطين - معاوية وحزبه - فنادى

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصّحاح الستة، الفيروز آبادي، ج ٢ ص ٣٥٨.

الوصي في صحبه وجنده:

«املكوا عني هذا الغلام لا يهْدني، فإنني أنفس بهذين - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ»^(١).

وفي عبارة ابن أبي الحديد:

«املكوا عني هذين الفتيين، أخاف أن ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ»^(٢).

وسئل محمد بن الحنفية: لم يغرب بك أبوك في الحرب، ولا يغرب بالحسن والحسين؟ فقال: إنهما عيناه، وأنا يمينه، فهو يدفع عن عينيه يمينه^(٣).

وكان الوصي يقول: «أين يقع ابني من ابني رسول الله ﷺ»^(٤).

وهذا الأمر الذي عظم فيه الوصي ولديه، لم تبال به الأمة، ولم تعرف للحسين هذه الحرمة - حرمة بنوته لرسول الله ﷺ - مع أنه كذلك في القرآن العزيز:

﴿أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾^(٥).

وأما حركة الحسين في أيام المجتبي:

فالإمام الحسين كان ركناً من أركان دولة أخيه الحسن ومن معاضديه، ومن الممثلين لأمره حرباً وسلماً.

ومن الخطأ العظيم: الالتزام بعدم طوعية الإمام لأخيه الإمام المجتبي، بشأن عقد الصلح مع معاوية.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٧.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٤٢ ص ٩٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٢ ص ٩٩.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٢ ص ١٠٠.

(٥) سورة آل عمران، الآية ٦١.

فأما أصل الصلح، فلم يكن أحدٌ مريداً له ولا راضياً به، الإمام الحسن، والإمام الحسين، وبقية أصحابهما وجيشهما.

ذلك لأن الإمام الحسن إنما اختار الصلح لضرورةٍ قاهرةٍ كما اختار رسول الله صلح الحديبية لضرورة قاهرة.

وأما رضا الحسين رضي الله عنه بما صنعه أخوه المجتبي فهو حاصل قطعاً، بل هو معتقد بأن ما صنعه المجتبي هو التصرف الصحيح، وفقاً للحالة المعاشة، ولو كان مكانه لما صنع غير هذا، وهذا من الحسين رضي الله عنه ليس لتسليمه لأخيه فقط، أو لمحض اعتقاده بإمامته، بل الأمر أجلى من هذا.

إذ إن الناظر بإمعانٍ لظروف المجتبي، والمطلع على تفاصيلها وجزئياتها، يعلم أن لا طريق للمجتبي يسلكه غير هذا، فليس حبّ المجتبي للمسألة هو دافعه للصلح، ولا إن لروح الحسين رضي الله عنه الجهادية مدخلية في رفضه، فالحسن والحسين في المسألة والجهادية روح واحدة، وفكر واحد، وإنما للظرف الخاص مدخلية في إختيار الحسنين لموقفيهما، ويعضدهما في كل حركة لهما واختيار، التسديد الإلهي، المعبر عنه ب: العصمة.

الحسين بعد الحسن رضي الله عنه :

حمل الحسين رضي الله عنه مشعل الإمامة بعد أخيه المجتبي، وحمل هموم الإسلام -تركة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمانته، عند خلفائه المعصومين من ذريته-.

حافظ الحسين رضي الله عنه على مضمون عقد الصلح الذي عقده أخوه المجتبي مع معاوية، وترك النهضة إلى أن حان حينها بعد موت معاوية، وكتابنا هذا يتعرّض لتفاصيل كثيرة متعلقة بحركة الإمام الحسين رضي الله عنه بعد أخيه الإمام المجتبي صلوات الله عليهما وسلامه.

غير أننا نقول في مفتتح كتابنا:

إن الحسين بن علي بن أبي طالب، أظهر عزَّ الإمامة، ومنعتها، وصلابتها، وضرورتها للإنسانية.

ذلك انه لم يُقتل في ساحة معركة، من المعصومين الأربعة عشر، غيره، كي ترى الأمة صنيعهم في تلك الساعات إلاَّ إنَّ الحسين مثَّ لهم جميعاً، وكان مرآة صادقة حاكية عنهم، وقد ظهر منه في تلك المواقف التي تزلزل الصمَّ الصلاب، من السَّمو، والرفعة، والطهارة، والشموخ، ونكران الذات في جنب الله سبحانه، ما لا نظير له فيه ولا عدِيل. بل إنَّ شهادته تعلو على كُلِّ شهادة، فقد أُصيب إصابات قاتلة، وعجز عن القتال، ومع ذلك بقي يصدر عنه من أسباب الرِّشاد والهداية، ما به استنقاذ ذلك الجمع من وهاد جهنم ووديانها - لو لا موت قلوب فئة الضلالة والارتداد -.

وهكذا خُتِمت حياة الحسين بأن يُذبح من الوريد إلى الوريد، وكان ما يزال به رُمق من الحياة، بل كان حينها يتحدث مع قاتليه - وياويلهم -.

اللهم اجعلنا في حمى الحسين (عليه السلام)، في طول مسيرتنا الوجودية، يا عادل، يا رحيم.

لقد قصَّرت الأمة يومذاك تقصيراً عاماً فيما يتعلَّق بالحسين، وما اغتنمت وجوده للتعليق بأذيال النجاة والسعادة في الدارين، بل استمرت هذه الأمة في بخس حظ نفسها، حين استمرت في مؤازرة الخط المناهض للحسين.

وإلى يومنا هذا يتعامل كثير من أبناء أمة رسول الله ﷺ بلا أُباليَّة مع الحسين ونهجه وهدفه وهو ابن رسول الله ﷺ، لكنَّ هؤلاء يستشيطون غيظاً إذا ذُكر آل أُمية بسوء وهم في القرآن: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ﴾^(١).

(١) سورة الإسراء، الآية ٦٠.

بينما الحسين في كتاب الله: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

والحسين: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢).

والحسين: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣).

والحسين: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾^(٤).

والحديث في الحسين يبتدأ ولا ينتهي -اقتباساً من القرآن والسنة- ويكفي في أمره ما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، أنه: سيّد شباب أهل الجنة

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٣) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٤) سورة الإنسان، الآية ٥.

الإمام السبط قبل الطف

ورد: أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) اعترض عُمرًا -والأخير على المنبر يخطب أيام خلافته- بقوله (عليه السلام): «إنزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك».

فأجابه عمر: ليس لأبي منبر.

وفي رواية: إنَّ الإمام (عليه السلام) لم يزل يجبذه حتى قطع خطبته ونزل عن المنبر، ثم أرسل عمر إلى الإمام (عليه السلام) وقال له: «يا ابن أخي من أمرك بالذي صَنَعْتَ»، فأجابه الإمام: «ما أمرني به أحد».

وأعاد عليه السؤال، فأجابه (عليه السلام) بنفس الجواب تنمة ثلاث مرات.

كل هذا والإمام دون حدِّ البلوغ الشرعي، ويقول له عمر في نهاية الرواية: إنما أثبت في رؤوسنا ما هدى الله وأنتم^(١).

موقف الإمام هنا وموقف عمر مستحقان للتأمل، ولاقتناص الفوائد:

إذ من جهة يدلُّ على استماتة الإمام في استرجاع الحق المغتصب في الخلافة لوضوح انحصار هذا الحق في أبيه المجاهد المظلوم (عليه السلام)، وهذا وحده حجة على الجميع في إثبات هذا الحق للإمام الوصي، لأن الحسين علم هداية في الأمة.

(١) تأريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة النميري المتوفى في ٢٦٢ هـ.ق، ج ٣ ص ٧٩٨-٧٩٩، ونقل صاحب كتاب: كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، اعتراض الإمام (عليه السلام) على عمر في ص ١١٦، كما ذكر مضموناً مشابهاً في اعتراض له على أبي بكر في ص ١١٠، وذكر أيضاً اعتراضه (عليه السلام) على أبي سفيان عند مخاطبته للصحابه المدفونين في البقيع، فراجع ص ١٢٢.

ومن جهة يوضح الركائز التي يستند إليها عمر وإلا لردّ على الإمام بحجة ما، وإن كانت هزيلة، كما هو الحال في -إنّا معاشر الأنبياء لا نورث- والتي تردّ بالآيات القرآنيّة المتعدّدة بسهولة.

إذ كيف لم يُجبه أنّه مستخلف من رسول الله، أو من صاحب الحق في الاستخلاف -أي أبي بكر بحسب زعمهم- أو أنّ المسلمين اختاروه، أو يستند إلى إجماع المسلمين، أو إلى أهل الحل والعقد، أو أن هذا المقام لمن غلب وتمكّن منه، خصوصاً إن الإمام ﷺ قد هتف به أمام الصحابة كافة وغيرهم حتى أنزله عن المنبر وقطع خطبته.

وكذلك تكشف هذه الحادثة بعض نواحي العظمة في شخصية الإمام الحسين ﷺ، والذي لم يبال بجند عمر وحرسه، ولا بجميع من يجلس تحت منبره، وهم وجوه المجتمع من المهاجرين والأنصار، وبعضهم ممن يُساند عمر في توجهاته، كما لم يَهَبْ عمراً مع إنّ هيئته أخافت جمعاً كبيراً من المسلمين، بل إنّ تلك الهيبة تصاغرت أمام عظمة الإمام وهيئته، وقوة منطقته وأحقّيته ما صرّح به.

لقد كشفت سيرة الإمام الحسين ﷺ -ومن قبله سيرة والده الإمام الوصي علي أمير المؤمنين، وسيرة أخيه الإمام المجتبي- عن أن الخلافة والزعامة ليست بذات قيمة عند أهل البيت عليهم آلاف التحية والثناء.

إن الخلافة عند الإمام الحسين ﷺ -وكذا عند أبيه وأخيه- مسؤولية عظمى إذ هي عندهم وراثته لمقام رسول الله ﷺ بما تحمله هذه الوراثة من مسؤوليات ومهام -وإلاّ فمقام رسول الله ﷺ ليس فيه محل ومجال للمتّع والملاذ التي تقلّب فيها من ارتقى مقام النبي الأعظم ﷺ.

مقام النبي يعني:

أ- تبليغ أحكام الدين وأوامر الله ونواهيه إلى الأمة.

- ب- المحافظة على القرآن من التحريف والضياع، مع بيانه وتفسيره للأمة.
- ج- الحفاظ على مقدسات الإسلام، ومشاعره الحرام.
- د- المحافظة على الدين بالوقوف سدّاً منيعاً أمام جريمة التلاعب به، والمصارعة بإجهاض وتلافي أية عمليّة من هذا القبيل، وكذلك القيام بتبيينه للناس، ونشره في مساحة أوسع.
- هـ- مراقبة تطبيق أفراد الأمة لأحكام الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- و- فصل المنازعات بين الناس وفق أحكام الله.
- ز- الدفاع عن بلاد الإسلام، وعن المسلمين من العدو الخارجي والداخلي، وصيانة المكتسبات الإسلامية.
- ح- رفع الفقر عن كاهل أفراد الأمة، بتسهيل أسباب العمل والارتزاق لهم، أو بتمويلهم مع عدم إمكانية الارتزاق.
- ط- العمل على تقريبهم لربّهم المتعال، بتكميل نفوسهم، وتربيتهم التربية الإيمانية الصالحة.
- ي- مقام النبي ﷺ يعني الزهد، والتقوى، والعدل، والإنصاف، والإيثار، ونكران الذات، والإعراض عن الدنيا بالكلية، ومراقبة النفس ومحاسبتها على كل حركة وسكون.
- ك- مقام النبوة - وكذا مقام الإمامة - هو مقام الارتباط والتوسط بين العباد وربّهم فلا ينزل شيء من المولى سبحانه إلى عباده إلا بواسطة النبي أو الإمام الذين هما واسطة الفيض الإلهي إلى العباد كما أنّ المولى سبحانه لا يقبل من أحد عمله إلا ما كان مأخوذاً من طريق المعصوم وعبر البخوع لولايته وأمره ونهيه وليس هذا إلا لأن المعصوم - النبي

أو الإمام - هو واسطة الفيض والكلام في هذا الأمر مبتدأ ولا ينتهي والكلام في أرجائه طويل وعريض ومن الله التسديد والتوفيق وهنيئاً لمن تقلّب في هذه الأفياء.

ولا أتمكن في هذه العجالة من الإحاطة بمسؤوليات النبي ﷺ، غير أنّي ألخص الأمر بالقول: إن مقام النبي أعظم المقامات مسؤولية في أمور الدين والدنيا، وأقلّها في مجال الانتفاع الدنيوي، فهذا المنصب يُلازمه الحرمان من الراحة الدنيوية، ومن المتع والملاذ والرفاهية ونحو هذي من العناوين.

سيرة النبي وسيرة علي أيام خلافته تكشف لنا عن حقيقة هذا المقام -مقام الخلافة والزعامة الدينية والدنيوية في الأمة- وما يلزم المتصدّي له من سلوك، ولنأخذ عليه مثلاً من رسالة أمير المؤمنين علي عليه السلام لواليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري -وهو من خيار الصحابة-:

«ولو شئتُ لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القُرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيتُ مبطاناً وحوالي بطون غرثي وأكبادُ حرّى...

أأقنع من نفسي بأن يُقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جُشوبة العيش، فما خلقتُ ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها...

وأيّم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله، لأروضن نفسي رياضةً تهشّ معها إلى القُرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مُقلتي كعين ماءٍ نضبَ معيُنُها مستفرغةً دموعها.

أتمتلي السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الرّبيضة من عُشبها فتربض، ويأكل عليّ

من زاده فيهج، قرّت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة، والسائمة المرعية.

طوبى لنفس أدت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت في الليل غمضها، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت كفّها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاغت عن مضاجعهم جنوبهم، وهممت بذكر ربهم شفاههم، وتقشّعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

لم ننقل الرسالة بطولها، بل اقتبسنا منها بعض نورها. ولو أردنا نقل المتوفر في الموسوعات من سيرة علي، وأقواله في هذا الميدان، لألفنا كتاباً بل مجلدات، وكل المنقول عنه يحمل هذه الروح وهذا الاتجاه في بيان الحكم وأبعاده ومسؤولياته^(٢).

حينما تتأمل في سيرة علي وكلماته في هذا الميدان، وتبدأ بتطبيقها على المرئي والمسموع من سلوك حكام المسلمين من أول دهرهم إلى اليوم لقضيت عجباً، ولقطعت إنّ هذا غير ذاك، بشكل لا يجمع بينهما جامع، ولقطعت أنّ سيرة علي وسلوكه هو الإسلام، وهو صراط الله، وإن سيرة غيره ليست من الإسلام في شيء أبداً.

من ملاحظة سيرة علي عليه آلاف الصلاة والسلام وسيرة ولديه السبطين الحسن والحسين، ومن ملاحظة المنقول عنهم من كلامهم تعلم أن أهل البيت ليسوا من طلاب

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٤٥، ص ٥٧٢، والآية المباركة من سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) ويكتفيك من روائع بياناته في هذا السبيل عهده لملك الأشتر لما ولّاه على مصر وهو من حسنات الزمان ومن مفاخر الإسلام، فراجع في كتاب «نهج البلاغة» للسيد الرضي، قسم الرسائل، الرسالة ٥٣.

الحكم ومحبي الزعامة وإن قاتلوا في سبيلها.

إذ الذي يريد الحكم للحكم لا يسلك الدرب الذي سلكه علي وولده المعصومين الأبرار عليه السلام.

علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله، أعلن هذا النبي في أول البعثة الإسلامية كما في حديث الدار، وفي آخر بعثته المقدسة في يوم الغدير العظيم، وأعلن هذا مرات كثيرة فيما بينهما، كما أعلن عن هذا في أيامه الأخيرة - في حديث رزية يوم الخميس - بل جاد بروحه الطاهرة وهو يعهد لعل عليه السلام بوصاياه ويلقنه كليات أحكام دينه، وقد ألفت موسوعات تحوي روايات الشيعة والسنة في هذا الأمر، ثبتت فيها مئات من الأدلة لا تقبل خلافاً ولا جدالاً، فلما توفي النبي الأعظم، وتم لأبي بكر ومن معه ما أرادوا من أخذ الخلافة من صاحبها الحقيقي المعين من الله ورسوله، سلك الإمام عليه السلام معهم سلوكاً ثبت فيه حقه، بما لا يسمح نفي قضية عدوان الجماعة - أبي بكر ومن معه - عليه، بل قام أيضاً بتجذير هذه القضية في الذاكرة التاريخية، وبين هذه وتلك سار بنحو حثيث في تحصين الكيان الإسلامي والبناء الذي شاده رسول الله صلى الله عليه وآله وحافظ على ودائعه بكل وجوده، حتى إن البعض قد يشك في خلاف علي مع المتقدمين عليه - أبي بكر وعمر وعثمان - مع إن هذا الأمر من أوضح الواضحات، لمن اطلع على عامة الوارد عنه، أحسن التأمل فيه أم لا.

لقد ألفت الأمم: إن النزاع على الحكم يجر الطرفين إلى إشعال فتن وإراقة دماء لا تنتهي، ولم تر الأمة من أحد ما رأته من علي عليه السلام حينما هضم الآخرون حقوقه ومنها حقه في زعامة الأمة، والذي نص الكتاب والسنة عليه، فكان علي عليه السلام بفعله هذا مناراً للبشرية جمعاء.

لو كان علي يعمل من أجل الحكم والملك لما سلك سيرته المعروفة عنه مع الخلفاء

الذين قبله، ولم يكن ليتمنّع حين أراد عبد الرحمن بن عوف مبايعته على الشروط المعروفة والتي قبل بها عثمان فوراً، كما لم يكن ليتمنّع حين أقبلت الأمة عليه تبايعه بعد مقتل عثمان، ولسار سيرة أخرى حين تولّى الحكم وزمام الأمر.

من يُريد الحكم للحكم: يجمع الأعضاء، ويبني التحالفات، ويبيع، ويشترى، ويتنازل، ويهب، فمعاوية أقطع مصر لعمر بن العاص على أن يسانده على كل حال، وعلي صلوات الله عليه رفض أن يعطي الزبير ولاية وحصة في الحكم مع أنه ابن عمته ونصيره منذ يوم السقيفة مروراً بمهزلة الشورى التي أنتجت خلافة عثمان، وذلك لأن الحكم ليس ملكاً شخصياً وإنما هو أمانة الله العظمى وكل من تولّى هذه الأمانة استحق النار إلا: الأنبياء والأوصياء ومن سار على نهجهم كحدّ السيف ودقّة الشعرة.

أهل البيت: مثل نهجهم الإمام الحسن (عليه السلام) إذ ترك الحكم الذي كان بيده حين رأى مصلحة الإسلام العليا وحفظ دين الله في الترك.

ومثل نهجهم الإمام الحسين (عليه السلام) حين رأى أن الدفاع عن الإسلام وحفظ الدين يقتضي الثورة والتضحية بكل غال ونفيس.

ولو شاء الإمام الحسن (عليه السلام) لأخذ الحكم بدون استشارة أحد، وبدون عرض الأمر على الناس، ولما ترك الحكم فيما بعد لمعاوية، ولما يزل أكثر العالم الإسلامي بيده، ولسار هو وأخوه الحسين سيرةً مختلفةً عما صنعا من بعد الصلح حتى استشهادهما.

ومن قبل: سكت علي (عليه السلام) حين أخذ أبو بكر الخلافة منه بالقهر والغلبة، مع إنّ أبا بكر قد بايعه مع بقيّة الصحابة في يوم الغدير العظيم، لكن حين تولّى الوصي الأمر حارب عائشة وطلحة والزبير ومعاوية والخوارج، وما ألقى السيف من يده حتى ضربه ابن ملجم على ناصيته بسيف مسموم ففتح جمجمته وأظهر -من شدّة الضربة وهو لها- مخّه المقدّس.

مسيرة علي وولده بحسب التكليف الإلهي، وحسب رضا الله، على حدّ السيف ودقّة الشعرة، أما الآخرون فإنهم يسخّرون كل إمكانيات الأمة ليلبغوا بها أقصى ما يمكن لهم التمتع به من طعام وشراب ولباس وحلي وقصور، ولملأ قصورهم بالنساء والجواري والعبيد والمغنين والمغنيات، ولتحشيد الجيوش بُغية توسعة الرقعة وجلب المغانم، ولكسر كبرياء الأمة.

هذا كله، وما لا يُحصى من الحرس والجواسيس لحراستهم وقصورهم ومتعهم، ولإحصاء أنفاس أئمة الدين وعلماء الأمة وأبدالها وصالحيتها، ثم لإلجائهم إلى التصوف والسكنى في التكايا، لعزلهم عن الأمة وتركهم في بؤس العيش، وإلا فالمشائخ والمقابر تنتظرهم.

تأريخ كلّ مرارة، وخزي، وظلمات، وتمرد على الله ورسوله وتحدّ لهما، حتى إذا جاء أولئك الجبابرة الموت بكوا وقالوا: يا من لا ينقضي ملكه إغفر لمن انقضى ملكه، ثمّ تراهم يفتحون أعينهم رعباً وهلعاً وجزعاً^(١) ويموتون غير مأسوفٍ عليهم تلاحقهم اللعنات والبصقات.

اقرأوا التأريخ جيداً، وسدّوا آنافكم من الجيف التي خلفها أولئك الطواغيت بسبب جرائم سوّدت صحائف التاريخ، وما خفي اعظم، فما كل ما يُعلم يُقال، وليس على كل بائقة شهود، إلّا إنّ المعلول يدل على العلة.

ويبقى علي وولده أنوار في ظلمات الأرض، وحنة على جميع الخلق، ومنار لكل من أراد دخول الجنة، ولكل من خاف يوم الوعيد، ذلك اليوم الذي تلتقط فيه جهنم حصتها من بني آدم حتى يُقال لها: هل امتلأت؟

وجوابها: هل من مزيد^(٢).

(١) نقلت هذا: المدونات التاريخية عن غير واحد من أولئك الظالمين.

(٢) الآية الكريمة ٣٠ من سورة ق.

محمّد وآل محمّد ﷺ

آية أسرة في الأرض قدّمت كل وجودها لتحقيق إرادة الله سبحانه في الأرض
كالأسرة التي ضمت محمداً وآل محمد ﷺ.

أعلنوا أن لا اله سواه، فأثبتوا وجوده، ووحدانيته في الخلق، والربوبية، وإستحقاق
العبادة، والطاعة، ودعوا الخلق إلى الإعتراف به، وإلى طاعته، بالدين والقوة، حتى
ظهرت كلمته، وترسخت جذورها في الأرض، ونمت شجرة دينه حتى بسقت في كل
جانب، بعد ما اتفقت الأرض على الضلالة، وعبادة الأوثان، والنيران، والثيران.
رفعوا شأن الإنسانية المنحطّة من أسفل درك تحيا فيه إلى حيث النبل والسمو،
وأنتجت تربيتهم وتعاليمهم أفرادا بلغوا القمة في عرصات العلم والفضيلة وكل
خصلة كريمة، وأكثر الناس يحيون كالأنعام أو أضلّ، همّهم السلب، والنهب، والعلف،
ويموتون كما يحيون: نكرات.

انظر بلاد الإسلام طويلاً وعرضاً، قبل الإسلام وبعده.

فكم من عالم في مختلف مجالات العلم والمعرفة.

كم من مُصلِح للعباد والبلاد.

وكم من مذكور بعمله وآثاره لسموّها ورفعته.

وأين هم قبل الإسلام، لا عمل لهم إلا القتل والإستحواذ على ما للغير، وبهذا بنّوا
صيتهم وأمجادهم.

كُلُّ تَغْيِيرٍ نَحْوِ الْأَفْضَلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بَرَكَاتِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ ثَمَرَاتِ جُهُودِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْمَيَامِينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِينَ وَرَثُوا عِلْمَهُ وَمَقَامَهُ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ وَهَمُومَهُ.

بِهَذَا إِسْتَحَقَّ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ أَنْ يَكُونُوا الصَّلَةَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ، فَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْزِلُ مِنَ الْخَالِقِ إِلَى خَلْقِهِ إِلَّا مَرَّ عِبْرَهُمْ.

وَلَا يَنْجَحُ عَمَلٌ وَلَا سَوْأَلٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْخَالِقِ إِلَّا بِشَفَاعَتِهِمْ، وَعَبْرَ الْاعْتِرَافِ بِهِمْ، وَالسَّيْرِ عَلَى مَنْهَاجِهِمْ، وَالْأَخْذِ مِنْهُمْ، وَرَسُوخِ الْوَلَاءِ لَهُمْ.

إِنَّ الْبَرَكَاتِ الَّتِي تَحْيَاهَا الْبَشَرِيَّةُ مِنْ يَوْمِ ظَهُورِ الْإِسْلَامِ بَلْ مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ مُحَمَّدٌ وَآلُ مُحَمَّدٍ إِلَى سَاحَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَلْ إِلَى سَاحَةِ الْوُجُودِ مِمَّا لَا يُمْكِنُ الْإِحَاطَةُ بِهَا، نَعَمْ يُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَذْكُرَ بَعْضَ الْعُمُومِيَّاتِ وَالْكَلِّيَّاتِ، دُونَ الْاسْتِقْصَاءِ وَالِاسْتِيعَابِ لَا سِتْحَالَتِهِ.

وَلَا يَفُوتُنَا أَنْ نُنَبِّهَ إِلَى أَنْ مَقْصُودَنَا بِآلِ مُحَمَّدٍ هُنَا وَحَيْثُ ذَكَرْنَاهُمْ فَإِنَّهَا هُمْ - عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نَصُوصُ الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ -:

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَلَوْلَاهُمَا: الْحَسَنُ، وَالْحُسَيْنُ.

وَالْتِسْعَةُ مِنْ ذُرِّيَةِ الْحُسَيْنِ: عَلِيُّ السَّجَادِ، وَمُحَمَّدُ الْبَاقِرُ، وَجَعْفَرُ الصَّادِقُ، وَمُوسَى الْكََاظِمُ، وَعَلِيُّ الرِّضَا، وَمُحَمَّدُ الْجَوَادِ، وَعَلِيُّ الْهَادِي، وَالْحَسَنُ الْعَسْكَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ الْمَهْدِيُّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَهُمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ ﷺ يُشْكِلُونَ الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ الْمَعْصُومِينَ الَّذِينَ تَعْتَقِدُ الْإِمَامِيَّةُ بِشَأْنِهِمْ اعْتِقَادَاتٍ خَاصَّةٌ سُجِّلَتْ فِي مَدَوِّنَاتٍ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى.

وَمَا يَكْشِفُ عَنْ أَعْمَالِهِمُ الْعَظِيمَةِ وَخِدْمَاتِهِمْ لِدِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَجَلِيلِ إِنْجَازَاتِهِمْ فِي الْمَجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ، خِلَالَ سَنَى حَيَاتِهِمُ الْقَصِيرَةِ نَسَبِيًّا، مَدَحَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ،

وما أسبغ عليهم من صفات ومقامات ومناصب في الدنيا والآخرة. وذلك إنّ الله سبحانه لا يمدح أحداً، ولا يُسبغ عليه منصباً، إلا لطاعةٍ فاقت إطاعة الغير، فليس لأحدٍ مع الله قرابة، والمولى سبحانه لا يُجّابي أحداً بلا استحقاق. وقد أكدت النصوص الشريفة، ببيانات كثيرة، ومقامات جليلة، رفعة مقام محمد وآل محمد عند الله سبحانه بما لا يلحقهم لاحق ولا يفوقهم فائق كائناً من كان، ولو أردنا الاسترسال في سرد هذه الروايات - المتواتر منها والمستفيض بالخصوص - وفي بيان مفادها لتوصلنا إلى نتائج عظيمة يعلم كل مسلم منها مقدار هضمه لحقوق محمد وآل محمد ومقدار تقصيره في هذا الجانب بما لعلّه يلحقه تقصيره بمرتبة ذوي الذنوب العظيمة، فخذ منها واحدة واستنتج منها المستوى الذي توفره النصوص لمحمد وآل محمد.

فقد روى عدّة من أعلام العامة في مدوناتهم هذه الرواية الشريفة:

قال رسول الله ﷺ:

«من مات على حبّ آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكرٍ ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمد يُزفّ إلى الجنة كما تُزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمد فُتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد مات على السنّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله»^(١).

(١) أخرج هذه الرواية: الثعلبي والزنجشري عند تفسيرهما لآية المودة، فراجع الكلمة الغراء في

إن الرابع في دولة محمد وآل محمد: الإسلام والأمة، وإلا ما الذي استفاده محمد وآل محمد -عندما تولوا إدارة شؤون المسلمين- من منافع دنيوية ومن أسباب رفاهيّة. والزهاء صلوات الله عليها في خطبتها توضّح هذا وتذكر الأمة بتلك الأيام:

«فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد -عليه السلام- بعد اللّيتا والتي، وبعد أن مُني بِهِم الرجال، وذوّبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفي حتى يطأ صباخها بأخمصه، ويُحمد لهيبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً، ناصحاً، مُجداً، كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهيّة من العيش وادعون، فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكّفون الأخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال»^(١).

وقالت -صلوات الله عليها-:

«وما الذي نقموا من أبي الحسن -عليه السلام- - نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحفته، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردّهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً، لا يكلم خشاشه، ولا يكلّ سائره، ولا يملّ راكمه، ولأوردتهم منهلاً نميراً، صافياً، رويّاً، تطفح ضفتاه، ولا يترنّق جانباه، ولأصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلناً، ولم يكن يتحلّى من الغنى بطائل، ولا يحظى من الدنيا بنائل، غير ريّ الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾

تفضيل الزهاء ص ٣٤، والمراجعات ص ٥٠، وكلا الكتابين للسيد عبد الحسين شرف الدين.

(١) الإحتجاج، ج ١ ص ٢٦٢.

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾
 ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَبَّاتٌ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٢) « (٣).

ولذلك أناط الله سبحانه كل الأمور بمحمد وآل محمد، فأوجب طاعتهم، ومودتهم، وأنزل في حقوقهم، ومناصبهم، وولايتهم على الأمة ما أنزل، وإن كان لسيد المرسلين بخصوصه شأن عظيم ومنزلة عند الله لا يرقى إليها أحد، وقد قال الله سبحانه فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٤).

إلا أن النصوص تجعل آله بعده مباشرة في المقام، في الدنيا والآخرة، وتجعل الإقرار بإمامتهم من أصول الدين، وتهدد عدم الاعتقاد بها بدخول جهنم بل الخلود فيها، إذ لازم عدم الإقرار بأصول الدين سقوط المرء في ساحة الكفر ولحق أحكام الكفر له.

وكما أن النصوص أوجبت الصلاة على النبي أو نذبت إليه بحسب اختلاف الموارد، فإنها قرنت آله به في الصلاة المفروضة والمستحبة، بل في كل حال وآن، وذكرت انهم شركاؤه في معظم مناصبه ومقاماته الدنيوية والأخروية، إلا في بعض الخصوصيات، كاختصاصه ﷺ بالنبوة والرسالة، وبالزواج من تسع، وبوجوب صلاة الليل عليه، وأحكام قليلة مذكورة في محلّها من كتب العقائد، وأما ما ورد من خصوصيات لعنوان أهل البيت وما يفيد فائدته فالمقصود منه:

علي وفاطمة والحسين والتسعة من ذرية الحسين -صلوات الله عليهم أجمعين-

(١) سورة الأعراف، الآية ٩٦.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥١.

(٣) الاحتجاج، ج ١ ص ٢٨٨.

(٤) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

دون غيرهم من ذرية النبي، وأزواجه، وبنّي هاشم، أجمعين.

نعم لخديجة بنت خويلد عليها السلام خصوصية، إذ وردت النصوص في كتب الشيعة والسنة في أنها من سيدات نساء العالمين الأربع في الدنيا والآخرة، فهي من أعلى النساء مقاماً في الإسلام بعد الزهراء بلا فصل^(٥)، غير إنّ مقامها هذا -مع عظيم رفعتها- لا يُلحقها بأهل البيت النبوي من جهة الأحكام المتعلقة بهم، وإن كانت هي جزءاً أصيلاً منهم دنياً وآخرة.

(٥) بحار الأنوار، ج ٦ ص ٢، والكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، السيد شرف الدين، ص ٦٠ وقد نقل هذا عن أبي داود والترمذي وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم.

آل أمية

ذكروا: أن معاوية أوصى ولده يزيداً بالتعامل اللين مع الإمام الحسين عليه السلام وبأن يتجاوز عنه إذا خرج عليه ^(١).

لكن معاوية كتب إلى الإمام مرة: ولكنني قد ظننت يا ابن أخي أن في رأسك نزوة، وبودي أن يكون ذلك في زماني فاعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك، ولكنني والله أتحوِّف أن تُبلِّ بمن لا يُنظرُك فواق ناقة ^(٢).

ونُقل أيضاً وصيته ليزيد بأن يأخذ الإمام عليه السلام -إذا نهض عليه- بالقسوة والإبادة ^(٣). ومن دراسة شخصية معاوية وسيرته مع عموم أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم عبر سنين طوال نتوصل إلى لأبدية أن تكون وصيته الصادرة عنه إلى يزيد هي الأخيرة دون الأولى.

وذلك: لأن مسألة الحكم تمثّل عند معاوية الأهم، وفي سبيل الحكم حرّك فتنة الجمل ^(٤)، وقاتل في صفين، وحرك الكتائب لإقلاق دولة أمير المؤمنين عليه السلام، وأرسل جيشاً فاحتل مصرًا، وقتل هناك محمد بن أبي بكر، وأرسل جيشاً آخر من الشام إلى اليمن فعل الأفاعيل بالمناطق التي مرّ بها كالمدينة، ومارس ابشع الجرائم في اليمن حتى

(١) راجع: مسند الإمام الشهيد، العطاردي، ج ١ ص ١٥١، ص ١٥٦.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ٢٣٢، ومسند الإمام الشهيد، العطاردي، ج ١ ص ١٦٨.

(٣) في كلام معاوية المتقدّم قبل سطرين إشارة إلى مثل هذه النية وهذا التصميم.

(٤) راجع: بحار الأنوار، ج ٣٢ ص ٥.

بيعت النساء المسلمات في الأسواق^(١).

واستمر معاوية في إفساده وإجرامه حتى استشهاد الإمام الوصي عليه السلام وواصل بعدها سياسته تلك، والتي أدت بالإمام الحسن عليه السلام إلى إبرام عقد الصلح معه، وترك إدارة الأمور له، لترى الأمة وجه طلب معاوية للحكم، ولتجرب ما يصنع خال المؤمنين، وكاتب الوحي، والصحابي، بالإسلام والمسلمين إذا حكم، إذ أغرق البلاد في بحار من الدماء وشجع عملية وضع الأحاديث، وقتل الصلحاء، ومكن أدعياء الأمة وأراذلها من مساند الحكم كابن سمية وابن شعبة ونحوهما، وسب علي أمير المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، وعظيمة العظائم قتله الإمام الحسن السبط عليه السلام وهو الذي ترك له الحكم وصالحه، مع إن الدولة كانت بيده عليه السلام والجيوش تحت سلطانه، وعاش تحت حكم معاوية يتجرع الغصص ويعاني مرّ الآلام، وما دعا إلى ثورة ولا جند جيشاً، ومع كل هذا عدا عليه فقتله بالسّم، أفبعد كل هذا يوجه يزيد إلى ترك الإمام الحسين عليه السلام في حال خروجه عليه، هذا المستحيل بعينه.

ومما أطمئن به: إن رسالة معاوية إلى الإمام الحسين عليه السلام المتقدم ذكرها، والذي قال له فيها:

وبودّي أن يكون ذلك في زمني فاعرف لك قدرك.

إنما هي محاولة من معاوية لطمأنة الإمام عليه السلام واستدراجه للنهضة، على أساس أنه إذا انتصر فقد بلغ هدفه، وإذا انكسر جيشه فان معاوية سيغض عنه، والصحيح ما قدمناه، وإن نية معاوية كانت استعجال الأحداث، كي يقضي على الإمام وثورته القضاء المبرم، ويسلم الأمر إلى يزيد غنيمةً باردةً، وأما إذا تركه فإنه سيبقى في غصةٍ إذ لا يدري ما ستؤول الأحداث إليه بعد هلاكه، وهل سيتنصر الحسين ويعيد دولة محمد عليه وآله.

(١) راجع: الفصول المهمة، السيد شرف الدين، ص ١٢٢.

وعلي عليه السلام، وتكون بهذا نهاية أجداد العائلة الأموية، بل وجودها - لأن لكثير من الناس دماء في ذمهم، بسبب فظاعة إجرامهم أيام معاوية، ولتجبرهم وصلفهم - أم سيتمكن يزيد من ضبط الأمور لصالحه.

ولعل من خطط معاوية في سبيل حسم مجرى الأحداث لصالح بني أمية كتابة عهد أيام مرضه الأخير بولاية الكوفة إلى ابن زياد مع ولايته الفعلية على البصرة، ولم يمهله الأجل لتنفيذ ما عزم عليه، فلما استشار يزيد سرجوناً في أمر الكوفة أخرج له كتاب معاوية فأفهمه أنّ هذا رأي معاوية لضبط الأمور، وخطته لاستحكامها، فوافق يزيد^(١) فوراً على التعيين مع كراهيته لابن زياد، فاندفع ابن زياد لتحصيل مقام الرضا والقرب من يزيد، وليشفي غليله من آل محمد ﷺ، ففعل أقصى ما يمكنه فعلة للانتقام منهم، وقد ورد عن السجاد عليه السلام:

«والله لو أنّ النبي ﷺ تقدّم إليهم في قتالنا، كما تقدّم إليهم في الوصاء بنا، لما ازدادوا على ما فعلوا بنا»^(٢).

إنّنا نشكّ في كل فضيلة تنسب لأحد من رجالات السلطة من بعد النبي الأكرم ﷺ إلى اليوم، باستثناء الإمام علي أمير المؤمنين، وولده الإمام الحسن عليه السلام وحفيده الإمام الرضا عليه السلام، ومن يتعلق بهم.

وذلك إن غالب من كتّب في تاريخ المسلمين، فهو من خط الدولة، ومن المحسوبين عليها، ومن يرتزق من فضل موائدها، ولا يكتب إلّا بما يحقق رضا السلطة عنه، ولما به الزلّفى عندها.

فهؤلاء الكتّبة ينقسمون قسمين:

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٤٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٤٩، عن الملهوف، ص ٢٢٩.

إمّا سُعاةٌ في رضا هؤلاء حتى لو اقتضى الأمر وضع الأحاديث والحكايات التاريخية من عنديات الكاتب، أو بالنقل عن وضاعٍ مفترٍ.

والقسم الثاني: حاطب ليل، ينقل كل ما يجد دون أن يتأمل فيه، ولذا ترى أنهم نقلوا المضحكات والسفاسف بل الكفريات، وما تنشقّ منه الأرض وتنهّد السماء.

ومن بين كل هذا وذاك، برزت لعلي وولده وشيعته من أحاديث النبي في فضائلهم، وما يُثبت حقوقهم، ويسجّل مظلوميّتهم، الكثير الكثير، ممّا دونه هؤلاء وذكره لسبب أو لآخر، وعلى كل حال فقد أبلغه المولى سبحانه لنا بلطفه، وثبتت الحجة لنا وعليهم بنقلهم، وبها خطّته أيديهم.

وقد سُجّلت فضائل علي وولده وشيعته في فترة هي احلك فترات التاريخ، والسيوف يقطر دماً، والهبات الجزيلة تعطى لمن يظلم علياً ويستنقصه ونهجه بأية وسيلة، حتى إنّ أحدهم تقرب إلى الحجاج بقوله: إنّ أهلي عقوّني فسمّوني علياً، فابتهج له الحجاج وأجازه.

فالقاعدة: كل ما ورد في مدح أولئك الملوك أو ولاّتهم أو من يتعلّق بهم فهو مطعون فيه.

ويُعامل معه بتشدّد سندي ومتني.

وكل ما ورد في ذمّهم فهو مقبول في الجملة ولا يحتاج لمؤنة في قبوله واثباته.

وكل ما ورد في مدح عدو السلطة فهو مقبول.

وكل ما ورد في ذمّ عدوّها يُتأمّل فيه ويُتشدّد.

والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة فترة حكم علي وولده الحسن السبط عليه السلام.

والسر في كل هذا ما قدمناه، وما يظهر من مطاوي الكتاب، ولعل وجه الأمر من

الواضحات، إلا على من كان على شاكلة أولئك العُتاة والمتمردين على أحكام الكتاب والسنة.

ونختتم فنقول: إن معاوية قتل الإمام الحسن عليه السلام مع إن الإمام ترك السلطة، ولم يحرّض أحداً، ولا جند جيشاً طيلة عشر سنوات، ويزيد همّ بقتل السّجاد عليه السلام بعد ما أفنى الطاغية البيت النبويّ ومع أن السّجاد كان في مرضه بغاية بحيث يُخاف عليه الموت السريع.

فكيف يدعى إن معاوية أوصى يزيداً بترك الإمام الحسين عليه السلام لو ثار عليه. وكيف يُفترى بندم يزيد لقتله الحسين عليه السلام أو بعدم توجيه أمر صريح منه لابن زياد لقتله.

على إن التاريخ سجّل أنّه أوصى عدّة من ولاته وقادته بقتل الإمام في المدينة ومكة والكوفة، والجأ الإمام إلى الانتقال من أرض إلى أرض حتى استشهد بيد جيش الانحراف والضلالة والارتداد وبعد محاصرته من جيش الفئة الحاكمة لمدة تزيد على خمسة عشر يوماً، فالقضية ليست بنت ساعتها، كي تُوجّه ويُلمس لها الوجوه والمعاذير. وليعلم من يُبرّر لهم أنّه منهم، ومن كان منهم فهو من أهل النار قطعاً.

أبو سفيان:

هو جدّ يزيد، ووالد معاوية، وأول من بدأ مسيرة الصراع ضد الإسلام ونبّه وعقائده وأحكامه من هذه الأسرة -الشجرة الملعونة في القرآن الكريم-^(١).

وتأريخ أبي سفيان في مضادة رسول الله صلى الله عليه وآله معلوم ومشهور لكل أحد ككفر

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٣ ص ٢٤٨ فقد نقل هذا عن الفخر الرازي في تفسيره، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور، وغيرهما.

إبليس، وكان أحد أركان كل فتنة وكل حرب على الله ورسوله، حتى نقل أحد أعلام العامة عنه:

أنّه ضمن للوليد بن المغيرة عند موته أن لا يكون للإسلام ظهور في مكة^(١) -بسعيه وجهوده ومؤامراته-.

ثمّ لم يُسلم حتى فُتِحَ مكة، إذ أسلم قبله بيوم أو نحوه، بعد ما علم بعزم النبي ﷺ على فتح مكة، وبعدها حثَّ العباس بن عبد المطلب على إظهار إسلامه، فحضر إلى النبي ﷺ بحماية العباس، وأظهر الإسلام بعد تردّد منه للشهادة بنبوّة النبي ﷺ أمام النبي ﷺ.

ثمّ إن هذا الرجل قضى السنتين الباقيتين من عمر النبي ﷺ بعد فتحه لمكة في سلوكٍ كلّهُ نفاقٍ وتأمّر مع إنّ النبي ﷺ كان يتألّفه فيعطيه من سهم المؤلّفة قلوبهم ليكفّ شرّه عن حوزة الإسلام وليحبّب الإسلام إلى قلبه، دون أن تُزيل هذه العطايا أرجاس قلبه، بل إنّ تعامل النبي ﷺ معه كان باهتمام أكثر مما يوليه لغيره من المؤلّفة قلوبهم، ومما نُقل إعطاء النبي ﷺ له مائة من الإبل من غنائم الطائف دون أن يعطي منها شيئاً لبقية المسلمين، وكل هذا يوضّح مدى اهتمام النبي ﷺ بمحو السخائم من نفسه، ولكن كان وراء الأكمة ما ورائها.

وشماتته بالهزيمة التي حصلت لجيوش المسلمين في غزوة حنين سنة تسعٍ من الهجرة مسجلة تاريخياً.

وتراه يجلس يوماً في قبال النبي الأكرم الأطهر ﷺ بعد إظهاره للإسلام، ويتأمل في وجه النبي ﷺ -مخاطباً النبي في سرّه-:

ليت شعري، بأي شيء غلبتني.

(١) بحار الأنوار، ج ١٩ ص ١٣٣ عن المتقي - للعامة -.

فيعلم النبي ﷺ ما في نفس أبي سفيان ويخاطبه: «بالله غلبتك»^(١).

ولو لم ينقل عنه إلا هذه القضية لكانت الكافية في الدلالة على نفاقه، وعلى عدم دخول نور الإسلام في قلبه، إذ كيف لم يعلم أنه غلبه بالله، وقد أظهر الشهادة بالوحدانية، وأن محمداً رسول الله ﷺ، فكيف ودلائل كفره ونفاقه تترى.

وهاك منها أخرى: إذ حضر إلى الإمام الوصي أيام السقيفة وحرّضه على محاربة أبي بكر وعمر ومن معهم وأنه - لو أمر الوصي ﷺ - بإمكانه أن يملأها عليهم خيلاً ورجالاً، فأبان له الوصي ﷺ أن هذا من كيدهِ للإسلام، ورَفَضَ عَرْضَهُ، مع أن الإمام كان يدعو أبناء الأمة إلى نصره، وإلى إطاعة أوامر الله سبحانه فيه وأوامر النبي الأكرم ﷺ والذي لم يزل مسجىً بين أهله لم يُدفن، كما لم يمضي شهران على مبايعة الأمة جمعاء له بالخلافة والإمامة في يوم الغدير العظيم.

ومع كل هذا رفض عَرْضَ أبي سفيان مع ما لأبي سفيان من قوّة اجتماعية، وَمِنْ أعضاده.

والذي يتأمل في سلوك أبي سفيان يرى أنه لا يخرج عن حدود الأغراض التالية:

١ - إشعال الفتنة في المدينة بين المسلمين، كي يطحن بعضهم بعضاً، وقد شارك الكثير منهم في هدم سلطانه وأمجاده، وفي سحق أصنامهِ التي كان يعبدُها: الالة، العزى، هبل، مناة، ومعها مئات بل آلاف من الأحجار المنحوتة وغير المنحوتة - والمعبر عن الأخيرة منها بالأنصاب إذ كان بعض العرب رُبَّما أعجبتَه قطعة حجارةٍ ما في طريقه وسفره فيأتي بها ويعبدُها دون نحتٍ أصلاً -.

٢ - تمهيد الأمور من خلال إشعال الفتنة في المدينة إلى إشعالها في كل الجزيرة

(١) بغية الباحث، نور الدين الهيثمي، ص ٢٨٤.

العربية، وتسهيل عملية تمرّد العرب كلهم على الإسلام، وعلى القيادة المستقرّة في المدينة - وقد حصل تمرد مجموعة من القبائل فيما بعد، وهو الذي اشتهرت أحداثه في التاريخ بما عبّر عنه بحروب الردّة، والتي سُحِقَ فيها المرتدّ حقيقةً، كما سُحِقَ فيها الرافض لخلافة أبي بكر لعدم ارتضائه خلافته، إذ لا استحقاق له - مع وجود المستحقّ لها بالمؤهلات وبالنص من القرآن والسُنّة - ومن جملة القسم الأخير سحق قبيلة مالك بن نويرة، وقتل مالك، واغتصاب خالد بن الوليد لزوجته في ليلة مقتله، مع لأبديّة العدة لها، وإلاّ عُدّ الواطئ لها عن عقد زانياً، فضلاً عما يرتكب الأمر بلا عقد، على ما هو المعروف من فقه الشيعة والسُنّة، ولذلك دعا عمر بن الخطاب إلى قتل خالد بن الوليد، وأصر على هذا، لأنّه قتل مسلماً وزناً بزوجته.

٣- إبادة العائلة النبوية بل الهاشمية وعلى رأسها الإمام العظيم علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - والذي نكّس كل راية لأبي سفيان حتى أظهر أمر الله، وأبو سفيان كاره ماقت.

٤- توجيه إشارة للقيادة الجديدة، لإعطائه موقعاً متميّزاً في السلطة، بعد إشعارهم بمدى قدرته على الضّرّ والنفع، وهو الذي حصل فيما بعد إذ لم يُسمع عنه أبداً أية كلمة إلى جانب علي عليه السلام من قريب أو بعيد، أو في مضادة السلطة القائمة، كما إنّ القيادة الجديدة ميّزته بما لم يحصل لأحد أبداً.

هذا عمر بن الخطاب ترك أعظم الصحابة وأماثلهم وعبّادهم ومجاهديهم وفقهائهم وقرائهم، وولّى فرع الشجرة الملعونة - معاوية - على منطقة من أعظم أمصار العالم الإسلامي - بلاد الشام - ولم يُحاسبه ولم يناقشه ولم يعزله، وكذلك صنع عثمان من بعده مع إنّ الصرخات ضدّه ملأت الدنيا خصوصاً من أحد أركان الإسلام - أبي ذر الغفاري - والذي شهد له رسول الله ﷺ بأنّه من أصدق الناس لهجة، وشهد له

بالمقامات الرفيعة في الدنيا والآخرة.

ثم إنَّ عمر حاسب كل ولاته على ما نهبه من خزائن بيت المال ومن أموال الخراج ومن الغنائم حتى إنَّه ضرب أبا هريرة ضرباً شديداً وسبّه^(١) وصادر منه أموالاً كثيرة وعزله، غير أنَّه لم يحرِّك ساكناً مع معاوية، وهو الناهب الأعظم، وكل المدونات التاريخية تشهد على معاوية بهذا، صريحاً أو باللوازم، ويكفي بأبي ذر الأصدق الأبرّ شاهداً.

ومن نافلة القول إنَّ نبيّ: إن صنيع عمر وعثمان مع معاوية هو الذي مهّد الأمور لابن أبي سفيان كي يُشعل الفتن في العالم الإسلامي، ويحارب الإمام الحق علي بن أبي طالب بزعم الطلب بدم عثمان في الظاهر - مع إنَّ عثماناً استنجد به فتهاون في أمره إلى أن بلغه خبر مقتله - ولطلب الخلافة العظمى في الواقع وكما هو معلوم، ثم بقية تأريخ الإسلام معروف بعد إشعاله لتلك الفتن الكبرى، والتي لا زالت آثارها الوخيمة إلى اليوم، وستستمر، إلى ظهور سيّد العصر وخليفة الله ورسوله في الأرض: الإمام المهدي عليه السلام.

ثم تعال معي لنستمر في التأمل في مسيرة أبي سفيان، فها هو يركل قبر حمزة سيد الشهداء بقدمه، ويقول له: يا أبا عمار، إن الأمر الذي إجتلدنا عليه بالسيوف، أضحي كرة يتلاعب بها صبياننا.

ثم تجده يذهب إلى البقيع، ويتفوّه يمثل هذا مع شهداء الصحابة المدفونين هناك. وفي أواخر حياته يقول في مجلس عامر بفروع الشجرة الملعونة، بعدما عمي بصره

(١) يُنقل عن عمر قوله لأبي هريرة حين جلده له: ما رجّعت بك أميمة إلا لرعية الحمير. وأميمة هي أم أبي هريرة، والرجيع: الغائط، والحمير: الحمير، والمعنى: إن أمك لم تتغوطك إلا لرعية الحمير، فكنى عن الولادة بالتغوط، وبأنه لا يصلح للحكم بل لرعية الحمير، راجع: العقد الفريد لابن عبد ربّه ج ١.

-وكان علي عليه السلام جالساً غير أنه لم يعلم بوجوده:-

تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار.
غير إن الإمام الوصي عليه السلام ردّ عليه ردّاً شديداً.
وما أدري لمّ لم يرّد عليه أحد من الجالسين، ولمّ لم يقتله خليفة المسلمين عثمان -ذو النورين- وقد صرّح أبو سفيان بارتداده على رؤوس الأشهاد.
وذكر الأميني في الغدير ما يستحق نقله:

في الاستيعاب لأبي عمر عن طائفة: كان كهفاً للمنافقين منذ أسلم وكان في الجاهلية ينسب إلى الزندقة.

قال الزبير يوم اليرموك لما حدثه ابنه أن أبا سفيان كان يقول: إيه بني الأصفر: قاتله الله يابى إلا نفاقاً، أو لسنا خيراً له من بني الأصفر؟
وقال له علي عليه السلام: «ما زلت عدواً للإسلام وأهله».

ومن طريق ابن المبارك عن الحسن: إن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه فقال: صارت إليك بعد تيم وعدي فأدركها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية فإنها هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار. فصاح به عثمان: قم عني فعل الله بك وفعل^(١).

وفي تاريخ الطبري^(٢): يا بني عبد مناف، تلقفوها تلقف الكرة فما هناك جنة ولا نار.

وفي لفظ المسعودي: يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان

(١) الاستيعاب، ج ٢ ص ٦٩٠.

(٢) ج ١١ ص ٣٥٧.

ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثته^(١).

وأخرج ابن عساكر في تاريخه^(٢) عن أنس: إن أبا سفيان دخل على عثمان بعد ما عمي فقال: هل هنا أحد؟ فقالوا: لا. فقال: أَللّهم اجعل الأمر أمر جاهلية، والمملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية.

وقال ابن حجر: كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الأحزاب.

وقال ابن سعد في إسلامه: لما رأى الناس يطئون عقب رسول الله حَسَدَه، فقال في نفسه: لو عاودت الجمع لهذا الرجل. فضرب رسول الله في صدره ثم قال: إذاً يُخْزِيكَ الله.

وفي رواية: قال في نفسه: ما أدري لم يغلبنا محمد؟ فضرب في ظهره وقال: بالله يغلبك^(٣).

وإن سألت مولانا أمير المؤمنين عن الرجل فعلى الخير سقطت، قال في حديث له: معاوية طليق ابن طليق، حزب من هذه الأحزاب، لم يزل الله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخلا في الإسلام كارهين.

وحسبك ما في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان من قوله ﷺ: «يا ابن صخر يا ابن اللعين» ولعله ﷺ يوعز بقوله هذا إلى ما رويناه من إن رسول الله ﷺ لعنه وابنيه -معاوية ويزيد- لما رآه راكبا وأحد الولدين يقود والآخر يسوق فقال ﷺ: «أَللّهم إلعن الراكب والقائد والسائق».

(١) مروج الذهب ج ١ ص ٤٤٠.

(٢) ج ٦ ص ٤٠٧.

(٣) الإصابة ج ٢ ص ١٧٩.

وذكر ابن أبي الحديد في الشرح^(١) من كتاب للإمام عليه السلام كتبه إلى معاوية قوله: فلقد سلك طرائق أبي سفيان أبيك وعتبة جدك وأمثالهما من أهلك ذوي الكفر والشقاق والأباطيل.

ويعرفك أبا سفيان قول أبي ذر لمعاوية لما قال له «يا عدو الله وعدو رسوله»: ما أنا بعدو الله ولا لرسوله بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر^(٢).

هلك أبو سفيان - أعمى بصر وبصيرة - ما بين سنة ٣١-٣٤ عن عمر ٨٨-٩٣ عاماً^(٣).

معاوية:

هو الفرع الأعظم للشجرة الملعونة في القرآن بعد أبيه. وهو رأس الكفر والنفاق والفتنة ابتداءً من تولي الإمام الوصي عليه السلام للخلافة وإلى اليوم، إذ ما زلنا نعيش في الآثار العظيمة لجرائمه الكثيرة التي لا تُعد ولا تُحصى. لم يُسلم معاوية إلا بعد فتح مكة، وكيفيك للدلالة على مدى رسوخه في الكفر والضلالة، أنه غير أباه على إسلامه، مع أنه قد تقدّم كيفية إسلام أبيه، وطريقته، والسبب فيه.

(١) ج ٤ ص ٢٢٠.

(٢) الغدير، الشيخ الأمين، ج ٨ ص ٢٧٨.

(٣) مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ النازي، ج ٤ ص ٢٥٥، وراجع لكثير من أقوال أبي سفيان وكفرياتة التي نقلها العامة، كتاب: المقتطفات، للشيخ عیدروس الاندونيسي، ج ١ ص ٢٣٠.

ولذلك كان معاوية معدوداً في الطلقاء، ومن المؤلفة قلوبهم^(١) وقد استوعب العلامة الأميني في موسوعته الجليّة - الغدير - في الجزئين ١٠-١١ منه، ما يتعلّق بمعاوية من رذائل - وكُلّه رذائل - ودحض ما يُنسب إليه من فضائل، كما ألف فيه العلامة محمد بن عقيل كتاب: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية^(٢).

وقد استدلّ سلطان الواعظين في كتابه «ليالي بيشاور» بآيات كريمة على كفر معاوية^(٣)، ولا حاجة للاستدلال على كفر معاوية فمن يُريد الاستدلال لهذا الأمر، فسيملاً كتاباً بالأدلة على كفره، وبأسماء القائلين به.

ويكفي للدلالة على كفره، سبّه لِعَلَمِ الإيَّمان والهدى في الدنيا والآخرة، أمير المؤمنين وأخي رسول الله ﷺ ووصيّيه في أمته علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه - بل سنّ سبّه في طول العالم الإسلام وعرضه واستمر السبّ قرابة الستين سنة، وقد قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: :

«من سبّك فقد سبني، ومن سبني فقد سبّ الله، ومن سبّ الله عزّ وجلّ أكبه الله على منخريه»^(٤).

هلك معاوية في سنة ٦٠ هـ ق^(٥)، فرحل بمخازي لو تُوزّع على أهل الأرض بأجمعهم، لأهلكتهم.

(١) أضواء على السُّنة المحمّدية، الشيخ محمود أبو ريّة - وهو من علماء الجمهور في مصر - ص ١٢٨.

(٢) راجع ترجمة معاوية في: المقتطفات، ج ١ ص ٢٥٢.

(٣) ليالي بيشاور، سلطان الواعظين، ص ٩٢٠.

(٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٢ ص ٢٢٤.

(٥) تأريخ الطبري، ج ٤ ص ٢٣٩.

يزيد:

هلك في ١٤ ربيع الأول ٦٤ هـ، فبينه وبين قتله للإمام الحسين السبط ٣ ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام^(٦).

ويُقال أنه هلك بقرية من قرى حمص يقال لها حوَّارين، وعمره ٣٨ سنة^(٧). لعنات الله تعالى عليه تترى.

وصفه الإمام الحسين ٣ في رسالة له إلى معاوية:

«وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله، وسياسته لأمة محمد ٣ تريد أن تُوهم الناس في يزيد كأنك تصف محبوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عما كان مما احتوته بعلم خاص، وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السُّبق لأتراهن، والقيان ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية».

وقوله ٣ في رسالة له إلى معاوية أيضاً:

«وأخذك الناس ببيعة ابنك، غلام حدث، يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب»^(٨).
 ويزيد لا تُعدّ جرائمه ومخازيه كأبيه وجدّه، غير إنّ أفضع ما صدر عنه من جرائم:
 أ- الجريمة الأعظم، في قتله سيد شباب أهل الجنة، ابن رسول الله ٣ وابن علي وفاطمة الزهراء عليهم الصلاة والسلام، ومعه أهل بيته وصحبه في محرم ٦١ هـ.
 ب- جريمته العظيمة في استباحة مدينة الرسول، وقتل جمع كبير من المهاجرين

(٦) تأريخ الطبري، ج ٤ ص ٤٣٢.

(٧) هامش مقتل ابن أعثم، ص ١٧٠، ويظهر أنه نقل هذا عن الطبري.

(٨) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٢١٤.

والأنصار وأهل المدينة، وهتك أعراض المئات من نساء وبنات المدينة، إلى أن بايع الناس على أنهم عبيد ليزيد^(١)، ولم يسلم من جريمتهم غير الإمام السجاد عليه السلام وعائلة النبي الأكرم عليه السلام - لاتخاذ الإمام السجاد عليه السلام الاحتياطات اللازمة، ولكون أهل البيت عليهم السلام حديثي عهد بالفاجعة العظمى في كربلاء- وكانت هذه الجريمة الجديدة في سنة ٦٢ للهجرة.

ج- جريمتها العظيمة في محاصرة مكة المكرمة، وضرب الكعبة المكرمة بالمنجنيق -وهو بمنزلة المدفعية في زماننا هذا-.

والدلائل على كفر يزيد، كالدلائل على أبيه وجدّه، لا تُحصى، ويكفي منها قتله لسيد شباب أهل الجنة، ومن لا يكتفي بهذا الدليل، فلا ينفع معه ألف دليل ودليل. نُقل عن يزيد أنّه لما ورد عليه أسارى وسبايا آل الرسول، بصحبة رؤوس شهداء كربلاء -الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه- قال:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت
نعب الغراب فقلت قل أو لا تقل
تلك الرؤوس على شفا جيرون
فقد اقتضيت من الرسول ديوني

وللآلوسي كلام مهمّ في يزيد، من تعداد فضائعه، وبيانه اتفاق علماء الأمة على لعنه إلا من شذّ، بل الحكم بخروجه عن الملة، عند تفسيره للآية الكريمة: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٢).

قال: واستدلّ بها أيضا على جواز لعن يزيد عليه من الله تعالى ما يستحق.

نقل البرزنجي في الإشاعة، والهيثمي في الصواعق:

إن الإمام أحمد، لما سأله ولده عبد الله عن لعن يزيد، قال: كيف لا يلعن من لعنه

(١) التنبيه والإشراف، المسعودي، ص ٢٦٤.

(٢) الآية الكريمة ٢٢ من سورة محمد عليه السلام.

الله تعالى في كتابه، فقال عبد الله: قد قرأت كتاب الله ﷻ فلم أجد فيه لعن يزيد، فقال الإمام: إن الله تعالى يقول:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ أَلِيقَالُ... الآية.

وأي فساد وقطيعة أشد مما فعله يزيد «انتهى - ما نقله البرزنجي والهيثمي -». ..وعلى هذا القول لا توقف في لعن يزيد لكثرة أوصافه، وارتكابه الكبائر في جميع أيام تكليفه، وكيفي ما فعله أيام استيلائه بأهل المدينة ومكة. فقد روى الطبراني بسند حسن:

«اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل»^(١).

والطامة الكبرى ما فعله بأهل البيت عليهم السلام، ورضاه بقتل الحسين، على جدّه وعليه الصلاة والسلام، واستبشاره بذلك وإهانته لأهل بيته مما تواتر معناه، وإن تفاصيله آحاداً.

وفي الحديث: «سته لعنتهم - وفي رواية - لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة: المحرف لكتاب الله - وفي رواية - الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله والمستحل من عترتي والتارك لسنتي»^(٢).

وقد جزم بكفره وصرّح بلعنه جماعة من العلماء منهم:

(١) المعجم الأوسط - الطبراني - ج ٤ - ص ٥٣ - الناشر: دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع:

١٤١٥ - ١٩٩٥ م

(٢) تفسير روح المعاني - الآلوسي - ج ٢٦ - ص ٧٢.

الحافظ ناصر السنة ابن الجوزي.

وسبقه القاضي أبو يعلى.

وقال العلامة التفتازاني: لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه، لعنة الله تعالى عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

ومن صرح بلعنه الجلال السيوطي.

وفي تاريخ ابن الوردي، وكتاب الوافي بالوافيات:

أن السبي لما ورد من العراق على يزيد، خرج فلقي الأطفال والنساء من ذرية علي والحسين رضي الله تعالى عنهما، والرؤوس على أطراف الرماح، وقد أشرفوا على ثيئة جيرون، فلما رآهم نعب غراب، فأنشأ يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت تلك الرؤوس على شفا جيرون
نعب الغراب فقلت قل أولاتقل فقد اقتضيت من الرسول ديوني

يعني أنه قتل بمن قتله رسول الله ﷺ يوم بدر، كجده عتبة وخاله ولد عتبة وغيرهما، وهذا كفر صريح، فإذا صح عنه فقد كفر به.

ومثله تمثله بقول عبد الله بن الزبيري قبل إسلامه: ليت أشياخي «الأبيات».

..وأبو بكر بن العربي المالكي -عليه من الله تعالى ما يستحق- أعظم الفرية، فرعم أن الحسين قُتل بسيف جدّه صَلَّى الله تعالى عليه وسلّم، وله من الجهلة موافقون على ذلك، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذبا.

قال ابن الجوزي عليه الرحمة في كتابه السر المصون:

من الاعتقادات العامة التي غلبت على جماعة منتسبين إلى السنة أن يقولوا:

إن يزيد كان على الصواب، وأن الحسين رضي الله تعالى عنه أخطأ في الخروج عليه.

ولو نظروا في السِّيرَ لعلموا كيف عُقدت له البيعة، وأُلزم الناس بها، ولقد فُعل في ذلك كل قبيح.

ثم لو قدّرنا صحة عقد البيعة فقد بدت منه بوادر كلها توجب فسخ العقد، ولا يميل إلى ذلك إلا كل جاهل عامي المذهب، يظنّ أنه يُغيظ بذلك الرافضة.

..وأنا أقول-الآلوسي-: الذي يغلب على ظنيّ، أن الخبيث لم يكن مصدّقاً برسالة النبي صلى الله تعالى عليه وسلّم.

وأنّ مجموع ما فعل مع أهل حرم الله تعالى وأهل نبيّه عليه الصلاة والسلام وعترته الطيّبين الطاهرين في الحياة وبعد الممات وما صدر منه من المخازي ليس بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاء ورقة من المصحف الشريف في قدر، ولا أظن أن أمره كان خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك، ولكن كانوا مغلوبين مقهورين لم يسعهم إلا الصبر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ولو سلّم أنّ الخبيث كان مسلماً، فهو مسلم جمع من الكبائر ما لا يحيط به نطاق البيان، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على التعيين، ولو لم يتصور أن يكون له مثل من الفاسقين، والظاهر أنه لم يتب، واحتمال توبته أضعف من إيمانه، ويلحق به ابن زياد، وابن سعد، وجماعة، فلعنة الله عليهم أجمعين، وعلى أنصارهم، وأعوانهم، وشيعتهم، ومن مال إليهم إلى يوم الدين، ما دمعت عين على أبي عبد الله الحسين.

ويعجبني قول شاعر العصر، ذو الفضل الجلي، عبد الباقي أفندي العمري الموصلّي وقد سُئل عن لعن يزيد اللعين:

يزيد على لعني عريض جناحه فاغدوبه طول المدى ألعن اللعنا

ومن كان يخشى القول والقليل، من التصريح بلعن ذلك الضليل، فليقل: لعن الله عزّ وجلّ من رضى بقتل الحسين، ومن آذى عترة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بغير حق، ومن

غضبهم حقّهم، فإنه يكون لاعناً له، لدخوله تحت العموم دخولا أولياً في نفس الأمر. ولا يُخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ ونحوها سوى ابن العربي المار ذكره وموافقيه، فإنّهم على ظاهر ما نُقل عنهم لا يجوزون لعن من رضي بقتل الحسين رضي الله تعالى عنه، وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذي يكاد يزيد على ضلال يزيد «إنّتهى كلام الألويسي»^(١).

ولابن العماد في تأريخه «شذرات الذهب» كلامٌ أيضاً نوقفك عليه: ونقل الاتفاق أيضاً على تحسين خروج الحسين على يزيد، وخروج ابن الزبير وأهل الحرمين على بني أمية، وخروج ابن الأشعث ومن معه من كبار التابعين وخيار المسلمين على الحجاج. ثم الجمهور رأوا: جواز الخروج على من كان مثل يزيد والحجاج، ومنهم من جوّز الخروج على كل ظالم.

وعدّ ابن حزم خروم الإسلام أربعة: قتل عثمان، وقتل الحسين، ويوم الحرة، وقتل ابن الزبير. ولعلماء السلف في يزيد وقتلة الحسين خلاف في اللعن والتوقف، قال ابن الصلاح: والناس في يزيد ثلاث فرق: فرقة تحبه وتتولّاه، وفرقة تسبه وتلعنه، وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه. قال: وهذه الفرقة هي المصيبة، ومذهبها هو اللائق لمن يعرف سير الماضين ويعلم قواعد الشريعة الطاهرة، انتهى كلامه.

ولا أظن الفرقة الأولى توجد اليوم، وعلى الجملة، فما نقل عن قتلة الحسين

(١) تفسير روح المعاني، الألويسي، ج ٢٦ ص ٧٢ وما بعدها.

والمتحاملين عليه، يدلّ على الزندقة، وانحلال الإيمان من قلوبهم، وتهاونهم بمنصب النبوة، وما أعظم ذلك.

فسبحان من حفظ الشريعة حينئذ، وشيّد أركانها حتى انقضت دولتهم. وعلى فعل المؤمنين وأمرائهم بأهل البيت حُملَ قوله:

هلاك أمتي على أيدي أغيلمة من قریش»

.. وقال التفتازاني في شرح العقائد النسفية: اتفقوا على اللعن على من قتل الحسين، أو أمر به، أو أجازه، أو رضى به.

قال: والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستتبشاره بذلك وإهانته أهل بيت رسول الله مما تواتر معناه، وإن كان تفصيله آحاداً.

قال: فنحن لا نتوقف في شأنه، بل في كفره وإيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

وقال الحافظ ابن عساكر: نُسِبَ إلى يزيد قصيدة منها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لعبت هاشم بالملك فلا مَلَكُ جاء ولا وحيّ نزل

فإن صَحَّت عنه فهو كافر بلا ريب «انتهى بمعناه».

وقال الذهبي فيه: كان ناصبياً فظاً غليظاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بقتل الحسين، وختمها بوقعة الحرة، فمقتته الناس، ولم يُبارك في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين - وذكر من خرج عليه -.

وقال فيه، في الميزان، أنه: مقدوح في عدالته ليس بأهل أن يُروى عنه.

وقال رجل في حضرة عمر بن عبد العزيز: أمير المؤمنين يزيد، فضربه عمر عشرين

سوطاً.

واستفتى الكيا الهراسي فيه فذكر فصلاً واسعاً من مخازيه حتى نفذت الورقة، ثم قال: ولو مُدِّدَت بياض لمددت العنان في مخازي هذا الرجل.

وأشار الغزالي إلى التوقف في شأنه والتزهر عن لعنه مع تقييح فعله.

.. وقال اليافعي: وأما حُكْمُ من قتل الحسين، أو أمر بقتله، مَن استحلَّ ذلك، فهو كافر، وإن لم يستحل ففاسق فاجر^(١)، والله أعلم^(٢) «إنتهى كلام ابن العماد، من كتابه شذرات الذهب».

وقد أوردنا كلامي الآلوسي، وابن العماد، وقدمت أقوال أعلام العامة في يزيد لفوائد لعلها لا تخفى منها:

١- كي تطلع على لون تفكير هؤلاء في هذه المسألة وكيفية معالجتهم لها وأخذهم الموقف منها، وطريقة استدلالهم عليها.

٢- أن تعرف أن القوم لا يقفون موقفاً واحداً من القضية الحسينية فهم قد إتخذوا مواقف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، والذي أدّى للموقف حقّه قليل.

٣- أن الموقف الذي اتخذه معظم هؤلاء يبتعد عن موقف أهل البيت النبوي حول هذه القضية بُعد المشرقين.

ومن هنا تعلم: أن كل من لم يستضيء بنور أهل البيت ولم يأخذ بما أخذوا به في جانب العقيدة أو في جانب الفقه فهو متحيّر تائه، بل..

أما قصة إختيار يزيد لاعتلاء دست الخلافة الإسلامية، فقد ذكرها الشيخ الأميني

(١) مبنى الإمامية - تبعاً للأدلة - أن كل من رفع السلاح على أيّ واحدٍ من المعصومين الأربعة عشر فهو كافر قاتل أم لا، بل كل من أبغضهم، بل كل من ردّ عليهم ورفض حكمهم.

(٢) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ج ١ ص ٦٧ وما بعدها.

في كتابه الغدير^(١) بتفصيل.

وفي الحقيقة إنّ التوسع في أمر يزيد هنا نافلة من القول بعد الالتزام بخروجه عن حيز الإسلام عند الشيعة والسنة، إلاّ عند من يرضى بسبي نساء النبي وأهل بيته، وبذبح ذريته وصبيته، غير أنّه يُقيم الدنيا ولا يقعدها على خال المؤمنين معاوية فرع الشجرة الملعونة، وكيف كان فكتابنا هذا يتضمّن الكثير ممّا يتعلق بيزيد «لع».

ونختم كلامنا بأمرين:

الأمر الأول: ما التزمه الكاتب السلفي من تبرئة يزيد بن معاوية من مسؤوليته في قتل الإمام الحسين عليه السلام^(٢).

وما ادري ما أُجيب به هذا الكاتب، إذ أيّ خبر ليزيد في صفحات التأريخ غير الخزايا والجرائم العظام؟

وكل من يتحدث عنه، يتحدث عن قتله للإمام الحسين عليه السلام وعن استباحته لمدينة الرسول صلى الله عليه وآله، وعن هدمه للكعبة بالمنجنيق بعد محاصرة جيوشه لمكة.

الأمر الثاني: ما نقله صاحب البحار، عن البلاذري:

لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ - عليه السلام - كَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَظُمَتِ الرِّزْيَةُ، وَجَلَّتِ الْمَصِيبَةُ، وَحَدَّثَ فِي الْإِسْلَامِ حَدَثٌ عَظِيمٌ، وَلَا يَوْمَ كِيَوْمِ الْحُسَيْنِ.

فكتب إليه يزيد:

أَمَّا بَعْدُ يَا أَحْمَقُ: فَإِنَّا جِئْنَا إِلَى بَيُوتٍ مَنْجِدَةٍ، وَفَرَشَ مِمَّهْدَةٍ، وَوَسَائِدَ مَنْصُدَةٍ، فَقَاتَلْنَا

(١) راجع: الغدير، ج ١٠ ص ٣٢٣، وراجع لترجمة يزيد: المقتطفات للاندونيسي، ج ١ ص ٢٠١.

(٢) راجع: مجلة المنهاج، العدد التاسع، ربيع ١٤١٨ هـ ص ٢٥٤ وهي تصدر عن مركز الغدير، بيروت.

عنها، فإن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا، فأبوك أول من سنّ هذا،
وابتزّ، واستأثر بالحقّ على أهله^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٢٨.

بنو أمية وعداوتهم لمحمد وآل محمد ﷺ

كل من عايش الأئمة من أهل البيت ﷺ وعایش شيعتهم، أو اطلع عن قرب على منهجهم في الحياة، يعرف تصلبهم تجاه كل كافر وكل ظالم وجائر بما لا إمكانية فيه للمساومة أو الإغضاء، فهذا أمر - من شدة تمسكهم به - كأنه كأصل من أصولهم، وركن من أركان فكرهم، وهو من معالم منهجهم، ومتعارف تماماً في سلوكهم.

وعلى هذا الأساس كانت بذرة العداوة بين محمد وآل محمد ﷺ من جهة وبين بني أمية من جهة أخرى، فالعداوة الحقيقية بدأت مع إظهار النبي ﷺ لرسالته ودعوته إلى الله سبحانه، وإلى نبذ الأصنام.

وأما ما يدعى من مظاهر وأسباب للعداء قبل بعثة النبي الأكرم فإنها - كلها - ليست بشيءٍ بأزاء هذا السبب.

والسبب الأعمق للعداء بين النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته ﷺ، وبين بني أمية، ينبع من جهتين:

أ- إنَّ النبي الأعظم جاء بالدين التوحيدي السماوي المناقض لما يلتزمه الناس عموماً وبني أمية خصوصاً.

والدين الإلهي: دين يدعو إلى الله سبحانه، الواحد الذي لا شريك له ولا مثيل، ولا حدّ لجماله وجلاله، فهو يهدم كل معتقدات الجاهلية وكل متبنيات أولئك القوم مع ألفتهم لتلك العقائد والتقاليد والسُّنن والمواثيق ومع تأصيلها في أنفسهم.

ب- إنَّ الإسلام أفاض على بني هاشم عموماً، والنبي وأهل بيته ﷺ خصوصاً، ما

مَيِّزَهُمْ بِهِ عَنْ كَافَّةِ أَفْرَادِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ.

وَلَمْ يَخْصَّصْ الْإِسْلَامُ النَّبِيَّ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ﷺ بِمَا مَيِّزَهُمْ بِهِ إِلَّا لَخَصَائِصَ ذَاتِيَّةٍ فِيهِمْ، وَلَخِصَالٍ وَصِفَاتٍ حَمِيدَةٍ يَنْطَوْنُ عَلَيْهَا، وَلِحَمْلِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ مَشْعَلِ التَّوْحِيدِ، وَلِجِهَادِهَا الْعَظِيمِ فِي جَنْبِ اللَّهِ تَأْسِيساً وَنَشْراً وَتَرْسِيخاً.

وَهَذَا الْأَمْرُ جَرَّ لِبْنِي هَاشِمٍ حَسَدَ جَمَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ فِي الْأُمَّةِ، مِنْهَا: الْأُسْرَةُ الْأُمَوِيَّةُ الَّتِي سَخَّرَ أَغْلَبَ أَفْرَادِهَا إِمْكَانِيَّاتِهِمْ فِي سَبِيلِ إِنْهَاءِ الْإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ.

وَقَدْ صَرَّحَ أَهْلُ الْبَيْتِ ﷺ بِأَنَّهُمْ مُحْسُودُونَ، وَأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ فِيهِمْ:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

فَكَانُوا يَقُولُونَ بِأَنَّهُمْ الْمُحْسُودُونَ الْمَقْصُودُونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ^(٢).

وَعَنْ إِمَامِنَا جَعْفَرٍ الصَّادِقِ ﷺ: «إِنَّا وَآلُ أَبِي سَفْيَانَ أَهْلُ بَيْتَيْنِ تَعَادَيْنَا فِي اللَّهِ، قُلْنَا: صَدَقَ اللَّهُ، وَقَالُوا: كَذَبَ اللَّهُ، قَاتَلَ أَبُو سَفْيَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَاتَلَ مَعَاوِيَةَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، وَقَاتَلَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ، وَالسَّفْيَانِيُّ يَقَاتِلُ الْقَائِمَ ﷺ»^(٣).

وَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ: «وَدَّ مَعَاوِيَةُ أَنَّهُ مَا بَقِيَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ نَافِخُ ضَرْمَةٍ»^(٤).

وَالْأَمْرُ لَا يَحْتَاجُ لِنَصِّ آيَةٍ، بَلْ هِيَ لِتَأْكِيدِ الْمَطْلَبِ وَتَعْضِيدِهِ، وَالْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنَ الشَّمْسِ وَأَبْيَنُ مِنَ الْأَمْسِ.

(١) سورة النساء، الآية ٥٤.

(٢) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، ج ١ ص ١٨٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٢ ص ١٩٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٣٢ ص ٥٩٢، والضربة: النار، ومفاد العبارة: رغبة معاوية في إبادة بني هاشم.

إنقلاب الأمة على الأعقاب

حدث خطير هائل عاشته الأمة الإسلامية، وتعيشه على طول خطها من يوم رحلة النبي الأكرم ﷺ إلى بارئته المتعال، وإلى يوم الناس هذا. ذلك الحدث هو ما نبّهت إليه مجموعة مهمة، من آيات وروايات، في إنقلاب الأمة على أعقابها، ومن إكفائها الإسلام على وجهه، ومن افتتانها بعد نبيها، ومن ركوبها كل محذور، ومن انتهاء كثير من أبنائها إلى الخُسران، وإلى النار الكبرى، - والعياذ بالله العظيم -.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

والتعبير بالفعل الماضي -إنقلبتم- يفيد وقوع هذا الأمر لا محالة. وليس هذا بمنقطع الجذور، فالقوم -عند رحلة النبي الأكرم ﷺ - حديثو عهدٍ بالشرك والجاهلية، كما كانت صدور جمع مهم منهم تنطوي على النفاق، وتجيش فيها المطامع، وكل الذي حصل إنّ الذي كان باطناً فيهم في حياة النبي ﷺ أصبح بعد رحلته ﷺ ظاهراً، وكان غيباً فصار مشهوداً، ثمّ منهم توسعت رقعة الانحراف والانقلاب على الأعقاب بما فتنوا، وبما مكروا.

وقد صرّح الكتاب والسنة كلاهما بما تقدّم، بل استعملا مختلف البيانات

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

والإيضاحات القرآنية والسُنَّية، بما به كشف حقيقة الحال، ورفع اللبس عن المتحيّر.
ولا خلاف في إنّ القوم كانوا على الشرك ثم دخلوا في الإسلام.
كما لا خلاف في توفّر المنافقين بينهم.
ولا خلاف في حصول الردّة بمجرّد رحيل النبي الأكرم ﷺ.
إنّما الخلاف في تشخيص المصداق، وسعة رقعة المنافقين، وأهل الردة.
ومن هو اصل ومحور النفاق والارتداد، ومن الفرع.
ومن الذي فتن الأمة عن نهج نبيّها، وأعادها على أعقابها القهقري لا تلوي على شيء.

ثم ما الذي أمر به الله ورسوله للنجاة من هذه الدوامة، وللثبات في هذا المزلق،
ومن هو علّم الهداية الذي أعدّه الله ورسوله في مقابل علم الضلالة.
وما هي الشواهد والأدلة على ما تقدّم.

إنّ بحث هذا الموضوع - لغرض الإحاطة بنواحيه - يحتاج لمجلّدات كي تظهر
الصورة بتمام انجلائها، بذكر البناء والمبنى، والقول وأدلّته، وحتى يتم إعطاء الموضوع
حقّه، ليتحقّق الجميع من صحّة ما نذكره على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، ومع بُعدهم
عن مثل هكذا موضوعات أو قُرْبهم.

وما سنقوم به الآن هو بمقدار التنبيه إلى هذا البحث، وما به الالتفات إلى هذه
الحقيقة، وللتفصيل محلّ آخر.

إنّ الآية الكريمة المتقدمة تكفي للدلالة على تحقّق الانقلاب على الأعقاب من
بعض الأمة - في الأقلّ - بعد رحيل النبي الأعظم ﷺ.

وليس الانقلاب على الأعقاب، والارتداد عن الدين، منحصر بما بعد رحلة النبي

الأعظم ﷺ بل من ضروري التاريخ وجود فئة المنافقين أيام النبي الأكرم ﷺ وقد تحدّث عنهم القرآن في آيات كثيرة، ويكفيك أنّ في القرآن سورة باسم: المنافقون.

بل يظهر من مجمل ما ورد فيهم وعنهم أنهم كانوا جمعاً غير قليل، وكان لهم دور مهم في حركة الأحداث داخل المجتمع الإسلامي، وإنهم كانوا مصدر إزعاج للنبي، وسبب كبير لهمومه وقلقه على المستقبل الإسلامي.

ومراجعة بسيطة للمنقول عن النبي الأكرم ﷺ نعلم إنّ مساحة الفتنة والانحراف بعده لن تنحصر بزمانٍ قليل، ولا بجماعة معينة، ولا بما جرى في أنحاء من الجزيرة من إعلان ارتدادٍ تمّ إخماده بسرعة وحسم، بل إنّ الأمر أعظم وأدهى ممّا يحتمله خيال. فيها هو النبي ﷺ يُخبر: إنّ أمته ستفترق بعده ثلاثة وسبعين فرقة، لا يدخل منها اللجنة إلا فرقة واحدة^(١).

ونراه يكلم سكان قبور البقيع قبل وفاته بأيام: ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها^(٢). ونراه ﷺ ينبّه إلى محاذير كثيرة ستقع عقيب رحلته عن الدنيا، ويرشد إلى حلولها أو يذكّر عواقبها ونتائجها.

منها: إنّ أهل بيته سيلقون بعده بلاءً وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق^(٣).

ومنها: ذكره ﷺ لما سيقع في أمته من فجور، وانحراف عن الدين، وتكالب على

(١) مسند أحمد، ج ٣ ص ١٢٠، ومجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٦ ص ٢٢٦، والمستدرک علی الصحیحین،

الحاكم، ج ١ ص ١٢٩، ومن طرقنا: بحار الأنوار، ج ٣٠ ص ٧٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٢٢٦.

(٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٣ ص ٣٢٨ عن صحيح ابن ماجة وغيره.

الدنيا، وسقوط في حباله الشيطان^(١).

ومنها: نفس تبشيره برجل من ذريته لقبه المهدي^(٢) يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما تُملأ ظلماً وجوراً.

إذ هذا التبشير في حد نفسه دال على وقوع عظم في المجتمع الإسلامي اقتضت من النبي الأكرم ﷺ أن يبادر فيخفف من وطأتها عن أمته، ويشد من أزرها في المحن التي ستواجهها من خلال تبشيرها بالعاقبة الأحمد التي كتبها المولى لهذه الأمة لو صبرت إلى حين انقشاع الغموم بحفيده: المهدي.

وهذه بلاد المسلمين من شرق الأرض إلى غربها فألقِ بصرك في كل زاوية من زواياها، فهل تجد عطر الإسلام في ربوعها، أم الانتكاس على الأعقاب من أهلها -إلا ما شذّ وندر-.

فإذن: تيار النفاق والانحراف ابتدأ من أيام الإسلام الأولى، واستمر طيلة عهد النبي الأكرم ﷺ ومن بعده أيضاً، وما زال سيره حثيثاً بامتداده في طول الزمان وفي عرض الأرض، في علو من الأمر وفي استمكان راسخ -ظاهراً-.

والمهم في محلّ البحث نقطتان:

١- مركز انطلاقة الانحراف في الأمة.

٢- إن الانحراف والضلالة قد تفشيا في الأمة.

وسنفصل الأمر فيهما بمقتضب من القول.

(١) تضمّنت ذلك: الكتب التي تتحدث عن الملاحم، وعن أخبار المهدي .

(٢) ألف السُّنة كتباً عدة في المهدي، منها: العُرف الوردي في أخبار المهدي للسيوطي، وعقد الدرر في أخبار المنتظر للمقدسي.

الأمر الأول:

مركز انطلاقة الانحراف في الأمة كان من الجيل الأول الذي عاصر فجر الإسلام، وعاصر سيد الرسل ومنار الهداية ﷺ.

ففي الوقت الذي يمدح فيه الكتاب العزيز جمعاً من صحابة النبي الأكرم ﷺ في عدة من آياته، فإنه يتخذ موقفا صارماً ومهدداً من جمع آخر منهم:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَجٍ أُخْرِجَ سَطْعُهُ فَاذَرَهُ فَاستَغْلَظَ فَاستَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾^(١).

فالتفت إلى قيد -منهم- في آخر الآية، وتأمل فيه، يظهر لك إن هذا المدح، وهذه البشارات، ليست لجميع من شمله العنوان الوارد في صدر الآية -والذين معه- بل يختص بمن اتصف منهم بصفتي الإيثار والعمل الصالح، كما تشعر به هذه الآية، وتعضده آيات أخر، كآلية المتقدمة في صدر البحث^(٢).

وتتبع حال الصحابة وسيرتهم مع النبي ﷺ يرشد ويؤكد إلى: لا بُدَّية انتهاء بعضهم، إن لم نلتزم بانتهاء كثير منهم إلى عاقبة وخيمة.

ويظهر هذا بانجلاء أكثر، من خلال تتبع عامة الآيات الواردة فيهم، والشارحة لسلوكياتهم مع النبي الأقدس ﷺ، وكذا بتتبع سيرتهم المحكية في السُّنة النبوية، وتأريخهم المسطور في المدونات التاريخية.

فمن الآيات، الآية الكريمة: ﴿إِذْ نُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ

(١) سورة الفتح، الآية ٢٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتْبِكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرُ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

حاكياً سبحانه موقفهم في أحد، بهربهم من ساحة المعركة، وتركهم النبي ﷺ وحيداً ليس من أحد معه يدافع عنه، ويدافع عن كيان الإسلام بالنتيجة، غير علي ﷺ وأبي دُجانة الأنصاري والذي أصيب هو أيضاً، فلم يبق مع النبي ﷺ غير الوصي ﷺ، والذي أهرى بطولاته في ذلك اليوم ملائكة السماوات.

ومن الشواهد العظيمة على ما كان عليه حال كثير من الصحابة مع النبي الأعظم ﷺ ما أشارت إليه الآية الكريمة - وشرحته السُّنة المتعلقة بها:-

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

ذلك إن الله سبحانه أمر المسلمين بتقديم صدقة عند إرادة توجيه سؤال للنبي الأكرم ﷺ فترك الصحابة بأجمعهم سؤال النبي ﷺ غير علي أمير المؤمنين ﷺ، فانه أكثر من توجيه الأسئلة، وأكثر من تقديم الصدقات، فنزلت الآية المباركة معاتبة للصحابة على فعلتهم العجيبة، مع سهولة ما كلفوا به:

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَتِكُمْ صَدَقَةٌ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرُ يَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

فتأمل في قوله سبحانه: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ.. صَدَقَةٌ﴾.

والتفت إلى أن تركهم للسؤال، ولإطاعة الأمر الإلهي، ومحادثة النبي ﷺ هو التعلق

(١) سورة آل عمران، الآية ١٥٣.

(٢) سورة المجادلة، الآية ١٢.

(٣) سورة المجادلة، الآية ١٣.

بالمال والشحّ به، وهذا التمسك بالمال والتفضيل له، على تعلّم العلم من رسول الله ﷺ هو الذي أدى فيما بعد إلى ظهور جهلهم الكبير بالشرعية، بل إلى تشريع الأحكام في قبال أوامر الكتاب والسنة، حتى خالفوا ما لا يُمكن مخالفته، ومّا يمكن عده من معالم الكفر في سلوكهم، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

وأخيراً ننّه إلى حادثة ترك معظم حاضري إحدى صلوات الجمعة مع النبي ﷺ لموقع الصلاة حال خطبة النبي ﷺ بمجرد سماعهم لصوت منبه حضور القافلة التجارية من الشام، ولم يبق منهم أحد غير تسعة، مما أدى هذا إلى غضب النبي الأعظم ﷺ وتأذّيه، ونزلت الآية المباركة بشأنهم: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾^(٢).

وليس هذا كل شيء فهناك عدة أخرى من الآيات، والتي تصلح شاهداً لمحو حديثنا، حول الأوضاع السيئة التي كان عليها جمع ممن عاصر النبي ﷺ وصاحبه وعاش تحت ظل رحمته وهدايته ونوره، ومع ذلك فلم يقتبس من نوره ما به رفعه إلى مراتب عليا من الكمال البشري، والطامة الكبرى تولى بعضهم لأُمور المسلمين فيما بعد مما أهلكهم، وانفتح بتوليهم هذا باب الهلكات والضلالات على الأمة جمعاء.

ما تقدّم هو ما تحدّث عنه آيات الكتاب العزيز، وأمّا السنة فإن لسانها أصرح، وهي أكثر تفصيلاً للمطلب.

فروى البخاري، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزلوا مرتدين على أعقابهم منذ

(١) سورة المائدة، الآية ٤٤.

(٢) سورة الجمعة، الآية ١١.

فارقتهم»^(١).

وروى البخاري أيضاً عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّون عن الحوض فأقول: يارب أصحابي، فيقول: انك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، انهم ارتدوا على أعقابهم القهقري».

وروى أيضاً عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «ليردّ عليّ ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم إختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وروى عن النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، وليردّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثمّ يحال بيني وبينهم.. فأقول إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي».

وفي الصحيحين، عن أنس، إنّ رسول الله ﷺ قال: «ليردّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني، حتى إذا رفعوا إختلجوا دوني، فلاقولن: أيّ ربّ أصحابي، فيقالن: أنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وروى احمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده: إنّ جمعاً من الصحابة دحرجوا حجارة كبيرة في الموضع الضيق من الجبل الذي مرّ النبي ﷺ فيه راكباً ناقته وذلك ليفزعوا الناقة وليقتلوا الرسول الأعظم ﷺ بإسقاطه من أعلى الجبل إلى اسفل الوادي^(٢).

وحديث النفاق في عصر النبي الأكرم ﷺ يتبدأ من أيام الإسلام الأولى، ثم يتعاضم في المدينة ويستمر إلى آخر لحظة من حياة النبي ﷺ حيث نجد المنافقين يمنعون النبي ﷺ وهو يحتضر -روحي وأرواح العالمين لكل نفس من أنفاسه الفداء- من كتابة كتاب لا

(١) فضائل الخمسة، ج١ ص ٤٠٣ عن صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق.

(٢) راجع لهذه الروايات جميعها: الفصول المهمة، السيد شرف الدين، ص ١٩٠ وما بعدها.

تضلُّ أمته به - بسبب ما فيه من هدي وإرشاد - من بعده.

ثم لم يكتف أولئك بمنع النبي من الكتابة، بل أصرحوا بنفاقهم بمقولتهم الشهيرة «حسبنا كتاب الله» فاسقطوا الحاجة إلى سُنَّة النبي ﷺ والنبي في ساعاته الأخيرة، وبمحضر منهم، مع إنَّ معظم الدين، وتفصيل الكتاب مأخوذان من سنة النبي الأكرم ﷺ.

ثم إن الإعراض عما شخصه النبي ﷺ لهم من سببٍ للنجاة والهداية، معناه: إن هناك من يعرف المصالح والمفاسد بأفضل من معرفة النبي ﷺ ولا يقول بهذا عاقل ولا مسلم، بعد ارتباط النبي ﷺ برَّب الوجود وخالقه تبارك وتقدس، وبعدها كانت ملائكة الله عليه تترى، وأين خاتم الرسل والسراج المنير، ممَّن قضى معظم عمره يعبد الأصنام، وقضى أيام صحبته للنبي بالصفق في الأسواق باعترافه وتصريحه.

ومقولة «حسبنا كتاب الله» كلمة حق يُراد بها باطل، إذ هل يحتمل مسلم عدم التفات النبي ﷺ وعدم إحاطته بمدى ما يُمكن للأمة أن تستفيده من الكتاب العزيز، على إن الكتاب نفسه ينادي بلزوم الأخذ بما صدر عن النبي: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

ولينظر كل مسلم يقظ الضمير ما آل إليه أمر المسلمين من بعد النبي ﷺ إلى اليوم، وكيف لم يعصمهم الكتاب العزيز عن الاختلاف والتفرق والتقاتل وسفك الدماء وهتك الأعراض لأكثر من «١٤٠٠» عام وما زال الأمر مستمراً، ولن يقف ثم لن يقف إلاَّ بصارم المهدي ﷺ.

نعم لا عصمة للأمة ولا خلاص لها من مخالب الضلالة إلاَّ بركنين:

«الكتاب، والعتره».

(١) سورة الحشر، الآية ٧.

وقد كرّر النبي ﷺ هذا الأمر من يوم الدار- أيام الإسلام الأولى- إلى يوم الغدير، وحاول التأكيد الأخير عليه وهو محتضر، لكن منعه جمع النفاق، والطامحين إلى بلهنية العيش، والذين تحيش في صدورهم المطامع.

والحاصل: إنّ الكتاب والسنة يسجلان -والتأريخ أيضاً- إنّ في الجمع المتابع للنبي ﷺ - في حياته المباركة- صنفان من المنافقين:

- أ- صنف معروف مذكور مشهور مفضوح، وهو عبد الله بن أبيّ ومن تابعه.
- ب- صنف غير مفضوح ولا مشهور، إلاّ إنّ النبي ووصيه كانا على معرفة تامة بهم وإحاطة بأشخاصهم وأمورهم بتعليم من الله تبارك وتقدس، وكان يعرفه كذلك بعض عليّة الصحابة كحذيفة بن اليمان بتعليم من النبي الأكرم ﷺ، وهذا الصنف لم يتم فضحه بشكل كامل غير إنّ في النصوص ما يُشير إليه وينبّه على نفاقه وخطره، منها النصوص التي يُذكر فيها تكليف هؤلاء بتكاليف شتّى، وتكون النتيجة عصيانهم للأمر، أو فشلهم في أداء المهمة، وتكرر هذا التكليف من النبي إليهم، مع تكرار العصيان أو الفشل من نفس المجموعة، ينبّه إلى أمر يريد النبي بيانه، مع وجود مخدور من تصرّجه به، فيلفت النظر إليه بهذه الطريقة.

وقد تحدّث الكتاب العزيز عن هذه الفئة في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

فتأمل في تنبيه المولى سبحانه: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾

وهذه الفئة هي محل كلامنا، ومشتبك رماحنا.

ثم لاحظ وتأمل: إنّ الذين ارتدوا بعد النبي، وحاربهم الخليفة الأول، هم أهل

الأطراف، فأين منافقوا المدينة الذين مردوا على النفاق، وما خبرهم، وإلام آل أمرهم؟ هل آمنوا فجأةً بمجرد وفاة النبي ﷺ وانتهى خطرهم؟!!! مع إنَّ القرآن يحذر من الارتداد بعد رحلة النبي ﷺ ولا يبشّر بانتهاة ظاهرة النفاق بعده.

أم إنهم انشغلوا بأمر آخر بعد رحلة النبي ﷺ وتهايت لهم أسباب الهدوء!!!

النفاق والارتداد بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ:

ورد عن النبي ﷺ حديث الثقلين المتواتر والمجمع على روايته من فريقَي الأمة - الشيعة والسنة - وبلغ رواته من الصحابة فقط «٣٥»، وهو عدد ضخم بالنسبة لحديث أجمعت السلطات الحاكمة في المجتمع الإسلامي على طمس نوره. فعنه ﷺ: «وإنكم واردون على الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين. قيل: وما الثقلان يا رسول الله.

قال: الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزلوا ولن تضلّوا، والأصغر: عترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وسألت لهما ذاك ربّي فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم^(١).

وورد عنه ﷺ كما في مصادر السنة:

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»^(٢).

وفي مصادر الشيعة: «إن أمة موسى افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة، فرقة

(١) راجع: ج ١-٢-٣ من كتاب نفحات الأزهار، للميلاني.

(٢) الميزان، ج ٣ ص ٣٧٩، عن الدر المنثور للسيوطي، ونقله السيوطي عن جمع.

منها ناجية وسبعون في النار، وافترقت أمة عيسى بعده على اثنين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية وإحدى وسبعون في النار، وإن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية، واثنان وسبعون في النار»^(١).

فإذن: التفرّق والاختلاف والتمذهب أخذ بالأمة ذات اليمين وذات الشمال عن الطريق المرسوم لها، والذي يلزمها السير فيه كي يتحقق الغرض الإلهي من الخلقة، ويتحقق الغرض من إرسال الأنبياء والأوصياء وإنزال الكتب وتحديد المشاعر وبيان التكاليف من أوامر ونواهي، فالتفرق مرفوض بحسب الإرادة الإلهية وهو أمانة هلكة إحدى الفرقتين إن كان الانقسام إلى فرقتين ويزداد عدد الفرق الهالكة بتكثّر الانقسامات في الأمة، والعجب إن بعض الأمة يرى مطلوبة الاختلاف في الشريعة، ومحبوبته عند الله سبحانه، وأنه علامة عافية في الأمة، مع إن الكل يروون إن الأمة كلها هالكة بسبب الاختلاف إلا فرقة واحدة تسير على المنهاج الذي رسمه الله ورسوله، وتأخذ بالكتاب والسنة عبر عترة النبي الذين تركهم النبي ﷺ منار هداية للبشرية ووسيلة نجاة، وهم اثنا عشر إماماً من ذريته على نحو الخصوص وبالتحديد، يتبدأون بعلم الهدى وسفينة النجاة علي بن أبي طالب ثم يتبعه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة والإمامان إن قاما وإن قعدا، وتنتهي سلسلتهم بالمهدي، وهو من ذرية النبي، من نسل فاطمة، ومن الحسين بالذات، وبين الحسين والمهدي أئمة ثمانية، وليس في فرق المسلمين كلها من يقودها اثنا عشر إماماً، منهم علي باب مدينة علم النبي ووصيه، والذي بايعه أكثر من «١٠٠» ألف صحابي يوم الغدير، كما أمر النبي بإطاعته يوم الدار في بدء البعثة.

وقد روت كتب السنة روايات الإثني عشر إماماً، معترفةً بها، غير إنها فسرتها بما يُضحك الثكلى، ويهيج الغيور على دينه.

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ٣ ص ٣٧٩.

إذن: النصوص من الكتاب والسنة والتاريخ، والمبينة لحال الأمة في عصر النبي ﷺ وفيما سيؤول إليه الحال بعده تؤكد تحقق الانحراف والارتداد، بل واستمرار ظاهرة النفاق إلى يوم ظهور نائر آل محمد «المهدي» ناشر الإسلام المرضي عند الله ورسوله في العالم، ومرسخه إلى حيث لا عودة لتيار الانحراف أبداً

بعد النبي الأكرم ﷺ: برز إلى العيان ما كان مكتوماً، وأصبح علناً ما كان محبوساً في الصدور، مما نبّه إليه القرآن العزيز وحذّر منه، وأخبر عن حتمية وقوعه، من انقلاب الأمة على أعقابها، وعودتها إلى جاهليتها، وإعراضها عن بعض - أو كل - ما أَرادَه الله ورسوله منها، وينجلي هذا عبر ذكر أمور:

١- إنّ أول عملٍ توجّه إليه المسلمون، بعد استشهاد خاتم الرسل ﷺ وقبل دفنه، هو: التدافع والتنازع حول الخلافة، وفي: من يتولّى زعامة المسلمين ويخلف النبي ﷺ في مقامه.

والمفروض: أنّ هذه المسألة قد حسمت سلفاً في حياة النبي الأكرم ﷺ بأمر من الله سبحانه وتبليغ من نبه ﷺ ولا يشك المسلم الحقيقي في أنّ النبي لا ينطق عن هوى أبداً وإنما هو: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

ثم حتى إن افترضنا - من باب فرض المحال - إنّ هذه القضية لم تكن محسومة من جهة النبي الأكرم، فلم يكن يصحّ من الصحابة التنازع حول الخلافة والنبي ﷺ لم يرحل عن الدنيا إلاّ منذ ساعات، وعظم الفاجعة ورجاحة عقل المتنازعين وتدينهم وتأثرهم - عقيدة وسلوكاً - بالكتاب والسنة وصدورهم عنهما يقتضي عدم الانشغال والتهالك على دست الحكم بل المسألة تقتضي الالتقاء والتفاهم حول من سيتولّى الأمر. ولا ينقضي العجب ممّن يزعم عدم حسم أمر الخلافة بتشخيص من سيتولّاها من جهة النبي الأكرم، وما أدري ما هي الخصوصية في النبي ﷺ ولا في الدين الإسلامي

حتى يُترك مثل هذا الأمر المصيري والعقلاني، والذي مارسه البشرية عبر تاريخها الطويل إلى يوم الناس هذا، في عامة مجالات حياتها، فضلاً عن مثل هذا الأمر العظيم الذي لا يمكن إغفاله أبداً.

ونجد في تشريعات الإسلام الاهتمام بمن يتولى تدبير تركة الميت ويتاماه عبر تعيين من يُصلح حال اليتامى والتركة، وأمر تدبير الأوقاف عبر تعيين ولي وقيم، وهكذا، فكيف يترك النبي ﷺ أمر الإسلام والأمة من بعده بدون أن يرتب الأمر، وعِظم المفسد على الدين والأمة، من ذلك اليوم وإلى اليوم، والناجمة عن تلك الشورى الأضحوكة، حتى عاد الإسلام غريباً، و الكتاب مهجوراً، وأحكام الدين مهملة، ورث القطع بلابدية وجود منهج آخر مُشرّع من الله سبحانه ومبلّغ من رسوله لقضية الخلافة، والبلاغات النبوية طيلة ثلاثة وعشرين سنة تنادي بانحصار الخلافة بعد النبي في علي ﷺ وإلا فإن الغضب الإلهي سيحقيق بالرافض لهذا فضلاً عن سيّضاده ويحاجبه ويصادمه، وقضية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(١) إحدى الشواهد.

والحق: إن النبي الأعظم ﷺ أعلن خليفته في أيام الإسلام الأولى، ونصوص يوم الدار التي حكّت إبلاغ النبي ﷺ لبني هاشم خلافة علي ﷺ له متوفرة في كتب السنة والشيعة.

كما إنه ﷺ استمر في البيان والتبليغ طيلة حياته المقدسة بصيغ مختلفة وعبر آيات الكتاب العزيز والأحاديث الشريفة، وكلها تشير إلى علي أمير المؤمنين -صلوات الله عليه وسلامه- فمن الآيات: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

(١) سورة المعارج، الآية ١، وراجع للقضية كتاب الغدير للأميني ج١ ص ٤٦٠ ففيه تفصيل مهم

الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾.

والآية واضحة جداً وهي تبين بل وتحصر خليفة رسول الله ووليّ أمر الأمة بجهة ما، كما وتبين إنّ من سيقبل السير على هذا النهج ويتمسك بهذا الولي فأنّه من حزب الله - وتأمّل في البشارة: من أنّ هذه الجماعة غالبية على غيرها وتأمل في مسار التاريخ وأحداثه وصعود هذه الطائفة دون غيرها من مذاهب الأمة إلى صدر الأحداث يوماً فيوماً ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ - ثم إنّ النصوص الكثيرة والقطعية الصدور أكملت البيان بأن المقصود فيها هو علي عليه السلام.

ومن الأحاديث: حديث السفينة: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٢).

وأعظمها - موقفاً ودلالةً - حديث الغدير الذي نصّب النبي فيه علياً وليّاً على الأمة كلها، وانه أولى بالناس من أنفسهم في كل ما كان النبي أولى به، وبعد التنصيب أمر الحضور كلهم بمن فيهم أبي بكر وعمر بالسلام على المولى علي عليه السلام فسلم عليه وبايعه في ذلك اليوم أكثر من مائة ألف صحابي، ونزلت الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

وكان هذا قبل استشهاد النبي الأكرم بشهرين.

فليتأمل عاقل في جوانب حديث الغدير وظروف صدوره، بعد الاطلاع على تفاصيله، كي يقطع إنّ الأمر كلّه متعلّق بالخلافة.

وإن لم يقتنع فليبين لنا: لو كان النبي يريد أن ينصّب علياً من بعده، فماذا كان

(١) سورة المائدة، الآيات ٥٥-٥٦.

(٢) راجع لمعرفة مصادر حديث السفينة من كتب السُنّة: الغدير، ج ٢ ص ٤٢٣.

(٣) راجع: الغدير، الشيخ الأميني ج ١.

سيقول للمسلمين بدل تلك النصوص المتناثرة عبر ثلاثة وعشرين عاماً، إذ كان يقول فيه: خليفتي، وصيي، علي مني بمنزلي من ربي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى، من كنت مولاه فهذا علي مولاه..

لعل النبي لم يترك صيغة بيانية تفيد هذا المعنى إلا واستعملها، فلْيُعِدَّ المعاند جواباً.

٢- هجوم الصحابة - الذين استولوا على الخلافة ومقدرات الأمة في الأيام الأولى لاستشهاد النبي ﷺ - على البيت الذي يضم سيدة نساء العالمين، وسَيِّدِي شباب أهل الجنة، ويضم أيضاً من نزل القرآن شاهداً له بأنه نفس رسول الله - في آية المباهلة - وأعلنه النبي قبل شهرين خليفة له على الأمة، وأولى بالمسلمين من أنفسهم، فهددوا بإحراق الدار ثم قاموا بكسر الباب، وكانت سيدة النساء - والتي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها - خلفه وهي حامل، فعصروا السيدة بين الباب والحائط حتى دخل مسمار الباب في صدرها، وسقط جنينها، ثم دخلوا ف ضربوها على وجهها فتركت الضربة أثرها في وجهها وأذنها وعينها، ثم ضربوها على عضدها فسقطت الزهراء على الأرض صارخة^(٤).

ولا يُزيل حُمره العين سوى بيض السُيوف يوم يُنشر اللوا

بعد هذا توجه الجمع إلى علي عليه السلام - والذي لا تنتهي العناوين التي جعلها الله ورسوله له - فسحبوه بالحبال إلى مقر الحكم الجديد وكان تصميمهم القطعي على قتله لو لم يبايع.

هذه واحدة من عمر، والثانية قراره بقتل علي عليه السلام - والقرار مثبت في عدة من مدونات التاريخ - حينما عين أهل الشورى ليقوموا بتعيين الخليفة من بعده - وكان

(٤) راجع لمصادر السُّنة في هذه القضية الفاجعة: «الحجة الغراء على شهادة الزهراء» للشيخ جعفر السبحاني.

عليه السلام أحدهم - إذ أمر بقتل الستة الذين هم مجلس الشورى إن لم يحسموا أمر تعيينهم للخليفة خلال ثلاثة أيام، ومن تأمل صيغة الشورى التي جعلها عمر قطعاً بأن عمر رتب الأمر بحيث لا تصل الخلافة إلى علي عليه السلام بل سيصل إلى القتل حتماً.

فبأي دين، وأي ميزان، يتم إصدار قرار قتل من هو نفس النبي، ومن هو أولى بأمر الأمة من نفسها - وما يوم آل محمد من عمرٍ بواحد -.

إذن: خلال أيام من استشهاد النبي ﷺ يكون التوجّه الأول الذي تقوم به فئة الحكم الجديدة هو الهجوم على بيت النبي ﷺ - بيت علي وفاطمة والحسين - ثم محاولة حقيقية لإحراق الدار بمن فيها، فكسّر حرمة الدار بدخولها عنوة، وضرب أقدس من في الدار، بل أقدس من في الأرض بعد النبي ﷺ - سيدة نساء العالمين - إلى أن ماتت خلال أيام شهيدة بسبب هذه الفاجعة وهي معلنة لغضبها على زمرة الحكم - والله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها بنصّ النبي الأكرم الذي لا ينطق عن هوى أبداً -.

أيّ انحرافٍ، وأيّ انتكاصٍ على الأعقاب، أوضح من هذا وأرذل.

٣- إقصاء آل محمد الذين نزل فيهم من الآيات، وورد بحقهم من الروايات، ومنها: أنهم سفن نجاة الأمة، وأحد الثقلين اللذين لا يضلّ من اتبعهما، عن ساحة الحلّ والعقد، والأمر والنهي، في شؤون الدين والحياة وإدارة الأمة، وتقديم كل من له تاريخ مظلم في معاداة الإسلام ونبيّه إلى صدارة الأحداث، وإلى تبوء مواقع القيادة في الأمة، فتجد معاوية ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب ونحوهم من أراذل الأمة وأعداء الإسلام يتولّون أعظم المناصب في الإسلام، بل بيدهم الحلّ والعقد لأمر الأمة، بينما تجد من الجانب الآخر انزواء علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهما وعيون الصحابة من شيعتهم قرابة الخمس والعشرين عاماً، واستمر الحال على هذا، إلى أن قتلت الأمة عثماناً فازدحمت حول علي عليه السلام، مناشدة له

قبول بيعتها بإصرار، وهي البيعة الوحيدة التي حصلت بهذه الصورة من أول تاريخ الإسلام إلى اليوم، ولم تحصل إلا لصاحب الأمر الحقيقي الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾. والآية في حقه قطعاً.

وقال النبي ﷺ فيه: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، والعن من نصب له العداوة والبغضاء إلى يوم الدين» آمين.

هذه الأمور الثلاث المتقدم ذكرها هي معلّم الانحراف في الأمة، وأوضح مظاهره، وقد حصل هذا مع توفر الكثير من الآيات والروايات التي تنهى الأمة وتردعها عن السير في هذا الطريق.

وقد نتجت عما تقدم محاذير كان النبي الأعظم ﷺ يبذل عمره الشريف لتفاديها، من أهمها:

٤- ظهور توجه: تغيير الأحكام الشرعية وتبديلها بأحكام مبتنية على الرأي والاستحسان وما يرتئيه المرء من عندياته، مقابل حكم الله ورسوله، حتى يصل الأمر بعمر أن يصعد المنبر ويخطب في صحابة رسول الله ﷺ قائلاً: «متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا احرمهما وأعاقب عليهما»^(١)

فانظر وتأمل واعجب واحكم من إقراره بأنها موجودة على عهد النبي الأكرم ﷺ، وإن التحريم من عنده، وأنت تعلم حكم القرآن فيمن لا يحكم بما أنزل الله، والقرآن

(١) لاحظ بحثاً مفصلاً في قضية نكاح المتعة، ومن يميزه من السُّنة، وغير هذا مما له تعلق بالموضوع: الغدير، ج ٦ ص ٢٨٩ وما بعدها.

يقول: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾^(١)

وكتب السُّنَّة والشَّيعة تشهد بأن هذه الآية في نكاح المتعة - النكاح المنقطع - وعمر يقول بان التحريم منه، ومع ذلك تترك الأمة حكم الله ورسوله وتأخذ بحكم عمر. ولا استقصاء الموضوع عليك بمراجعة كتاب «النص والاجتهاد» للمجتهد الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين فقد أثبت بمصادر السُّنَّة اجتهادات أولئك في مقابل نصوص الكتاب والسُّنَّة.

٥- ظهور حركة الوضع بشكل واسع جداً في المجتمع الإسلامي، حتى كاد الحق أن ينتهي نهايةً أبديةً، في أصول الدين وفروعه، لولا لطف الله سبحانه وعنايته، والذي لا يُطفأ نوره أبداً وقد وعد التمام له.

ونظرة إلى كتب الصحاح الست لترى الأعاجيب والتناقضات، ولتجد روايتهم لأحاديث كثيرة جداً، تبطل مذاهبهم في أصول الدين وفروعه، وتهدمها هدماً. وإذا اطلعت على كتب الرجال، وجدت أنهم يذكرون ما لا يحصى من أسماء الوضّاعين من روايتهم، وبعضهم كان لهم دور خطير في هذا الميدان، بل أنهم يذكرون مجموعة كبيرة من موثقيهم مع تضعيفٍ لهم وتفسيقٍ حسب رأي آخرين من رجالهم. وكمثال: أبو حنيفة، النعمان بن ثابت يترجمه الخطيب البغدادي في كتابه الشهير -تأريخ بغداد ج ١٤- في ثمانين صفحة وينقل عن عِدَّةٍ أقوالاً في الطعن فيه -أبي حنيفة- حتى ينقل عن أحدهم: قَدِمَ أبو حنيفة إلى الإسلام فهدمه عروة عروة.

٦- تمزّق المجتمع الإسلامي إلى فرق ومذاهب وأحزاب وتكتلات دينية وسياسية واجتماعية، ومن ثم إلى دول بلغت الستين دولة، وأضحت أكلةً لكلّ آكل، وهذا ممّا حذّر

(١) سورة النساء - من الآية ٢٤.

الله ورسوله منه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وعن الرسول الأكرم ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». فحكم بأن تضاربهم هذا كفر، أو أن عملهم هذا من شؤون الكافرين.

وخرج عن هذا الوصف حروب الإمام الوصي ﷺ مع الناكثين والقاسطين والمارقين، لأنها كانت ببلاغ وعهد وأمر من رسول الله ﷺ، وكذا حرب الحسين مع يزيد وحزبه، لأن رسول الله ﷺ أمر بنصره، بالإضافة إلى كونه سيد شباب أهل الجنة، ولازم هذه السيادة عصمته، وصحة جميع مواقفه، ووجوب نصرته ومعاضدته، ولزوم الدفع عنه وإن أدى هذا إلى الاستشهاد في سبيله.

هذا وقد أخبر خاتم الرسل ﷺ بأن أمته ستفترق بعده ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

والذي حصل أن أمته ﷺ افتترقت في كل الأمور العقائدية والفقهية والأخلاقية والسلوكية - مذاهب التصوف والطرق - وما بقي أمر نهي الله عنه وحرمة إلا وفعل، ولا أوجبه إلا وترك.

ومضافاً إلى ما تقدم فالأمة الإسلامية اليوم من أذل أمم الأرض، وما ذلك إلا لعدم غيرة المسلمين على دينهم، ولعدم إظهار تعصبهم له، ومع إن الهجمة من العدو شديدة حقاً، لكنّ المشكل ليس في قوة المهاجم، وإنما في تحاذل وجبن الجمهور المسلم، مما أدى إلى نتائج مروعة لا تُصدّق، ومع إن عدد المسلمين في العالم اليوم مليار ونصف. نعم، الأمة الإسلامية - قياساً إلى ماضيها - في تحسّن وانتعاش من بعض الجوانب، فأجواء النُصب والبغض والعداء لأهل بيت النبي ﷺ وشيعتهم تخفّ شيئاً فشيئاً في

هذا القطر وذاك، ومظاهر الخضوع والخنوع للحكام الظلمة والفسقة والمتمردين على أحكام الكتاب والسنة تبدل إلى حالات مسائلة واعتراض وتصادم، بعد ما كان الحال عند بعض المسلمين هو الإطاعة المطلقة لأولئك الحكام بدعوى أنهم أولوا الأمر الذي أوجب الله إطاعتهم في كتابه العزيز - وحاشاه سبحانه -.

ونظرة تأملية في أوضاع المسلمين في عالم اليوم، وقياسه إلى الأمس، يدعو المرء إلى التفاؤل، وترقب الخير والمستقبل الأفضل، لو كان يُسند هذا الحال حركة بالاتجاه الصحيح.

الجمهور والإطاعة المطلقة للجبابرة

منطق لأبدية إطاعة الأمير، تشبثت به الدولة الجائرة اليزيدية لإخضاع الأمة ولاستغفال الناس، وَلَسَلْبِ إرادتهم.

بل يرى المرء حضور هذا المنطق في العقلية الإسلامية على امتداد التاريخ، وتأثيره الكبير على الحركة الإسلامية، حتى أصبح أمراً مسلماً عند أمة كبيرة تعترف بمرجعية الكتاب والسنة في تشخيص ما يلزم عليها أن تعتقده أو تسلكه، فهل في الكتاب أو السنة أو امر توجه الناس إلى إطاعة الحكام وأولياء الأمور مطلقاً ولو كان الهدف سحق المقدسات، أو عصيان أوامر الله ورسوله لصالح إطاعة الحاكم الفاقد لكل صفة فضيلة، والذي هو اخطر على الأمة من الأسود الكواسر؟

من هم هؤلاء الحكام الذين تأمر الشريعة بإطاعتهم، وما حدود هذه الإطاعة؟ فهل يُعقل أن تأمر الشريعة بإطاعة كل من هبَّ ودبَّ، وكل متغلب على رقاب الناس، وهل يصلح لذلك المجتمع، القاتل لسبط رسول الله ﷺ وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الاتكال على هذه المعاني لتسوية جريمتهم، إطاعةً لمجمع المنكرات يزيد، وهو الذي شاع فجوره واستهتاره؟

وكيف لم يخضعوا لحكم الإمام أمير المؤمنين، وهو الإمام الحق، والحاكم العادل، العالم، أخو رسول الله ﷺ، وأول الناس بشريعته إيماناً، وأزهد الأمة، ومن ليس له نظير في مكرمة.

ثم كيف لم يخضعوا للإمام الحسن المجتبي، وهو سبط رسول الله ﷺ، وابن البتول

الطاهرة، شبيه جدّه رسول الله في خُلُقِهِ ومكارمه، وأعلم الأمة وأعدّها، وأفضلها بعد أبيه، حتى اضطّروه إلى الصلح مع معاوية. أحدهم يقول للحسين عليه السلام: يا حسين ألا تتقي الله، تخرج من الجماعة، وتُفرّق بين هذه الأمة.

والآخر يقول له: بايع أمير المؤمنين يزيد، فهو خير لك في الدارين ^(١).

أما منطق الحسين عليه السلام ونهجه:

«والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية».

أية جماعة كانت تحياها الأمة، حتى يكون تفرقها بسبب خروج الحسين عليه السلام، إذ الأمة في واد، ويزيد وعصابته في وادٍ آخر. الأمة تحمل معتقداً وتسلك منهجاً مختلفين عما يريد الحكم الأموي الجاهلي المنحرف الفاسد.

الأمة تريد الإسلام طريقاً وهوية، وبنو أمية لا همّ لهم إلا طمس الإسلام بكل معالمة، وفصل الأمة عن قادتها الحقيقيين، والحوّل بينها وبين تطلعاتها. ثم إن الناس كانت قريبة عهد بجاهلية وكفر، ولم تستوعب بُعد الإسلام وفكره وقوانينه وثوابته ومتغيراته، فقد أُشغل القادة الحقيقيون بتثبيت الإسلام ومكافحة الفتن ومواجهتها، وهؤلاء يريدون إنهاء وجود الإسلام، وطريقهم إلى ذلك مسخ عقيدته وتشويه تعاليمه، بمختلف الطرق المتيسّرة، وهذه جاهليتهم الثانية والتي لها حدودها ومقاييسها.

زعموا دلالة الآية الكريمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ

(١) معالم المدرستين، السيد العسكري، ج ٣ ص ٣٠٢.

مِنْكُمْ ﴿١﴾.

على لزوم إطاعة كل متغلب على دست الحكم، وأول ما يُردّون به النقض عليهم بإطاعتهم معاوية ويزيداً بزعم أمر الآية المتقدمة بهذا، وبعدم إطاعتهم لعلي أمير المؤمنين، ومن ثمّ خليفته سبط رسول الله ﷺ الإمام الحسن المجتبي ﷺ، على أساس دلالة نفس هذه الآية الكريمة.

وزعموا أيضاً دلالة الروايات الآمرة بإطاعة الأمراء وإن فعلوا ما فعلوا، فللناس حسابهم، وللأمراء حسابهم، والفصل يوم الحساب. حاشا الله ورسوله أن يسمحا بتسلط القتل والأراذل على الأمة، وأن يأمر بإطاعتهم.

هذه الأمة انتسابها لسيد المرسلين والذي أخرجهم به الله من الظلمات إلى النور، فهل يخلف محمد ﷺ في مقامه من لا يحترم شرعه، ولا يخضع لحكمه، ولو أردنا أن نخلف أحداً في غنم لنا لما عهدنا بها إلى هؤلاء وأمثالهم، لهمجيتهم وذرأتهم ولجراتهم في العدوان على كل كريمة، فكيف يأمر الله سبحانه بطاعتهم، والسير وفق مرادهم، وإسلاس النفس بأيديهم، بل الحق أنّه يأمر بمجاهدتهم ومقارعتهم حتى يتم اجتثاثهم ومحوهم من جديد الأرض، مع ما يقوم بهم من كيان جبروتي وعناصر إفساد.

الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

وهؤلاء لم يحكموا بما أنزل الله، وإذا حكموا به فيما لا ينافي رغباتهم، وما عارضها دَمْرُوه وغيره، بل لم ينج من تحريفهم وتدليسهم حتى ما لا ينافي رغباتهم.

إن إبطال مزعمة لزوم إطاعة الحكام الذين هم من سنخ بني أمية مما يكتفى معه

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة المائدة، الآية ٤٤.

بأقل من هذا البيان، إذ يتعقل بطلان هذه القضية كل من رجع إلى نفسه، وأصغى لنداء فكره وضميره، بأنه كيف يأمر رب السماوات بإطاعة الجبابة، والمتخذين لعباد الله خوفاً، ومن لا يخضع لقانون أو لضوابط.

وغير خفي: أن هذا الفهم للكتاب والسنة إنما دلّسته وروجّته صنائع الحكم الأموي، وبطانة ذلك الحكم الظالم، لتمرير جرائمهم، ولإخضاع الأمة لسلطانهم، فبقيت الأمة - ما خلا شيعة آل محمد ﷺ - من ذلك اليوم، خائفة، خاضعة، خائرة، لا يد لها، ولا رجل، ولا لسان، ولا إرادة تحفزها للدفاع عن شرع الله، ولنصر دينه، وللمطالبة بحقوقها السليبية المنهوبة حتى أصبح الخضوع ديناً، والمطالبة بالحقوق فتنةً وتفريقاً لجمع الأمة، وأية أمة تلك، والتي يريدون منا أن نحسب لها حساباً، إنها الفئة الحاكمة فقط، والباقي خارج إطار التاريخ.

النصوص دلّت على أن مقاتلة الحسين ﷺ كفر، وبمثابة الحرب على الله ورسوله، ولا يتوقف مسلم في أن محاربة الله ورسوله كفر.

وقد أكّد الإمام الحسين ﷺ - وهو في طريقه إلى كربلاء - لبعض من التقاهم المعنى السابق، والوارد عن النبي الأكرم ﷺ:

قال الإمام لعبيد الله بن الحر الجعفي: «إن استطعت أن لا تسمع صراخنا، ولا تشهد وقعتنا، فافعل، فوالله لا يسمع واعتنا أحد ولا ينصرنا، إلا أكّبه الله في نار جهنم».

وهذا النص من الإمام من عظيم نبه، وهو يعبر عن عظمة الأئمة من آل محمد، إذ إنهم ينصّحون خاذليهم، فيجنّبونهم السخط الإلهي الأعظم في القيامة.

إن خذلان الحسين يستوجب الخذلان الإلهي في الدارين، وانحدار الإنسان إلى مهاوي المساخط وطرق الضلال، فكيف لو رفع المرء السيف بوجهه، وأصبح حجر عثرة أمام تحرّكه لإزالة المفاسد والانحرافات في الأمة، ثم كيف به وهو يشارك في

ذبحه وسحق جسده المقدس أمام عشرات الآلاف ممن يدعون الانتساب لامة جدّه، والاستغلال تحت حكم الكتاب والسنة.

هل الكتاب والسنة يأمران بتشديد مُلك يزيد، وذبح الحسين (عليه السلام)، ويزيد بؤرة المفسد وسليل أبي سفيان الذي قضى عمره في تجيش الجيوش على النبي، وسليل معاوية رأس البغي والفتنة على الإمام الحق أمير المؤمنين وهو الذي سنّ سبّ علي (عليه السلام) في أرجاء العالم الإسلامي مع إن النبي ﷺ يقول:

«مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي، وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ سَبَّ اللَّهَ أَكْبَهَ اللَّهُ عَلَى مَنْخَرِيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

أما الحسين فهو سيد شباب أهل الجنة، وابن رسول الله ﷺ بنصّ الكتاب والسنة، وابن سيدة نساء العالمين، وابن أحبّ الناس إلى الله ورسوله - بنصّ حديث الطائر المشوي - وهو إمام الأمة إن قام أو قعد.

فهل الكتاب والسنة يأمران بخذلان الحسين وقتله، وبنصرة يزيد وحماية سلطانه، مع كل ما تقدّم وغيره؟!

وهل تهديد يزيد وابن زياد يُسوِّغُ للأمة جريمتها؟

فعلى هذا يجوز لهم قتل كل نبي ووصي، وتهديم شرايع الله، وسحق دينه وأحكامه، لأجل أمثال يزيد من أولياء الأمور، ومعادن الشر والفساد، ولأجل خوف الإنسان على نفسه.

الكتاب والسنة بريئان والله من هذا الهذيان.

الحسنان عليه السلام

ووجه الفرق بين موقفيهما

الحسنان عليه السلام: يصدران عن منبع واحد، فالموقف منهما تجاه الحادثة الواحدة، واحد.

غير أنّ ما واجهاه من حدثٍ، متعدد، فتعدّد الموقف منهما واختلف، ولذا لا يعتبر موقفهما نابع من اختلاف نفسيّتهما، أو نتيجة مزاج وأريحيّة تختلف فيهما. بل إنّ الموضوع الخارجي متعدد، وله حكم في شريعة الله سبحانه متعدّد، فاختلف الموقف منهما.

هذا مما لا ريب فيه ولا شك أصلاً، والدليل المقنع متوفر له. ولو كان أحدهما مكان الآخر، لما اختار إلاّ ما اختاره أخوه. هذا معتقد الإمامية من أول دهرهم إلى يومنا هذا، لا يختلفون فيه مقدار أنملة. ولذا لا يمكن لأحدنا، كائناً ما كان ومن كان، أن يختار موقف أحد الحسنين منهجاً لحياته على مدى دهره.

بل الاختيار يقوم على أساس اتحاد الحالة الفعلية الخارجيّة التي نواجهها، مع إحدى الحالتين اللتين واجههما الحسنان، فإن انطبق على الحالة الحسينية اخترناها، وإن انطبق على الحالة الحسينية اخترناها، وإن لم ينطبق على إحدى الحالتين تفحصنا عن الحكم الخاص بحالتنا لتنفيذه.

هذا الكلام، ألقيناه بعمومه، على نحو المسلمات العقائدية والفقهية، ويبقى أن نُشبع الكلام في وجه الفرق بين حالتي الإمامين عليه السلام والذي أدى إلى الفارق في اختيار الإمامين العظميين لأحد ذينك الموقفين.

ونبدأ بأبي محمد الحسن الزكي عليه السلام:

أبو محمد الحسن: قطعة من كبد رسول الله صلى الله عليه وآله، ذقت كل مرٍّ من فئات عدّة في الدولة الإسلامية، بل لم يخرج عن عهدة القيام بحقها إلّا أقلّ القليل. وهو يشترك مع أخيه الحسين عليه السلام في أشياء، فيشتركان معاً فيها حكماً. ويفترق كل واحدٍ منهما عن الآخر في ظرفٍ خاصٍّ عاشه، وهذا الظرف استوجب لكل واحدٍ منهما حكماً خاصّاً به.

والخطأ الأكيد في التعامل مع حالتي الإمامين عليه السلام إعتبار كل حالةٍ من هاتين تمثّلُ منهجاً خاصّاً للإمام في التعامل مع الأحداث، وفي إدارة دفة الصراع مع الفئة المنحرفة عن خط الإسلام الأصيل، والمتمردة على الأوامر الشرعية في أمور عدة من أهمها: أهل البيت النبوي، وأحقيتهم باستلام السلطة، ولزوم انقياد الجميع لهم.

وهذا الفهم إنّما يصحّ لو كانت قضية الإمام الحسين عليه السلام هي نفس قضية أخيه الحسن من كلّ وجه، ومع ذلك تعامل معها بشكلٍ مختلف، أما إذا كانت هذه غير تلك وبينهما فارقٌ بين، فإنّ اختلاف التعامل، لهذا الفارق، ومع ملاحظته.

يشترك الحسانان في بنوّتهما لرسول الله صلى الله عليه وآله، وإمامتهما للأمة، وقد ترتّب على هذا مجموعة من الأحكام والحقوق -للحسنين وعليهما- على الأمة الالتفات إليها ومراعاتها في حركتها:

- فيجب تعظيمهما واحترامهما فوق كل تعظيم وإحترام.

- لهما حق الطاعة المطلقة على أبناء الأمة جميعاً دون أي استثناء إلا من ثلاثة بطبيعة الحال: الرسول ﷺ والوصي عليه السلام وسيدة النساء عليها السلام.

- وجوب نصرتهما وتفديتهما والتضحية بكل نفيس من أجلهما.

- التعامل معهما على أساس أن إطاعتها إطاعة الله ورسوله، وعصيانهما عصيان الله ورسوله، وحبهما حب الله ورسوله، وبغضهما بغض الله ورسوله، ومحاربتهم محاربة الله ورسوله، ونصرتهما نصره الله ورسوله، وعداوتهم عداوة الله ورسوله، وعلى هذا فقس.

- لأبديّة تحصيل القرب إلى الله سبحانه من خلال أخذ الدين من طريقهما، إذ يستحيل تحصيله عن طريق غيرهما مع حياتهما، بحسب النصوص القطعية الصادرة والواردة في كتب الفريقين، إذ العمل بأحكام الدين عن طريقهما - مع بقية المعصومين الأربعة عشر - له خصوصيّة، وهما سفينة نجاة الأمة دون غيرهما كائناً من كان.

وتفصيل هذه الأمور مما يقتضي مقاماً آخر، والهدف هنا هو الإشارة فقط إلى هذا المطلب، أمّا الدليل المفصل على ما تقدّم فمتوفر من كتب كافة فرق المسلمين، وقد ثبت ما تقدّم وغيره بآيات الكتاب العزيز، وبالسنة النبوية المطهرة، وباعتراف أمة كبيرة من المسلمين، ومن مختلف الشرائع والمستويات، رغم كل ما تعرّض له أهل البيت، وذريتهم، وشيعتهم، والنصوص المتضمنة لمقاماتهم.

والفرق المهم بين الحسنين إنما هو في الرتبة، فإمامة الحسن متقدمة على إمامة الحسين، فكان للحسن حق الطاعة على الحسين بحكم تقدّم إمامته، وإلاّ فهما سيّدا شباب أهل الجنة، وإمامان إن قاما وإن قعدا، كما أنّهما ريجانتا رسول الله ﷺ من الدنيا، وولدها بنص القرآن والسنة.

نعود إلى ما يفرقان فيه من جهة الحالة التي عاشها والتي استوجبت منهما موقفاً مختلفاً، وهذا أمر يلزم دراسته بدقة شديدة، مع تمحيص وغرلة لما بلغنا من نصوص

وشواهد:

١- ظرف الإمام الحسن عليه السلام ظرف تكاسل الناس عن الجهاد والكفاح وظرف ميل إلى الدعة والراحة، وظرف الإمام الحسين عليه السلام ظرف ثوران الناس وتصميمهم على مقارعة السلطة الأموية والتخلص من نير حكمهم.

٢- وجود مؤامرة لاعتقال الإمام الحسن وتسليمه^(١) حياً إلى معاوية، ثم ليقوم معاوية بالمن على الإمام الحسن عليه السلام بإطلاقه من الأسر، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشركي مكة - ومنهم معاوية -.

والجزء الثاني من المؤامرة عقد معاوية العزم على إبادة واستئصال شيعة أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا، وفق قوانين الانتصار في شريعة الغاب، كل هذا دعا الإمام الحسن عليه السلام إلى القيام بعملية الصلح لإجهاض هذه المؤامرة وتفويت الفرصة على معاوية.

عن الإمام الحسن عليه السلام: «ولو لا ما أتيت، لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحدٌ إلا وقتل»^(٢).

٣- إن الصلح مع معاوية^(٣) بالإضافة إلى الإضرار الشديد إليه بسبب ما قدمنا وغيره، فإن أثره التضحية بفترة قليلة نسبياً من الخسائر - مع القطع بأن معاوية كان سيأخذ العالم الإسلامي بالقوة والحيلة على كل حال ولغير رجعة - إلا أن احتمالية عودة الخلافة إلى أحد الحسنين متوفرة، إذ أن عقد الصلح كان يتضمن إرجاع الخلافة

(١) مسند الإمام المجتبي، ص ٣٠٣ ص ٣٢٥.

(٢) مسند الإمام المجتبي، العطاردي، ص ٢٨٣.

(٣) راجع - لتحليل وجه صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية - كتاب: اليوم الموعود، للسيد محمد الصدر، ص ٦٢٠.

إلى الإمام الحسن عليه السلام ^(١) بعد هلاك معاوية على رواية، وفي أخرى ترك الأمر شورى بين المسلمين ^(٢)، والمسلمون لو تركوا وشأنهم بدون ضغط لا يختارون على آل محمدٍ أحداً، كما ظهر هذا في مبايعة الأمة لأmir المؤمنين علي عليه السلام بعد مقتل عثمان إذ توجهت إليه جماهيرها طواعيةً، وفي مبايعتها للإمام الحسن عليه السلام بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك في توجهها للإمام الحسين السبط عليه السلام طيلة عشر سنوات.

بل إن الإمام الحسن السبط كان عازماً على النهضة لاسترجاع الخلافة بالقوة وحدّ السيف بعد هلاك معاوية ^(٣).

بل هناك ما يمكن الاستدلال به على أن الإمام الحسن عليه السلام حاول الاصطدام بمعاوية في مسجد الكوفة عند دخول الأخير إليها بعد الصلح من خلال تصعيد الأمور إلى حد المواجهة المسلحة المؤدية إلى قتل معاوية، إلا أن معاوية ضبط نفسه وتماسك، مما فوّت الفرصة على الأمة -لنجاتها ديناً ودنياً- بتماسكه الناتج عن رُعبه وجُبْنِه دائماً ^(٤).

ذلك أنه بالتأمل الدقيق في القضية المتقدمة يتجلّى أن مسار الأحداث سيأخذ بُعداً معيّناً، إذ بعد دخول معاوية الكوفة وحضوره إلى مسجدّها الأعظم وإلقائه لخطبته أمام الجيشين - الكوفة والشام - بحضور الإمامين الحسن والحسين، استغلّ الفرصة وبدأ بتنفيذ خطّته المُضمّرة في كَيْفِيّة حكم الأمة والتي تقوم على أساس إذلالها وكسر أنفثتها وكرامتها وإرادتها وابتدأ بتمزيق عقد صلحه مع الإمام الحسن على رؤوس الأشهاد وبحضور الإمامين الحسينين - كما قدّمنا - فشرع بسب الإمام الوصيّ والذي سبّه سبّاً

(١) مسند الإمام المجتبى، ص ٢٧٥ ح ٢٠، ص ٣٢٠، وراجع أيضاً كتاب: صلح الإمام الحسن، للشيخ راضي آل ياسين، وقد نقل مصادر حول هذا المطلب من طرق الجمهور.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٦٥، وراجع: مسند الإمام المجتبى، ص ٣٨٥.

(٣) مسند الإمام المجتبى، ص ٣٨٦.

(٤) مسند الإمام المجتبى، ص ٣١٥.

لله ورسوله وفي المكان الذي طالما أقام علي فيه بخطبه دعائم التوحيد وأحيا في ربوعه السيرة الغراء لسيد المرسلين ﷺ فنهض الإمام الحسين ليردّ عليه غير أن الإمام الحسن أجلسه وشرع هو في جوابه على رؤوس الأشهاد أيضاً:

«أيها الذاكر عليا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أئملنا ذكرا، وألامنا حسبا، وشرنا قدما، وأقدمنا كفرا ونفاقا، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين آمين^(١)».

والردّ الطبيعي الذي كان سيصدر عن معاوية في ذلك الظرف الذي ملأه بنشوة الانتصار هو الاعتداء على الإمام الحسن وقتله، فقيام الإمام الحسين بالرد السريع والانتصار للإمام الحسن ولكل المقدّسات المهتوكة على يد معاوية فيقتل معاوية ويسترجع السيطرة على الأوضاع وعلى جيش الشام بواسطة جيش الكوفة وأهلها ويصبح بهذا الحسن هو حسين هذه الأمة والحسين هو مهديّها، لكنّ دهاء معاوية بل في الحقيقة جُبنه وتخوّفه من مسار الأحداث ونتائجها عطّل على الأمة يوم حرّيتها إلى عصر ظهور المهدي ﷺ، والله أمر هو بالغه.

هذا وإنّ تأسيس نظام الوراثة الملكي بتولية يزيد، والذي معناه استمرار الوضع الفاسد، وبقاء بني أمية في الحكم إلى أمدٍ غير منظور، مع استمرار نفس الخط الإنحرافي، ألزم الإمام الحسين ﷺ النهضة لإيقاف المسيرة الأموية عند هذا الحدّ، وعدم السماح لها بالاستمرار.

ثم إننا ذكرنا في فصل -السر في النهضة أيام يزيد- ما ينفع المقام لتشخيص حقيقة الظرف، والحالة التي كان يحياها الإمام الحسن ﷺ مع معاوية، وحالة الإمام الحسين ﷺ

مع يزيد.

ونُجمل هنا فنقول:

إن سبب صلح الإمام الحسن ﷺ أحد أمرين:

أ- تبعثر جيش الإمام الحسن وانفراطه، وكذا وضع دولته حقيقةً، فالنتيجة محسومة لصالح معاوية «لعنه الله» على كل حال، فالصلح بترتيب، خير من استيلاء معاوية بالقوة على مقاليد الأمور، وتحمل تعامله مع النتيجة تعامل الفاتح المنتصر -أي التعامل بحسب قانون الغاب-.

ب- إن هذا التبعثر لم يبلغ إلى حد الانكسار الموجب لانتصار معاوية بشكل محسوم وسريع.

وعليه: لما تخاذلت الأمة، وركنت إلى الدعة، وآلت الأمور إلى هذا الحال، فالنتيجة هي مواصلة القتال طويلاً، مما يؤدي إلى انهدام الكيان الإسلامي ككل، وبالنتيجة: عدم حصول أي طرفٍ على شيءٍ مهم.

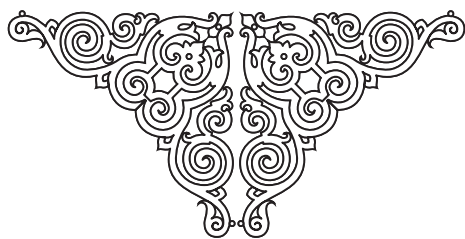
فضحى الإمام، بترك الأمر، كي يبقى الكيان العام للإسلام مستمراً وقوياً وواحدًا، وإن حصلت خسائر جسيمة في البين إلا إنها أقل أهمية من النتائج التي ستحصل لو استمر الإمام في تولي أمر الحكم.

إذ نتيجة استمرار الإمام في الحكم مع استمرار الصراع: ضياع جهود رسول الله ﷺ وانفراط الوضع الإسلامي ككل وإلى الأبد.

بينما نتيجة الصلح: المحافظة على الكيان العام للإسلام، والمسيرة الإسلامية، وإن تحمّلنا خسائر مهمة إلى حين إعادة الأمور إلى نصابها، إلا إن استمرار الركائز الإسلامية فوق كل اعتبار.

وقد أعطى الإمام الحسن  بحسب ما تقدم درساً عظيماً لكلّ حكام العالم، من الذين لا يتركون كراسيهم، وإن أنهدم كل شيء، وبلغت الدماء عنان السماء.

الفصل الثاني



مُسَلَّمَات

لأبْد لنا من ذكر أمور، هي: مُسَلَّمَات، ومفروغ عن بحثها، لنستطيع السير في ثنايا البحث وتتمهّد لنا سبل اصطلياد النتائج، وتعرّف أسباب الحوادث، ضمن نطاق الحركة الحسينية المباركة.

المُسَلِّمة الأولى:

وهي أهمّهن، والتي لا بدّ من تسجيلها كأمر مفروغ منه. وهي: علم الإمام القطعي باستشهاده، وأنه أمر واقع لا محالة، والنتيجة التي سيّنتهي إليها تحرّكه ضد الطاغوت الأموي^(١).

وما أجاب به المفيد: من عدم قطعه بعلم الإمام عليه السلام بأن أهل الكوفة خاذلوه^(٢) فلمصالح يراها في هذا الجواب، وزمنه كان زمن جدلٍ ومنازلاتٍ كلامية، والعكس هو الصحيح بلا ريب إذ من يراجع المدارك الروائية والتأريخية يقطع بعلم الإمام بهذا. ويمكن ذكر مجموعة من النصوص عليه.

روي عن عمر الأطراف - وهو أخو الإمام الحسين لأبيه عليه السلام - قوله: «لما امتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة، دخلت عليه فوجدته خالياً فقلت له: جُعِلَتْ فداك يا أبا عبد الله حدّثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليه السلام ثم

(١) الملحمة الحسينية، المطهري ج ١ ص ٢١٠، ذكر إن صاحب كتاب - الشهيد الخالد - يرى عدم يقن الإمام من استشهاده.

(٢) أجوبة المسائل الحاجية، الشيخ المفيد، ص ٨٦.

سبقني الدّمة وعلا شهقي فضمّني إليه وقال:
أحدّثك أني مقتول.

فقلت: حوشيت يابن رسول الله.

فقال: سألتك بحق أبيك بقتلي خبرك.

فقلت: نعم، فلو لا تأولت وبايعت.

فقال: حدثني أبي أن رسول الله ﷺ أخبره بقتله وبقتلي، وأن تربتي تكون بقرب تربته، فتظن أنك علمت ما لم أعلمه، وأني لا أُعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها^(١).

وعنه  أنه قال لعمر بن لوذان قبل أن يلتقي بجيش الحر:

«والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم»^(٢).

وعنه  أنه قال لولده علي الأكبر:

«يا بُني إني خفقت خفقة فعنّ لي فارس على فرس وهو يقول: القوم يسرون والمنايا تسير إليهم فعلمت أنها أنفسنا نُعيت إلينا»^(٣).

وروي عنه  أنه لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً وهو بمكة وقد اجتمع للاستماع إليه خلق كثير:

«الحمد لله، ما شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله وصلى الله على رسوله وسلّم.

(١) معالم المدرستين، ج٣ ص ٤٨، والملهوف، ص ٩٩-١٠٠ باختلاف بينهما مع ان الأول نقل عن الثاني.

(٢) الإرشاد، المفيد، ج٢ ص ٧٦.

(٣) الإرشاد. الشيخ المفيد. ج٢ ص ٨٢، وبمعناه في المهوف ص ١٣١.

خُطَّ الموت على ولد آدم مَخَطَّ القِلَادَةِ على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها ذئاب الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جَوْفًا وأجربة سُغْبًا لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز بهم وعده، من كان باذلاً فينا مهجته، وموطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنِّي راحلٌ مصباحاً إن شاء الله»^(١).

وعنه عليه السلام أنه قال لأخيه محمد المعروف بابن الحنفية:

«أتاني رسول الله ﷺ - أي: في المنام - بعد ما فارقتك فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً».

فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال.

قال: فقال له: «قد قال لي، إن الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»^(٢).

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٤٨، والملهوف ص ١٢٦.

(٢) الملّهوف، السيد ابن طاووس، ص ١٢٨، وأمّا معنى المشيئة الواردة في الرواية، فإنّ هناك فرق بين الإرادة والمشيئة: فإنّ المولى سبحانه إذا أراد شيئاً فيعني هذا أنّه أحبّ وقوعه في الخارج، فيأمر به استحباباً أو وجوباً، وإذا كره أمراً لم يُرده ويعني هذا أنّه يُبغض وقوعه في الخارج فينهى عنه كراهةً أو تحريماً.

وأمّا المشيئة: فإنّ كلّ ما يجري في ساحة الوجود حتى ما يصدر من اختيارات عباده إنّها يقع ضمن نطاق مشيئته وإن لم يكن موافقاً لإرادته، فإنّه سبحانه هو الذي أقدر عباده وأفاض عليهم القابليات والامكانيات ليفعلوا ما يشاؤون لكنه أمرهم ونهاهم فمن جرى في فعله طبقاً لإرادة المولى فقد أطاع واستحق الثواب العظيم، ومن فعل كلباً أحبّ واشتهى دون أن يُبالِ بأوامر الله سبحانه أو تعمّد المعاندة والمخالفة وتحدى إرادة الله العظيم فقد استحق العقاب الهائل وعرض

وعنه عليه السلام قوله لأبي هريرة الأزدي:

«وأيّم الله، لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسّهم الله ذلاًّ شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلمنّ الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ، إذ ملكهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم ودمائهم حتى أذلّتهم»^(١).

وعنه عليه السلام إجابة لمن سأله:

«هذه كتب أهل الكوفة إليّ ولا أراهم إلّا قاتلي»^(٢).

ومنها ما عنه عليه السلام انه رأى رؤيا عند وداعه لقبر جده عليه السلام تتضمن قول النبي له:

«يا بني كأنك عن قريب أراك مقتولاً مذبحاً بأرض كرب وبلاء بين عصاة من امتي وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى وظمآن لا تُروى وهم مع ذلك يرجون شفاعتي يوم القيامة فما لهم عند الله من خلاق.

حبيبي يا حسين إن أباك وامك وأخاك قد قدموا عليّ وهم إليك مشتاقون، إن لك في الجنة درجات لن تنالها إلّا بالشهادة»^(٣).

وعنه عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية:

نفسه لعذاب لا تقوم له السماوات والارض.

فما يقع في الخارج إنّما هو ضمن نطاق المشيئة الالهية لكنّه قد لا يكون ضمن المراد الالهي كالمعاصي فإنّ المولى سبحانه لا يريدّها ونهى عنها وهدّد عليها بالعذاب الهائل وسيفعل هذا فيمن شاء - والعياذ بالله العظيم - فكون الشيء ضمن المشيئة أي ضمن مجال الإقذار الالهي إذ هو سبحانه أعطى القدرة على فعلها وفسح المجال -تكويناً لفعلها كما هو حال كل أمر يصدر من عباده اختياراً وإن لم يُحبّ ويُرد وقوعه في الخارج تعالى المولى سبحانه وتقدّس، وتقدّست مشيئته وإرادته.

(١) الملهوف، السيد ابن طاووس الحلي، ص ١٣٢.

(٢) السيد الجلالى، الحسين عليه السلام ص ١٤٩.

(٣) القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام ج ٢ ص ٢٦٠.

«لو دخلت في جُحْرِ هامةٍ من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني»^(١).
وعنه عليه السلام في قوله لأُم سلمة:

«يا اماء إن لم أذهب اليوم ذهبت غدا، وإن لم أذهب غداً ذهبت بعد غد، وما من الموت بدّ، وإني لأعرف اليوم الذي أُقتل فيه... كما أعرفك»^(٢).

وعن الإمام عليه السلام أنه كتب إلى بني هاشم من مكة:
«من لحق بي منكم استشهد، ومن لم يلحق لم يشهد الفتح»^(٣).

إلى غيرها من الأقوال المنقولة عنه صلوات الله وسلامه عليه.

ثم إن تحديث الإمام مراتٍ عدةٍ وهو في طريقه إلى الكوفة باستشهاد يحيى بن زكريا، مما فيه الإشارة إلى انتهاء حركته باستشهاده، وإنّه موطن نفسه المقدسة على ذلك. كما أنّ هناك الكثير من النقل عن النبي صلى الله عليه وآله في أنّه أخبر باستشهاد ولده الحسين، وأنّ هذا يتم في كربلاء، وأنه أرى تربته لأُم سلمة، كما دعا عموم المسلمين لنصرته^(٤) وهذا مما تناقله المسلمون وعرفوه قبل استشهاد، وكان جمعٌ يترقبونه ويحذرونه.

كما حدّث بهذا الإمام الوصي أمير المؤمنين وولده الإمام الحسن عليه السلام.

وكل هذا كان يصل لسيد الشهداء بالاضافة إلى طرقٍ أخرى مسطورة في المدونات الحديثة والتاريخية، ومن هذه الطرق: مالها مدخلية وارتباط بإمامته وخلافته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقيامه مقام الوصاية له، وهذا المقام السامي المفاض على الإمام الحسين عليه السلام من الله تعالى وتبليغ من النبي صلى الله عليه وآله بالنصوص الكثيرة الصريحة والثابتة من

(١) المصدر نفسه ج٣ ص ٤٣.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص ٣٣.

(٣) القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام ج٣ ص ٤٥.

(٤) راجع لها: الفيروزآبادي، فضائل الخمسة ج٣ ص ٢٨٢.

خلال كتب الفريقين، يُسهّل للإمام سُبُلًا لمعرفة حقائق الأشياء، وتفاصيل الوقائع، قديمها وحديثها ومستقبلها، ولو لم يكن عند الأئمة من أهل البيت النبوي الطاهر إلّا ما اختصهم به النبي لكفاهم، كيف وقد أُرِدُّوا بما لا مجال لاستيعابه وتفصيل شؤونه في هذا المقام من البحث، ويكفيك ما ورد في تفسير سورة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۚ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۚ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۚ﴾^(١).

كما أن كتاب فاطمة الزهراء سلام الله عليها والمصطلح عليه بين الأئمة وشيعتهم بمصحف فاطمة به الاكتفاء في هذا الجانب من جوانب المعرفة، فكيف وهو أحد وسائل استقاء العلم عندهم عليها السلام.

ومصحف فاطمة صلوات الله عليها وسلامه يتضمن أسماء وتفاصيل عمّن سيتولى أمر هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وهو مما حدّثت به الملائكة سيدة نساء العالمين، ولا عجب في هذا ولا غرابة أو استبعاد، فإن الملائكة حدّثت مريم، وليست هي بنبي ولا وصي، وقد جاء النص^(٢) بتحديث الملائكة لفاطمة بضعة النبي وسيدة النساء، كما جاء النص بتحديث الملائكة لمريم، والمسألة من الواضح بمكان.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ۖ﴾^(٣).

(١) سورة القدر، الآيات ٢-٥.

(٢) راجع: الكافي ج١ ص ٢٩٧، وبصائر الدرجات ص ١٥٠، وفضائل الخمسة ج ٣ ص ١٤٧.

حول شبهة الزهراء عليها السلام بمريم.

(٣) سورة مريم، الآيات ١٦-١٨.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيءُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَكَ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾
 ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرِيءُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(١).

ومن مصادر علم الحسين عليه السلام إخبارات الملائكة له فإنه مُحَدَّث وبهذا وردت^(٢)
 نصوص قطعية لا لبس فيها ولا ريب، إذ لا مانع من تحديث الملائكة لعبد مؤمن، فضلاً
 عن الحسين الشهيد الذي هو أحد الأربعة عشر الذين لأجلهم خلق المولى سبحانه
 الكون، والذين لا يتم الهدف الإلهي من الخلقة إلا بهم^(٣)، وبهم تدور رحى الدارين.
 وكل من يُجادل في إمكانية تحديث الملائكة للزهراء أو للحسين عليه السلام فليرجع إلى
 التزامات علماء مذهبه في مثل هذا الأمر فسيجد التزامهم بإمكانه بل بتحقيقه لأناس
 لهم مرتبة دنيا من مراتب الفضل -تسلياً- وأين هم ممن صرَّح الله في كتابه بأنه أذهب
 الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً، وورد في حقهم ما لا يُحصى من الآيات والروايات.
 ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٤).

ومما يُعطي القطع بالاستشهاد نافلةً على ما تقدم، رؤى الإمام بهذا الشأن، ورؤيا
 المعصوم مقطوعة الصحة، ومثيلها رؤيا إبراهيم الخليل بذبحه لولده النبي إسماعيل
 واستجابته للأمر الإلهي بهذا غير أن المولى سبحانه فداه واستنقذه.

ولو كانت الرؤيا وحدها في البين لكفت، كيف وإخبارات النبي الأكرم عليه السلام قد
 ملأت القراطيس وانتشرت بين الكثير من المسلمين، وتحدث بها أهل تلك الفترة قبل

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٢، والآية ٤٥.

(٢) راجع: الكافي، ج ١ ص ٣٢٩، وبصائر الدرجات، ص ٣١٩.

(٣) راجع -كمثال-: ينابيع المودة، للقندوزي الحنفي، ج ١ ص ٧١.

(٤) سورة النساء، الآية ٥٤.

وقوع الواقعة بكثير^(١).

إذن: يعرف الإمام ﷺ نتيجة المعركة مسبقاً، وأنه مقتول حتماً.

وهذا مهم لنا، إذ حينئذ يُلاحظ هذا بنظر الاعتبار حين دراسة الحركة الحسينية، وعند متابعتنا لأحداثها، وعلى هذا فلا بدّ أن الإمام ﷺ كان يُراعي هذا في تخطيطه لمعركته الفاصلة مع بني امية، وفي دعوته للناس، وفي مجمل حركته ضد الدولة التي يتزعمها فرعون - في كفره وأساليبه وإجرامه -.

لا يُعقل: إخباره ﷺ لأهله وخلّص صحبه، بل لعامة الناس بهذا الأمر كثيراً، وإغضائه عنه عند اتخاذه لقراراته وتحديد لوجه مساره.

نعم، هناك أمرٌ قد يعترضنا في استنتاجاتنا إن سلّمنا به - ولا يتم لنا فعلاً - وهو: إنّ الإمام - صلوات الله عليه - مع إخبارات النبي ﷺ بمقتله، وعلمه ﷺ بهذه النتيجة من هذا الطريق وغيره، فله أن لا يبني على هذه النتيجة في تحركه نحو أهدافه، وفي اختياره لإسلوب مواجهته للأحداث.

اذ أنّ لاحتمالية حصول البداء الربوبي، وتحقق الإرادة الإلهية بمنع جريان الأحداث حسبما تسير فيه، مدخلية في أن لا يبني الإمام ﷺ على قضية شهادته في تخطيطه لتحركه - إذ لله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد، وهو تعالى كل يوم في شأن، وأنه أخذ على خلفائه الإقرار بالبداء، وإن له سبحانه أن يُقدّم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء^(٢)، ويثبت ما يشاء، ويمحو ما يشاء، وأنه سبحانه قد يُغيّر تقادير الأشياء في لحظةٍ ما، ويؤثر في

(١) لا بأس بمراجعة ما كتبه السيد عبد الرزاق المقرّم حول علم الإمام وجوانبه فهو نافع، وقد طبع هذا في مقدمة كتابه: مقتل الحسين ﷺ، وطبع أيضاً في حاشية الجواهر، طبعة مؤسسة المرتضى، ج ١ ص ١٢٢.

(٢) راجع: الكافي، الكليني، ج ١ ص ٢٠٠ وما بعدها.

الموازن فتتغير تصاريف الامور - مما يُعطي للإمام إمكانية للتحرك وفق إمكانية نجاحه لا قطعية شهادته.

فإذن هو ﷺ يلاحظ في تحركه احتمالية البداء، وإمكانية تحقق الإرادة الإلهية المقدسة بتغيير المسار، لا لأنه ﷺ لم يعلم باستشهادته وفق أسباب العلم المتوفرة للمعصوم - والتي من جملتها إخبارات النبي الأكرم ﷺ - فإنه ﷺ يعلم بقطعية استشهاده لو سارت الامور على هذا المنوال، ودون تدخل الإرادة الإلهية بالمنع من حصول هذه النتيجة، كما حمى الله سبحانه نبيه الأكرم وعموم أوليائه في المواقف الحالكة، ولا لأنه لا يعمل وفق ما ثبت عنده بالإخبارات الغيبية عن جدّه الأكرم ﷺ وبالطرق الأخرى التي سهّلها المولى لخلفائه في أرضه، أي أنه يعمل فقط بالعلم الذي يحصل عنده من الطرق الطبيعية التي يبني الناس عملهم عليها في حياتهم اليومية، فإن الوجه الأخير مما لا ملزم له ولا دليل على لا بدية حصر تحرك المعصوم بمفاده.

وما تقدّم: وإن كان مما لا بأس به في الجملة - بالنسبة لمسألة البداء واحتمالية تأثيرها في المقام، وبالنسبة لتعويل الأئمة عليهم السلام على ما عرفوه من الطرق الطبيعية في عملهم اليومي، إلا أنه ليس على نحو الموجبة الكلية في القسم الثاني -.

وأما القسم الأول وهو مسألة البداء، فلم تتضح تماميته من جهتين:

الأولى: أنه قد ورد في بعض الروايات، أن ما أخبر الله سبحانه خلفائه به بشأن الحوادث المستقبلية فهذا لا يغيّر فيه ولا يقع فيه بداء، فإن تم هذا فما احتملناه متنفّ ولا اعتناء به، ومع عدم تماميته، فاحتمالنا قائم.

الثانية: إن خصوص القضية الحسينية مما يُستبعد تحقق البداء بشأن نتيجتها، ومسار الأحداث فيها، والسبب:

إن الاخبارات الكثيرة للنبي الأكرم ﷺ باستشهاد ولده وريحانته الإمام الحسين،

وقوتها وتفصيلها، لا تسمح لنا بحرية الاختيار والقبول والتصحيح لهذا الاتجاه، خصوصاً مع توفر رواياتٍ تحدثت عن إخبار المولى سبحانه لبعض أنبيائه بقضية الحسين ومآل الحال فيها، وإن صحَّ لنا أن نذر احتمالنا حول البداء في بقعة الإمكان حتى..

المُسَلِّمة الثانية :

إنَّ على المعصوم - الإمام والخليفة عن رسول الله ﷺ في أمر الدين والأمة - إقامة الحكومة الإلهية في الأرض، وبسط سلطانها على مشارق الأرض ومغاربها، والعمل على تثبيتها، وإزاحة كل طاغوت وظالم ومتجبر عن مقام الخلافة عن رسول الله، بل إزاحة كل متسلط على رقاب الناس يحكم في نفوسهم وأعراضهم وأموالهم سواءً أَحَكَمَ بحكم الله تعالى أم لا، ما دام لم يُرْتَضَ لهذه الخلافة والإمرة من الله ورسوله، ولم يكشف نص الكتاب والسنة عن توفر هذا الارتضاء والقبول.

على أن افترضنا في هذا الطاغوت أنه يحكم بحكم الله تعالى مسألة لا تخرج عن دائرة الافتراض، لأنَّ أوَّل ما يُواجه المؤمن مسألة حصر مقعد الخلافة عن النبي بالمعصوم المنصوص عليه بالنص الواضح بالاسم والصفة، فكل من قام مقامه ولم تتحقق الضابطة فيه فهو غاصب وطاغوت.

ومن الطبيعي أن المولى سبحانه لا يحصر خلافته في شخص، إلاَّ لإستحالة قيام الحكومة الإلهية، وتحقيقها لأهدافها بما اراده المولى سبحانه بغير وجود هذا الشخص المنصوب على نحو الحصر، بالإضافة إلى توفر ذاتيات فيه وخصائص يفوق بها من عده، تأهله لحمل عنوان: خليفة الله.

فإذن: الأمر المتقدم هو أول حكم إلهي - وهو من مهمات الأحكام - لم ينفذه هذا المتصدي على وجهه المطلوب، والوجدان يشهد أن الخطأ يجزَّ أخطاءً حتى يخرج الأمر

عن الحصر والإحصاء ويتسع الخرق على الراقق فيرجع المتصدي بالأُمَّة إلى جاهلية لعلّها تكون ألّعن من جاهليتها الأولى، وهو ما حصل.

ثم إن كل إنسان - غير المعصوم - لا يعلم التشريع الإسلامي المقدس بحدوده كي يطبقه، إذ التشريع يؤخذ من المعصوم باعتباره الوارث لعلوم النبي، والمفسر لها، والحافظ لحدودها، والمتصدّي - محل البحث - غير معصوم وغير مسدّد من المولى سبحانه، وغير مأذون بالتصدي وفق ضوابط مرسومة له ومحددة، فلا يتمكن من القيام بشؤون الحكم بالشكل المراد إلهياً، إذن: يسقط في متاهة الانحراف والضلالة والطغيان شاء أم أبى، فإذا لا تسلم هذه الفرضية من أساسها.

ونؤكد: أن على المعصوم إزاحة كل من يتصدى لعرش الإمامة والخلافة غيره، فما ظنك بموقف المعصوم ممن تصدّى وقد ملأ سمع الدنيا وبصرها بكفره وفجوره وخلاعه واستهتاره، حتى تداول هذا آحاد الناس عنه - مع أنه لم يكن في تلك الفترة من وسائل إعلام تنقل أخبار الفئة الحاكمة وغيرها لعموم الناس، خصوصاً ما يجري عادة في الخفاء، وخلف جدران القصور، وبعيداً عن أعين غير الخصوصيين، فشياعها شاهد على شدة وقاحة وصلف واستهتار المنقول فيه -.

ثم هلمّ إلى ما عُرف عنه من شربه للخمور، وقتله للأبرياء، وتجاوزه على عموم التشريعات المقدسة، بل يصدر عنه بين آونة وأخرى ما يؤكد كفره وانحرافه عن خط الشريعة الإسلامية ومعتقداتها.

وكيف لو علمنا من حاله، وبلغنا من أخباره أنه يُزعم تدمير الإسلام، والعودة بالامة إلى الجاهلية، وفتنة الناس عن دينهم، والتخطيط لقتل كبراء المسلمين وعظمائهم، وأنه سيملاً الأرض ظلماً وتجبراً، ويرفع على منابر المسلمين من يذلّهم، ويستبيح مقدساتهم، ويذر الناس في رعب وخوفٍ وأيامٍ حمرَاءٍ لا تنتهي.

نعم، يعتذر البعض عن أمثال هذا الوالي بأنه مَصْرٌ مصرّاً، وكري نهرّاً، ويالها من مقاييس.

أترى ان من بنى مدينةً أو كرى نهرّاً، غير أنه أَرَهَبَ العباد وارعبهم، واستباح نفوسهم وأعراضهم، وغنم أموالهم، وفتنهم في دينهم، خليفاً بولاية أمر الأمة ومُصَحِّحاً لتمكينه ولتثمينه.

وألقي ببصرك إلى مقادير هائلة من الأموال تجبى من شرق الأرض وغربها لسدّ حاجة المعوزين والترفيه عن المحرومين والعاجزين والأرامل والأيتام وإذا بها تغدو مغنماً لأنفار من عُتاة الأمة وولاة أمورها.

وقد شهدنا توفر كتاب في مكتبات العراق يحمل اسم -الحجاج بن يوسف رجل الدولة المفترى عليه- ووجهة الكتاب:

تبرير جرائم الحجاج بحق الإسلام والمسلمين، وأنه إنما فعل ما فعل قمعاً للمعارضين كما هو شأن كل حاكم، وأن المؤرخين - وتبعهم عامة الناس - قد غفلوا عن إنجازاته في تمصير مدينة وفي إنشاء كيان إداري ونحو هذا، فلم يلتفتوا إلى ميزاته هذه، وحصر وجهة التفاتهم إلى ما صدر عنه من ذبح ومجازر وتدمير وإنحراف عقائدي وسلوكي، وإنما هو رجل دولة من الطراز الأول.

وصدور هذا الكتاب كان جزءاً من خطة شاملة بأمر وتوجيه وإشراف من سفّاح العراق «صدام» لإحياء ذكر جميع من حكم العراق - باستثناء الجيّد منهم طبعاً، وهو نادر - لغرض تخليدهم عبر جعل تماثيل لهم في الساحات العامة والشوارع والحدائق، وعبر كتابة جديدة للتأريخ يُكتب فيه بمنظار أُسمّيه بالمنظار الصّدّامي - لعجائبيته وخبثه - وما سرّ هذا إلا محاولة من حاكم العراق وهادمه لطمس الحقائق وقلب الموازين عبر التلاعب بالتأريخ، والتعتيم على ما يأخذ بالأمة إلى رشادها، وما يُبَصِّرُها لما

به تصحيح مسيرتها، وكذلك للتعتيم على جرائمه واحداثاته، لأن أولئك الحكام الخونة إنما كان ديدنهم وشأنهم طعن الإسلام من الخلف، وفي الظلام، وإكفائه على وجهه، وكذلك سفك دماء شعب العراق - وشيعة آل محمد منهم بالخصوص - فلعتهم الأمة طوال دهرها، وعبر أجيالها المتتابعة وفضحتهم مدونات تأريخها، وهو - صدام - قد زاد عليهم بما لا مثيل له إلا من عتاتهم ومردتهم، فكيف سيكون شأنه مع التأريخ والأجيال.

إنما هو وصمة عار أبدية في جبين الجهة التي دعمته وقوّته، ومثّلها بكل جبروته وخساسته، وسد «يعرف التالون غبّ ما أسّس الأولون»^(١) وصلوات الله على الزهراء البتول.

لا نطيل في المقام إذ محل إثبات أصل هذا المطلب في حين آخر يُشبع فيه بحثاً واستدلالاً، غير أننا نختصر فنقول:

إنّ هذه مقاييس السفّاحين لتبرير جرائمهم ومخازيمهم أمثال جرائم يزيد والاحتجاج. أرجع فأقول:

لما كانت الخلافة من المناصب المَجْعولة شرعاً للإمام المعصوم على نحو الحصر في حال حضوره وظهوره المقدّس.

ومن الواجب عليه إزاحة كل من يعلو عرشها لتصدّيه لما ليس من شؤونه وهو غاصب لما لا يستحقّه.

والأوجب عليه: التصدي لكل طاغوت يحكم بغير ما أنزل الله، ويستضعف عباد

(١) الاحتجاج، الطبرسي، ج ١ ص ٢٩١، من خطبة لسيدة نساء العالمين أمام نساء المهاجرين والأنصار في مرضها الذي نتج عن ضربها وإسقاطها لجنينها، والذي أدى بالتالي إلى وفاتها صلوات الله عليها وسلامه.

الله تعالى، ويسعى في تدمير أمانة رسول الله ﷺ، أو يكون حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام أو هداية الناس وإيمانهم لتحقيق سعادتهم الدنيوية والآخروية.

من هنا: يتضح سرّ إصرار الإمام الحسين عليه السلام في رفض البيعة ليزيد، وعزمه الأكيد على مناجزته مهما تكن النتائج ولو دفع حياته المقدسة ثمناً لإقدامه.

وقد يُعترض علينا بالآئمة عليهم السلام قبل الحسين وبعده، وهذا له جواب.

إذ أننا قدمنا: أن الحاكم الذي يُحاول التظاهر بالمحافظة بعض الشيء على الشعائر الإسلامية، وعلى بعض أحكام الإسلام، لا يُعامل كالذي يعتزم تدمير الإسلام نهائياً، وإعادة الأمة إلى جاهليتها الأولى، أو إلى جاهلية أشنع من تلك وأخسر، هذا أولاً.

وثانياً: إن جميع الولاة بعد يزيد -عبر إمتداد التأريخ- اتعظوا بحركة الحسين، وما آل إليه مصير آل أبي سفيان من دمار سلطانهم وسرعة انمحاقهم^(١)

والقسم الكبير من هؤلاء الخلفاء والولاة واجهوا عمليات عسكرية ضخمة وحركات تمرد مؤثرة تهدف إلى هدم سلطانهم، وأغلبها متأثر بالنهضة الحسينية، مما حدّد وقلّص من استهتارهم وخلاعتهم وفجورهم وطغيانهم، بينما لم يحصل مثل هذا في الفترة السابقة على خروج الإمام سيد الشهداء، أي: في أيام معاوية، والأشهر الأولى من حكم يزيد.

ثم، وهذا هو المهم والأساس:

إن الحسين عليه السلام تيسرت له ظروف هامة لإسقاط حكم الطاغوت، لم تيسر قبله

(١) كان عبد الملك قد كتب إلى الحجاج وهو على الحجاز: جئني دماء آل أبي طالب، فإني رأيت آل حرب لما تهبّجوا بها لم يُنصروا، فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: إني رأيت رسول الله ليلة كذا في شهر كذا يقول لي إن عبد الملك قد كتب إلى الحجاج في هذه الليلة بكذا وكذا، وأعلمه أن الله قد شكر له ذلك، وزاده برهة في ملكه «تأريخ اليعقوبي، ج ٢ ص ٣٠٤»

ولا بعده لأحدٍ من الأئمة عليه السلام فكان عليه -صلوات الله عليه وسلامه- استثمارها إلى أقصى حدٍّ، لاستنقاذ الإسلام، ومستضعفي الأمة، من أيدي جبابرتها ومفسديها. فلما حصل ما حصل للإمام نتيجة:

١- خذلان الأمة، وتقاعس العموم عن إعانة ابن رسول الله ﷺ.

٢- وَغَدْرٌ من عاهده منها.

وقد أدّى الخذلان والتقاعس و الغدر إلى استشهاد الإمام، وإبادة أهل بيته وخيرة صحبه، وبقاء الأمة تحت حكم الفراعنة.

ما تقدم يوضح الموقف قبل وبعد حركة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد تكون نتائج الحركة الحسينية هي السبب الرئيس لعدم استجابة الأئمة عليهم السلام ابتداءً من الإمام السجاد عليه السلام لآية دعوة للنهضة لغرض إسقاط الفئّة الحاكمة.

وفي الحقيقة: إنّ كلّ الدعوات التي هي في هذا السياق، كانت منقوضة الأركان.

فإنّما أن تكون مشبوهة كدعوة الطاغية أبي مسلم الخراساني لمولانا الإمام الصادق عليه السلام لاسقاط ابي جعفر المنصور.

أو مهزولة، وغير حاصلة على العمق الشعبي، أو الإعداد العسكري المطلوب.

أو إرتجالية كحركة فخ.

أو تلوح منها لوائح الغدر والنكث، ويُشَمُّ منها روائح الطف.

أو ناجحة مُحَقَّقة لأهدافٍ محدودةٍ، لا تقتضي من الإمام المشاركة فيها ودعمها على

نطاق واسع.

أو جيدة، غير أنّها تستعقب فجائع وكوارث أعظم من النتائج المفيدة التي تحقّقها

في المرحلة الأولى.

ومن العجيب: ما ذكر، من حادثةٍ مقاربةٍ لعصرنا، حصلت بين جمع من الشيعة وبين إمام عصرنا المهدي المنتظر أرواحنا وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء، وقد أبان الإمام عليه السلام عن أن الروحية التي أدت بالناس إلى التقاعس عن سيد الشهداء وعرضته للاستشهاد ما زالت تحكم النفوس وتهيمن على أفراد المجتمع وما زال حب الدنيا والقعود عن معالي الدرجات ذي أثر في اختيارات الناس وبالتالي فهم غير صالحين بعد للاعتماد عليهم في العملية التغييرية الكبرى لإعادة الأمور إلى نصابها الصحيح^(١).

أن الحركة التغييرية تحتاج لمن يتعطش للشهادة على ما كان عليه أبطال الطف، إذ كانوا يُلقون أنفسهم على الموت، ولذلك قتلوا المئات في ساحة المعركة، وكان اليزيديون يفرون أمامهم كحمر مستنفرة فرّت من قسورة، ولا قبول بعد الطف لمن يتمنى على الله الأمان، ويريد من المعصوم أن يغيّر دنياه ومحيطه الفاسد قائلاً له: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٢).

أو يعاهد قائده، وحين يحمى وطيس المعركة يعيدها طفلاً أخرى.

المُسَلِّمة الثالثة :

إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الفرائض الإلهية، وبهما تستقيم باقي الفرائض، وينتشر العدل في أرجاء المعمورة.

وإنّ تكليف الإمام المعصوم أعلى من تكليف بقية الناس في هذا المجال:

- ١ - بحكم منصبه ومسؤوليته ومدى تأثيره.
- ٢ - ولاختصاصه بحمل الأمانة المحمدية، ولزوم الحفاظ عليها.

(١) السيد محمد الصدر، موسوعة الإمام المهدي عليه السلام، قسم الغيبة الكبرى، ج ٢ ص ١١٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢٤.

٣- وإنه إذا استلزم الحال بذل النفس والنفس في الموارد التي يتعرض فيها وجود الإسلام أصلاً للخطر، وكان حفظه متوقفاً على حركة تضحوية لإيقاف تدميره، وجب على الإمام النهضة وفداء الدين بنفسه المقدسة، ولا أقل من تخيير الإمام المعصوم في مثل هذا الموقف.

وقد اختار الحسين عليه السلام الفداء، وإحياء الشرع بنفسه وماله وعائلته وكل ما يملك وهكذا كان.

فعلينا إذن أن نُسَلِّم بأن المرحلة التي نهض فيها الحسين عليه السلام هي من هذا القبيل، وتصريحات الإمام، وما سنستكشفه من خلال دراستنا لأوضاع تلك الفترة السفليانية الجاهلية الجائرة ليس غير هذا.

المُسَلِّمة الرابعة :

ضرورة الخروج على الظالمين لكفهم عن الظلم، ولرفع الاستضعاف عن الأمة، وهذا من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخصصناه بالذكر لأهميته.

قال المولى تبارك وتعالى:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾^(١).

ومثل هذا المنكر لا يكتفى معه بمراتب رفع المنكر الثلاث المعروفة بالمقدار المعهود، بل يُمكن المصير معه إلى المرتبة الثالثة بأعلى مراتبها، إذا توقف رفع الاستضعاف عن الأمة بتحقيق هذه المرتبة، اذ يجوز مقاتلة الظالم والطاغوت المسبب للاستضعاف، وبهذا

(١) سورة النساء: الآية ٧٥.

صرّحت الآية المباركة المتقدمة.

وسيّأتي - إن شاء الله تعالى - أن الأمة كانت تعيش الاستضعاف بمرتبته العالية تحت ظلّ حكم بني امية، وأنها استنجدت بالإمام لانقاذها مما هي فيه، وقد نهض الإمام -صلوات الله عليه- لجملة أسباب، منها: رفع الاستضعاف الذي كان يعاني منه عامة المسلمين، وأهل الكوفة منهم بالخصوص، والشيعه بالشكل الأخص، وقد لزمه هذا بعدما استنهضه الناس.

ومن النصوص الواردة في إن الإمام خرج لاستصراخ الأمة له بسبب استضعافها، ما عن سيد الشهداء عليه السلام في خطابه إمام جيش يزيد:

«تَبَّأَ لَكُمْ أَيَّتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ، أَفَحِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَلِهِنَّ مَتَحِيرِينَ، فَأَصْرَخْتُمْ مُؤَدِّينَ مُسْتَعْدِينَ، سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سِيفًا فِي رِقَابِنَا، وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارَ الْفِتَنِ خَبَاهَا عَدُوُّكُمْ وَعَدُونَا، فَأَصْبَحْتُمْ إِلْبَا عَلَى أَوْلِيَائِكُمْ، وَيدَا عَلَيْهِمْ لِأَعْدَائِكُمْ، بَغِيرَ عَدَلٍ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ، وَلَا أَمَلٍ أَصْبَحَ لَكُمْ فِيهِمْ، إِلَّا الْحَرَامُ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ، وَخَسِيسَ عَيْشٍ طَمَعْتُمْ فِيهِ، مِنْ غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مِنْهُ وَلَا رَأْيٍ تَفِيلُ لَنَا، فَهَلَا -لَكُمْ الْوِيلَاتُ- إِذْ كَرِهْتُمُونَا وَتَرَكْتُمُونَا تَجْهَزِمُوهَا وَالسِّيفُ لَمْ يُشْهَرْ، وَالْجَأْشُ طَامِنٌ، وَالرَّأْيُ لَمْ يَسْتَحْصَفْ، وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ عَلَيْنَا كَطِيرَةِ الذَّبَابِ، وَتَدَاعَيْتُمْ كَتْدَاعِي الْفَرَّاشِ، فَقُبِّحَا لَكُمْ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ مِنْ طَوَاغِيتِ الْأُمَّةِ، وَشَذَازِ الْأَحْزَابِ، وَنَبْذَةِ الْكِتَابِ، وَنَفْثَةِ الشَّيْطَانِ، وَعَصْبَةِ الْآثَامِ، وَمَحَرِّفِي الْكِتَابِ، وَمُطْفِئِي السَّنَنِ، وَقَتْلَةُ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ، وَمُبِيرِي عَتَرَةِ الْأَوْصِيَاءِ، وَمَلْحَقِي الْعَهَارِ بِالنَّسَبِ، وَمُؤَذِّي الْمُؤْمِنِينَ، وَصَرَاحِ أُمَّةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عَضِينَ.

وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا نخاذلون، أجل والله الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته اصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شئ سنخا للناصب، واكله للغاصب، ألا لعنة الله

على الناكثين الذين ينقضون الإيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فأنتم والله هم»^(١).

على إن للإمام أن ينقذ الأمة من هذه الطامة، استغاثت به أم لا، فكيف وقد تحققت الاستغاثة، وعلى مدى أكثر من عشر سنين.

ومسألة المقاتلة من أجل رفع الاستضعاف عن الأمة، كلاً أو بعضاً، من أقلّ المسائل ذكراً وتأليفاً وبحثاً ومذاكرة، مع أن هذه المسألة ظهرت جلية واضحة في القضية الحسينية.

نعم، طُرحت هذه المسألة بشدة على لسان الإمام الخميني رحمته الله وأصبحت من شعارات الثورة الإسلامية الإيرانية، وتلاقفتها الأمة على نطاقٍ واسعٍ، ثم عادت إلى الضمور من جديد.

المُسَلَّمة الخامسة :

مقاتلة المعصوم عموماً، والحسين خصوصاً، كفر.

كل من شارك في قتل الحسين: بقتلٍ مباشرٍ، أو إعانةٍ، أو أمرٍ به، فَقَدْ كَفَرَ. بل من رضي بقتل الحسين فقد كفر.

وهذا الحكم عامٌ يشمل مقاتلة أيّ معصوم من المعصومين الأربعة عشر عليهم الصلاة والسلام، ويُمكن استفادته من كتب المسلمين عامة، ولا يختص مدركه بما هو مروى في كتب الإمامية، الذين لهم خصوصية مع أهل البيت وارتباط يتميزون به عن غيرهم من المسلمين، وبحثنا هذا هو لبيان ما لهُ عُلُقَةٌ بالحسين عليه السلام دون بيان كل ما يتعلق بعنوان المعصوم، والمسألة نصّية، وإن كان الاستدلال العقلي لها ممكن.

واستقصاء النصوص لها من كتب الإمامية غير مجدٍ، لأن الآخرين لا يرتضونها في مقام البرهنة أو المحاجة، مع أن حجية أقوال الأئمة من آل الرسول ﷺ ثابتة عن مصادر المسلمين كافة، والتي تؤكد بالنصوص المعتبرة المروية عن النبي الأعظم ﷺ أنهم عدلُ القرآن، وأنهم سفن نجاة الأمة، وهذا يعني أن لا معذورية لمسلم في الاعراض عن اتباع أقوالهم ونهجهم، واما الإمامية فللنصوص المتوفرة من طرقهم والمفيدة لهذا الحكم فوق حد الاستفاضة، بل هو عندهم من الوضوح بمكان.

فالأفضل: استقاء النصوص من مصادر بقية فرق المسلمين، لتعزيز يقين شيعة أهل البيت فيما ذهبوا إليه، وإيضاح الحكم لغير الشيعة، لازالة كل غبش عن العيون، ولرجاء استعادة ارتباطهم بالسلف الصالح الحق، الذين هم الربانيون والورثة لمقام النبي ﷺ وعلمه، إذ آل محمد المطهرون من الرجس، هم ورثة علم النبي ومقامه، وهم أولى بالأئمة من نفسها، لا كعب الاحبار، ولا أبو هريرة الدوسي، ولا غيرهما، خفضه الزمان، أو وأتته الظروف بما يشتهي.

النصوص:

وهي كثيرة ومتنوعة ويمكن تقسيمها إلى طوائف غير أنا نأتي بالأوضح الذي لا يستدعي خلافاً ولا جدالاً، ومن يُجادل في هذا وأمثاله فهو بانٍ على المجادلة في الواضحات، لسيرة مستمرة مع آل محمد، ثبتها معاوية، وزاد عليها، واتبعه فيها، من لا يقرأ ما كتبه أعلام السنّة بأيديهم، وتحدثت به شفاههم، من فضائل آل محمد ﷺ وحقوقهم ومناصبهم في الدنيا والآخرة.

لقد عثرت بعض الأمة عشرة لا تُقال اذ لم تحسم أمرها مع الحسين ﷺ أيام ثورته، ولا فيما بعدها وإلى يومنا هذا، مع أن النبي ﷺ صرح كثيراً بقضيته، وأوجب على الأمة

كلها نصرته، إلا أن الأمة خافت من الدعي ابن الدعي - ابن زياد- ولم تخف عذاب القبر، ولا جهنم الكبرى، كما أنها أخلدت إلى الكسل، والراحة، والمائة درهم، ولم تخلد إلى وعود الله سبحانه بنعيم الأبد، وبمرافقة النبيين، في جنان تحوي ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

نعود فنقول: قال النبي ﷺ لعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام: «أنا حرب لمن حاربتم، وسلم لمن سالمتم».

بألفاظ متعددة، وقد أخرج هذا النص، أو هذا المضمون: الترمذي في صحيحه، وابن ماجة في صحيحه، والحاكم في مستدرک الصحيحين، وابن الأثير في أسد الغابة، والهندي في كنز العمال، والخطيب البغدادي في تأريخه، وغيرهم كثير^(١).

ومعلوم أن مقاتلة النبي ﷺ ومحاربه كفر، فمحاربة الحسين عليه السلام كذلك، وكل حرب يكون أحد طرفيها رسول الله ﷺ يكون الطرف الآخر طرف كفر.

وأما نصوص إيجابه عليه السلام لنصرة الحسين، فمنها: عن النبي الأعظم عليه السلام: «إن ابني هذا يُقتل بأرض من أرض العراق، فمن أدركه فلينصره»^(٢).

والنصوص كثر وقد اكتفينا بما تقدّم لأنّ غرضنا الإشارة إلى المطلب لا الاستقصاء.

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص ٢٥١، للاطلاع على المصادر وأرقام الصفحات.

(٢) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٣ ص ٢٨٢، عن أسد الغابة لابن الأثير، وكنز العمال للهندي، وغيرهما، وراجع أيضاً: حياة الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ القرشي، ج١ ص ١٠٢ - ١٠٥ فقد نقل روايات عدّة عن العامة تفيد لزوم نصرته الإمام الحسين عليه السلام.

أسباب الثورة الحسينية

الحيثية التي انطلقت منها الثورة الحسينية المباركة هي أن:

«الإسلام في خطر»

فالحسين العظيم خرج على دولة هي في تلك الفترة أقوى وأعتى دولة في العالم، وقوتها أتت من كونها الدولة الإسلامية الباعثة لروح الإنسانية، والتعاليم الربانية الرفيعة، في عالم ميّت وثنيّ أخلدت فيه الخرافات، وعشعشت في عقول الناس الخزعبلات، فمن عابد وثن، إلى عابد صليب، إلى عابد بقر، وهلمّ جرّاً.

فعظمة وقوة هذه الدولة أتت من الإسلام الذي غزت تعاليمه وجيوشه العالم وشاد صرح كيانٍ ما كان للعرب أن يُنشئوا مثله في مئات من السنين، وما شاد هذا الكيان إلاّ قاداته المؤمنون به والمضّمّنون في سبيله إذ بدأه رسول الله ﷺ وسار على دربه اتباعه العقائديون يرأسهم أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين عليّ عليه السلام^(١). وقد أحدث رسول الله ﷺ بنهضته المقدسة موجاً كاسحاً لم يستطع مناوئوه إلاّ مجاراته فيه، إلاّ إنّهم أهملوا أهدافه، وما قامت له هذه النهضة من نشر التوحيد وإيصال الإنسان إلى كماله بتحسين معاشه وتأمين معاده، وقصروا إهتمامهم على توسعة رقعة الدولة وجباية الخراج والفوز بالغنائم.

(١) وردت بهذه الأوصاف الثلاثة نصوص عن النبي الاعظم ﷺ في عليّ عليه السلام روتها كتب جميع فرق المسلمين فراجع لها: فضائل الخمسة من الصحاح الستة بأجزائه الثلاث.

ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الدَّوْلَةَ عَتَتْ عَلَى قَادَتِهَا الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى مَبَادِئِ دِينِهَا، لَوْ صَوَّلَ أَنْاسٌ إِلَى سِدَّةِ الْحُكْمِ لَمْ يَتَغَلَّغِلِ الْإِسْلَامَ فِي نَفُوسِهِمْ، بَلْ كَانُوا وَلَمْ يَزَالُوا أَعْدَى أَعْدَائِهِ، فَمَا يُنْتَظَرُ مِنْهُمْ وَقَدْ تَسَلَّمُوا زِمَامَ الْأُمُورِ.

كَفَأُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، وَعَادُوا بِالنَّاسِ الْقَهْقَرَى إِلَى جَاهِلِيَّةٍ تَفْتَقِدُ بَعْضَ عُنَاصِرِ حُسْنٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، فَحَرَّفُوا عَقَائِدَ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامَهُ، وَاغْتَصَبُوا مَقَامَ الْأَوْصِيَاءِ، وَقَتَلُوا أَوْ شَرَّدُوا كُلَّ مَنْ يَلْتَزِمُ بِعَقِيدَتِهِ، وَلَا يَنْصَاعُ لِتَوْجِيهِ السُّلْطَةِ الْبَاغِيَّةِ، وَاشْتَرَوْا الضَّمَائِرَ، وَسَلَّمُوا الْمَنَاصِبَ لِأَرَاذِلِ الْأُمَّةِ، فَتَجَدَّ أَرْزَنَى ثَقِيفٍ^(١) يَحْكُمُ الْكُوفَةَ، وَمَنْ لَا يُعْرِفُ لَهُ أَبٌ حَتَّى قِيلَ لَهُ ابْنُ أَبِيهِ يَحْكُمُ الْبَصْرَةَ، وَعَلَى هَذِهِ الشَّاكِلَةِ فَقَسَ.

وَحِينَ خَرَجَ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ ﷺ لِيُوجِّهَ هَذِهِ السُّلْطَةَ الضَّرْبَةَ الْمَاحِقَةَ الْمَزْلُزَةَ لِأَرْكَانِهَا، فَإِنَّمَا يُخْرِجُ عَلَى كَيَانٍ هُوَ أَقْوَى نِظَامٍ مُتَسَلِّطٍ فِي الْعَالَمِ مَعَ عَظَمِ إِمْكَانِيَّاتِ الْفِتْنَةِ الْحَاكِمَةِ وَقِلَّةِ إِمْكَانِيَّاتِ مُحَارِبِهَا، إِلَّا أَنَّ الْفَرْقَ أَنَّ الدَّوْلَةَ الْأُمَوِيَّةَ كَانَتْ عَلَى حَافَةِ زَلْزَالٍ، لَمُوتِ مُعَاوِيَةَ، وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالَّتِي سَتَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَمَا أَرَادَتِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ تَحْقِيقَهُ -وَيُرِيدُ طَغَاةُ الْيَوْمِ تَحْقِيقَ نَفْسِ ذَلِكَ الْهَدَفِ، وَالْفَرْقُ إِنَّمَا هُوَ فِي طَرَقِ تَحْقِيقِ الْهَدَفِ، إِذِ الْإِمْكَانِيَّاتُ مُخْتَلِفَةٌ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ- هُوَ إِزَاحَةُ آيَةِ عَقْبَةٍ تَعْتَرِضُ سَبِيلَ وَجُودِهِمْ فِي سِدَّةِ الْحُكْمِ، وَاسْتِطَالَةُ هَذَا الْوُجُودِ، لِتَحْقِيقِ تَمَتُّعِهِمْ بِالدُّنْيَا بِأَقْصَى مَا يُمْكِنُ، وَفَعَلَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ بِدُونِ حَسِيبٍ أَوْ رَقِيبٍ أَوْ مَانِعٍ.

وَأَعْظَمُ مَانِعٍ بَلِ الْمَانِعِ الْوَحِيدُ هُوَ الْإِسْلَامُ بِرُكْنِيهِ:

الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ وَالْعِتْرَةُ الْمُطَهَّرَةُ.

(١) الشَّيْخُ الْأَمِينِيُّ. الْغَدِيرُ. ج ٦ ص ١٩٦ فَرَاغَهُ، لَتَعْرِفَ تَفَاصِيلَ قِصَّتِهِ وَحَيْثِيَّاتِهَا.

فما دام الإسلام في الساحة يوجّه الجماهير ويدفعها لساحة الصراع فلا بقاء لهم ولا هناءة.

ومن وسائل السلطات الجائرة في ازاحة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام عن ساحة التوعية والتأثير في الأمة هو قطع سبل الاتصال بينهم وبين الأمة بمختلف الوسائل الواقعة تحت دائرة سيطرتهم من ترغيب وترهيب.

وتحت نفس هذه القاعدة نلمس عدم نقل حديث واحد في فروع الفقه عن سيّد الشهداء في فترة إمامته، وهذا يعني أنّ اقبال الناس على أهل البيت عليهم السلام وصل إلى مستوى الصفر^(١).

الكوفة كمنطلق للثورة، لماذا؟

البعض أشار على سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه وسلامه بعدم التوجه إلى الكوفة لأن أبيه وأخيه قد خُذلوا في تلك الربوع من أهلها، وفي هذا ما ينأى بالمرء عن الثقة بهم، وجاءت الأحداث فيما بعد لتؤكد صحّة هذا الرأي بحسابات الربح والخسارة الظاهرية الآنية، وبقي هذا الأمر مثاراً للتساؤل عبر التاريخ، والوحيد الذي شخّص الظرف بما يقتضي المسير إلى الكوفة والأخذ برسائل أهلها هو: مسلم بن عقيل عليه السلام.

والفرق بينه وبينهم أنه دخل الكوفة، واتصل بأهلها وزعمائها، وسمع كلامهم، ورأى حالهم، واطّلع عن قُرب على وضعهم النفسي والاجتماعي والعسكري والسياسي، فشخّص صحة اعتماد موقف أهل الكوفة، وصحة العزم على المضي في

(١) مقالات تأسيسية، السيد الطباطبائي، ص ١٩٨، ولكن هذا غير تام، لوجود مجموعة من الاحاديث الفقهية المنقولة عن سيد الشهداء، وإن كانت قليلة ولا تدفع المطلب الذي طرحناه في المتن، فراجع لتلك النصوص: مسند الإمام الشهيد، للعطاردي، ج ٣ ص ٢٢٠ وما بعدها.

طريق مقاومة الفئة الحاكمة اعتماداً عليهم، مع أنه خبير بنفسية أهل الكوفة وغدرهم، إذ كان أهل البيت عليهم السلام لا زالوا يعيشون آثار محنة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، ومحنة تسليم الإمام الحسن السبط عليه السلام العالم الإسلامي إلى معاوية، وكل المآسي التي جرت يعود ركنها الركين إلى عاملين:

أ- إجماع معاوية ومؤامراته وحملاته العسكرية.

ب- غدر أهل الكوفة في عهودهم مع الإمام، وتقاعسهم عن نصرته، وعن حماية أنفسهم ودينهم، ظناً منهم أن الأمر ينتهي بتسليم معاوية للحكم، وما دروا أن تسليم معاوية لدفة الحكم أول أهدافه، وإن البقية تأتي، فما صدقوا بحرارة النار حتى لمسوها بل دخلوها بنسائهم وصبيتهم فاكتووا بنارها عشرين عاماً، وقد استغاثوا بالإمام كل هذه السنين وعاهدوه على النصرة، واكدوا له سلامة موقفهم هذا وواقعته بمختلف أنواع التأكيدات، وما أعجب فعلهم وما أشد انطباقه على ما حكاه الله سبحانه عن أهل جهنم: ﴿لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾.

فمسلم عارف بغدرهم، وعمره حينذاك قرابة الخمس والأربعين عاماً، فقد عاش مأساة عمه وابن عمه، فتشخيصه عين الواقع إلا أن الأمور انقلبت بحضور ابن زياد وإظهاره القسوة، وبغدر أهل الكوفة، وانهمامهم دون أن يواجهوا خطراً يُذكر.

ولعل هذا من أسرار إرسال الإمام لمسلم -مع علمه بحقيقة الوضع فعلاً وبِمآله - فإن مسلماً قد شَخَّص الأوضاع الفعلية بما يقتضي الاعتماد تماماً حتى أنه استعجل حضور الإمام.

لكن، ما الذي دعا الإمام عليه السلام إلى الاستجابة لنداء أهل الكوفة، واعتمادهم في حركته، وترتيب الأثر على كتبهم وعهودهم، وتصديقهم في دعواهم نصرته، وقد عاش

تقاعسهم بل تقاعس عموم الأمة - غير ثلّة من الربانيين - عن نُصرة أبيه أمير المؤمنين وأخيه الحسن السبط عليه السلام من قبله، بل إهمالهم لأوامر النبي الأكرم عليه السلام ووصاياه، ومن أهمها تولية أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة بعده، وكذلك رعاية أهل بيته من بعدما أخذ عليهم النبي العهود والمواثيق الغلاظ.

وناهيك بما انتهت إليه وصايا يوم الغدير حيث خطب النبي عليه السلام فيهم تلك الخطبة^(١) العظيمة الطويلة في الهاجرة عند غدِير خُم، إذ أعلن فيها تنصيب علي عليه السلام خليفة له من بعده بأمر من الله سبحانه، كما أعلن أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهذا مقام ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه طير - فلاحظ: ما أفاض الله ورسوله على علي عليه السلام، ومن جهة أخرى: موقف الأمة من علي عليه السلام ومقدار وفائها لعهد نبّيها ووصاياه - ثم إنّ النبيّ دعا الله تعالى أن: ينصر من ينصر علي، ويخذل من يخذله، وأن يلعن من ينصب له العداوة والبغضاء، ثم أمر عموم المسلمين بالسلام عليه بأمره المؤمنين ومن قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين: أبو بكر وعمر، وقال له عمر أيضاً: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢).

ثم ما هي إلاّ أيام حيث أغمض النبي -روحي له الفداء- عينيه مرتحلاً إلى ربّه، وإذا بالأمة تتكاسل عن دعم وليّها ونصرته وتخلد إلى الدعة، فلم يأل الإمام جهداً في دعوتهم إلى نصرته، فما وجد إلاّ طريق الحرب مسلّكاً، ولما لم يجد له في هذا الدرب أنصاراً وأعضاءاً غير أهل بيته، وثلّة قليلة من خيرة الصحابة - والإسلام العزيز في أول بذره - وعلم أن قيامه بالسيف سيؤدي إلى إبادة أهل بيته وخيرة صحبه، وإلى إحاطة

(١) راجع: نفحات الأزهار، السيد علي الميلاني، ج ٦ ص ١٧، حيث نقل خطبة الغدير بطولها،

وراجع: الغدير، الشيخ الاميني ج ١ ص ٣١.

(٢) الغدير، الشيخ الأميني، ج ١ ص ٥١٠.

الخطر العظيم بالإسلام والقرآن والجهود المحمدية - وقد بذل النبي الأكرم ﷺ عمره القدسي كله لإقامة ذلك الصرح الإلهي العظيم - توقف الإمام عن منازلهم ومقارعتهم حتى جربت الأمة غيره - والبشرية طول تأريخها تأخذ العِظَات من التجارب المُرَّة ولا تُصغي لناصح أو مُرشد - ورأت مَن اغتصب مقامه بدون مؤهلات فيه - بل مع كثرة الموانع من تولّيه - أثره في المال، ومحابة للأرحام بلا كفاءة أو استحقاق، وتوليته للفساق الماجن المستهتر بأمر الأمة، وإخماله للعالم الورع التقي الغيور على الإسلام والحريص لأجل الفوز بالجنان في الآخرة، وتغييره أحكام الكتاب والسُّنة، واضطهاده لكبراء المسلمين وأفاضل الصحابة الكرام وعظمائهم، ومن أعظم ما وقع - بنظر بعض، والّا فاعظمها على الإطلاق ما جرى على آل محمد ﷺ من مظالم لم تجر على أية فئة أو أسرة في تأريخ الإسلام - تبذير الأموال، وتفضيل أفراد غير مستحقين بها، والأمة كلها تعيش تحت مستوى الفقر^(١) فانتفضت الأمة، وجرى ما جرى، وسارعت لتبايع أمير المؤمنين ﷺ فتمنّع عليها أولاً، ثم قام بالأمر، وأحسن الخلافة والسياسة، وساوى بين الناس جميعاً في العطاء، وما ترك مكرومة إلا وشادها، ولا رذيلة إلا ونكسها، غير أن الأمة نكثت بيعتها بعد أن حليت الدنيا في أعينها، وملّت الحروب التي أشعلها من سبهم^(٢) النبي ﷺ بالناكثين - الزبير وطلحة وعائشة وأتباعهم - والقاسطين - معاوية وأتباعه - والمارقين - الخوارج - فما ترى إلا متكاسل عن نصرة إمامه، أو متهالك على الرئاسة والزعامة، أو ساخط لعدل الإمام في عطائه، أو متحير عن قصد سبيله، وأما الأنصار والأوفياء الربانيون فقليل ما هم، حتى انتهت الأمور بأمر المؤمنين صلوات الله عليه

(١) راجع: لتفاصيل هذه الأحداث: كتاب الغدير، للشيخ الأميني، والنص والاجتهاد، للسيد عبد الحسين شرف الدين.

(٢) راجع: فضائل الخمسة، للفيروز آبادي، ج ٢ ص ٣٥٨.

إلى اضطراب كبير في أطراف دولته، وغيث المجرمين فساداً في أرجائها، واقتطاع أجزاء مهمة من بلاد المسلمين التابعة لحكومته، إلى أن آل الأمر إلى استشهاديه في محراب المسجد الأعظم في الكوفة، ولما تتحقق أهدافه كاملةً.

استلم قيادة الأمة الإسلامية وقام بالخلافة بعده ولده الإمام الحسن سبط رسول الله ﷺ، هذا الإمام العظيم الذي هضمت الأمة سابقاً حقّه، وجرى المتأخرون في مضمار من سبقهم فلا يذكرونه في جملة من تولّى الخلافة قبل الملك العضوض^(١) -ملك بني أمية- وهذا إن دلّ فانما على موازين الأمة وجهّة ولائها، فتغمض عين اهتمامها عن أهل بيت النبي المطهّرين، وتحتضن من زوى عنهم حقوقهم، وشمّر الساعد، وحشد الأنصار، في عداوتهم، ولاستئصالهم.

الإمام الحسن ﷺ لم يأخذ بزمام الخلافة الظاهرية إلا بطوعية تامّة من الناس فبايعوه على النصرة والطاعة، لكنهم ما لبثوا غير أيام قلائل حتى دبّ فيهم الوهن، وروح التواكل، وفتور الهمم، وتحاذلوا وتقاعسوا عن نصره الإمام، وتركوه لعدوّه، وغارات الطليق وشيعته مستمرة على الأطراف، يمعنون فيها قتلاً وهتكاً وسلباً حتى باعوا نساء المسلمين في الأسواق^(٢) وأعادوها جاهلية^(٣) بل تخجل الجاهلية من فعالهم، فما

(١) الملك العضوض: ملك بني أمية، إذ ورد عن النبي ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم الملك العضوض».

وفعلاً فإن نظام الحكم قد تغيّر منذ استلام معاوية لزمام الحكم، فاصبح على النهج الملكي، أي: تسليم المنصب الأعلى في الدولة للأبناء، فراجع لمصادر هذه العبارة: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، للسيد محمد بن عقيل، ص ١٩٠، ومنها: الإبهاج، ج ٢ ص ٣٦٧.

(٢) الغدير، الأميني ج ١ ص ٣١، عن الاستيعاب لابن عبد البر.

(٣) القرآن العزيز يقول: ﴿وَلَا تَرْجِعْ تَرْجُ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أي: هناك جاهلية ثانية، وهي التي عاشتها الأمة بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ وتعيشها إلى اليوم بسبب غياب القادة الحقيقيين للأمة - وهم من نصّ النبي ﷺ عليهم اسماً وصفة - عن مقام الخلافة.

رأى السبط غير ترك الخلافة بعد أن عزّ النصير، وقارب معاوية تحقيق آماله بالاستيلاء على عموم حواضر العالم الإسلامي، واعتقال الإمام وشيعته المخلصين، وتسيير الأمور وفق ما يشتهي، فصالحه الإمام السبط على شروط يُمكن من خلالها المحافظة على أصل الإسلام بل على عموميه، وكذلك المحافظة على البقية الباقية من رجالات المسلمين العقائديين، ريثما ترى الأمة من خذلت وعن جهاد من تقاعست.

فموقف الأمة عموماً وأهل الكوفة خصوصاً من النبي ﷺ وأمير المؤمنين والإمام الحسن السبط - ولا ننسى موقف الأمة المخزي من الزهراء البتول - صلوات الله عليهم أجمعين بمرأى من الإمام ومسمع، إذ كانت دولة الإسلام المترامية الأطراف بيد أبيه وأخيه، فسلب معاوية الطليق - الذي ما أسلم حتى فتح مكة، بل عير أباه إذ أسلم قبل الفتح بساعات، واتهمه بالجن - تلك الدولة التي بناها سيد المرسلين ﷺ خلال سنين طوال مليئة بالأحداث الجسام، وركب معاوية بالناس كل صعب وذلول، تهالكاً منه على الدنيا، والناس معه عليها عكوف.

خذلان أهل الكوفة بالخصوص للإمامين ﷺ من الواضحات، فما الذي جعل الإمام ﷺ يختار الطريق الذي مشى فيه، والذي انتهى به إلى تلك الفاجعة العظمى؟

فلنحاول استكناه جوهر الأحداث قدر ما يُمكن لنا، مع أننا لا نشك أن لثورته أسراراً غيبية سيكشفها الزمان شيئاً فشيئاً، كما كشف بعضها عبر السنين الخالية، وقد يكشف الولي الغائب إمام عصرنا عجل الله تعالى فرجه الشريف بعضاً منها، بل إنَّ قسماً منها سينكشف مغزاه يوم القيامة بعد العرض على المولى سبحانه حين لا محذور من رفع الحجب وتبيين حقائق الخلقة والتشريع كما هي، وبعد انقضاء زمن التكليف، فلا بد حينذاك من ظهور الحقائق كما هي، واتضح علل التكوين والتشريع.

وكيف كان، فالجواب عن هذا التساؤل المشروع جداً سيُتضح مما سنسرده في ثنايا

البحث.

قد يقال: أنّ كل ما قدمناه يزيد الإشكال تجذُّراً، ويُبقي التساؤل قائماً -بالإضافة إلى إشكال أصل قيام الثورة- عن الوجه في اختيار الكوفة منطلقاً لها، وحال أهلها ما قدمناه من مواقفهم الغادرة المعروفة حتى أصبحت سمةً لهم يُعرفون بها، ثم إنّ بعض الشخصيات^(١) المهمة أشارت على الإمام بالتوجّه إلى اليمن، فلم يرضِ الإمام ما أشارت به وأصر على التوجه إلى الكوفة.

أما مسألة التوجه إلى اليمن فإن الشبهة قد تنقذ بادي ذي بدء في الذهن، وتؤكد بعدما نعرف أنّ من طرحها على الإمام إنّما هو ابن الحنفية أو ابن عباس وكلاهما من الإخلاص للإمام بمكان، كما لهما من التجربة الاجتماعية، والمعرفة بالناس، ما لا يستهان به.

لكن هذا الطرح غير صحيح لوجوه:

أ- وهذا جواب عام: إن الإمام الحسين عليه السلام معصوم من الخطأ بالنصوص القطعية من القرآن والسنة، وعدم اختياره لليمن في حركته أمارّة على خطأ هذه الفكرة، وهذا واضح.

ب- إن اليمن دخلت في الإسلام - أيام النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله - على يد أمير المؤمنين، إذ أن النبي صلّى الله عليه وآله بعث خالد بن الوليد مع جماعةٍ لدعوة أهل تلك البلاد إلى الإسلام فلم يُفلح خالد ومن معه في قليل ولا كثير مع أن مدة مهمتهم هذه طالت قرابة الستة أشهر، فبعث النبي صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين لإنجاز المهمة، فقام الوصي عليه السلام بتلك المهمة ودخلت قبائل بأكملها في الإسلام خلال أيام، وتتابع انتشاره هناك بدون قتال، إلى إن عمّ الدين

(١) منهم: محمد بن الحنفية، أخو الإمام الحسين عليه السلام راجع: الملهوف، ص ١٢٨ وحياة الحسين عليه السلام

ج ٣ ص ٣١، وكذلك: ابن عباس، راجع: حياة الحسين عليه السلام ج ٣ ص ٢٦.

الجديد ارض اليمن.

فاليمن اعتنقت مع الإسلام ولاء علي عليه السلام، كما كان لها دور أيام خلافته في مكافحة مناهضيه في حروبه المختلفة، واستمر دورها معه وبعده في أمور مهمة جداً ليس هنا محل التعرض لها.

ولولاءهم العميق هذا لسيد الأوصياء جهّز معاوية جيشاً ضخماً أيام خلافة الوصي وأرسله من الشام إلى اليمن فدّمّر هذا الجيش مناطق عدّة، ثم لما بلغ اليمن فعَلَ الأفاعيل بأهلها حتى ذبح أطفالها وباع نسائها في الأسواق، وكل هذا لتشيّعهم لعلي عليه السلام، فتشيّع اليمن وولّاهم لعلي عليه السلام وانتهاجهم خطّه مما لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه، فإشارة من أشار على الإمام بالذهاب إلى اليمن، بلحاظ هذه التفاصيل كلها وغيرها، في محلها وقد أصابوا فيما به أشاروا.

ولكنّ الملاحظ: أنّ أهل اليمن لم يُرسلوا رسائل إلى الإمام، أو يتصلوا به بأي شكلٍ من الأشكال يدعونه فيها إلى المصير إليهم والسكنى عندهم. كما لم يلتمسوا منه مساعدتهم في التخلص من حُكم بني أمية، أو يعاهدوه على تأييده في حركته ودعم نهضته، وإسناد عدم مبايعته ليزيد.

وباختصار: لم يتحرك منهم ساكن في محنة الإمام هذه، فما الذي جرى لهم؟

وللجواب عن هذا:

أ- إن بعض قبائل اليمن الموالية للإمام الوصي عليه السلام، قد انتقلت في سكنائها من اليمن إلى الكوفة أيام حكم الوصي عليه السلام.

ب- إن الضربة التي وُجّهت إلى اليمن أيام حكم الوصي، والإسلوب القمعي الذي اتبعه معاوية أيام حكمه مع مناطق العالم الإسلامي عامة، والمناطق الموالية للإمام

الوصي ﷺ خاصة، أوجعا أهل اليمن، وأدّيا إلى تبديد قوتهم، وتشيت شملهم، وإخراجهم من ساحة الصراع.

ج- إنّ في الكوفة خصائص لا تتوفر في اليمن، تجعل الإمام ﷺ لا يُقدّم أية منطقة عليها - مع ملاحظة أهدافه في حركته-.

فَعَدَمُ تواصل أهل اليمن مع حركة سيد الشهداء يَصْلُحُ سبباً لعدم الالتفات إلى اليمن، ولعدم التوجه إليها، إذ لا اعتماد عليها في حماية الإمام وضمان سلامته، وتقوية حركته.

وأمر آخر: إنّ هدف المشيرين على الإمام بالذهاب إلى اليمن إذا كان لحماية الإمام ودفع خطر الدولة عنه من اغتيال ونحوه.

فان هذا النظر خاطئ، لأن اليمن لا تعصم الإمام من هذه الجهة إذ أن جيوش بني أمية كان بإمكانها الوصول بسهولة إلى اليمن وتدميرها، كما حصل أيام معاوية من الجيش الذي قاده بُسر بن أرطاة إذ دمر قبائل اليمن تدميراً.

فاليمن التي لم تكن قوتها كافية لتحمي نفسها، وكانت يومها تحت حكم الوصي، كيف تحمي الإمام في هذا اليوم، ولو اعتصم الإمام بها لجّهزت الفئة الحاكمة له جيشاً هائلاً، ووصلت إلى نفس النتائج.

هذا كله، مع أن الأهم في الملاحظة خصوصية الكوفة، وجوانب تفضيلها على بقية البقاع في الحركة الحسينية، ويُمكن ذكر ما يلي:

١- ان مجرد إعلان أهل الكوفة إستعدادهم لمعاودة الإمام ﷺ ومناصرته إلى حين تحقيق أهدافه التي هي في نفس الوقت هدف لهم، خصوصاً ما كان يتعلق منها بإزاحة الفئة المتسلّطة على الحكم والتي عانى منها أهل الكوفة مختلف صنوف الامتهان

والاذلال، هو أمرٌ مهم جداً في حد ذاته فإن توجه الإمام لهذه البلدة واعتماده على أهلها يصبح أمراً منطقياً.

٢- طول فترة إبداء أهل الكوفة لاستعدادهم، فقد بدأ هذا الإبداء والاعلان للاستعداد عند البعض من الكوفيين منذ صلح الإمام الحسن، والبعض الآخر منذ استشهاد الإمام الحسن عليه السلام أي قبل نهضة الإمام الحسين بعشر سنوات، وجمع آخر عند هلاك معاوية، وهكذا..

٣- أدى اختيار أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة كعاصمة له - وليس من الواضح فعلاً إن اتخاذه لها كعاصمة كان بشكل مؤقت، وذلك للبقاء على مقربة من معاوية رأس الفتن كلها في عهد أمير المؤمنين، أم كان الاتخاذ بشكل دائم لمصالح في البين - إلى تجمع محبيّه وشيعته وأنصاره فيها، بالإضافة إلى من هو من أهلها أصلاً، وهذا يرجح ولا ريب كفة الكوفة عند المفاضلة بينها وبين غيرها كمرکز لإعلان الثورة على بني أمية.

٤- إن السبب المحتمل لاختيار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة كعاصمة له - وهو الكون على مقربة من مقر الحكم الأموي، لتوجيه الضربات المتتالية لمعاوية، لشل حركته ولإسقاط حكمه - هو بنفسه السبب لاختيار الإمام الحسين عليه السلام لها كمرکز لمحاربة السلطة الأموية بغية إسقاطها.

ومن الملفت للنظر إن الإمام المهدي عليه السلام سيختار الكوفة أيضاً مقراً لحكمه، وسيكون في دمشق في الفترة المتزامنة مع ظهوره عليه السلام رجل من نسل معاوية يحكمها، ويحتوي إهابه على نفس جوهر الذات الخبيثة التي تتوفر في معاوية ويزيد، ويدعى بالسفياني.

٥- إن الظلم الأشدّ حصل من طرف بني أمية تجاه الكوفة بشكل خاص، فقد عانى الكوفيون من إجرام معاوية وولّاته بما لا نسبة فيه مع مقدار معاناة أهل بقية

أقطار العالم الإسلامي، ولذلك كاتبوا الإمام سنين كثيرة، واستنهضوه وعاهدوه على الاستماتة في سبيله، فكان من الطبيعي أن يُقدِّم الإمام اختياره للكوفة على غيرها. إنَّ هناك أمر ينبغي الالتفات إليه جيداً، وهو أنَّ الكوفة بقدر ما عُرف عنها من غدرٍ ونكول عن الالتزام بالوعود والعهود- وهذا له مصاديق كثيرة، منها: مع الإمام الوصي، ومنها: مع الإمام الحسن، ومنها: مع مسلم، ومنها: مع سيد الشهداء الحسين، ومنها: مع التوابين، ومنها: مع زيد بن علي، وغيرهم- إلَّا أنَّها مدينة دائمة الثورة والفوران، وقد لقي منها الطرف الآخر من أهل الحكم صِداً دائماً وأرْقاً، وعاملها البعض منهم بالحديد والنار.

هذا عمر يقول: غلبني أهل الكوفة، أستعمل عليهم المؤمن فيضعف، واستعمل عليهم الفاجر فيفجر^(١).

وهذا عثمان: تحرَّك ضده أهل الكوفة بعدما ضربوا صاحب شرطته عليهم، وساروا إليه - عثمان - منهم: مالك الأشتر، وكميل بن زياد، وجندب، وصعصعة بن صوحان، وزيد بن صوحان، وآخرون، فوجَّه عثمان إلى واليه أمراً بما يُشغل هؤلاء ويبعدهم عن الكوفة، فلما قدموا الشام، قال لهم معاوية:

إنَّكم قدِمتم بلدًا لا يعرف أهله إلَّا الطاعة، فلا تجادلوهم فتدخلوا الشكَّ قلوبهم. فأجابه الأشتر: إنَّ الله قد أخذ على العلماء مَوْثِقاً أن يبينوا علمهم للناس، فإن سألنا سائل عن شيء نَعْلَمُهُ، لم نَكْتُمُهُ.

فقال معاوية: قد خفت أن تكونوا مرصدين للفتنة، فحبسه^(٢).

ولم يقتصر حال الكوفة على هذا أيام عمر وعثمان ومعاوية والحجاج وغيرهم، بل

(١) النصائح الكافية لمن يتولَّى معاوية، للسيد محمد بن عقيل، ص ٢١٠.

(٢) تأريخ المدينة المنورة، ج ٣ ص ١١٤١.

هي كذلك إلى اليوم، أرق دائم وصداق لكل من يتولّى حكمها من الطرف الثاني. إننا لا نغفل معصومية الإمام صلوات الله عليه في اختياره، ولا نغفل حقيقة توفّر سبب غيبيّ أو توجيه ربّاني مؤثر في حركة المعصوم، إلّا أن هذا لا يُمكن اعتماده كقاعدة في تفسير تحركات المعصوم وكيفية إدارته لشؤون الأمة واحتياجاتها، بل العكس هو الصحيح بعدما كان أهل العصمة أعلام هداية، وبعدها كان عملهم أمانة تكليف بالنسبة لنا كقولهم وتقريرهم، فلا بدّ -دائماً- من البحث عن النصوص والقرائن الصالحة لتفسير قول المعصوم وفعله وتقريره، للاستئناس بهدي توجيهه، ولا تباعه في عقيدتنا وسلوكنا، كي نُبرئ ذمتنا، ونسعد في حياتنا، ونرتكب الصواب المؤدي إلى رضا المولى سبحانه بغضّ النظر عن نتائج العمل الفعلية، كما أننا لا ندّعي الإحاطة بأسرار حركة المعصوم وعللها - وأتّى لنا ذلك أو لغيرنا- وإنما علينا إلقاء دلونا في الدلاء، للمشاركة قدر ما يتهيأ لنا في خدمة هذا النهج، وفي إحياء أمر أهل البيت صلوات الله عليهم وسلامه، والتوفيق من المولى جلّ وعلا.

نقطة ابتداء الأحداث، والسبب الأول للثورة:

تحرّك أهل الكوفة بعد شهادة الإمام الحسن السبط عليه السلام، ذكر الشيخ المفيد عن جمع: أنه لما مات الحسن بن علي عليه السلام تحرّكت الشيعة بالعراق وكتبوا إلى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة فإن مات معاوية نظر في ذلك^(١).

يظهر من ابتداء الشيخ المفيد رحمته الله بيانه حول نهضة الإمام بما تقدّم إن أول نقطة تبتدأ

(١) الشيخ المفيد، الإرشاد ج٢ ص ٣٢، وذكر جمع سبب طلب أهل الكوفة من الإمام النهضة كعلة لحركته عليه السلام ومَن تعرّض له: السيد محمد الصدر، في كتابه: اليوم الموعود، ص ٦١٨.

منها الحركة الحسينية هي هذه بنظره الشريف.

والذي نستقر به أن اعتبار هذه الخطوة هي الأولى في مسيرة الحركة الحسينية له ما يبرره، غير أنها على نحو الأول الإضافي لا الحقيقي، إذ يُمكن جعل أمور أخرى نقطة لابتداء الأحداث، منها:

صلح الإمام الحسن عليه السلام، بل استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام

ويمكن اعتبار الخطوة الأولى المباشرة هي هلاك معاوية، وما استتبع هذا من هيجان للناس، ورغبة عندهم في استباق الأحداث قبل أن يعتلي يزيد دست الحكم، أو يستقرّ عليه.

إننا لا نملك نصاً ينسب البادرة الأولى إلى الإمام عليه السلام وإن كان عدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود، وعدم المثبت لا يدلّ على عدم الحصول، خصوصاً مع معتقداتنا في المعصومين، وما قد يحصل لنا من يقين، بسبب تراكم شواهد وقرائن متعددة، بوجود تحرك معيّن لهم عليهم السلام في تلك الظروف العصيبة المصيرية من تأريخ الإسلام والمسلمين. فالمانع لسيد الشهداء عن الاستجابة لمقترحات الشيعة في العراق بخلع معاوية والبيعة له إنما هو لوجود عهدٍ وعقدٍ بينه وبين معاوية لا يُمكن نقضه شرعاً، فإن مات معاوية فقد تحلّل الإمام من عهده، وكان له النظر في بيعة أهل الكوفة له.

ويظهر: أنّ بموت معاوية، واستمرارية أهل الكوفة على موقفهم في معاضدة الإمام، وإصرارهم على بيعته ونصرته حتى تتحقق أهدافه المقدسة، فإنّ هذا يوجب على الإمام القبول وترتيب الأثر^(١)، وهذا له أمثال في مواقف أهل العصمة، من قبل الحسين، ونصوص معاضدة له من بعد عَصْرِهِ، ويمكن استنباط قاعدة كلية في هذا

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٦٩ عن ابن نما: إن سبب عدم رجوع الإمام، وعده لأهل الكوفة.

المجال، بأنّه:

«مع مُعَاهَدَةِ النَّاسِ الْجَدِيَّةِ عَلَى مُعَاوَضَةِ الْمُعْصُومِ، وَكَانَ بِهِمُ الْكَفَايَةُ، وَجِبَ عَلَى الْمُعْصُومِ النَّهْضَةُ، مَعَ عَدَمِ مَزَاحِمَةِ تَكْلِيفِ آخَرٍ فِي الْبَيْنِ».

فإذن السبب الأول للنهضة هو: تحرك الشيعة في العراق، ومعاهدتهم الجديدة للمعصوم على نصره، وتحقيق الكفاية بهم، وليس من محذور آخر واضح في البين، بل الدواعي متوفرة على لزوم النهضة واستغلال الفرصة لأقصى حد.

وما تقدّم: مجيب لبعض الشيء على التساؤل المتقدم في علة استجابة الإمام ﷺ لنداء أهل الكوفة، وترتيبه الأثر عليه، وفي وجه اتخاذه الكوفة منطلقاً للثورة، وما يكمل الصورة واضحة يأتي إن شاء الله تعالى.

هذا وقد كتب جعدة بن هبيرة^(١) - وهو ابن عمّة الإمام الحسين، وكان من أخلص الناس له على حدّ تعبير الشيخ القرشي - بعد اجتماع الشيعة عنده، والخاص بهم عليه، لغرض الكتابة للإمام لدعوته للثورة:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ مَنْ قَبَلَنَا مِنْ شِيعَتِكَ مُتَطَلِّعَةً أَنْفُسُهُمْ إِلَيْكَ لَا يَعْدِلُونَ بِكَ أَحَدًا، وَقَدْ كَانُوا عَرَفُوا رَأْيَ الْحَسَنِ أَخِيكَ فِي الْحَرْبِ، وَعَرَفُوكَ بِاللِّينِ لِأَوْلِيائِكَ، وَالْغِلْظَةِ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَالشَّدَّةِ فِي أَمْرِ اللَّهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَحِبُّ أَنْ تَطْلُبَ هَذَا الْأَمْرَ فَاقْدِمِ عَلَيْنَا، فَقَدْ وَطَّنَا أَنْفُسَنَا عَلَى الْمَوْتِ مَعَكَ.

فأجابه الإمام ﷺ على ما روي:

«أَمَّا أَخِي فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ وَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ، وَأَمَّا أَنَا فَلَيْسَ رَأْيِي الْيَوْمَ ذَاكَ، فَالْصُّقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ بِالْأَرْضِ، وَاكْمِنُوا فِي الْبُيُوتِ، وَاحْتَرِسُوا مِنَ الظَّنَّةِ، مَا دَامَ مُعَاوِيَةُ

(١) عن الأخبار الطوال وأنساب الأشراف.

حيّاً، فإن يُحدث الله به حدثاً وأنا حيّ كتبت إليكم برأيي، والسلام».

يرى الشيخ القرشي: إنّ سرّ هذا لعلم الإمام بفشل الثورة، فإن إمكانات معاوية تسهّل له إخراج الثورة من إطارها الإسلامي إلى حركة متمردة^(١).

أقول: لعل السر هو وجود العهد بين الإمام ومعاوية، وإلّا فمع تهيؤ إمكانات النصر للإمام فلا يهّم ما سيصوّره معاوية وينشره حول ثورة الإمام، لأن الإمام سينتصر بالتالي، أو سيدوّي صوته في الإرجاء، ويصحح نظرة الأمة حول ثورته.

ورجّح الشيخ القرشي: إنّ رسالة جعدة هذه صدرت أيام زياد الذي سمل عيون الشيعة وصلبهم على جذع النخل ودّمّهم تدميراً ساحقاً^(٢).

وقد ذكرنا: إن استجابة الإمام لنداء أهل الكوفة واستغاثتهم، فليعلّة توفر الأنصار وكفائتهم، ولهذه الاستجابة أمثال: فمنها:

- ١- إن الإمام الحسن السبط عليه السلام لم يخرج إلى الناس لأخذ بيعتهم بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع أنه الإمام المعصوم والخليفة عن رسول الله بالنص إلّا بعد عرض الأمر على الناس وإعراب الحاضرين عن رغبتهم في مبايعة الإمام^(٣).
- ٢- إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد خذلان الناس له يوم السقيفة - وكان قد دعاهم إلى نصرته وأكد هذا عليهم وحاول ما حاول فلمّا يؤس من نصرهم ومؤازرتهم إلّا من نفر قليل دون الحد الأدنى المطلوب لتحقيق النصر والهدف - اعتزل الحياة العامة بعض الشيء، لكنّه بعد مقتل عثمان واثيال الناس عليه وإصرارهم على مبايعته^(٤)، حاول أمراً

(١) الشيخ القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام ج ٢ ص ٢٣٠.

(٢) الشيخ القرشي، حياة الإمام الحسين عليه السلام ج ٢ ص ٢٣٠.

(٣) مسند الإمام المجتبى، العطاردي، ص ٢٦٧ وما بعدها.

(٤) السيد الرضي. نهج البلاغة، الخطبة ٣، الخطبة ٢٢٩.

غير هذا، ولعلّه لمعرفة تصميمهم وإصرارهم - فلما رأى منهم العزم والحزم في تأييده نهض بالأمر، وحمل لواء الخلافة الظاهرية.

٣- ولعلّ مبايعة الأنصار للنبي الأكرم ﷺ حين كان بمكة بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية ودعوتهم إياه إلى ديارهم ومعاهدتهم إياه على نصرته وحمايته من أعدائه ضمن هذا السياق، ممّا أدّى بالنبي ﷺ إلى دعوة المسلمين إلى الهجرة إلى حيث المأمن والمستقر - يثرب - ثم مهاجرته بنفسه المقدسة، وبدئه ببناء كيان الدولة الإسلامية، وشرّعه بتخطيم معاقل الشرك والوثنية بل الكفر عموماً.

وكذلك الحال في بيعة الرضوان، إذ مبايعة المسلمين للنبي ﷺ تفسح المجال له ﷺ في اتخاذ تدابير حاسمة ضد أعداء الدين، وفي العمل لهدّ معاقلهم وكيانهم.

ولعل سر أخذ البيعة والمعاهدة إنما هو هذا، فالبيعة لا تكون السبب في تأهيل أهل العصمة^(١) لمقاماتهم، ولقيادتهم للإسلام والمسلمين، ولا اعتلاء مقام الإمامة، ولا لتسليم ولاية الأمر أو الخلافة الظاهرية، وباختصار لا سببية فيها لأيّ منصب من مناصبهم أبداً، فهذا أمرٌ استحقّوه بتعيين الله سبحانه لهم فيه، وبتبليغ النبي الأكرم ﷺ بالنص القطعيّ الواضح، لمكان ملكاتهم وطهارتهم وتفرّدهم عن عموم أفراد الجنس البشري بمراتب من الإيمان والقرب من المولى سبحانه لا نظير لها، أنتجت إفاضة المولى عليهم مواهب خاصّة ميّزتهم عن عامّة الخلق، وسهّلت لهم أمر قيامهم بخلافة الله في أرضه، بل الأولى الاعتراف بالعجز عن الإحاطة بخصائصهم بعدما ورد في حقهم ما ورد في كتب عامة المسلمين، ومن طرق أوليائهم وأعدائهم على السواء ما يُخضع الأعناق.

(١) راجع لمعنى البيعة ما ذكره الشهيد المطهري في الملحمة الحسينية ج ٣ ص ١٠٦، وراجع أيضاً: دراسات في ولاية الفقيه، للشيخ المنتظري ج ١ ص ٥٢٣، وكتاب: المرجعية والقيادة، للسيد كاظم الحائري، ص ٧٢.

إنما البيعة إذا تمت، والمعاهدة على النصرة لو تحققت، والاستماتة في سبيل المعصوم وأهدافه، وإعلان الإطاعة التامة لأوامره، تُلزم المعصوم بالقيام بالأمر وتحتّم عليه الاستجابة، وما كان الله ليذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة.

ومن المعلوم: أنّ النهضة، واستلام الأمر، وتحكيم الشريعة في مسرح الحياة، هي من أولويات أهداف المعصومين عليه السلام، وهم والناس مأمورون بالتعااض لتنفيذها، كما أن الأئمة عليهم السلام في دعوة دائمة للناس إليها، لكن لما جرت الأحداث في المجتمع الإسلامي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بالشكل الذي حصل، وتَقَاعَسَ^(١) الناس عن أهل البيت عليهم السلام، لم يتصدّ الأئمة مباشرة للدعوة لنصرتهم - إلاّ فيما قلّ - لأن أمارات الفشل لائحة، لكن لو أعلنت الأمة معاهدتهم ومساندتهم وطاعتها المطلقة لهم، فإن تصدي الأئمة للقيادة لازم، واستلامهم لزمام الخلافة الظاهرية متعين.

في نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه وسلامه:

«فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو لا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء، أن لا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، وسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عفطة عنز»^(٢).

ومما قاله أحد شيوخ عشائر الكوفة وهو عبد الله بن الحصين الأزدي للإمام الشهيد صلوات الله عليه:

(١) راجع حول هذه النقطة من النهضة الحسينية ما كتبه الشهيد المطهري في الملحمة الحسينية ج ٢ ص ٢٣٦.

(٢) نهج البلاغة: تحقيق صبحي الصالح، الخطبة الشقشقية ص ٥٠.

يا حسين سنشكوك إلى الله تعالى يوم القيامة إذا لم تُلبّ طلبنا^(١).
 فبورود الرسائل إلى سيد الشهداء عليه السلام تستصرخه وتعهده على النصرة لزم على
 الإمام عليه السلام الاستجابة وتولي الأمر والنهضة بمن معه.
 وقد نقل عن الإمام عليه السلام إجابته للطرماع حين ذكر له بأن في طي عشرين ألفاً يدفعون
 عنه إن لجأ إليهم: بأن بينه وبين أهل الكوفة عهداً لا يستطيع مخالفته^(٢).
 هذا ما كان من أمر السبب الأول من أسباب إعلان الثورة الحسينية المباركة وهو:
 معاهدة الناس للمعصوم على النصرة، فلزم القيام وإعلان الثورة.
 السبب الثاني: الإمتناع من البيعة^(٣)

عن سيد الشهداء عليه السلام: «والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايَعْتُ يزيد بن
 معاوية أبداً»^(٤).

وعنه عليه السلام قوله يوم الطف: «أما والله لا أُجيبهم إلى شيءٍ مما يريدون حتى ألقى الله

(١) الشيخ القرشي. حياة الإمام الحسين عليه السلام ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) بحار الأنوار، للشيخ المجلسي، ج ٤ ص ٣٦٩، وحياة الحسين عليه السلام الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٨٥، ولاحظ: مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم ص ١٨٧، إذ نقل عن الإمام عليه السلام قوله للطرماع: «ان بيننا وبين القوم عهداً وميثاقاً ولسنا نقدر على الانصراف حتى تصرف بنا وبهم الامور في عاقبة».

(٣) يؤكد الشهيد المطهري على مسألة رفض البيعة كعامل أساس في إنطلاق الحركة الحسينية، وينفي مدخلة دعوة الناس للإمام، بحجة أن حصولها بعد رفض الإمام للبيعة بشهرين، وتأكيده على أن دعوة أهل الكوفة مُسَبَّبة عن رفض الإمام للبيعة، ويقول أن رفض البيعة اعطى للحركة أهميتها، ويؤكد على أن الإمام رفض البيعة لتخوفه من تحول الخلافة إلى كسروية.

راجع الملحمة الحسينية، له: ج ١ ص ٢٢، ج ٢ ص ٣٠ - ٣٢، ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

اقول: إنها رفض الإمام البيعة لتوفر الأنصار، ولمعاهدتهم على الطاعة، كما أن تخوفه من تحولها إلى كسروية، وانحصار رفض البيعة بهذا يفتقر إلى دليل.

(٤) معالم المدرستين ج ٣ ص ٣٠٢.

وأنا مخضّب بدمي»^(١).

لَمْ لَا يَبَايِعُ سَيِّدَ الشَّهَدَاءِ وَقَدْ نُقِلَ مَبَايِعَةُ الْإِمَامِينَ قَبْلَهُ لِمَنْ اسْتَحْوِذَ عَلَى مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَلْ مَبَايِعَةُ عَمُومِ الْأُئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَنْ تَرَأَسَ فِي زَمَانِهِمْ.

ورد عن مولانا صاحب العصر المهدي ﷺ: «إنَّه لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَدْ وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لَطَاقِيَّةٌ زَمَانُهُ، وَإِنِّي أَخْرَجْتُ حِينَ أَخْرَجْتُ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاعِيتِ فِي عُنُقِي»^(٢).

ثم ما علة أن يبايع سيد الشهداء لمعاوية، ويمتنع عن المبايعة ليزيد، حتى مع تأدية هذا الامتناع إلى دفع الإمام حياته المقدسة في قبالة؟

والجواب: فرق شاسع طبعاً بين من يتولى الخلافة ويتظاهر بالالتزام ببعض المظاهر الدينية، ويحافظ بعض الشيء على مقدسات المسلمين، ولا يُلقِي جَلْبَابَ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَتَجَاهَرُ بِالْكَفْرِ وَالزُّنْدَقَةِ وَالْمَعَاصِي الْكَبِيرَةِ أَمَامَ الْمَلَأِ، وبين من لا يكون مسلكه هذا.

فرق كبير بين الحاكم الذي يكتفي بكسر شوكة المعارضة، وبين من يحاول سحق شخصيتها، بكل ما تعنيه كلمة السَّحْق من أبعاد.

ولو ألقينا نظرة على سيرة يزيد وطريقة حكمه وحكم ولاته لرأينا انطباق الشكل الثاني من إشكال الحاكم عليه بألْعَنِ صُورِهِ.

فعن الإمام ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ الدَّعِيَّ بْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكُزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ، بَيْنَ السِّلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَهِيَهَاتَ مَنَا الذِّلَّةِ، يَا أَبَى اللَّهِ لَنَا ذَلِكَ، وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ، وَحُجُورُ طَابَتْ وَطْهُرَتْ، وَانُوفٌ حَمِيَّةٌ، وَنُفُوسٌ أَبِيَّةٌ، مِنْ أَنْ تُؤْثِرَ طَاعَةُ اللَّئَامِ عَلَى مَصَارِعِ الْكِرَامِ»^(٣).

(١) مقتل الحسين ﷺ، السيد محمد بحر العلوم، ص ٣٦.

(٢) الاحتجاج، ج ٢ ص ٥٤٤، والبحار ج ٤ ص ١٢.

(٣) معالم المدرستين، السيد العسكري، ج ٣ ص ١٠١.

وعنه عليه السلام: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد» ^(١).

ونرقب طريقة ابتداء يزيد لعهدده، فقد بعث لوالي المدينة بلزوم أخذه للبيعة من الإمام أو قتله.

وكذلك طريقة معالجته لثورة أهل المدينة، وثورة ابن الزبير، وطريقة تعامله مع ثقل آل محمد في كربلاء حيث أخذهم أسرى، وعاملهم أشدّ المعاملة وأساءها ابتداءً من قطع المياه عنهم، وقتل أطفالهم في ساحة المعركة، ثمّ تسييرهم من بعد إلى الكوفة فالشام.

وأما ما حصل من مراعاة جانبهم عند سفرهم من الشام إلى المدينة فهذا كان بتصرّف شخصي من أحد الحرس دون اهتمام حقيقي من يزيد، إلى غيرها من الوقائع التي يُستكشف منها نفسيّة هذا الأموي، وتوجهاته الفكرية والسلوكية.

فمعاوية يمثل مرتبةً عاليةً من مراتب الحاكم الظالم المفسد الكافر إلى حدّ بعيد، ويزيد يمثل المرتبة الأعلى، فهو أظلم وأفجر وأكفر من والده بمراتب، وفجوره وخلاعه لا تُقاس بفجور والده، ولذلك رفض الإمام عليه السلام مبايعته مهما تكن النتائج المترتبة على امتناعه ^(٢).

فعن الإمام أنه خاطب والي المدينة حين امتنع عن البيعة:

«إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٩٨.

(٢) في إيضاح لقادة وقعة الحرة حين خرجوا على يزيد بعد استشهاد الإمام عليه السلام: «إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويدع الصلاة، ويعزف الطنابير، وتضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخزّاب والفتيان، وإنا نشهدكم إنا قد خلعناه». فراجع: جهاد الإمام السجاد عليه السلام للجلالي ص ٧٥، عن عدة من المصادر.

الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن الفسق، ليس له هذه المنزلة، ومثلي لا يُباع مثله»^(١).

وبلغ من فجور هذا الرجل - يزيد - وسفالته وانحطاطه وخروجه عن الخط الإسلامي بشكل لا شبهة فيه أنه قد تبرأ منه جمهور المسلمين - من أهل السّنة - وهم المعروفون بموالاة عموم الخلفاء والولاة الذين استولوا على زمام الأمور في بلاد المسلمين وبالاهتمام بتبرير جنایاتهم وإن بلغوا ما بلغوا ظلماً وتجبراً وجهلاً وفسقاً وتجاهراً بالعظائم، ولا زالوا على هذا في الجملة - وإن وُجد منهم سابقاً ولاحقاً من لم يقرّهم على مبناهم هذا ودفعته غيرته وحميته على الدين المحمدي الخاتم إلى نبذ هذه المباني وما يتفرّع عنها - ومع مسلك الجمهور هذا إلاّ إنهم تبرأوا من يزيد وفعاله التي هي وصمة عار وإلى الأبد في جبين من ارتضاه، وتحير البعض في تبرير أعماله حتى أتى وتفوّه بالمخازي، ومن رضي عمل قوم عدّ منهم، وحُشر معهم، وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

ثم ألقي بصرک إلى الصيغة التي طرحها من يمثل ابن زياد في ساحة المعركة على الإمام: فإنّما النزول على حكم ابن زياد، أو القتل.

ومع أن الإمام عليه السلام قد طرح عليهم - على ما روي^(٢) - استعداداً للرجوع، أو الذهاب إلى أماكن بعيدة في العالم الإسلامي، إلاّ أنهم لم يرتضوا منه إلاّ الاستسلام بتلك الصيغة المهينة، وهيئات.

فالإمام - صلوات الله وسلامه عليه - كان قد صمّم على عدم البيعة، لما في يزيد من تهتّك واضح، وتجاهرٍ بعظائم المعاصي، ولما في أسلوب يزيد في التعامل مع رجالات

(١) الملهوف، السيد ابن طاووس، ص ٩٨.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٢٨.

المسلمين عموماً، ومع الحسين بالخصوص، من إرادة للإذلال وتحطيم للشخصية، وهذا له آثار ونتائج وخيمة إن سكت الحسين عنها وخضع وباع، غير أنه ﷺ ذكر:

«وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»^(١).
فترك البيعة كان من الأمور التي لا محيص عنها، لكن تركها أدى إلى قرار السلطة القطعي بقتله، وهذا أدى إلى اتخاذه ﷺ لقراره بالدفاع عن نفسه المقدسة^(٢) وعن حرمة أهل البيت النبوي الطاهر، وما يمثله من معانٍ ومثُل، وعن أهدافه المقدسة العليا، والتي تطلبت منه الاستناد إلى أنصار، وتوفير الأنصار من أهل الكوفة وغيرهم جعل التوجه إليهم أمراً مؤكداً.

ومما ذكره الشيخ القرشي^(٣) من سبب لرفض البيعة:

إن الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، الطلقاء وأبناء الطلقاء - كما عن الإمام ﷺ - .
الخلافة محرمة على جميع الأمة ولا تصلح إلا لآل محمد الأطهار، ولا تصح مسيرتها إلا بهم، بجعل وتنصيب من الله سبحانه وتبليغ من رسول الله ﷺ، هذا مع حضورهم وظهورهم، ومع غيبتهم كما هو حال عصرنا، فهذا له شأن آخر وبيان آخر يختص به.
لكن حتى لو جاز لغيرهم تولي هذا الأمر - افتراضاً، أو في مثل زمن الغيبة - فإن

(١) الملهوف ص ١٥٦، والحسين ﷺ للجلالي باختلاف يسير بينها، ومعالم المدرستين ج ٣

ص ١٠١، وحياة الحسين ﷺ للقرشي ج ٣ ص ١٩٣ عن ابن عساكر.

كما أن رسالة ابن زياد للإمام فيها شاهد على إرادة المجرم لإذلال الإمام، وهو ما لا يرتضيه الإمام ﷺ أبداً، فراجع: حياة الحسين ﷺ، للقرشي ج ٣ ص ١٠٢.

(٢) التزم السيد القائد الخامنئي: بأن موقف الإمام ﷺ من الجهاد الدفاعي، فراجع: العدد ٨ ص ١٤ من مجلة فقه أهل البيت ﷺ.

(٣) حياة الإمام الحسين ﷺ للقرشي، ج ٢ ص ٢٥٧.

آل أبي سفيان وبقية الطلقاء وأبناءهم من أبعد الناس عن تولي الخلافة، إذ لم يُسلموا عن طوعية أبداً بل أُصروا على كفرهم حتى إلقاء القبض عليهم، وتمّ استعبادهم بحسب قانون الحرب الإسلامي، ثم أصدر النبي الأكرم ﷺ قراره بالعفو عنهم وإطلاقهم، ومن بعدها أسلموا خوفاً ورهبة، أو طمعاً لجر المغانم، أو للكيد للإسلام وأهله من داخل كيانه، فكيف يصلح هؤلاء لتولي مقاليد الأمور وكيف يَرشَحُ عنهم الدفاع عن حياض الإسلام، وعن أهلهم، والقيام بإعلاء شأنه، وإعزاز اسمه، ونشر دعوته وأحكامه. وطرح الشيخ محمد اليزدي: أنه حتى لو سُمح للإمام بالرجوع، فإنه لن يُبايع، ولن يسكت^(١).

ونقول: إن هذا يحتاج إلى دليل يُثبت ويؤكد، وسيرة أئمة الهدى قائمة على إعطاء البيعة مع عدم وجود ناصرٍ، وتوفر خطر عظيم متوجّه من طرف السلطة الظالمة لآل البيت النبوي، فهذا التوجيه للشيخ اليزدي خلاف القاعدة، فلا بدّ من مُثبتٍ وهو مفقود ظاهراً، والإمام أُصرّ على عدم البيعة لتوفر الناصر، ثم فَقَدَ الناصر مع خطرٍ عظيمٍ متوجّهٍ إلى الإمام من السلطة الظالمة، فما الذي يمنع منها، والتكليف الإلهي في مثل هذه الموارد هو التزام التقية، وهم صلوات الله عليهم أطوع الناس لأمر الله، ومقتضى التقية والضرورة هنا مبايعة الظالم إلى إن تنجلي الغمة.

هذا مع التأكيد على أنّهم لم يعرضوا عليه البيعة، من بعد خروجه من مكة، بل قبلها، وهذا أحدهم يقول له: «أولا تنزل على حكم بني عمّك فإنهم لن يُروك إلا ما تحب». فأجابه ﷺ: «أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم، لا والله لا أعطيك بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ قرار العبيد» - ولعل هذا إشارةً إلى غدرهم بمسلم بعدما آمنوه ثم قتلوه -.

(١) الحسين بن علي نحو معرفة أفضل، للشيخ محمد اليزدي، ص ١٦١ هـ.

ما نُريد قوله بالنتيجة: إنّ عدم البيعة معلول لشيءٍ آخر هو السبب في النهضة الحسينية، لا أن النهضة معلولة لعدم البيعة إذ لولا ذلك لما تحرّك الإمام ضد السلطة الفاجرة كحال من تقدّمه و من تأخّر عنه من أهل العصمة عليهم السلام.

السبب الثالث: «التشيع في خطر».

إن ترك الإمام الاستجابة لنداء أهل الكوفة واستصراخهم واستغاثاتهم يعرّض التشيع في أهم قواعده للخطر العظيم، وهو لما يزل طريّ العود كالإسلام نفسه، والضربات القاصمة المهلكة تتوالى عليه.

فقاعدة آل محمد والتي تضم أنصارهم وشيعتهم هي في العراق، وفي الكوفة على نحوٍ أخص، وهذه القاعدة نمت وترعرعت على يد سيد الأوصياء الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام أيام حكمه بعد ما اتخذ الكوفة عاصمةً ومقرّاً لخلافته الرشيدة.

وهذا الرأي - أي نموّ التشيع في الكوفة، وبالنتيجة في خصوص العراق من أطراف العالم الإسلامي وحواضره على يد الإمام علي عليه السلام هو الصحيح والثابت تاريخياً بل من الواضحات -.

فما يحاوله بعض محرّفي التاريخ وأدعياء القومية والمرجفين، من إشاعة أنّ التشيع إنّما دخل العراق من جهة إيران أيام الحكم البويهي والصفوي فمن المضحكات، والعكس هو الصحيح تماماً^(١).

إذ تَغْلَغَلَ التشيع وسرى في أنحاء إيران من العراق عدّة مرّات، حتى استولى على كلّ أطرافها تقريباً، ومنها:

أ- حملات التسفير والتهجير التي قام بها حكام الكوفة، منها: تهجير خمسين ألف

(١) للاطلاع، يراجع: الشيعة في إيران، لرسول جعفریان.

شيعة من الكوفة إلى نواحي خراسان^(١) - وقد نتج عن تسفيرهم إلى تلك الديار نشرهم للتشيع فيها، وهو خلاف رغبة الحكام النواصب الساعين لدفن مذهب أهل البيت بكل ما أُوتوا من حَوْلٍ وَطَوَّلٍ وَقُوَّةٍ -.

ب- رحيل الكثير من الشيعة خوفاً من بطش السلطة الجائرة إلى تلك الأطراف، ومنهم الأشاعرة الذين قَدِمُوا من اليمن وسكنوا الكوفة ثم غادروها إلى قم واستوطنوها، فأصبحت قم قاعدة ثانية للتشيع، ومناراً عبر التاريخ.

ج- رحيل كثير من بني هاشم نتيجة بطش السلطة إلى تلك الأطراف، فأعانوا كثيراً على إشاعة التشيع، ولذلك تجد في إيران العشرات من مرقد أولاد الأئمة عليهم السلام وأحفادهم معروفة مشهورة.

د- ما حدث نتيجة النشاط الهاشمي في تلك الأطراف لإسقاط الدولة الأموية، وقد أدى هذا النشاط إلى تعاطف الأمة هناك مع الدعوة الهاشمية التي كانت تدعو إلى الرضا من آل محمد، وإلى انضواء الكثير تحت رايتها في جيش كثيف أسقط الدولة الأموية، غير أن بني العباس ركبوا الموجة، واستأثروا بها دون باقي أولاد عمومته في غفلة من الزمن.

هـ- ما نتج عن سفر الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان، وَتَوَلَّيَ لولاية العهد، وظهوره أمام الأمة على نطاق أوسع، إذ أدى هذا إلى معرفة كثير من أبناء الأمة به، وتعاطفهم معه، وتفضيلهم له على من سواه.

و- ما نتج عن مناظرة العلامة الحلي مع أقطاب وعلماء مذاهب العامة، بمحضِرٍ من السلطان المغولي محمد خدابنده، ممَّا أدى إلى تشييع السلطان وقادة دولته، وانتشار

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي ج٢ ص ١٧٨، عن تأريخ الشعوب الإسلامية لأحمد دحلان ج١ ص ١٤٧، وخراسان في تلك الفترة تعتبر قريبة من الثغور والحدود الإسلامية.

أكثر للتشيع في إيران.

لكننا لا ننكر ما نتج عن قيام الدولة الصفويّة في إيران، واستمرارها لمئات من السنين، واعتناء هذه الدولة بالتشيع وعلماؤه، ونشرها لعقائده، وفسحها المجال لبيان تفاصيل التشيع عقيدةً وفقهاً للامة، وكذا أسباب أخرى يضيق عنها المقام، غير إنّنا أردنا أن نبين أصلاً لعلّه من الواضحات عند أكثر الناس من المنصفين وغير المغرضين، من أن دخول التشيع إلى إيران، وانتشاره فيها، وتجذّره، جاء من العراق بأسباب شتى أنتجت المطلوب، وليس العكس.

فالتشيع إذن وقدّ على إيران من جهة العراق، ومن الكوفة بالذات^(١)، وإنّما عمّ إيران بنسبة عالية وبقي في العراق بنسبة أقل لقيام دول شيعية عدّة عبر التاريخ في إيران استمرت مئات من السنين وساهمت هذه الدول في حماية التشيع وإنائه بينما استمر العراق في حكم الأكاسرة والقيصرة إلى عصرنا الحاضر، ومع ذلك حافظ الشيعة في العراق على نسبة عالية من جهة عددهم مع إن الظروف كلها، بما فيها الضغوط العالية والإرهاب والدمار الهائل الذي لحق بشيعة العراق عبر تأريخهم الصعب، كل هذي تقتضي إبادتهم واستئصالهم، وما هذا إلّا من آيات الله سبحانه، وبركات أهل العصمة والطهارة، بعدما تعاهد الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام سقي هذه النبتة المباركة حتى قامت على سوقها بالرغم من كثرة الفتن والمظالم.

لكن الشيعة في الكوفة أيام سيد الشهداء، مع تزايد أعدادهم، ونموّ وعيهم العقائدي، كانوا قلة، بأزاء عدد أهل الكوفة الذين كانوا على خط غير علي، سواء أكانوا

(١) يحاول جمع من النواصب عكس الحقيقة، ومنهم: أدعياء القومية في العراق - وإرجافهم هذا فضح كذب تعصّبهم لقوميتهم - وكل هذا لالتباس السبب لمقاومة التشيع وتدميره، ولنفي الشيعة من العراق.

من خط الخلفاء الذين سبقوه، أم من خط الخوارج، ونحوهم.
 بل كان جمع من الذين يميلون للإمام (عليه السلام)، إنما يقودهم حبهم للإمام وأهل بيته،
 لعدلهم وسماحتهم وجميل سيرتهم، من دون أن تتعزّز في نفوسهم العقيدة الشيعية
 السليمة نحو الإمام (عليه السلام)، بإدراك معنى الإمامة ومستلزماتها.
 وكيف كان، فإن هؤلاء لقوا من معاوية وولّاته بعد عام الصلح شدةً وعتاً، و
 واجهوا ضغوطاً وفتناً، أكثر بكثير مما لاقاه غيرهم.
 بل إن القضية المركزية التي شغلت معاوية هي:

علي، وحبّه، وفضائله، وشيعته

فعمل بكل ما أوتي من خبث ودهاء وقسوة وحقد - هو وولّاته - قلما شهد التاريخ
 له نظيراً، على اقتلاع جذور علي (عليه السلام) من جديد الأرض، فوجّه أقسى ولّاته، وأخلاقهم
 من الدين والإنسانية، إلى مناطق تركز الشيعة، للعمل على استئصالهم، وكان للكوفة
 النصيب الأوفر من الجور والتنكيل، فاستباحوها قتلاً، وسجناً، وتعذيباً، ونفيّاً، وهدماً
 للمنازل، ومصادرةً للأموال، حتى سملوا العيون، وباعوا نساء الشيعة في الأسواق^(١).
 وبعبارة: إنهم استعملوا معهم كلّ ما توفّر في عصرهم من وسائل للضغط والتدمير
 منذ بداية بغّي وتمرد معاوية على أمير المؤمنين (عليه السلام) وهي سنوات خمس تقريباً والتي تنتهي
 بالصلح مع الإمام الحسن (عليه السلام)، ثم من سنة ٤١ إلى سنة ٦٠ وهي فترة ملك معاوية والتي
 تنتهي بموته، واغتصاب يزيد لزمّام الملك، سنة ستين من الهجرة، سنة قدوم معاوية
 على عمله وبئس ما قدّم، فقد ترك من خلفه دماراً هائلاً في المجتمع الإسلامي يعسر

(١) حدث هذا في اليمن، من جيش معاوية، بقيادة بسر بن أرطاة، إذ فعّل الأفاعيل بشيعة اليمن،
 فراجع: الفصول المهمة، السيد شرف الدين، ص ١٢٢.

بل يتعذر استيعاب وإحصاء نتائجه وآثاره، وأحدث بدءاً لا نزال إلى اليوم نعاني من مساوئها ومرارتها، ومنها صيغة إراث الملك وزعامة الأمة الإسلامية من الأب لابنه ومن الأخ لأخيه.

ذلك إن لنظام الخلافة الإسلامية طبيعة أخرى وضوابط، غير ما عليه النظام الملكي، والقائم على أساس توريث الزعامة من الأب لابنه.

عن ابن رشد الفيلسوف المعروف:

إن معاوية أقام دولة بني أمية وسلطانها الشديد، ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة قاعدة حتى في بلادنا هذه: الأندلس^(١).

كتب معاوية إلى ولاته إن خذوا شيعة علي^(٢) على الظنة، وتلفيق الروايات لدم علي^(٣)، ثم أمرهم بتلفيق الروايات في فضائل الخلفاء الذين قبله.

وبائقة البوائق، وفاقرة الظهر، سنّه سبّ علي أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، ووصي رسول الله، وابن عمه، وزوج ابنته، بل أخوه بنص الحديث، بل نفسه بنص الآية الكريمة، وهو أول الناس به إيماناً، ومن نزل في فضله وتكريمه الكثير من آيات الكتاب العزيز، بل لا تنتهي فضائله ومكارمه^(٤).

(١) راجع: مقدمة الوسائل، طبعة المؤسسة ص ٤٩، في جرائم معاوية، عن شرح النهج لابن أبي الحديد وغيره، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢) راجع: الغدير، الشيخ الأميني، ج ١ ص ٢٥، تحت عنوان: معاوية وشيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولبالي بيشاور، سلطان الواعظين، ص ٩٢٢ تحت عنوان: معاوية قاتل المؤمنين.

(٣) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢ ص ٨٣ حيث نقل الحال بتفصيل.

(٤) ورد في روايات الفريقين أنه لو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً.. لما أُحصيت فضائل علي عليه السلام فراجع: بناء المقالة الفاطمية، السيد جمال الدين ابن طاووس، ص ١٦٤ إذ نقل هذا عن الخوارزمي.

سَنَّ سَبَّهُ على منابر المسلمين في خطبة صلاة الجمعة، وأشاع هذا، وأكره الناس عليه في مشارق الأرض ومغاربها، حتى شاب عليها الصغير، وهرم الكبير، واستمر هذا زهاء الستين سنة، حتى نهى عنها عمر بن عبد العزيز، والسُّنَّة المحمدية القطعية التي نقلها الكثير من أعلام السُّنَّة في أهم مدوناتهم تنادي: «من سَبَّ علياً فقد سَبَّنِي، ومن سَبَّنِي فقد سَبَّ الله»^(١).

فما قولك في أمةٍ تسبَّ الله ورسوله قرابة الستين سنة، ما ترى الله صانعُ بها؟ وقد قُتل بسبب الامتناع عن السبِّ الكثير من شيعة علي وأنصاره ومحبيه، ويا لها محنة تذر الحليم حيراناً، ولذلك ترى تحرك هؤلاء الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسن (ع) لما لقوه من عذاب واضطهاد أيام معاوية، ولحبهم للإمام أبي محمد الحسن السبط وانتقاماً له، غير أن الإمام الحسين (ع) امتنع عن النهضة أيام معاوية بسبب وجود عهدٍ يلزم الوفاء به، والذي أُبتلي به سيد الشهداء وأخوه الإمام الحسن واضطراً إليه، وقد تحمل الإمامان الكثير من الآلام والمصائب بسبب هذا الصلح، لكن كيف السبيل ولا حلَّ غيره.

عانى الشيعة بعد استشهاد الإمام الحسن السبط (ع) سنواتٍ عشر أخرى كلها قهر وإذلال وفتنة، وقُتل منهم من قُتل، كعمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدي الكندي وأصحابه، وكفئك إن بعض أهل التأريخ ينصّ على أنه: «لم يبق في الكوفة شيعة يُعرف»

فماذا صنع معاوية بالكوفة في هذه الفترة، حتى أوصل الحال إلى هذا المستوى المرعب.

بقي الحال على هذا إلى أن هلك معاوية، وأهون به من هالك، فكاتب الشيعة من

(١) فضائل الخمسة، ج ٢ ص ٢٢٣.

جديد إمامهم، وأعلنوا استعدادهم لقلب نظام حكم بني أمية، وعزمهم على نصره الإمام عليه السلام، فما يصنع الإمام؟

هؤلاء شيعة لأبيه وأخيه وله ولأهل البيت جميعاً، عانوا ولاقوا من الشر ما لا حد له لإرتباطهم القلبي والولائي بأهل البيت، وقد استصرخوا الإمام سنين طوالاً لانجائهم، فلم يفعل لوجود عهدٍ مع معاوية، وها هو معاوية قد هلك.

إن الإمام كان يواجه -ولا شك- خطر تضعع مذهب أهل البيت عليهم السلام في العراق -والعراق قاعدة التشيع وكهفه- وخطر ارتداد الناس عن المذهب الحق، وتغيّر القلوب على الإمام، وهم شيعة وهو ملاذهم^(١)، وهم على كل حال مستضعفون يطلبون إنقاذهم من الظلمة، ومن أخط مجرمي الأرض، من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله منقذ البشرية ووليها..

لا شك أن هذا خطر أكيد لا يمكن للإمام أن يتغاضى عنه، وعليه اتخاذ التدابير الحاسمة لتثبيت مذهب أهل البيت في الأرض وإلى الأبد، قبل رحيل أهل العصمة عن الدنيا.

والواقع إن الطريق الذي سلكه سيد الشهداء -ولم تكن أمامه طرق متعدّدة يسلكها لبلوغ هدفه المقدس- والدم الطاهر الذي جرى على أرض كربلاء، والتضحية والقربان الذي قدّمه للمولى سبحانه، أورث مذهب أهل البيت وشريعة جدّه المصطفى رسوخاً وصلابة لا يمكن قهرها على مدى الدهر، وهذا أمر ثبت تأريخياً بل وجداناً، وإنما كان للحسين المدخلة الكبرى في تحقيقه، ولذلك اشتهر:

إن الإسلام حسيني البقاء، بعد ما كان محمديّ الوجود.

(١) في خطبة العقيلة عليها السلام في الكوفة، تصف الإمام السبط الشهيد: «وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم» عليه السلام فراجع البحار، ج ٤ ص ١٠٩.

فسلام على الحسين الذي بتضحيته استنشقنا الإسلام، وصُمنّا، وصلّينا، ووحدنا، وآمنّا.

سلام على الحسين، وعلى أخيه وأبيه، وعلى جده وأمه، وعلى ذريته الطاهرين، الذين أفنوا وجودهم، ووهبوا حياتهم، للإسلام والقرآن، ولترسيخ إرادة المولى سبحانه في الأرض، ولإحياء أفراد الجنس الإنساني في طهارة وسعادة وإنسانية حقّة، ورضا من المولى سبحانه عنهم.

سلام على الأئمة الطاهرين الذين حفظوا أمانة رسول الله وجهوده وتضحياته، أن يقضي عليها بنو أمية وبنو العباس وكل الطغاة من أعداء الله والإنسانية.

سلام على محمد وآل محمد، سادة الأمم، وأولياء النعم، ورؤساء الدين والدنيا، وأولى الناس بالناس.

ولعنة الله على كل من ظلمهم وآذاهم وأعان عليهم بيد أو لسان أو قلم أو إشارة أو ميل قلب.

وفي الحقيقة: إنّ ما كان يخطط له بنو أمية ليس القضاء على التشيع وحسب، فأنّت تعلم أنّ معاوية إنّما دخل الإسلام عند فتح مكة بعد دخول النبي ﷺ إليها، والقضاء القبض على المشركين، وجمعهم بمحضر الرسول الأكرم ﷺ فروي أنه قال لهم:

ما تظنون أنّي فاعل بكم؟

ثم عدّد جرائمهم، وما فعلوه للقضاء عليه، وعلى الإسلام، وما أفنوا من أجله حياتهم - لدفن كلمة التوحيد - ثم قال لهم: **إذهبوا فأنتم الطلقاء**^(١).

فأصبح لقب الطليق لهم مائزاً، وعليهم سُبّة، إلى آخر الدهر، وسيد الطلقاء:

(١) راجع: البحار، ج ٢١ ص ١٠٦، وأيضاً: المقتطفات، ج ١ ص ١٩٢.

معاوية.

كما لا ريب أن معاوية كان في المؤلفة قلوبهم بعد فتح مكة، وهم الذين يعطيهم النبي ﷺ اعطيات خاصة من الغنائم ليحبب الإسلام إلى قلوبهم^(١)، وما كان هذا إلا لبغضهم الإسلام وتنفرهم منه، فما بالك بهذا يتسلم مقاليد الأمور في بلاد المسلمين، بل ويرقى مقام الخلافة.

فإنه خليق - وقد فعل - ان يردّ الناس على أدبارهم القهقري، ويعيدها جاهلية، فبأي عذر يعتذر يوم القيامة من مكّنه من رقاب المسلمين، وسلّمه الامانة الكبرى، وترك اكارم الصحابة، وأوفياءهم، وعلمائهم، ومن أفنوا حياتهم في الدفاع عن رسول الإسلام، وعن الإسلام، عقيدة وسلوكا ومقدسات كأبي ذر، حتى غدا أمثال أبي ذر الطاهر الفدائي الصدوق غرباء بين المسلمين، وهم في غيرتهم على الإسلام، ونصيحةً ونفعاً للمسلمين.

السبب الرابع: قرار الفتنة الحاكمة القطعي بقتل الإمام على كل حال:

إن امتناع الإمام من البيعة أدّى إلى اتخاذ يزيد لقراره بقتله ﷺ.

وفي الحقيقة: أنّ هذا القرار قد اتُخذ مسبقاً قبل امتناعه ﷺ لعلم يزيد بتوجهات الإمام من خلال مواقفه السابقة أيام معاوية، ولهذا كتب إلى والي المدينة، يطلب منه أخذ البيعة من الإمام ﷺ وكتب له: إن أبي عليك فاضرب عنقه، وابعث إليّ برأسه^(٢). وأرسل إليه رسالة أخرى يؤكد عليه فيها قتل الإمام ﷺ.

(١) بحار الأنوار، ج ٢١ ص ١٥٨. وراجع: النص الاجتهاد، ص ٤٣.

(٢) الملهوف ص ٩٧، ومعالم المدرستين ج ٣ ص ٤٦، وحياة الإمام الحسين ﷺ للقرشي ج ٢ ص ٢٤٧، ص ٢٥٨.

بل أمر يزيد جماعةً من شيعته بأن يقتلوا الحسين ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة^(١).
وورد أن يزيداً أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكرٍ، وأمره على الحاج، وولاه
أمر الموسم، وأوصاه بالفتك بالحسين عليه السلام أينما وجدته^(٢).

وفي نصٍّ تاريخي: أن الإمام عليه السلام التقى بأحدهم - وهو عليه السلام في طريقه إلى الكوفة
- فحذّره هذا الرجل من مسيره، فأكد له الإمام عليه السلام أنه يعلم أن بني أمية لا يكفون يداً
عنه، وإنما سيلاحقونه إلى أيّ مكان يذهب إليه، حتى يقتلوه^(٣).

إذن فقد بدأ يزيد الحرب، وعلى الحسين عليه السلام الدفاع عن نفسه بما أمكنه، ولو بأن
يجعل موته ثورةً وبركاناً تقضي على بني أمية بعد استشهادهم، وتحقيق له الأهداف التي
يرجوها من امتناعه عن البيعة.

وفائدة ذكر هذا السبب مستقلاً، إلفات النظر إلى أنه:

حتى لو عدل الإمام عن قراره بلا بُدْيَةِ النهضة، لإسقاط الحكم الأموي، بسبب
نكث أهل الكوفة عهودهم، فإن على الإمام أن يستمر في مقاومته للسلطة، لأنها قررت
قتله على كل حال، والقضاء على منهجه، فعليه الدفاع عن ذاته المقدسة، وعما يمثّله.

ويمكن أن يدرك هذا ببساطة وبوضوح من محاوره جرت بين الإمام عليه السلام وبين السيدة
زينب عليها السلام، شقيقته في النسب والجهاد، إذ قال لها فيما قال: «لو ترك القطا ليلاً لنام»
وهو مثل عربي معروف مشهور، وقد أجابته السيدة عليها السلام:

«يا ويلناه، أفتغتصب^(٤) نفسك اغتصاباً، فذلك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي».

(١) في بعض الكتب أنهم ثلاثون شخصاً، وفي الثورة الحسينية للشهيد دستغيب ص ٦٨ أنهم ثلاثة.

(٢) راجع: مقتل الحسين، السيد المقرّم، ص ١٦٥.

(٣) مقالات تأسيسية، السيد الطباطبائي، ص ٢٠٤.

(٤) ذكر المحشي على نسخة البحار ج ٤ ص ٢: أن - أفتغتصب - هنا مصحّفة عن - أفتحتسب -

إذ أن الإمام ﷺ لم يكن عازماً على المواجهة على كل حال، بل لأمرين - بعد ملاحظة الأسباب الأخرى التي نذكرها هنا، والتي لم تنجز الحكم عليه بشكل حاسم، بل لهذين الأمرين مدخلة مهمة في التنجيز، خصوصاً الأول منها -:

أ- معاهدة أهل الكوفة على مساندة الإمام في تحركه، لو أجاب استغاثتهم واستصرخهم.

ب- أن السلطة الظالمة كانت عاقدة العزم على قتله على كل حال، لمجموعة أمور. فلما نكل أهل الكوفة وخذلوا فقد سقط تكليف لزوم النهضة عنه، إلا أن بني أمية غير تاركه، ولذلك عبر ﷺ بالمثل: «لو ترك القطا ليلاً لنام»

أي: لو أنهم يتركوه فسوف يترك المواجهة معهم، وحاله في ظرفه هذا حال والده الوصي قرابة الخمس والعشرين عاماً، إلا أنهم لم يكونوا ليركوه، وسيستمرون في ملاحقته ومضايقته ومحاصرته حتى يظفروا به، ويغتصبوا نفسه المقدسة اغتصاباً، و بحدّ تعبيره ﷺ: «حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي»^(١).

فالسطة المجرمة لم ترتض منه إلا أحد خيارين، كلاهما مَرٌّ:

أ- الاستسلام المذل أي: النزول على حكم ابن زياد.

ب- القتال والقتل.

والخيار الأول تأباه كرامة كل إنسان بل هو أمر منهّي عنه:

«ان الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه»^(٢)

بدعوى أن لا وجه لها، والظاهر أنه لها وجه، بل لعلّه واضح، من خلال ربط هذه العبارة بالمقصود من المثل، ووجه التمثيل به.

(١) الإرشاد، ج ٢ ص ٧٦.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦ ص ١٥٧ ح ٣.

والإمام بالخصوص منهي عن هذا: «يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام»^(١).

فهم لا يرضون منه إلا الاستسلام وهو يرفضه، ويقبل بالرجوع وهم يمنعون منه، فعلى هذا فالإمام مضطّر إلى القتال على كل حال، ونتيجة القتال الاستشهاد مهما بذل من جهد أثناء القتال، لكثرتهم ولقلة أنصاره.

يقول المجرم عمر بن سعد بن أبي وقاص، قائد جيش الضلالة والعمى: والله لا يستسلم الحسين، إن نفس أبيه ليين جنيبه.

فهم يعرفون هذا منه، ومع ذلك خيروه، فمعنى هذا أنهم عاقدوا العزم على قتله، بل لا يريدون غيره.

السبب الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:^(٢)

قال الإمام (عليه السلام) لأصحابه يوم الطف: «ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محققاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»^(٣).

وعنه (عليه السلام):^(٤)

«اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائهم على الأحبار إذ يقول:

(١) الملهوف، ص ١٥٦.

(٢) في كلام مسلم (عليه السلام) في الكوفة: إنهم أتوا للأمر بالمعروف، فراجع حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، للقرشي، ج ٢ ص ٤٠٦.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس، ص ١٣٨.

(٤) تحف العقول، الشيخ ابن شعبة الحراني، ص ٢٣٧، والحسين (عليه السلام)، السيّد محمد رضا الجلايلي، ص ١٠٩ - ١١٢.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾.

وقال: ﴿لُعِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون، والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْتِكَاثَ وَأَخْشَوْا﴾

وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾

فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضةً منه لعلهم بأنها إذا أديت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئتها وصعبها، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام، مع ردّ المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها، ووضعها في حقها.

ثم أنتم أيها العصابة، عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويؤثركم من لا فضل لكم عليه، ولا يد لكم عنده، تشفعون في الحوائج إذا امتنعت من طلبها، وتمشون في الطريق بهيئة الملوك وكرامة الأكابر، أليس كل ذلك نلتموه بما يُرجى عنكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن حقه تقصرون، فاستخففتكم بحق الأئمة، فأما حقّ الضعفاء فضيعتهم، وأما حقكم بزعيمكم فطلبتهم، فلا مالاً بذلتموه، ولا نفساً خاطرتهم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله.

أنتم تتمنون على الله جنّته، ومجاورة رسله، وأماناً من عذابه، لقد خشيت عليكم أيها المتمنون على الله أن تحلّ بكم نقمة من نعماته، لأنكم بلغت من كرامة الله منزلة فضلتهم بها،

ومن يُعرف بالله لا تُكْرَمون، وأنتم بالله في عباده تُكْرَمون، وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون، وأنتم لبعض ذمم آبائكم تفزعون، وذمة رسول الله مخفورة، والعمى والبكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون، ولا من عمل فيها تُعينون، وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون، كل ذلك مما أمركم الله به من النهي والتناهي وأنتم عنه غافلون، وأنتم أعظم الناس مصيبة لما غلبتم عليه من منازل العلماء لو كنتم تشعرون، وذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمانة على حلاله وحرامه، فأنتم المسلوبون تلك المنزلة، وما سلبتم ذلك إلا بترققكم عن الحق، واختلافكم في السنة بعد البيّنة الواضحة، ولو صبرتم على الأذى وتحملتكم المؤونة في ذات الله، كانت أمور الله عليكم تَرَد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسرون في الشهوات، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت، وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبدٍ مقهور، وبين مستضعفٍ على معيشتِهِ مغلوب، يتقلّبون في الملوك بآرائهم، ويستشعرون الخزي بأهوائهم، إقتداءً بالأشرار، وجرأة على الجبار، في كل بلدٍ منهم على منبره خطيب مصقع.

فالأرض لهم شاغرة، وأيديهم فيها مبسوطة، والناس لهم خول، لا يدفعون يد لأمس، فمن بين جبار عنيد، وذو سطوةٍ على الضعفة شديد، مطاع لا يعرف المبدئ المعيد، فيا عجباً ومالي لا أعجب، والأرض من غاش غشوم، ومتصدّق ظلوم، وعامل على المؤمنين بهم غير رحيم، فالله الحاكم فيما فيه تنازعنا، والقاضي بحكمه فيما شَجَرَ بيننا.

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن ما كان ممّا تنافساً في سلطان، والتنافساً من فضول الخطام، ولكن لنري العالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك،

ويُعمل بفرائضك وسنتك وأحكامك.

فانكم إن لا تنصرونا وتنصفونا، قويت الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم»

وهذا الخطاب المبارك يحوي في ثناياه ما يبصرنا بحقيقة الثورة الحسينية كثيراً خصوصاً أنه قد صدر عن الإمام قبل هلاك معاوية بعامين -بحسب الرواية-.

فأول ما فيه: بيانه للأهمية العظيمة لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتوقف قيام بقية الفرائض بقيامها، وتنديده بإهمال الناس لها وتكاسلهم عنها -خصوصاً أهل العلم والدين- مع ان ذلك يستوجب العذاب الإلهي العاجل.

كما أنّ في خطابه هذا تحليلاً لنفسية أفراد المجتمع الإسلامي، وتشخيصاً لمرضهم، والذي أدّى إلى إنحراف عام في الأمة، وإلى تسلط الطغاة على أمورها ومقدراتها.

ثم إسهاب الإمام في بيان ما تعانيه الأمة من جور وظلم، وان كل ما تقدم سببه تمسك الناس بالدنيا وتعلقهم بالحياة، وفقدانهم للروح التي حارب بها البديرون العتاة المشركين، مع الفارق العظيم في الإمكانيات البشرية والتسليحية والأمر الأخرى والتي تكون ظهيراً في المنازعات والصراعات، وهو ما لامهم الإمام عليه وعنفهم بسببه، ثم أعطاهم درساً عملياً خالداً مدى الدهر في الإعراض عن الدنيا ومتعتها ومبهجاتها، إذ قذف بنفسه المقدسة في لهوات الموت لتغيير ما رسخ من جور وفجور.

وأخيراً يبين ﷺ سبب نهضته: «النري - لنرد - المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك».

ويحثهم على نصرته.

وعنه ﷺ في كتابه الشهير إلى أخيه محمد بن الحنفية:

«وإنِّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»^(١).

وعنه عليه السلام في خطبته أمام جيش الحر^(٢):

«أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفئ، واحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غير».

وقد خاطب الإمام جده المصطفى عند قبره المقدّس قبل خروجه من المدينة بأنه يحب المعروف ويُبكر المنكر^(٣) وفيه إشارة إلى أن هذا من أسباب تصلّبه ضد يزيد، وعلّة لخروجه عليه.

وعنه عليه السلام أنه كتب إلى رؤوساء عشائر البصرة: «إن السُّنة قد أُميتت، وإن البدعة قد أُحييت»^(٤).

بل إن خروج الإمام سيد الشهداء عليه السلام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢ ص ٢٦٤.

وُيمكن اعتبار رسالة الإمام هذه كأنها البيان الرسمي للثورة كما هو متعارف أيامنا.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٨٠.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٢٥٩.

(٤) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ٣٢٢.

المواضحات التي لعلها تستغني عن الحاجة لإقامة الدليل عليها، لظهورها في حدّ نفسها، ولكثرة الشواهد عليها.

السبب السادس: خصوصيّة شخصيّة يزيد.

طلب معاوية عند قدومه إلى المدينة البيعة ليزيد من الناس عامة، ومن بعض وجوه المدينة خاصة، وخصّ باهتمامه الإمام سيد الشهداء صلوات الله عليه، وذكر معاوية ليزيد محاسن وخصال، فردّ عليه الإمام عليه السلام:

«وفهمتُ ما ذكرته عن يزيد، من اكتماله وسياسته لامة محمد صلوات الله عليه، تُريد أن تُوهم الناس في يزيد، كأنك تصف محبوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأتراهن، والقيان ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه...»^(١).

وفي رسالته عليه السلام الجوابية لمعاوية، والتي يستنكر عليه فيها أعماله وجرائمه، ويختمها بقوله:

«وأخذك الناس بالبيعة لابنك، غلام سفيه، يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب»^(٢) وهذه الرسالة قرأها معاوية بمحضر يزيد، وقد حاول يزيد أن يستفزّ أباه ليتخذ من الإمام موقفاً انتقامياً، فلم يُفلح، فهل يترك هو ثأره حين يقبض على زمام الملك بكل جبروته وصلافته؟

من الطبيعي أن تحفز مواقف الإمام هذه أرعناً مثل يزيد ليتحين الفرص للانتقام

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٢، ص ٢١٩، عن الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٩٥.

(٢) الحسين عليه السلام، الجلال، ص ١٢٠، والاحتجاج، الطبرسي، ج ٢ ص ٩٣.

دون المبالاة بقدسية الإمام أو بغرضه الدافع له لمثل هذا الموقف، وهو مصلحة الإسلام، وسلامة الأمة في دينها وعيشها ومصيرها.

السبب السابع: الأمة مستضعفة وتستنجد بالحسين ابن النبي ﷺ:

عن الإمام صلوات الله وسلامه عليه في خطبته الأخيرة يوم الطف:

«تَبَّ لَكُمْ أَيُّهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرْحاً حِينَ اسْتَصْرَخْتُمُونَا وَاهْلِينَ فَأَصْرَخْنَاكُمْ مُوجِفِينَ»^(١).

تقدّم، ويأتي: إن الأمة كانت في درجة من الاستضعاف عالية، وشرحنا بعض حالها واستقصاؤه يحتاج لمجلدات.

من النصّ المتقدم يتضح إن الأمة كانت تستغيث، والحسين نهض استجابةً لاستصراخها، واستنقاذاً لها من مخالب طاغوتها، كموسى صلوات الله عليه، غير أن موسى ترك وحده مع جبار الأرض يومذاك، وقالت له أمته:

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٢)

بعد ما استصرخته.

والحسين خرجت عليه أمته التي استصرخته، وأعانت طاغوتها، فذبحت من استصرخته، ذبحت ابن رسولها، ذبحت منقذها وابن منقذها.

الله سبحانه يقول: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٣).

صحيح أن حالة الاستضعاف التي بلغتها الأمة عموماً - باستثناء الشام - والكوفة

(١) الملهم ص ١٥٥.

(٢) سورة المائدة، الآية ٢٤.

(٣) سورة النساء، الآية ٧٥.

خصوصاً، فاقت كلَّ حدٍّ، كما طالت مدَّتُها، وأخذت الناس تستغيث من حين بدأ معاوية يشدّد وطأته، بعد صلحه مع الإمام الحسن السبط عليه السلام، إلّا أن أيّ من الإمامين السبطين لم يبادر للنهضة، وذلك لوجود عقد صلح، وما التزم به إلّا بسبب هذه الأمة المتقاعسة المتكاسلة عن القيام بواجباتها الشرعية، وعن الدفاع عن دينها ومقدساتها، بل عن نفسها، من الظالمين والجبابرة، ولو لم تكن سطوات هؤلاء الطغاة تمس كل فردٍ، لكان حريّاً بالكلّ المشاركة في مضادة هذا الظلم والطغيان، والنهضة ضده، كيف وظلم هؤلاء الطغاة يمسّ كل فردٍ مباشرة في كل نواحي الحياة.

نعم، كان الإمام الحسن بصدد النهضة لو هلك معاوية، لانقضاء عقد الصلح وآثاره الشرعية، إلّا إنّ معاوية عاجل الإمام الحسن بقتله بالسّم، فحمل الراية بعده الإمام الحسين عليه السلام، وامتناع الإمام من المبايعة ليزيد في عهد معاوية كان مما لا بدّ منه لئلا يلزمه الاستمرار في هذا الوضع فيما بعد.

كانت هناك خطوط متوازية فباستمرارها يلزم الإمام النهضة:

أ- خطورة معاوية، وكيانه، والنهج الذي أسسه.

ب- إعلان أهل الكوفة استعدادهم للمعاوضة حتى تحقيق الهدف.

ج- لزوم النهضة على الإمام بالعنوان الأوّلي مع تحقق بقيّة الشرائط.

هذه الأمور بقيت مستمرة، فاستمر هو عليه السلام متصلياً أزاء طلبات معاوية وضغوطه لمبايعة يزيد لأنه عليه السلام كما التزم بنتائج صلح الإمام الحسن عليه السلام، فكَذلك قد وعد الأمة بالاستجابة لها عند هلاك معاوية فمثلاً التزم بذلك فعليه أن يلتزم بهذا ما بقي أهل الكوفة على عهدهم وقد استمر هذا منهم فاستمر هو عليه السلام بوعدِهِ أيضاً.

والواقع إن موضوع الاستضعاف حيوي جداً، ولم يُبحث في الكتابات والمجالس

العلمية بحثاً شافياً يُحيط بجوانبه، مما يُعطي صورة متكاملة عنه، وبما يجعل من هذا المطلب واضحاً جاهزاً، مع أنه من أركان النهضة الحسينية المباركة، كما أنه من أهم الشعارات ما بعد انتصار الثورة الإسلامية المعاصرة في إيران.

السبب الثامن: الخروج على الطاغوت هو القاعدة.

الخروج على الطاغوت، وإزاحته عن مقام الأنبياء والأوصياء، من أحكام الإسلام الأولى بل لعله من بديهيات الأحكام، وإن أصبح من المضللات في هذا الزمان عند البعض، ومعلوم أن الحكم الأولي لا بد من تطبيقه مع توفر شرائطه وعدم مانع في البين. وفي قضية الإمام الشهيد الحسين (عليه السلام) فقد كان هناك مانع من النهضة، وهو عقد الصلح الذي وقع بين الإمام الحسن السبط وبين معاوية، والذي التزم به الإمام الحسين (عليه السلام) أيضاً بحكم تبعيته للإمام الحسن (عليه السلام) لأنه الإمام المتقدم والمتصدي، ولأن الإمام الحسين لو عاش نفس ظرف الإمام الحسن لَعَقَدَ نَفْسَ الصُّلْحِ جَزْماً. و المانع من النهضة -وهو عقد الصلح- يؤثر حكماً اضطرارياً وعنواناً ثانوياً، بلزوم السكون حتى زوال سبب الاضطراب، وهو وجود معاوية وحياته -بحسب عقد الصلح-.

فلما زال سبب الاضطراب بموت معاوية، والمنتج لانتهاؤ أمد عقد الصلح، وكذلك استمرار توفر أهم شرائط تنجز النهضة ولزومها، وهو: التزام أهل الكوفة بنصرة الإمام (عليه السلام)، فإن العنوان الأولي محكم في المقام، والنهضة لازمة، إذ القاعدة الفقهية «الضرورة تُقَدَّرُ بِقَدَرِهَا» وهنا بلغت الضرورة غايتها بهلاك معاوية، فارتفع الحكم المترتب عليها، ورجعنا إلى الحكم الأولي، وهو:

لزوم مناجزة الظالم الطاغوت، وتحرير الدين والبلاد والأمة من قبضة عدو الله والإنسانية والمثل النبيلة.

السبب التاسع: انحراف الحاكم انحرافاً أساسياً.

استدلّ الشيخ المنتظري، لجواز أو وجوب القيام ضد الحاكم الجائر، إذا صار انحرافه أساسياً، بحركة الإمام سيد الشهداء عليه السلام، فيظهر أنّه يرى أنّ علة الحركة هو هذا الاتجاه، أو لا أقل في كونه أحد عللها ^(١).

وبيان مقصوده، بقوله: إذا انحرف الحاكم انحرافاً أساسياً عن موازين الإسلام والعدالة وصار متهتكاً، وجعل أساس حكمه الإستبداد والهوى، وجعل مال الله دولاً، وعباده خولاً، أو صار عميلاً للاستعمار، ومنفذاً لأهواء الكفرة الأجانب، وتغلّبوا من هذا الطريق على سياسة المسلمين وثقافتهم واقتصادهم، ولم يرتدع هو بالنصح والتذكير، بل لم يزد ذلك إلاّ عتوّاً واستكباراً - وإن فرض أنه يُظهر الإسلام باللسان، بل ويتعبد ببعض المراسيم الظاهرية من الصلاة والحج والشعارات الإسلامية، كما تراه ونراه في أكثر الملوك والرؤساء في بلاد المسلمين في أعصارنا - ففي الوزراء والأمراء والعمال يُرفع أمرهم إلى الوالي الذي نصبهم حتى يكون هو الذي يعزلهم إن رآه صلاحاً، وفي الوالي الأعظم يجوز بل يجب السعي في خلعه ورفع يده ولو بالكفاح المسلّح مع حفظ المراتب، ولكن يجب إعداد الأسباب في إيجاد الوعي السياسي في الأمة، وتشكيل الفئات والأحزاب والجمعيات واللجان وتهيئة القوى والمعدّات، خُفية أو علناً، حسب اقتضاء الشرائط والظروف، فإن حصل المقصود بالتكتل والمظاهرات فهو، وإلاّ فبالكفاح المسلّح، فتجب رعاية المراتب والأخذ بالأقلّ ضرراً والأكثر نفعاً إلى أن يحصل النصر والظفر، بل الظاهر أنه ينعزل قهراً وإن لم تقدر الأمة على خلعه، فليست حكومته حينئذٍ حكومة مشروعة ^(٢).

(١) دراسات في ولاية الفقيه، الشيخ المنتظري، ج ١ ص ٦٠٥.

(٢) دراسات في ولاية الفقيه، ج ١ ص ٥٩٤.

أقول: يحتاج البيان السابق إلى تئمة، وزيادة إيضاح، كي يُبنى عليه، وهو:
إن إلزام الإمامية - في الإمامة، واستحقاق منصب زعامة الأمة الإسلامية - مبنيّ
على إن هذا المنصب هو للمعصوم عيناً وشخصاً دون أن يحق لأي شخص أو جهة
إعتلاء هذا المقام كائناً من كان.

فهذا المقام لخليفة الله في الأرض، وهو الرسول المعصوم المبعوث من الله، والمسدد
في كل حركاته وسكناته.

ومع فقد الرسول فإنّ هذا المنصب ينحصر حق استلامه بالمعصوم، وهو في ديننا
الإسلامي الحنيف:

علي بن أبي طالب - من بعد الرسول الأكرم ﷺ - وبعده ولده الحسن، ثم الحسين،
وهكذا الامر إلى تمام اثني عشر معصوماً، والذين ختامهم بالمهدي صلوات الله عليهم
اجمعين.

وكل هذا بنصّ من الله ورسوله، على أصل المبنى، وفي تشخيص الأئمة الخلفاء
المعصومين بأوصافهم وأسمائهم - دون لبسٍ أو غموضٍ - بما لا عُذرَ لأحدٍ في
الانحراف عنهم أو اختيار بديلٍ لهم.

وبناءً على ما تقدّم: فإن تصدّي أيّ شخص للمنصب المختصّ بالمعصوم من أعظم
الكبائر، مهما بلغ علم هذا المتصدّي وعدالته - وهذا على سبيل الفرض، لأنّ العالم
العادل لا يُقدم على مثل هذه الجريمة بعد ما دلت النصوص الكثيرة الواضحة على
انحصار حق الزعامة والخلافة بالمعصوم - ويجب على كل أحد مضادته وإزاحته من
باب الدفاع، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراتبه المقرّرة، لا أقل من اللزوم
بالنسبة إلى المعصوم نفسه مع وجوده وظهوره.

وإذا أزاحه أحد غير المعصوم فيلزمه تسليم المنصب إلى المعصوم فوراً ودون انتظار، أو تسليمه إلى من له حق التصدي لمناصب الإمام، لجمعه الشرائط المطلوبة- وهذا الحق قد ثبت له بتفويض وتنصيب من الإمام على نحو الخصوص أو العموم، لا من جهات أخرى كالتفويض الشعبي أو غيره- وإلاَّ عدَّ غاصباً كالمخلوع.

هذا إذا لم يترتب على الإزاحة مفسدة خطيرة كقيام الفتن وسفك الدماء وغيرها، ومع ترتبها يقع التزاحم، ويقدم الأهم على المهم بنظر الشارع الأقدس، ولذلك -كما هو الظاهر- عبّر الشيخ المنتظري بصيرورة إنحرافه أساسياً كي يجب خلعه، إذ إنَّ الخلع دائماً -لا غالباً- يلزم منه الفتن وسفك الدماء ونحوها -إلاَّ ما شذَّ- وإلاَّ فالمسألة عقائدياً وفقهياً محسومة للمعصوم على ما بيناه.

ولذلك فإنَّ تكليف كل الأئمة المعصومين عليهم السلام هو نفس ما صدر عن الحسين المظلوم، كما أنَّ تكليفهم في حال التزاحم والضرورات هو ما قام به أمير المؤمنين بعد أيام السقيفة، والإمام الحسن حال صلحه مع معاوية وبعده، وحال كل الأئمة في أيامهم. ثمَّجَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام أيام خلافته، والحسن عليه السلام أيام خلافته، والحسين عليه السلام أيام نهضته، هو الحكم الأصلي الأوَّلي في الإسلام، ومع التزاحمات والضرورات وقيام المصالح فالسلوك المشروع هو ما سلكه النبي أيام الإسلام الأولى قبل الهجرة، وسلوك علي وبقية المعصومين عليهم السلام أيام تقيتهم.

علي عليه السلام أراد النهوض لو تم له الأربعون، ونقل ما هو من قبيله عن بعض المعصومين، والمهدي يتبدأ في انطلاقته المباركة بعدد قليل، إلاَّ أن الركن الركين لتحركهم عليهم السلام هو توفر المناصر والسند الذي به اندفاع المسيرة إلى أمام-إلاَّ ما قيل من استثناء النبي الأعظم من هكذا حكم، وأنه مكلف بالتحرك على كل حال، استناداً إلى الآية المباركة: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ

بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿١﴾.

وأما ما ورد عنهم عليه السلام في لزوم السكوت، والمهادنة، ولزوم الأرض، وغيرها من التعابير، فله محامل: منها: التقية.

ومنها: محامل أخرى تقتضيها الضرورات والظروف الاستثنائية التي يمر بها المجتمع المؤمن المنصوي تحت راية النبي وأهل بيته الأبرار، وهذا واضح، لمخالفة هذه النصوص للثابت الأصلي الأولي.

ثم إن هذه الروايات قد يكون بها الكاشفية عن عدم تمامية الظرف، وإن ظهر للوهلة الأولى صلوحه واستحكامه، كما هو الحال في نهضة الإمام عليه السلام - ومع ذلك نهض الإمام - فمن يلتزم بلزوم النهضة، عند ظهور الصلاح والتمامية والاستحكام فهو، وإلاّ التجأ إلى الروايات على أساس استفادة كاشفية عن عدم تمامية الظرف من خلالها.

وعلى كل حال، فمحل كلامنا الأصلي في هذا المبحث، هو: عند توالي أي أحدٍ لمقام المعصوم أيام وجوده وظهوره، وأما أيام الغيبة فالمبحث يطول، والكلام له تشعبات، ليس هنا محلها.

ومردّ هذه المسألة بالنتيجة إلى السبب الثامن الذي ذكرناه، وهو أن:

«الخروج على الطاغوت هو القاعدة»

وذلك لأن كل متصدٍ بغير أمر المعصوم أيام ظهوره فهو طاغوت بحسب النصوص الشريفة.

ومن منابع استقاء هذه القاعدة حركة الإمام المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه آلاف الصلاة والسلام.

أيضاً في سبب الثورة

يُمكن من خلال التدقيق في محتويات كتب التاريخ والسيرة والمقاتل - بمقدار ما يتعلق منها بالثورة الحسينية - ملاحظة ما يُمكن مدخلته كعنصر من عناصر علل قيام الإمام على الدولة الكافرة الفاجرة.

فيُمكن العثور على أكثر مما قدمناه كأسباب للثورة الخالدة، ويمكن زيادتها بتفصيل وتشقيق أكثر لنفس الأسباب المارة الذكر.

وقد قدّم أعلاّم وكتّاب طروحات عدّة حول علّة الحركة الحسينيّة ومسبباتها، ومن خلال مراجعة ما كتبه فإننا سنعرّض على أنظار في الثورة الحسينية وعللها تستحق التعرّض لها، وتقتضي تأملاً في وجهها ومدركها، لما في بعض هذه الأنظار من أهميّة بالغة بحسب الجهة الصادرة عنها، وبحسب مدى تأثيرها في فكرنا وسلوكنا وقناعاتنا، وبحسب ما نجم عنها من آثار، فسنسرد بعضاً منها، ثمّ نتعرض لمناقشة ما يستدعي المناقشة، وأولها نصّ فقهي، لأبّد من الالتفات إليه:

قال السيد الخامني حفظه الله ^(١):

وأما ما ذكره من فعل الإمام الحسين عليه السلام، فمضافاً إلى أنه من الجهاد الدفاعي - على وجه - فتأمل، فإنّه قضية في واقعة، وهو من السّنة الفعلية التي ليس لها لسان الإطلاق والتقيد، ولذا لا يُمكن الأخذ بإطلاق الحكم المستفاد منها.

وفي جواهر الكلام للفقير الكبير الشيخ محمد حسن النجفي عند بيان القول

(١) راجع: مجلة «فقه أهل البيت»، العدد ٨ ص ١٤، في مقالٍ لساحته بعنوان «المهادنة».

في وجوب الهدنة مع العدو أو جوازها، فذكر القول بجوازها -للمحقق صاحب الشرائع- وأن اختياره هذا:

جمعاً بين ما دلّ على الأمر بها المؤيد بالنهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة، وبين الأمر بالقتال حتى يلقي الله شهيداً.

بحمل الأول: على الرخصة في ذلك، ومنها ما وقع من النبي صلى الله عليه وآله والحسن عليه السلام.

كما أن من الثاني: ما وقع من الحسين عليه السلام ومن النفر الذين وجههم النبي صلى الله عليه وآله إلى هذيل -وكانوا عشرة- فقاتلوا حتى قُتلوا ولم يفلت منهم إلا حبيب فإنه أُسرَ وقُتلَ بمكة.

إذ القتل في سبيل الله ليكون من الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم يُرزقون ليس من الإلقاء في التهلكة.

وما وقع من الحسين عليه السلام -مع أنه من الأسرار الربّانية والعلم المخزون- يمكن أن يكون لانحصار الطريق في ذلك علماً منه عليه السلام أنهم عازمون على قتله على كل حال، كما هو الظاهر من أفعالهم وأحوالهم وكفرهم وعنادهم، ولعل النفر العشرة كذلك أيضاً. مضافاً إلى ما ترتب عليه من حفظ دين جدّه صلى الله عليه وآله وشريعته، وبيان كفرهم لدى المخالف والمؤالف.

على أنه له تكليف خاص قد قدّم عليه وبادر إلى إجابته.

ومعصوم من الخطأ لا يُعترض على فعله ولا قوله فلا يُقاس عليه من كان تكليفه ظاهر الأدلة والأخذ بعمومها وإطلاقها مرجحاً بينها بالمرجحات الظنية التي لا ريب في كونها هنا على القول بالوجوب^(١).

(١) جواهر الكلام، الشيخ محمد حسن النجفي، ج ٧ ص ٦٤٢.

ثم ذكر صاحب الجواهر إنقسام الهدنة إلى الاحكام الخمسة وخالف صاحب الشرائع في مختاره.

وتعرض السيد الخوئي رحمته الله لقضية أبي الأحرار رحمته الله عند تفصيله لأحكام التقيّة في التنقيح:

والصحيح ان يُمثّل للتقيّة المحرمة.. بما إذا كانت المفسدة المترتبة على فعل التقيّة أشدّ وأعظم من المفسدة المترتبة على تركها، أو كانت المصلحة في ترك التقيّة أعظم من المصلحة المترتبة على فعلها كما إذا عُلِمَ بأنّه إن عَمِلَ بالتقيّة ترتّب عليه اضمحلال الحق واندراس الدين الحنيف، وظهور الباطل، وترويج الجبت والطاغوت، وإذا ترك التقيّة ترتّب عليه قتله فقط أو قتله مع جماعة آخرين ولا إشكال حينئذٍ في أن الواجب ترك العمل بالتقيّة وتوطين النفس للقتل، لأن المفسدة الناشئة عن التقيّة أعظم وأكثر كما إذا كان العامل بالتقيّة ممن يترتب على حياته ترويج الحق بعد الاندراس وإنجاء المؤمنين من المحن بعد الابتلاء ونحو ذلك.

ولكنّه أمر آخر، والتقيّة بما هي تقيّة متّصفة بالحرمة في تلك الصورة كما عرفت. ولعلّه من هنا أقدم الحسين -سلام الله وصلواته عليه- وأصحابه -رحمته الله- لقتال يزيد بن معاوية وعرضوا أنفسهم للشهادة وتركوا التقيّة عن يزيد وكذا بعض أصحاب أمير المؤمنين رحمته الله بل بعض علمائنا الأبرار قدّس الله أرواحهم وجزاهم عن الإسلام خيراً كالشهيدين وغيرهما^(١).

وعلق الميرزا التبريزي على كلام السيد الخوئي المتقدّم بما يلي:

التقية المحرمة: ما إذا كان الشخص بحيث لو عمل على طبقها لم يتوجه الضرر إلى شخصه، ولكن يوجد في التقية ضرر عام أهم يترتب على ذلك، مثل الفساد في الدين

(١) التنقيح، تقرير بحث السيد الخوئي للميرزا علي الغروي، ج٤ من كتاب الطهارة ص ٢٥٧.

ومجتمع المسلمين، أو يستمر الفساد فيهما، بحيث يعلم أن الشارع لا يرضى بوجود هذه المفسدة، واستمرارها، ففي مثل ذلك لا يجوز فعل التقية، والتقية الواجبة على العكس من ذلك، يترتب على رعايتها الخلاص من المفسدة، ولم يكن في تركها والعمل بالوظيفة الأولية إلا مصلحة غير لازمة الاستيفاء، وفي هذه الصورة تكون التقية غير واجبة، وأما قضية الحسين عليه السلام فكانت المصلحة في شهادته بيد الأعداء والمتربعين على كرسي الخلافة، حيث أفسد عليهم الأمر، بحيث لو لم يفعل لما ترتب الأثر العظيم من الحفاظ على الدين الإسلامي، وما عليه عقائد الشيعة المغفول عنها حين حكم المتسلطين على الخلافة، وكان قيام الحسين عليه السلام تنبيهاً للناس عن غفلتهم، وإظهاراً للعقائد الحقة، التي يجب اتباعها، والحفاظ عليها، ولكي تستفيد الأجيال الآتية من قيامه والله العالم^(١).

كما علّق الشيخ اللنكراني على كلام السيد الخوئي المتقدم بما يلي:

مع إنّ أصل هذا المطلب من وجهة النظر الفقهي صحيح لا ريب فيه، إلا أنّ تطبيقه على عمل الحسين عليه السلام وأصحابه لعلّه مخدوش من جهة أنّ وظيفة الإمام المعصوم عليه السلام وظيفة خاصة لا تنكشف إلاّ له ولمثلّه ولعلّه فوق وظيفة... وبعبارة أخرى كان عمله عليه السلام فوق عنوان ترك التقيّة بل لا ينطبق هذا العنوان بالنسبة إلى ما فعله عليه السلام في مورد بعض أولاده وإساقته لأهله.

والمصداق الكامل لهذه الكليّة في عصرنا هو الإمام الراحل قدّس سره في الثورة الإسلامية الإيرانية حيث أنّه هيأ نفسه فداءً في مقام المخالفة مع الطاغوت الذي كان بصدد هدم الإسلام فروعاً وأصولاً^(٢).

(١) صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي، ج ٣ ص ٤٣١.

(٢) جواب للشيخ محمد فاضل اللنكراني على استفتاء خطي خاص، ومحلّ النقطة غير واضح في الأصل.

وللميرزا التبريزي: كان الإمام الحسين عليه السلام مخيراً في الخروج واختيار الشهادة حتى مع وصوله إلى كربلاء ولكن كان له عهدٌ من جدّه وأبيه بأنّ له منزلة لا يناهها إلاّ باختيار الشهادة^(١).

وذكر السيد صاحب تفسير الميزان: في الواقع لم يكن تكليفه الإلهي -أي الإمام عليه السلام- سوى الامتناع عن البيعة، والقتل في هذا السبيل^(٢).

وأكد رأيه هذا في محل آخر من الكتاب^(٣).

وقال أيضاً: لقد قرّر الإمام سيد الشهداء عليه السلام الامتناع عن البيعة رعايةً لمصلحة الإسلام والمسلمين ورجّح القتل في سبيل ذلك على الحياة^(٤).

وذكر الشيخ المنتظري: ان الحسين عليه السلام لما رأى انطماس آثار الحق رأساً، ترك التقية والمسألة^(٥).

وعرض الشهيد المطهري أسباباً ثلاثة اعتبرها الأركان الأساسية التي تستند إليها الثورة الحسينية وهي:

أ- رفض البيعة.

ب- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ج- إتمام الحجة مقابل وصول الرسائل إليه^(٦).

وطرح الشيخ محمد الزيدي نظره في أنّ سياسة يزيد وانحرافاته ليست من قبيل ترك

(١) صراط النجاة، الميرزا جواد التبريزي، ج ٥ ص ٢٧٦.

(٢) مقالات تأسيسية، السيد الطباطبائي، ص ٢٠١.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ٢٠١.

(٥) ولاية الفقيه، الشيخ المنتظري، ج ٢ ص ٢٥٥.

(٦) الملحة الحسينية، الشهيد المطهري، ج ١ ص ١٤٢.

المعروف أو فعل المنكر - بحسب الدقة - بل هي من باب الابتداع وأن يزيد بصدد السير في طريق تحريف الإسلام وأحكامه ومعتقداته.

فنهضة الإمام: لإعادة الأمور إلى نصابها ولكشف خطة الدولة، بل لإجهاضها، إذ عند ظهور البدع: على العالم أن يظهر علمه، وعليه الإنكار في موارد الابتداع كي لا تتم الجريمة وتقلب صيغة الإسلام إلى صيغة ثانية في نظر الأمة^(١).

وطرح السيد محمد الصدر أغراضاً خمسة للثورة الحسينية ثم ذكر تحليلاً واستنتاجات له حول الخط العام الذي ترسمه الثورة للأمة في حينها وبعدها.

قال: يمكن أن ترقى هذه الأغراض إلى عدة أشكال:

الشكل الأول: قوله عليه السلام: «اني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب».

الشكل الثاني: إيكال ذلك إلى القضاء الإلهي الذي لا يُردّ، بقوله: «وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي مشردين وأطفالي مذبحين مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا».

الشكل الثالث: إن بني أمية عازمون على قتله على كل حال.. «وإنهم لن يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي. فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلهم» وإذا كانوا على ذلك، كان الأولى مناجزتهم القتال.

الشكل الرابع: إنه عليه السلام رأى جده نبي الإسلام صلى الله عليه وآله في المنام، فأمره بالمضي في وجهته وعدم العدول عنها، وقال:

(١) الحسين بن علي عليه السلام نحو معرفة أفضل، الشيخ محمد الزدي ص ٢١٨.

«حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كربلا، بين عصابة من أمّتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى وظمآن لا تُروى».

الشكل الخامس: وهو الشكل الرسمي أو القانوني للثورة الحسينية، وهو كونها استجابة لطلب أهل الكوفة القدوم عليهم ووَعْدِهِ بُنْصَرَتِهِمْ ضد الأمويين حيث نسمعه يقول - فيما قال - مخاطباً لأهل الكوفة:

«انها معذرة الله واليكم وإني لم آتكم حتى أتني كتبكم، وقدمت بها علي رسلكم أن أقدم علينا فانه ليس لنا إمام، ولعل الله يجمعنا بك على الهدى»

ولما توفر للقائد الإسلامي المقدار الكافي من الناصرين والمؤازرين، وجب عليه إسلامياً اجتثاث حكم الظالمين، وأما حصول مقتله فباعتبار غدرهم به وخيانتهم له، بدلاً عن أن ينصروه.

ولا نريد الآن الدخول في تفاصيل ذلك، فمن أرادَه فليرجع إلى مصادره، وإنما المهم الاطلاع على المبرر «التخطيطي» لهذه الثورة المقدسة.

وحاصل فكرته: اننا قلنا فيما سبق أن ظروف الظلم والانحراف لا يمكن أن تكفي في وجود المخلصين ما لم تقترن بالأسس الإسلامية الموفرة للإخلاص، وإلا فان هذه الظروف تكون موجبة لضلال البشرية وانطباس العدل، وفشل التخطيط العام في النتيجة.

وإنّ من أهم الأسس لتوفير الاخلاص وتقوية الإرادة في أذهان الأمة، هو إيجاد القدوة والمثال الأعلى للتضحية أمام الفرد في مجابهة تلك الظروف الظالمة، وقد كانت ثورة الحسين (ع) أعظم مثال لذلك، حيث أفهمت الأمة بأجياها المتطاولة، والبشرية بمجتمعاتها المختلفة، مقدار ما ينبغي أن يكون عليه الفرد من درجة الإخلاص والصمود وقوة الإرادة ونكران الذات تجاه العدل، ومن أجل محاربة الظلم والانحراف..

والتضحية بالنفس والنفيس والصحب والأهل والولد.

وقد كان لهذه الثورة، خلال عشر التخطيط الثالث الذي نعيشه، الأثر الأهم في إيجاد التحسس العام من أيّ ظلم، ذلك التحسس المنتهي بالثورة، صغيرة كانت أو كبيرة، وكشفت هذه الثورة أمام المخلصين، لزوم عدم اعتدادهم بأنفسهم، والاكتفاء بما هم عليه، وضرورة الصعود في خط التكامل التدريجي والتربية الحقيقية في هذا الطريق، إنهم مهما أدّوا من تضحيات سيكون الحسين عليه السلام وأصحاب الحسين عليهم السلام أمامهم مثلاً يحتذى لن يصلوه إلا بعد لأي.

وسيكون الفرد -نتيجة لذلك- شاعراً بكل وضوح بأهمية أطروحته العادلة، ومثماً ضرورة الإخلاص لها، ومتّجهاً بكل رحابة صدر إلى تقديم المصلحة العامة على كل مصالحه الخاصة، لكي يكون مؤهلاً بالتدريج للقيادة بين يدي القائد المهدي عليه السلام، ومشاركاً بالتالي في إنجاز الشرط الثالث.

وسيكون لهذه الثورة صداها المؤثر الكبير، خلال عصر التخطيط الرابع، حتى ورد أنّ الإمام المهدي عليه السلام يُعلن خلاله حربه للسيطرة على العالم شعار الأخذ بثأر جده الحسين عليه السلام، وسيكون المؤدّي الحقيقي لهذا الصدى الكبير شعور الأفراد في ذلك الحين بضرورة اطاعة الحق المتمثل بالقائد المهدي عليه السلام ودولته العالمية، كما سبق للحسين عليه السلام، أن ضحّى في سبيل هذا الحق نفسه، باعتبار أن الأطروحة العادلة الكاملة، هي نفسها التي كانت لدى الحسين عليه السلام ستكون لدى المهدي عليه السلام ^(١).

وذكر الشيخ باقر القرشي ثمانية عشر سبباً للثورة المباركة في كتابه: حياة الإمام الحسين عليه السلام.

١. المسؤولية الدينية.

(١) موسوعة الإمام المهدي عليه السلام، قسم: اليوم الموعود، السيد محمد الصدر ص ٦١٧ وما بعدها.

٢. المسؤولية الاجتماعية.
 ٣. إقامة الحجّة عليه.
 ٤. حماية الإسلام.
 ٥. صيانة الخلافة.
 ٦. تحرير إرادة الأمة.
 ٧. تحرير اقتصاد الأمة.
 ٨. المظالم الاجتماعية.
 ٩. المظالم الهائلة على الشيعة.
 ١٠. محو ذكر أهل البيت.
 ١١. تدمير القيم الإسلامية.
 ١٢. انهيار المجتمع.
 ١٣. الدفاع عن حقوقه.
 ١٤. الأمر بالمعروف.
 ١٥. إمامة البدع.
 ١٦. العهد النبوي.
 ١٧. العزة والكرامة.
 ١٨. غدر الأمويين وفتكهم^(١).
- وطرح البعض: انتهاء بني هاشم إلى الانقراض نتيجة حقد بني أمية عليهم، وطبيعة السياسة التي يتبعونها، كجزء علّة في طريقة إدارة الإمام (عليه السلام) لصراعه مع السلطة الجائرة المنحرفة عن الإسلام وتعاليمه.

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، الشيخ باقر القرشي، ج ٢ ص ٢٧٠ وما بعدها.

ويؤسفني أن انقل لونا غريباً في فهم وتحليل الثورة المباركة لأبي الأحرار عليه السلام لكن الأمر لا يخلو من فائدة.

فهذا تحليل للكاتب علي الوردي:

رَفَعَ راية الثورة بعد علي بن أبي طالب ابنه الحسين وسار في ذلك سيرة من يُريد أن يموت كما سار أبوه من قبل.

ثم يقول: الظاهر أن هؤلاء الناس قد جُبلوا من طينة الشهادة فهم يثورون ولا يتخذون في ثوراتهم سبيل النجاح، إنهم القوا بانفسهم إلى التهلكة وكُتِبَ عليهم الفشل في كل سبيل سلكوه إلا سبيل الشهادة.

ويقول: والظاهر إن الحسين كان يُريد أن ينتحر.

ثم يقول بعد ذلك: ومهما يكن الحال فقد كان مقتل الحسين من أقوى العوامل التي قوّضت دعائم الدولة الأموية في المشرق^(١).

وكلامه كثير التهافت كما هو ظاهر لمن يُلاحظه «انتهى نقل الاقوال».

لا ريب أنّ قسماً مما خرج له الإمام هو حالة دفاعية، كدفاعه عن نفسه بعد قرار السلطة بقتله على كل حال، وكدفعه عن الأمة المستضعفة، المستنجدة به، وغير المستنجدة، وكدفع المخاطر عن الدين الحنيف، إلى غير هذا مما هو من مصاديق الدفاع وموارده، وما كان كذلك فلا معنى لأن يهادن المرء فيه ما دام الطرف المقابل مستمراً في حالة عدوانه، فالموقف المطلوب منه والمتعين عليه هو الاستمرار في الدفاع ولا غير، لأنّ الغير بالنسبة لحالته هو استسلامه لخصمه المريد لاستعباده أو قتله - والعياذ بالله العظيم -.

(١) وعاظ السلاطين، علي الوردي، ص ٢٢٤.

إنَّ الباعث على النهضة الحسينية ليس أمراً واحداً، بل بواعث عدّة يصلح كل واحد منها سبباً للنهضة ومنجزاً لوجوبها مع عدم المانع، والمانع منها عدم توفّر الناصر تارةً، ووجود المعاهدة مع معاوية تارةً أخرى، فلما توفّر النصير وانقضت أيام معاوية تنجّز الحكم بالوجوب على الإمام وخرج للقيام بمجموعة التكاليف التي كان هناك مانع من تنفيذها.

إننا لم نأخذ الثورة الحسينية وحيثياتها من فعل الإمام فقط، بل لدينا نصوص متعددة عنه عليه السلام وعن بقية المعصومين عليهم السلام، وكما نُقِلَتْ أخبار هذه الثورة المدوية على لسان المعصومين، وكذلك على لسان من حضرها من الحسينيين واليزيديين مما يقطع المرء أو يظنّ -بظنّ معتبر- بحصول وصدور جملة من المنقول، والمنقول لفظي وفعلي، فالسنة الفعلية أي ما نُقِلَ عن المعصوم من فعل فهو ممّا لا يمكن الأخذ بإطلاقه دون اللفظي من السنة إذ يمكن الأخذ بإطلاقه مع تمامية مقدمات الحكمة.

إن الحالات التي واجهها سيد الشهداء سلام الله عليه متعددة وتقتضي أحكاماً عدة ومواقف مختلفة، فبعضها قد يقتضي من الإمام التوقف عن الاسترسال في الثورة على الوضع القائم كما حصل هذا حينما عرض عليهم التوجّه إلى بلاد الله العريضة مثلاً، أو الرجوع من حيث أتى، غير أنّ تسلسل الأحداث والمجريات أدّى بالتالي إلى الموقف الصّلب الذي وقفه الإمام عليه السلام راضياً صابراً محتسباً ورفض معه كلّ وجه من وجوه المهادنة بل هم في الواقع لم يعرضوا عليه غير الإستسلام المذلّ الذي يؤدّي بالراضي به إلى معاملته بما هو شأن العبيد - والعياذ بالله العظيم - والذي رفضه الإمام رفضاً قاطعاً ومضى إلى ربّه مظلوماً عطشاناً شهيداً هو ومن معه من أهل بيته وأنصاره الأبرار.

إنّ مراجعة مسيرة الحركة الحسينية تُنتج أنّ ثورة الإمام عليه السلام لم ينحصر سببها في اضمحلال الحق واندراس الدين الحنيف وظهور الباطل ورواج الجبت والطاغوت.

المقام ليس مقام ترك تقية وتعريض النفس للشهادة لأنَّ في تقِيَّتِهِ ﷺ ما تقدّم، إذ هذا يُثير تساؤلاً وإيراداً بِمَسَلِّكَ الأئمة ﷺ قبل الطف وبعده إذ إنَّ هذا الحال مستمر من بعد الرسول الأكرم ﷺ إلى تمام أيام المعصومين باستثناء فترة قليلة هي أيام حكم الإمام الوصي وولده السبط ﷺ.

بل قد يُقال - مع ملاحظة ما قدّمنا آنفاً - انه لا مفسدة اعظم من قتل الإمام المعصوم والذي بقتله وفقدانه من الساحة اندراس اكثر للدين واضمحلال للحق وترويج للجبّ، إذ ما دام الإمام حياً فإنّه يتدارك الخراب في الدين بإعمارهِ، واضمحلال الحق بإنعاشه وترويجهِ.

والذي استنتجناه هو: أنّ توفر الأنصار ومعاهدتهم على السير قُدماً لاسقاط دولة الجور هو الذي نجّز الأمر وأدّى بالإمام إلى السير قُدماً في طريقه الاستشهادي كي تتضح حقائق القضية واطرافها.

لم أصبح تكليف الإمام رفض البيعة وإن أدّى الامتناع إلى قتله؟

لم كان على الإمام إختيار القتل؟

هل لمجرد تحريك مشاعر الأمة مستقبلاً كي تنهض بثوراتٍ، وتتجرأ للاقدام على إسقاط النظام القائم، أم غير هذا؟

لا ينبغي إغفال الظروف المحيطة بسيد الشهداء ومدخليتها في تحديد طريقة عمله وبالنتيجة في تحديد تكليفه.

إنَّ لرسائل أهل الكوفة مدخلية كبيرة في ثبوت تكليف لزوم الامتناع عن البيعة بالنسبة للإمام ﷺ فإنَّ عدم هذه الرسائل من أصلها أو تراجع أهل الكوفة عن تعهداتهم في وقت يُمكن فيه تدارك الأمر قد يُوجب تغيير الإمام لموقفه وتحقيق امكانية

مبايعته للطاغية - بحسب العنوان الثانوي لاقتضاء ظروف التقية ذلك - فيزيد ليس وحده من يشرب الخمر من الخلفاء، ولا المتهتك الفرد بينهم، ولا ينحصر عنوان - قاتل النفس المحترمة - به دون غيره من الخلفاء من قبله أو من بعده، وليس لعبه بالقروود والفهود يقتضي هذا الحزم والعزم لترك مبايعته، ومن ثم إعلان هذه الثورة العظيمة ضده، ولعلّ لغيره من الخصال ما يجعله يفوق خطورةً على يزيد ويقتضي معه موقفاً أشدّ، نعم: يزيد يلعب بالقروود والكلاب والفهود، وهو يحضرهم في مجلس حكمه، بعد أن يلبسهم الملابس الفاخرة، ويجلسهم معه على دست حكم بلاد الإسلام، وهو تهتك يتميز به ومشتهر عنه، وهو من جملة أسباب النهضة، غير أنه ليس كل شيء في المقام حتى يتخصص وجوب الثورة به دون غيره.

إن الإمام لما سُئل الثورة أيام معاوية قال أن بيننا عهداً، فلم يُبرئه عن لئيم الخصال وعظيم الجرائم، ولم يقل أنه غير مستحق للخروج عليه، بل على العكس تماماً إذ ورد في الرسالة المروية عنه عليه السلام إلى معاوية أنه ترك جهاده وهو يخاف الله تعالى في هذا الترك بل يرى أن جهاد هذا الطاغوت من عوامل القرب من المولى سبحانه و مُحَقَّقاً لِرِضاه جَلَّ وعلا: «وما اظن الله راضياً مني بترك محاکمتك إليه، ولا عاذري دون الاعتذار إليه فيك، وفي اوليائك القاسطين المُلحدین، حزب الظالمين وأولياء الشياطين» ^(١).

فإن علة الخروج لا تنحصر في الصفات الرذلة التي يتسم بها يزيد، لأنه غير متفرد بها، بل يعود هذا لمجموعة عوامل، أدت إلى إصرار الإمام صلوات الله عليه على عدم البيعة، وإلى استشهاده المفجع بالتالي.

(١) راجع: الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٨٩، والحسين، السيد الجلاي، ص ١١٧ عن مصادر العامة.

السّرّ في النهضة أيام يزيد

بعد ملاحظة « المسلمات » التي قدمناها، والتسليم بها، وبعد ملاحظة بواعث الثورة وأهدافها، تتضح مجموعة من الأسباب التي قد تكون جميعها أو بعضها سبباً للحركة الحسينية المظفرة في عهد يزيد دون عهد أبيه.

إنّ كل من سبّر التاريخ، وعرف تلك الفترة الكالحة المظلمة من تاريخ المسلمين، يعلم أنّ معاوية لا يقلّ خطورةً وهولاً عن يزيد، بل يزيد.

فالأب أحقد، إلّا أنّه أدهى وأمكر في تحقيق مرامه، والتوصل إلى أهدافه، والّا فدفن الشريعة المقدسة، وذكر نبيّها، هدف مشترك بين الولد والوالد، غير أن الأخير يُنضج مرامه على نار هادئة، والابن يستعجل، واستعجاله كاد أن يؤدّي في غفلة من الزمن إلى إنهاء الدين المحمدي وإزاحته عن ساحة الوجود سريعاً، غير أن الإمام الحسين (عليه السلام) كان لأهدافه بالمرصاد، فقلب المعادلات، وأزاح آل أبي سفيان بشكلٍ أسرع عن سدّة الحكم، وعن ساحة الوجود، ثم انتهى الأمر إلى إزاحة بني امية قاطبة بركة التضحية الحسينية.

فأول ما يُطالعا في الثورة الحسينية إباؤها الانطلاق في عهد سيد البغاة معاوية، وانفجار بركانها بعد نزو يزيد على منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتحكيم قبضته على البلاد والعباد بالرغم من اشتراك العهدين بالمساوئ والمظالم والفتن والعداء السافر للإسلام والإنسانية، ولآل محمد خير البرية وأنفعها للنوع الإنساني، فما السر وأين يكمن الفرق؟

السبب الأول: التزام الإمام الحسين (عليه السلام) بصلح الإمام الحسن (عليه السلام) ولوازمه.

وهذا الصلح - كما هو معلوم - عقد بين خليفة المسلمين الإمام الحسن السبط (عليه السلام)،

وبين الباغي الأكبر معاوية، وتمّ عقده نتيجةً للمفاسد والمخاطر الكبيرة التي انتهت إليها شوؤن المجتمع الإسلامي، من إغارة جيوش معاوية على المدن الإسلامية، وما انتجته تلك الإغارات من قتل ونهب وهتك وغيرها من الجرائم، وبسبب رشاويه لمختلف الشخصيات، ومحاولته اعتقال الإمام الحسن عليه السلام وإيقاعه في محنة، واستعداده للبدء بتنفيذ خطة مهولة في القضاء على البيت الهاشمي وشيعة عليٍّ أمير المؤمنين وكل ما يرتبط بهذا النهج، وبالنتيجة:

التمكن من القضاء على الكيان الإسلاميّ كلّ - والذي قضى على كيانهم وأحلامهم وجبروتهم في مكة - لو لا إن الإمام عليه السلام تدارك الأمر، ورضي بالصلح والتهدة، مما أفشل خطة معاوية في الإبادة، وإن لم يترك الغادر أمر الانتقام بكيّته.

وقد التزم الإمام سيد الشهداء بهذا العقد والصلح، ولعل هذا من مقتضيات إمامته وعصمته ورفيع مقامه - وإن التزمنا بأن مثل هكذا عقد غير مُلزم لغير المعصوم بحكم الظروف المحيطة التي انتجت ظهوره - إذ التفريط بالعهود والعقود ممّا يؤهن مقام الإمام ويفقده مصداقيته، والعكس بالعكس، كما أن القرآن الكريم يؤكد على الوفاء بالعقد والعهد.

بل إنّ من أسباب ضياع الخلافة من سيد الأوصياء عليه السلام هو نكث الناس للعهد والعقد الذي جرى بينهم وبينه في غدير خم وغيره.

وكذا هو من أسباب الزلزال الذي حصل في دولة الإمام الوصي حتى اشتهر جماعة من منائيه - من موقدي الفتن في دولة الإسلام الفتية - بالناكثين.

ومن أسباب انهيار الحكم الحق في دولة الإمام الحسن، والتجاء الإمام لترك الخلافة الظاهرية، حتى ركب معاوية صهوتها، وأين هو منها.

ومن أسباب الفاجعة الحسينية فيما بعد، وسيطرة يزيد بالتالي على ديار الإسلام.

كل ما تقدم وغيره كثير لم يحصل إلاّ بنكث العهود ونقض المواثيق، فمرض النكث كان مستشرياً في المجتمع الإسلامي وبقي، وهو من الأدوية المستعصية على العلاج، والحسين عليه السلام نفسه سيحتاج حين قيام دولته المقدّسة - لو قدّر لها القيام - إلى وفاء الناس بعهدهم والتزامهم ببيعتهم، أفيكون أسوة لهم في هذا الميدان، وحجّة يتشبثون بها.

لكن هنا ملاحظة:

أن عقد الصلح الذي عقده الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، والمرتكز على شروط اشترطها الإمام، والزّم بها معاوية، قد فقد أثره الشرعي والقانوني منذ ساعاته الأولى، وذلك:

لأن معاوية أعلن من على منبر مسجد الكوفة إمام الجيشين، وبحضور الإمامين، أن كل شرط شرطه للإمام، فهو تحت قدميه ولا يلتزم به، فقد نقض هو عهده وعقده علانيةً، وعلى رؤوس الأشهاد، فعلى هذا لا يلزم الطرف الثاني أيضاً، لانهدام أصل العقد.

كما أنّه - معاوية - مارس نقض الشروط عملياً، بعدما أعلن قولاً عدم التزامه بالوفاء بها، فإذا: ما الذي يدعو الإمام عليه السلام لاحترام هذا العقد ومراعاته، ولعدم اتخاذ خطوة مسلحة خلال الفترة ما بين الصلح وأيام الطف؟

في الواقع: أنّه لم يكن أمام الإمامين السبطين عليه السلام غير التمسك بالصلح، والإبقاء على حالة الهدنة الظاهرية، لأن الالتزام بانتهاء أثر الصلح - وإن تسبّب عن غدر معاوية ونكثه - معناه: العودة إلى حالة الحرب، ودولة الإمام وجيوشه قد إنهارا، فالعودة إلى الحرب معناها إبادة الإمامين العظميين ولدي رسول الله، وإبادة البيت الهاشمي وشيعتهم، وتحقيق أمر كان يبيّت له معاوية ويتمناه، ويدفع عجلته بمختلف الوسائل، وإنها عقد الإمام الحسن عليه السلام الصلح وترك قيادة الأمة الإسلامية الناکلة عن عودها

للحيلولة دون هذه المحاذير، فالظرف الذي اقتضى من الإمامين الصلح وترك القيادة الظاهرية للأمة ما زال قائماً، فمعاوية الذي أوصل الأمور إلى هذا المدى من الانهيار ما زال حياً هو وامكانياته، فلا فائدة تُرتجى من النهضة من جديد، وهذا بخلاف ما حصل بعد هلاك معاوية، إذ استعدت بلدان كثيرة للثورة على معاوية، فالكوفة مستعدة وهي من أعظم مدائن العالم الإسلامي يومذاك، وكذا مكة والمدينة والبصرة، بل قد حدثت الثورات في بعضها فيما بعد، إلا أن عدم تأزرها مع الإمام سيد الشهداء ﷺ مكنّ يزيداً من القضاء على جميع الثورات، بالاضافة إلى غدر أهل الكوفة وخذلانهم.

بينما الإبقاء الظاهري على الصلح يفوّت الفرصة على معاوية، وهذا وإن يؤدي إلى تحمّل خسائر هي حاصلة على كل حال، إلا أنه يوفّر الأرضية للمقاومة المستقبلية، وقد استشهد الإمام الحسن المجتبي بغصّته، وورث الحسين ثأره وقضيته واهدافه.

فإذن: هذا سبب لعدم هدم كيان الصلح.

والسبب الآخر المحتمل: إن ذلك الالتزام بين الإمام ومعاوية بنظر عامة المسلمين ما يزال قائماً، ولا يمكن للإمام وهو يريد هداية الأمة وإراءتها طريق الحق رحمةً بها الا احترام العهد الذي بينه وبين السلطة المدلّسة، وعدم الخروج عليه إلا بمسوّغ بنظر العموم، كي لا ينقض غرضه.

إلا أنّ مما لا بد من التنبيه عليه، أنّ في الصلح شقيّين:

أ- الصلح وشروطه، وهذا قد نقضه معاوية بمنظرٍ من الجميع ومسمع، وعند دخوله للكوفة.

ب- بيعة الإمام وجنده لمعاوية اثر الصلح، والبيعة تقتضي عدم الخروج على المبايع، ولا بُدّ ان معاوية قد اخذ البيعة من الإمامين، ومن قادة جندهما، وعامة جيشهما، بل من الناس كافة، بمن فيهم أهل الكوفة، والكوفة هي القاعدة العسكرية للإمامين ﷺ.

وما ذكره معاوية في رسالته للإمام، إنما يخص بيعة الإمام، لا لتأكيد عقد الصلح. قال معاوية: «وإنّ أحقّ الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته، من كان مثلك في خطرِكَ وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها»^(١).

فهو قد اخذ على الإمام عهداً أن لا يخرج عليه.

إذن الصلح لا أثر له، بل الأثر للبيعة الملزمة، والالتزام بالبيعة هو الذي أدى بالإمام إلى عدم ترتيب الأثر على رسائل أهل الكوفة ما دام معاوية حيّاً، وهكذا كان. السبب الثاني: خصوصية شخصية يزيد، وسلوكه المنحرف.

يزيد يختلف عن أبيه في السيرة الشخصية والسلوك الظاهري، وفي أسلوب الإدارة والحكم، وإن كان الجوهر فيهما واحداً.

فمعاوية لم يكن بذلك التظاهر بالفجور والتهتك الذي كان عليه يزيد، إذ كان يُداري أمره ويُراعي بعض ما تتحسس الأمة منه، للإبقاء على نفسه ومُلْكه.

التهتك العظيم والاستهتار الظاهرين في يزيد كان يمثل تحدياً من هذا الطاغية للامة ومشاعرها ولقاداتها الربانيين، وينذر بخطر عظيم على الدين، كمثّل خطر تحريض بعض الأمة بل دفعهم دفعاً إلى تجاوز كل الخطوط الحمراء في الشريعة، والتمرد على التشريع الالهي بكل إبعاده وحدوده، ومعنى هذا إعلان دفن الإسلام وتشريعاته على الملأ، وضياع الجهود الجبارة للنبي وأهل بيته وصحبه الأبرار الذين هم على دربه لبناء الكيان الإسلامي.

إن تحدي يزيد السافر للأمة باستهتاره المعلن كان استخفافاً بالأمة كلها، واذلاًّ وامتهاناً للإسلام ولقاداته الحقيقيين، بل لجميع المسلمين قاطبةً إمام العالم كله يومذاك.

(١) الغدير، الشيخ الاميني، ج ١٠ ص ٣٤٠.

دولة الإسلام الفتية التي أرهبت دول الكفر وجموعه واستمالت مختلف تيارات الكفر للانضواء تحت لوائها - اقتناعاً أو طمعاً أو رهبة - كيف يعلو عرشها من يستخفّ ويستتهر بكل قيمها ثم يسكت عنه قادة الإسلام وجماهيره خوفاً من الموت، أو الأذى والضرر.

عن الإمام الشهيد عليه السلام عند مخاطبته لوالي المدينة:

«إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ليس له هذه المنزلة، ومثلي لا يُباع مثله»^(١).

وعن التاج في اخلاق الملوك: إن يزيد كان لا يمسي إلا سكراناً، ولا يُصبح إلا مخموراً^(٢).

وفي بيان أهل المدينة حين خروجهم على يزيد بعد استشهاد الإمام بأشهر، وكان وفد منهم قد زار يزيد في عاصمة ملكه:

«قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويضرب الطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، وَيَسْمُرُ عنده الخُرَاب والفتيان، وإنّا نُشهدُكم أنّا قد خلعناه»^(٣).

وفي رسالة الإمام لمعاوية عند تعدادة لجرائمه:

«وأخذك الناس بالبيعة لابنك، غلام سفيه، يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب»^(٤).

(١) الملهوف، السيد رضي الدين ابن طاووس. ص ٩٨.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ١٤٥، عن التاج ص ١٥١.

(٣) معالم المدرستين، السيد العسكري، ج ٣ ص ١٨١.

(٤) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ٢٢٧، عن الإمامة والسياسة.

وفي خطاب الإمام (عليه السلام) إمام الحر وجيشه:

«أيها الناس، ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغَيِّرْ ما عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يُدخله مدخله، ألا إن هؤلاء قد لزمو طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله»^(١).

فما العمل؟

الحسين (عليه السلام) بعمله النهضوي لقّن كل الطواغيت الحاكمين لبلاد المسلمين درساً لن ينسوه أبد الدهر.

إنّ تجبر الحاكم واستهتاره لأبد أن يكون له حدود، والتقية قبالهم لها حدودها، فلا يُترك الحاكم يطحن الكيان الإسلامي، ويُنهى وجوده أمام سمع الناس وبصرهم من دون تحركٍ تغيري يُوقف عملية التدمير.

الأئمة (عليهم السلام) مع عدم تمكنهم من التحرك التغيري قد يتصبرون تجاه حاكم الجور ما دام جوره لا يمس جوهر الإسلام ولا يُنهى وجوده، فإذا بلغ الأمر هذا المقدار فلا بدّ من عمل أي شيءٍ لتغيير مجرى التدمير، أو للتخفيف من غلوائه.

السبب الثالث: لا خيار إلا القتل.

إنّ يزيداً ألجأ الإمام (عليه السلام) إلى اختيار القتل من بين الخيارات المطروحة أمامه، وهي:
الخيار الأول: البيعة.

الخيار الثاني: النزول على حكم الفئة الحاكمة - أي الاستسلام دون قيدٍ أو شرط،

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٨٠.

شأن العبيد، والعياذ بالله العظيم - .

الخيار الثالث: المناجزة والقتل.

- البيعة تعني ضياع جهود الإمام لقلب نظام الحكم، وتضييع الإمكانيات والفرص المتاحة لتحقيق هذا الهدف في هذا الوقت، وهو أنسب مما قبله، وبمبايعته ليزيد يستحيل عمل شيء بعد هذا الوقت، فكان على الإمام الإسراع باستثمار كل الإمكانيات المتوفرة لتوجيه الضربة القاصمة لكيان تلك الدولة - دولة الجور والفجور - كي يتصدع وينهار عاجلاً أم آجلاً.

البيعة معناها: إنهار معنويات الأمة، وخضوعها لارادة الحاكم القاهر، والذي يعمل بكل ما أمكنه حَرْفُ الأمة عن سبيل سعادتها، ولسلب إرادتها، وحرية الاختيار عندها، وعن الخضوع لأحكام الإسلام.

- والنزول على حكم الفئة الحاكمة يعني الاستسلام بدون قيد أو شرط، وللحاكم أن يفعل ما يشاء بالمستسلم، وهذا شأن العبيد، فالمرء حين يستسلم يُؤسر ويُستعبد ويُباع ويُشترى ويُستخدم وقد يختار أسره قتله أو فدائه.

الحسين ابن رسول الله محرّر الإنسانية وسبب سعادتها ونجاتها في الدارين.

الحسين خليفة الله في الارض.

الحسين وارث مقام آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي والحسن، أي وارث مقام كل الانبياء والاصياء عبر تاريخ الإنسانية الطويل.

الحسين وصي محمد وعلي والحسن صلوات الله عليهم أجمعين.

الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم فضلاً عن غيرهم.

الحسين حبه حبّ الله، وبغضه بغض الله، حربه حرب الله، طاعته طاعة الله، كلمته

عن الله ورسوله، وهو عدل القرآن، وسفينة نجاة الأمة، وأحد أصحاب الكساء، وآية التطهير، وآية المباهلة.

كيف يستسلم الحسين لهم وكسّر حرمة كسّر حرمة كلّ من يمثّلهم الحسين ويرث مقامهم؟

ولمن يستسلم؟

ليزيد وابن زياد؟

لأراذل الأمة؟

لأحطّها قدراً، واقدرها منبتاً، واشدّها كفراً وعداءً الله ورسوله.

الحسين يقول: «لا والله لا اعطيكم بيدي إعطاء الذليل»^(١).

ويقول صلوات الله عليه وسلامه: «ألا وإنّ الدعيّ بن الدعيّ قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن تُؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»^(٢).

نعم: عرّض عليهم الذهاب في بلاد الله العريضة والرجوع من حيث أتى - بحسب المروي - لكنّهم أبوا عليه إلّا ما قدّمنا ذكره، فاختار الموت ليبقى دين الله حُرّاً ناصعاً، وليُكَمِّل مَنْ بَعْدَهُ مِنْ أَوْصِيَاءِ الرِّسُولِ الْأَكْرَمِ مَسِيرَتَهُ.

وقد التزم السيد المرتضى في كتابه - تنزيه الأنبياء - بأن الإمام مقتول على كلّ حال، وأنهم إنما كانوا يخيرونه فإنما بين أمور يعلمون عدم رضاه بها قطعاً، وأنّه سيختار الموت

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٩٨.

(٢) الملهوف، ص ١٥٦، وحياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي ج ٣ ص ١٣٩، عن ابن عساكر.

عليها - على إنَّ نتيجة الخيارات الأخرى هي الموت أيضاً ^(١).

ولم يكن هذا مسلك يزيد فقط، وإنما كان طريق ابن زياد ^(٢) أيضاً في التعامل مع الإمام، والذي يُرشد إلى إن غايتهم هي قتل الإمام على كل حال، ما صدر منهم تجاه سفيره مسلم عليه السلام إذ إنهم أمتوه ثم قتلوه، إذ الغدر ونكث العهد لهم عادة، وهو القاعدة في سلوكهم مع الجميع، وفي كافة مجالات الحياة، ولو لم يكونوا على هذا المسار لاستَبَقُوا مُسْلِمًا للمساومة مع الحسين عليه السلام، أو للتدليل على حسن النية، وأين هم منها؟

الحسين لم يطلب الموت، ولم ينحصر تحقيق هدفه بالموت، وإنما اختار الموت من بين الخيارات المتاحة لإمامه، فاختره وحافظ بهذا على البقية الباقية من معالم الإسلام. المؤمن غير مخوّل بإذلال نفسه ^(٣)، فكيف بإمام المؤمنين، وفي أمرٍ يتعلّق بالدين، وبشخصيته كقائم مقام النبي عليه السلام، أفيلقي اليهم بيد، فيختاروا في أمره ما شاءت لهم أمانيتهم، وهذا عين المستحيل من خليفة الله ورسوله.

السبب الرابع: شراسة معاوية وحيلته.

طغيان معاوية وجبروته وشراسته، جعلت حالة من الرعب والخوف وخور النفوس تهيم على الأمة.

ولهذا لم يُعرف عن أيامه قيام حركات مسلحة مناهضة له لها أهميتها، فكان وضع الدولة في عهده بعد صلحه مع الإمام الحسن عليه السلام هادئاً تقريباً بالنسبة له، وأما بالنسبة للناس فقد كانوا في مرّجل وما هم إلا مُصابٌ في دينه أو مُصابٌ في دنياه.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٩٩ عن تنزيه الانبياء.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥ ص ١٠٠.

(٣) عن مولانا الصادق عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن كل شيء إلاّ إذلال نفسه»

فراجع: وسائل الشيعة، ج ١٦ ص ١٥٧.

نعم، قام معاوية بحملات إبادة وتنكيل واسعة النطاق لتشتيت شمل الأمة وهذّ قواها واشغالها عن واجبها ومهمّها - وهو اقصاؤه عن منبر رسول الله ﷺ - كيف وقد ورد عن النبي الأكرم الأمر بقتله إن وجدوه على منبره، فعنه ﷺ: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»^(١).

ويكفي - لأخذ فكرة عن الأبعاد الإجرامية لمعاوية - الالتفات إلى كتابه الذي أرسله نسخة واحدة إلى عموم وولاته في العالم الإسلامي، يأمرهم فيه بأخذ الناس على التُّهْمَةِ والظَنَّةِ، وإنزال أشدّ العقاب بكلّ من احتملوا في حقّه الولاء لسيد الأوصياء^(٢)، إذ عليهم أن يهدموا داره، ويشردوه، بل يفعلون به الأفاعيل.

وبقراره هذا ترك كل من شمله في عداد الأموات، فإمّا ميت بجسده، أو ميت بالنسبة للوضع المعاشي العادي للناس، إذ لا دار له ولا ملجأ ولا مال ولا مستقر إن لم يُسَجَّن ويُنَكَّل به.

ومن أشكال ريادته للإجرام قطعه لرأس العبد الصالح عمرو بن الحمق الخزاعي وتسييره في البلدان وهو أوّل من فعل هذا في الإسلام.

نعم سبقه خالد بن الوليد عند ما قطع رأس مالك بن نويرة، وجعله ثالث الأثافي لِقَدْرِ الطبخ، ونزا على زوجته في ليلة مقتله بدون عِدَّة لها من زوجها الشهيد^(٣).

وقد قتل معاوية عمراً بعدما اعتقل زوجته وأودعها السجن إلى أن تمكّن من زوجها، وهو أوّل من اعتقل امرأة لغرض الظفر بزوجها في الإسلام، وأوّل من سجن امرأة لا لظلم منها، وقد فعل هذا بعمرو بعدما أمّنه وأعطاه من العهود والمواثيق ما لو

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٣ ص ٢٤٣.

(٢) راجع: النصائح الكافية لمن يتولى معاوية.

(٣) الاستغاثة، ص ٩، وذكرها الطبري وابن الأثير والواقدي والعسقلاني وابن سعد وأبو الفداء.

أعطاه لطائر لنزل إليه من رأس جبل على حدّ ما كتبه الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية في رسالة له طويلة، وفي آخرها:

«وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد، واتق شقّ عصا هذه الأمة، وأن تردّهم إلى فتنة، وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولامة محمد عليه السلام علينا أفضل من أن أجاهدك فإن فعلت فأنّه قربة إلى الله، وإن تركته فإني استغفر الله لذنبي وأسأله توفيقه لإرشاد أمري»^(١).

كما قام معاوية بقتل حجر بن عديّ الكندي وأولاده وصحبه لحبهم علياً عليه السلام وهو أوّل من قتل في حب علي «والحق أنّ الزهراء البتول أوّل من قُتل في حبّ عليّ، ولأجل عليّ، وفدائيّة لعلّي -صلوات على الوصيّ عليّ وعلى زوجته البتول الشهيدة وعلى أولادهم الأحد عشر المعصومين، وبارك الله في كلّ ما صدر عن الوصيّ والبتول بلا حدّ ولا أمد-».

وأرسل إلى اليمن جيشاً فعل بأهلها الافاعيل، ومما فعلوا: أنهم باعوا نساء المسلمين المحيّين لعلّي عليه السلام في الاسواق لحبهم علياً عليه السلام، ومعاوية أوّل من باع نساء المسلمين في بلاد المسلمين.

وبائقة الدهر: قتله ربحانة رسول الله صلى الله عليه وآله مولانا أبي محمد الحسن المجتبي سيد شباب أهل الجنة، والخليفة القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من الله تعالى، ونصّ من النبي، وباختيار ومبايعة من الأمة.

ومن عظامته: سنّه لسبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في جميع أرجاء العالم الإسلامي قهراً ومحنة للأمة مع إنّ عامة المسلمين قد رووا عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قوله:

(١) الحسين عليه السلام، الجلال، ص ١١٧.

«من سبّ علياً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله»^(١).

ومن عظمائه - وعظائمه لا أوّل لها ولا آخر - تأميره يزيداً على الأمة من بعده، بمحضر أهل بيت النبي الأعظم، وخيرة صحابة النبي ﷺ وما لا يحصى من قراء الأمة، وعلمائها، وافاضلها، وكل ذلك مبارزةً لله سبحانه، واستعلاءً عليه، وطغياناً لم يُعهد مثله في الإسلام أبداً.

بل هو الذي سنّ الطغيان لجبابرة الأمة وفراعتها وطغاتها من بعده.

ويكفيك للدلالة على عتوّه وبلوغه الغاية في إجرامه، قول مورخ في فترة ما بعد توليته زياد بن أبيه على الكوفة: «فلم يبق بالعراقيين أحد مشهور إلا مقتول أو مصلوب أو طريد أو هارب»^(٢) من شدة أفاعيله بمحبّي علي عليه السلام وبمهبط شيعة ومقرّر حكمه وانصار خلافته.

ومما كتبه لعماله أنّه: برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته.

السبب الخامس: شراء معاوية للذمم.

إن معاوية قد أسرف في شرائه لضمائر وذمم كثير من رؤساء العشائر، ووجهاء المدن^(٣) وناكثي العهود، ممّن لهم القدرة على تحريك الجماهير، أو التأثير فيها، لدعم كيانه دولته، أو لمنعهم من المشاركة في هدها.

استغلّ معاوية ظرف تأثر هؤلاء من سياسة أمير المؤمنين عليه السلام في المساواة بين شيوخ العشائر وأفراد الأمة العاديين في العطاء وفي الحقوق وفي الغنائم، إذ ما فضّل أمير المؤمنين رئيساً ووجهاً لمقامه، ولا غبّن ضعيفاً لضعفه، فجاء معاوية وهؤلاء المتهوّسون

(١) فضائل الخمسة، السيّد الفيروز آبادي، ج ٢ ص ٢٢٩ عن المستدرک على الصحيحين وغيره.

(٢) السقيفة، سليم بن قيس الهلالي، ج ٢ ص ٧٨٤.

(٣) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢ ص ٨٤.

للتميّز على باقي افراد الأمة، والمتهاكون في الاستحواذ على كل شيء، في تأثّر من سياسة الإمام فبذل لهم الاموال الطائلة، والوعود بعطايا ومناصب، فاعرضوا عن الدين، وعن تذكر المعاد، وعن الاتعاظ بسنن الله تعالى في عبادته، فتسابقوا لنيل عطايا معاوية، وإيقاع الهزيمة في جيش الإمام، عبر تخذيل الناس، وإحداث الفتن، والتقايس عن المسير للحروب، والتشاغل عن الانصياع لأوامر الإمام.

هؤلاء اعتادوا على سياسة عثمان الذي أعطى خمس غنائم أفريقيا لعبد الله بن أبي سرح^(١) طريد رسول الله ﷺ لكونه أخاً له بالرضاعة، فكيف ثلاثهم سياسة الإمام الذي يحرم أخاه عقيل من أقلّ القليل.

فعنه صلوات الله عليه:

«والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بُركم صاعاً، ورأيت صبيانه شعث الشعور، غبر الالوان من فقرهم، كأنما سُودت وجوههم بالعظم، وعادوني مؤكداً، وكزّر عليّ القول مُردّداً، فأصغيت إليه سمعي، فظنّ أني أبيع ديني، وأتبع قياده مفارقاً لطريقي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجّ ضجيج ذي دنفٍ من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أئنن من حديدة أحمأها إنسانها للعبة، وتجزني إلى نارٍ سجرها جبارها لغضبه، أئنن من الأذى ولا أئنن من لظى»^(٢).

فسياسة معاوية هذه أدت بهؤلاء المرتشين إلى التقاعس عن النهضة، والتصامم عن نداء الدين، والضمير، والأمة المفجوعة، والإمام الثائر، فلا بُد من الانتظار ريثما يتغير الظرف.

(١) الغدير، الشيخ الاميني، ج٢ ص ٣٩٤ عن مجموعة من مصادر العامة.

(٢) نهج البلاغة، السيد الرضي، ص ٤٧٢، الخطبة ٢٢٤.

السبب السادس: إن سيد الشهداء بحكم عقد الصلح المبرم بين الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وبين معاوية هو صاحب الحقّ الوحيد^(١) والسهم الأوفر في خلافة الأمة الإسلامية مع هلاك معاوية، ووفاة الإمام الحسن عليه السلام قبله.

وبالرغم من أن معاوية قد أعلن فور دخوله الكوفة بعد الصلح، نكثه لعهوده مع الإمام الحسن عليه السلام إلاّ أنّه لم يجر ترتيب آخر لمسألة ما بعد معاوية إلى آخر أيامه حين عزم على استخلاف يزيد.

فلم يكن من المناسب الخروج على معاوية مع إمكانية الظرف لاستلام الإمام الحسين عليه السلام للخلافة بهدوء، ويكفي لإثبات أحقيّته في التقدّم على كلّ أحد، ما ورد عن رسول الله ﷺ بشأنه ممّا رواه جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

السبب السابع: الظروف السيئة والتي بسببها صالح الإمام الحسن عليه السلام معاوية لازالت قائمة فمعاوية وبطشه وأمواله وغمسه ومكائده واستماتته من أجل البقاء في الحكم وكثرة انصاره عقبات إمام النهضة فلا مجال للنهوض، إذ لا مجال للتغيير.

أما مع هلاك معاوية فإنّ أمور الدولة ستنفطرط بعض الشيء مما ينفع في استغلال الظرف لزعة أركان النظام القائم، وهذه بخسائر أقل، وبتناجج مضمونة.

السبب الثامن: إن خروج سيد الشهداء على القائم مقام معاوية فيه المشروعية الكاملة بنظر عموم المسلمين، وليس هذا كخروجه على معاوية.

أما عند الشيعة: فلأنّ الإمام المعصوم، وخليفة رسول الله ووصيه، وهو صاحب الحقّ الوحيد في زعامة المسلمين، وقيادة الدولة، وولاية الأمر، وهو أولى بكلّ مسلم من نفسه.

(١) راجع كتاب صلح الإمام الحسن عليه السلام، للشيخ راضي آل ياسين، ص ٢٦٠ من منشورات ناصر خسرو، وقد نقل هذا عن عمدة الطالب لابن مهنا ص ٥٢.

وإما عند غير أوليائه: فلملكاته، ولفضله على غيره، ولما ورد في حقّه عن النبي الأكرم ﷺ، ولحسن سيرة أهل البيت ﷺ في الأمة، خصوصاً بعدما ذاق الناس من غيرهم الأمرين.

ويُلفت إلى علو مقامه عند غير شيعته:

١- إن الناس حين يؤخذون بالقوة، فإنهم يَنكَلون عن أهل البيت ويجبنون ويتخاذلون، وقد حدث هذا في السقيفة وغيرها.

أمّا حين يُتركون وشأنهم فلا يختارون غير محمد وآل محمد، كما حدث هذا بعد مقتل عثمان، وبعد استشهاد أمير المؤمنين، وبعد هلاك معاوية، إذ رغبت الأمة في الحسين دون غيره - وهذه الفقرة تشمله مع بقية آل البيت ﷺ -.

ومقصودنا من الناس هنا غير الشيعة، والآل فالشيعة لا خيار لهم ولا اختيار غير الأئمة من أهل البيت، وإن جرى ما جرى، والحوادث على طول التاريخ خير شاهد.

٢- إن خوف الأمويين في الدرجة الأولى كان منه ﷺ، مع قلة شيعته الذين هم محلّ اعتماده، وما هذا إلا لعظم موقعيته في نفوس عامة أبناء الأمة، ولتاثيره الشديد في نفوسهم وحركتهم.

٣- ومما يثير التأمل والشجون، ويصلح شاهداً هنا، قول الفرزدق أو الطرماح أو غيرهما - على الخلاف - له ﷺ وهو في طريقه إلى الكوفة:

قلوب الناس معك، وسيوفهم عليك^(١).

٤- إن توجه الأمة كان إليه لاستنقاذها من حكم بني أمية وطغيانهم، ولم يكن هناك توجه عام إلى شخص آخر غيره.

(١) الدرجات الرفيعة، السيد علي ابن معصوم، ص ٥٤٨، والأخبار الطوال، الدينوري، ص ٢٤٥، بحذف: معك.

٥- إنّه حيثما حلّ ﷺ فإن قياد الأمة كان بيده، وما هذا إلا لخضوع الناس له وتعظيمهم لمقامه، مع أنهم لم يكونوا شيعةً له بالمعنى المصطلح، ولهذا كان ابن الزبير في ضيقٍ من وجود الإمام معه في مكة في نفس الفترة لأنه يعلم أن لا أمر له فيها ولا نهي ما دام الإمام بمكة، فكان يتمنى خروج الإمام منها لتصفو له طاعة اهلهما.

وما قدمناه، مشترك بين أيام معاوية وأيام يزيد، والفارق هو:

إن في معاوية جوانب تثير التردد لدى بعض الناس من الخروج عليه، وليست هي بمتوفرة في ابنه، ككونه صحابياً، أو خالاً للمؤمنين، أو كاتباً للوحي، أو ولياً لدم عثمان، ونحو هذه من المبررات التي لا يسوغ معها لاحدٍ اعتمادها في مقابل النصوص الكثيرة والعظيمة في الكتاب والسنة والمنادية بمحورية الإمام الحسين سبط النبي الأعظم ﷺ في حركة الأمة، وبلزوم انضواء كل فردٍ في الأمة تحت رايته وإلا فهو متمردٌ على الله، ومتحدٍّ لإرادته - تعالى وتقدس -.

أمّا يزيد فكان ظاهر الاستهتار، والغف في المحرمات، هاتك لحجاب ستره، مع فقدته لصفات الشيطنة التي كان متوفرة في أبيه، والتي مكنته من خداع الأمة وكسر إرادتها كي يحكمها ويصنع في أمرها ما يحب ويشتهي، كما كان فاقداً للصفات والعناوين المتقدم ذكرها، والتي كان البعض يروجها لأبيه كي يُحكم له أمره وسلطانها، ولذلك لم يتم ليزيد أمره، كما تم لأبيه، وأصبح الظرف للإمام مهيناً أكثر للنهضة.

فما دام الأمر كذلك، فإنه مدعاة لأن يتوقف الإمام عن الخروج أيام معاوية، ويعزم على الخروج أيام يزيد، واللازم حينها على الكل نصرته وتأييده وإطاعته وإرغام عدوه.

ومما يساعد على نهضة الكل معه أيام يزيد أنّه لم تترسخ في الأمة مسألة طبعيّة استلام الولد للخلافة بعد أبيه، وهناك رفض في الجملة لاستلام يزيد بالخصوص لها، لكل ما تقدّم، مع اشتهاؤه بالملكات الخبيثة والردائل، فمن السهل الخروج عليه حين

يتطلب الموقف.

وأما عدم صحة خروج الإمام أيام معاوية، فلأجل توفر عوامل عدّة - وتقدّم ذكر بعضها، والتي منها قضيتا الصلح والبيعة - والتي تؤدي إلى عدم نجاح حركة الإمام.

السبب التاسع: خصوصيات معاوية:

يزيد ضعيف الشخصية، فاقد الاهلية لصغائر الامور فضلاً عن مقام الخلافة الذي لا يستحقه الاّ الاوحديّ من الأمة، كما انه لا ديانة له وذائع الصيت باقترافه للمنكرات والفواحش والاستهتار بشرع الله سبحانه علانيّة - والكل يعلم ما يفعله أبناء الحكام والزعماء وهم تحت مظلة آبائهم من استغلال للنفوذ، وعبث بممتلكات الأمة، وجور بالناس، واستدراار لمنافع تخصّ المجتمع -.

أمّا معاوية فمع منكراته وموبقاته وجرائمه، فليس كابنه في الخلاعة والمجون والميوعة، وهو - بنظر البعض من السّدّج - خال المؤمنين وكاتب الوحي، فيصعب الاعتراض عليه أو الخروج ضده لنسف قواعد حكمه، وكأنّ خوولته للمؤمنين تحوّله ان يحكم في عباد الله كما شاء ويشاء له الهوى، فغاية خطيئته عندهم أنّه اجتهد فأخطأ، مع أنّ سب الصحابة عندهم كفر، ومعاوية سب أمير المؤمنين ما لا يُحصى من المرات وعلى رؤوس الاشهاد، بل سنّ سبه على منابر المسلمين في شرق العالم الإسلامي وغربه، واستمر هذا زهاء ستين سنة، ومن سنّ سنّة سيئة فعلية وزرّها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، كما إنّ من سبّ علياً كمن سبّ النبي، ومن سبّ النبي كمن سبّ الله تعالى، فمعاوية سنّ سبّ الله تعالى على منابر المسلمين ومن لا يسبّ يُقتل، فما حكم هؤلاء في خال المؤمنين وكاتب الوحي؟

معاوية الذي تجرأ على المقام الأقدس للنبي العظيم ﷺ إذ لما سمع المؤذن يشهد

للنبي ﷺ بالرسالة قال:

لله ابوك يا ابن عبد الله، لقد كنت عالي الهمّة، ما رضيت لنفسك إلا أن تَقْرَنَ اسمك مع اسم الرب تعالى ^(١).

وكلامه ظاهر في نسبة هذا إلى النبي ﷺ، لا إلى تشريع الله تعالى له، وهو منه كفر صريح.

ومقولته: «إلا دفناً دفناً» مشهورة، وفي الكتب مسطورة ^(٢).

وهي: ابن بكار في «الموفقيات» قال: سمعت المدائني يقول: قال مطرف بن المغيرة: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية. ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء فرأيتَه مغتماً فانتطرتَه ساعة وظننت إنه لشيء حدث فينا أو في عملنا فقلت له: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟

قال: يا بني إنني جئت من عند أخبث الناس.

قلت له: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين! فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه.

فقال لي: هيهات هيهات ملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ١٠١، والبحار ج ٣٣ ص ٢٠٢، والكنى والألقاب للشيخ عباس القمّي ج ١ ص ٨٩ جميعاً عن كتاب أخبار الملوك لأحمد بن أبي طاهر.

(٢) راجع: الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، ص ٥٧٦، ومروج الذهب، المسعودي، ج ٣ ص ٤٥٤، وكشف اليقين، العلامة الحلي، ص ٤٧٤ عن كشف الغمّة، والغدير، الاميني، ج ١٠ ص ٢٨٤، وشرح النهج، ابن أبي الحديد، ج ٩ ص ٢٣٨.

فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد و شمر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله. فأبي عمل يبقى مع هذا لا أم لك، والله إلا دفنا دفنا؟.

وكيف كان، فإنّ اندفاع الأمة بمختلف توجهاتها المناهضة يزيد ومقاتلته، أشدّ من اندفاعها ضد أبيه، فحالة يزيد المزرية تدفع الأمة إلى التقاعس عن نصرته، والاشتمزاز منه، ورفض خلافته، يُشجّعهم في الخروج عليه احتساب هذا عند الله تعالى، ورجاء الجنة.

السبب العاشر: عدم مبايعة الإمام ليزيد.

إن سيّد الشهداء لم يُبايع يزيداً أبداً، في حياة معاوية أو من بعده، وهذا مما يسمح بإعلان الحرب عليه بخلاف الحال مع معاوية، لصدور البيعة عنه صلوات الله عليه اضطراراً.

إذ موقف الأئمة عليهم السلام من الامتناع عن نكث البيعة معروف من خلال سلوكهم عليهم السلام ابتداءً من أمير المؤمنين حتى الإمام الحسن العسكري، فلا نكث ولا تشجيع على النكث، ولا لفتح باب النكث إمام جمهور الأمة، وهذا منهم تبعاً للتأكيد الشرعي في المنع منه، فهم: لا يبايعوا طاغوتاً أبداً، وإذا اضطهرهم الظرف لمبايعته لحكم شرعيّ ثانوي فإنّهم لا ينكثون بيعتهم، ولا يغدرون أبداً.

وقد ورد عن الإمام المنتظر «المهدي» أرواحنا له الفداء بهذا الخصوص ما يعزّز هذا الرأي:

«إنّه لم يكن أحد من آبائي الآ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإنّي أخرج

حين أخرج ولا بيعه لأحدٍ من الطواغيت في عنقي». فبيعة المعصوم مُلزَمةٌ له، ولذلك لم يبايع الإمام يزيداً في حياة معاوية لئلا يلزمه الالتزام بها، فلا يتمكن من التحرك والنهضة ضده.

وهذا مبنى بعض الاعلام، إذ يرى لا بُدّية التزام المعصوم بالعهود والعقود، والاّ يرتفع الوثوق بكلامه وعقوده، ولمكان منصب خلافته عن الله ورسوله ﷺ. إنّ من أمراض المجتمع في تلك الفترة نكث البيعة والعهد، ومن المعلوم أنّه لا تقوم دولة، ولا يستقر مجتمع، ولا تنهأ حياة، بغير الوفاء بالعقود، واحترام العهود.

وقضية النكث موجودة في الساحة الإسلامية منذ أيام الإسلام الأولى، يحكي عنها بأجلى بيان توقّر أشخاصٍ ضعفاء الإيمان، أو لا إيمان لهم أصلاً، بين آخرين كانوا القمّة في الإيمان والفدائية في سبيل الإسلام، ووجود مجموعاتٍ منافقةٍ في عصر النبي الأكرم ﷺ ليس سرّاً، على ان انحصار هذه الظاهرة فيهم ليس صحيحاً بإطلاقه.

وأعظم ظاهرة نكث في تاريخ الإسلام، ما جرى يوم السقيفة، والذي أنتج ما به نكث البيعة العظمى من المسلمين لأمر المؤمنين علي عليه السلام والحاصلة يوم الغدير بمحضر النبي الاعظم وبأمره ﷺ، والآخرى نكث الكوفيين بيعتهم لسيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام، وقد ادى نكثهم إلى استشهادهم وأهل بيته وصحبه بتلك الصورة الفظيعة المعروفة.

السبب الحادي عشر: إنّ الغضب الشعبي قد بلغ أوجّه وتَفَجَّرَ بعد هلاك معاوية، لما لاقته الأمة من الظلم والهوان والإهمال لمصالحها، وَلَوَصَّلَ ليلهم بنهارهم رعباً وعبوديةً وهواناً، وذلك لاستيلاء الفراعنة على مُقَدَّرَات البلاد، وبناء سياستهم مع الناس على القسوة والإهمال.

أفترضي الأمة من يجدد لها ذلك العهد ويستمر به إلى أمد لا يعلمه إلا الله، بل وتخضع لهوان أفسى منه وجاهلية أخس، إذ جاهلية يزيد غير جاهلية معاوية، لما شاع عن يزيد من شربه للخمر وولعه بالفجور وهواه بالقرد، فجاهلية يزيد أعتى، ومعاوية أمكر وأغدر وأضل.

السبب الثاني عشر: إن الإمام الشهيد عليه السلام قد ضرب للنثرين موعداً وهو هلاك معاوية، فالنفوس متحينة لتلك الفرصة ومتأهبة لها، ولم تزل المعارضة تستجمع قواها وإمكانياتها، وفي هذا ما يلهي معاوية عن الثوار بعض الشيء لعدم تهديدهم الفعلي لسلطانته، كما أن التعامل مع خليفة معاوية سيكون مباحاً ومعتزلاً، لأنه سيطلب البيعة، فإذا بايعته الناس، فإنها ستخضع للآزم البيعة وتسترخي عن نصرته الحركات الثائرة، وفي هذا فساد أمر الثورة، فلا بد من إتمام الأمر في الأيام الأولى، ولما يتأهب الحاكم الجديد للمعركة، وقبل أن يستنفر قواه.

فالفرصة الأنسب للثورة إذن عند هلاك معاوية، وهي فرصة لا يصح تفويتها لهدم الدولة الجاهلية.

السبب الثالث عشر: تنجز لزوم النهضة بوجود الناصر.

إن المعصومين - كما هو معروف - يتعاملون مع الأحداث وفق ما يقتضيه ظاهر حالها بالوسائل المقررة في الشرع الإسلامي، لا بحسب العلم المكنون لديهم عن الواقع الخارجي، وبحسب ما تقتضيه طرق العلم الخاصة بهم، والمفاضة من الله سبحانه إعانة لهم على ما أنيط بهم في القيام بشؤون الإسلام والأمة - وليس هذا على نحو الموجبة الكلية -، وذلك على أساس أن للواقع الخارجي بحسب ظاهره مدخلة كبيرة في ترتيب التكاليف عليهم، بل على جميع أفراد الأمة.

وعلى هذا الأساس، فإن من جملة شرائط تنجز النهضة ولزومها على الإمام

المعصوم ﷺ توفّر الأنصار له، بحيث تتحقق بهم الكفاية ويتم الغرض، لإنجاز المهمة وتحقيقها خارجاً، مع عدم وجود مانع في البين.

وقد تحقق للإمام توفراً في الأنصار أيام معاوية، لكن لوجود محاذير وموانع فإن الظرف كان قاصراً عن قابليّة تحقيق النتائج المرجوة من خلاله.

ثمّ إنّ الظرف المرجوّ تحقّق بجميع حيثياته في الأيام الأولى ليزيد، فكان لا بُدّ من استغلاله عاجلاً، والآساءت الامور أكثر من ذي قبل بما لا يُرجى معه تدارك.

ولو عدنا - تاريخياً - إلى الوراء لرأينا أن سيد الاوصياء دعى الناس لنصرته بعد رحيل النبي الاعظم ﷺ، إلّا أنّ عامتهم نكلوا عنه وخذلوه، مع غِلظة وقسوة من الحُكّام الجدد يحكي عنها بأنّ بيان ما جرى على سيدة نساء العالمين وصديقة آل محمد «فاطمة» بنت رسول الله ﷺ من ضربة باليد على وجهها - من أرذل الخلق وأكفرهم - وضرب سوطٍ على عضدها، وكسر لضلوعها، وعصر بباب الدار حتى إسقاط جنينها، وصاحب هذا دخول مسمارٍ في صدرها... الخ، ولا يستطيع قلم تسجيل حقيقة ما جرى عليها جسدياً ونفسياً ومعنوياً، وهي من يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، ثم هي المصابة باعظم مُصاب وهو استشهاد والدها سيّد الانبياء والمرسلين ﷺ.

فما أن رأى الوصيُّ هذا، حتى تركهم وترك الأمر كلّهُ، إلى أن أعلنوا الاستعداد لنصرته بعد مقتل عثمان وعاهدوه على معاضدته، فنهض بالأمر من جديد. وكذلك بقية المعصومين، ومنهم سيد الشهداء، والذي لزمه القيام أيام يزيد لما أعلن الكثير مبايعته والاستعداد لنصرته، فالحجة قد ثبتت لهم عليه بحسب ظاهر الحال، لكن:

﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾^(١)

(١) سورة الانعام، الآية ١٤٩.

﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾^(١).
 ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَذَّابِينَ﴾^(٣).

كان لابد من تعريض الناس للجهاد إذ تمت شرائطه بحسب الظاهر، ومنها عدد
 المقاتلين، وإمكانية تحقيق النصر بهم.

وتوفر الأنصار بتلك الكمية والنوعية إنما حصل بعد هلاك معاوية، إذ بدأت
 الرسل والكتب تترى عليه ﷺ تعاوده وتستغيثه.

السبب الرابع عشر: إنّ المنازلة والمعركة بين الإمام الحسين ﷺ ويزيد قد بدأت
 من طرف يزيد قبل أن يتحرك الإمام نحو الكوفة، وليس أمام الإمام غير الاستعداد
 والمواجهة، ومن مظاهرها:

أ- كَتَبَ يزيد إلى والي المدينة بأخذ البيعة من الإمام، فإن أبى فعلى الوالي ان يقتله،
 غير ان الإمام تدارك الامر، وسارع بالخروج من المدينة إلى مكة.

ب- بعث يزيد بثلاثين رجلاً من جلاوزته لاغتيال الإمام في مكة أثناء موسم الحج
 ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة، واستغلال ظروف الحج وشعائره لتنفيذ جريمتهم
 وتضييع دمه المقدس في مكة المكرمة في تلك الأيام الحرام، غير أن الإمام سارع بالخروج
 من مكة يوم التروية قبل البدء بمراسم الحج، لئلا تُنتهك بقتله حرمة الحرم وتوجه إلى
 الكوفة.

ج- أُنْفَذَ يزيد إلى موسم الحج جيشاً عظيماً بقيادة عمرو بن سعيد بن العاص وولاه
 أمر الموسم، وأمره على الحاج كلهم، وكان قد أوصاه باعتقال الإمام سراً، وإن لم يتمكن

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٩.

(٢) سورة العنكبوت، الآيات ٢-٣.

منه، بقتله غيلة^(١).

د- قام يزيد بتعيين ابن زياد والياً على الكوفة، وأمره بتدارك وضع الكوفة عبر أوامر دقيقة للقضاء على الثورة فيها، وتتضمن قتل الإمام صلوات الله عليه.

ومن أوائل ما فعله هذا الطاغوت، أن قتلَ سفير الحسين - وقائد جماهير الكوفة عن رغبتهم واختيارهم وإعضادهم - وهو السيد الجليل والقائد الحكيم مسلم بن عقيل (عليه السلام)، وقتل معه أحد أكابر قادة الشيعة ووجهائهم بل من أكابر رجالات المجتمع الإسلامي قاطبة وهو هاني بن عروة (عليه السلام) ذلك العبد المجاهد الغيور على دينه والملتزم بقيمه وعهوده والمتعلق بربه وقد تمسك بعهوده ووفى بها في أحلك الظروف، وهو ما لا يفهمه أذناب السلطة الحاكمة إذ لم يفوا بعهدهم مع قائدهم مسلم، وأي وفاء لهم وقد نكثوا عهدهم مع الله تعالى ونبيّهم وإمامهم وأحلّوا أنفسهم وقومهم دار البوار.

قتلَ مُسلم وهاني يعني أنّ يزيداً قد بدأ المعركة مع الإمام، وإن الأمور على هذا المسار، وعلى الإمام المواجهة.

ه- ومن مظاهر بدء المنازلة مطاردة ابن زياد للشيعة الثوار وفيهم وتشريدهم وملء السجون بهم، حتى نُقل أنّ في سجون ابن زياد قبل مقدم الإمام إلى كربلاء ما يُقارب الاثنا عشر ألفاً من المقاتلة^(٢)، وفيهم أكابر الشيعة كالعبد الصالح والعالم الرباني ميشم التمار، والذي صلبه ابن زياد قبل ورود الإمام، كما كان في السجن أيضاً المختار بن أبي عبيدة الثقفي، والذي ضربه ابن زياد فأصاب بصره.

و- ومن مظاهر بدء المنازلة إرسال ابن زياد لطلائع جيشه للبحث عن الإمام واعتقاله والقدوم به أسيراً، ومن جملتهم الطليعة التي قادها الحر بن يزيد الرياحي،

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٩٩.

(٢) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ٤١٦.

والتي عثرت على ركب الإمام وقامت بحجزه عن الرجوع إلى أن تجمعت جيوش ابن زياد في عرصات كربلاء.

كل ما تقدم وغيره يدلّك على أن المعركة كانت قد بدأت، وعلى سيد الشهداء أن يخوضها بما أمكنه من قدرات متوفرة لديه.

السبب الخامس عشر:

إنّ الفترة التي أعلن فيها أبو الشهداء ثورته المحمدية كانت من أنسب الفترات وأكثرها تأثيراً في خلخلة أسس النظام القائم وإسقاطه، أو أحداث مقتضيات الانهيار فيه.

إذ حدث فيها هلاك معاوية، ومعنى هذا إن تلك اليد المتجبرة والتي كانت تقبض على زمام الامور بإسلوبها الفرعوني المعروف قد رُفعت عن كاهل الامة.

ولم تستحكم البيعة ليزيد في الأمة بعد.

بل في الأمة الكثير ممن يرفض البيعة ليزيد.

ولم تترسخ في الأمة بعد ظاهرة وراثه الابن لأبيه في الملك.

ووجود الجماهير الرافضة للفئة الحاكمة، والمكتوية بنارها عبر سنين طويلة، ولعلها بموت معاوية وتغيّر الحاكم تنطفئ جذوة حقدها، وتتغير عن وجهتها عبر السنين، فالمسارعة إلى استثمار موقفها هو الصحيح.

ولاستعداد مجاميع عدة للانقضاض على الوضع القائم، فابن الزبير في مكة وأهل الكوفة يعدّون العدة منذ سنين، وهناك حركة في البصرة، وأخرى في المدينة، وكذا الحال في أماكن أخرى.

إن سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) هو ابن سيد الانبياء (عليه السلام) - بنص الروايات الموجودة في

كتب الفريقين - وعلى الأمة أن تتعامل معه على هذا الأساس .

وهو ابن البتول الزهراء سيدة نساء العالمين، وابن أمير المؤمنين أخو رسول الله ووصيّ وخليفته في أمّته، وأخو الإمام الحسن المجتبى سيّد شباب أهل الجنّة .

وهذه العائلة المطهّرة - وفي حقها نزلت آية التطهير وآية المباهلة وغيرها - قدّمت أروع صورة لأولياء الامور، وقادة الأمم، وساسة البلاد، خلال فترة إدارتها للمجتمع الإسلامي، مما لم يألّفه الناس من قبل، ولم يعهدوه من بعد .

ومن جهة أخرى حكم هذه الأمة معاوية، وطالت فترة حكمه، وذاتت الأمة خلالها ما لا يوصف من الهوان والإهمال والفقر .

وما تقدّم يقتضي من الأمة أن تتأمل حالها، وتعلم عظم جريمة تقاعسها عن اوليائها وقادتها الحقيقيين .

ومن العجيب الغريب أن الأمة جرّبت حكماً أمويّاً وغيره، ما بين وفاة النبي القائد ﷺ وبين مصرع عثمان، مما أرهقها، وفجر كوامن غضبها، ووجّها إلى الإمام الحق، الناصح الرحيم بها، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فجرّبت حكمه أيضاً، ذلك الإمام الذي ما عرفت أمّ الدهر له نظيراً ولا قريناً، إلّا ما سبقه إليه أخوه سيد المرسلين ﷺ .

فهو في كل صفة كمال وسموّ، الأفضل الأكمل .

وهو عن كل صفة يجدر بالإنسان ان يتسامى عنها، الأسمى الأبعد .

تأمّل ما تحدثت به عنه كتب المسلمين قاطبة، من عدله وزهده وانصافه ومساواته بين أفراد الأمة وبقية خصاله الكريمة فو الله ثم والله لن تجد له نظيراً أبداً، إلّا في أخيه النبي الأكرم ﷺ .

ولنعرض لمسلكه مع الأمة مثلاً، لنقيس عليه:
تشتكي له امرأة ظلمَ عامله في أقاصي البلاد، فيبعث له بعزله، بكتاب يكتبه للفور، ويرسله بيد المشتكية، ليكون أسرع وصولاً، وأذلّ للظالم^(١).
ومع هذا الإسلوب في إدارة الأمر، فسرعان ما دبّ الوهن في الأمة، وتراخت عن معاضدة وليّها، ومن أسباب الوهن:
كثرة الفتن المسلّحة العابثة بأمن البلاد والعباد والدين:
أولها: فتنة الصحابة الناكثين لعهدهم - عائشة وطلحة والزبير - والمعروفة بالجمل.
ثانيها: فتنة القاسطين - معاوية -، والتي تفرعت عنها فتنة رفع المصاحف «وهي فتنة على حدة».

ثالثها: فتنة المارقين^(٢) - الخوارج -.

وقد منع من تصفية الآثار الوخيمة لهذه الفتن جريمة ابن ملجم عليه لعائن السماوات والأرضين، بقتله لخليفة الله ورسوله، صاحب بيعة يوم الغدير، وإلاً فالإمام عليه السلام كان يواصل اجتثاث جذور الفتن من أرض الإسلام، وكان الموقف تحت سيطرته، ولم يفلت الزمام من يده.

والإمام الحسن - السبط المظلوم - رفض كما رفض أبوه من قبل أن يفعل كلّ ما تناله يد قدرته للمحافظة على الخلافة، فالخلافة لإقامة موازين العدل ولتطبيق الأحكام الأهلية وإحياء الكتاب والسنة وأما إذا كان الحكم ومقوماته وشرائط بقائه تجعلنا نخسر

(١) بحار الأنوار، ج ٤١ ص ١١٩.

(٢) سبأهم النبي بهذه الاسماء وأخبر عن هذه الفتن، فراجع: فضائل الخمسة ج ٢ ص ٣٥٨ فقد نقل الروايات عن النبي بهذا الشأن عن كتب الجمهور مثل: تاريخ بغداد، وأسد الغابة، وكنز العمال وغيرها.

الكتاب والسنة ونحرف عن طريقهما فلا نفع في حكم كهذا، ولا فرق بينه وبين حكم المنحرفين، فإما حكم وعدل، وإما لا حكم.

والحسين عليه السلام على نهج جدّه وأبيه وأخيه، معتقداً وسلوكاً، وحكماً للأمة، وهو في استقامته وتمثيله لشخصيّة أبويه وأخيه، وفي هيبته وعبادته وزهده وشجاعته ما يجعله المستحقّ الاوحد لخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله في نظر الأمة، ويؤكد في الأمة صحّة اعتقادها بحتمية قيام الحكم الإسلامي الحقيقي باسمه ومضامينه وأهدافه على يديه المباركتين. وأخيراً:

إنّ الأمة - ولا شك - تفرّق بين الحسين عليه السلام وغيره، وهو الذي - بالإضافة إلى ما تقدّم - له سابقة في إدارة أمور الأمة بمعيّة أبيه، كما قاد بعض جيوش أبيه فشهد الناس حسن سياسته وقرآنية معتقده ومسلكه، ولا عجب في هذا، فالحسين من البيت النبوي الذي بقي ثلاثة أيام بلا طعام تفضيلاً لأسير ومسكين ویتيم.

كم من مرة جاع فيها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فيقوم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بسقي نخيلات مقابل كفّ من تمر، ثم ليجلس النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام ليتناولوا من هذا الطعام معاً^(١).

بل لقد أشتكى عقيل لأخيه الإمام فقره، أيام حكمه في الكوفة، وشكى له جوع أطفاله، فما رقّ له الإمام، ولا فضله بشيء من عطاء سواه^(٢)، بينما يتنازل الإمام^(٣) عن نصيبه من غنائم المعارك لرجل لم يحضرها لسبب أعاقه عن الحضور، وكان عازماً عليه، كما أنّه في حاجة شديدة.

فمن أجاع نفسه وأطفاله حتى بلغوا من الضعف أن أدّى بالنبي إلى القول حين

(١) بحار الأنوار، ج ٤١ ص ٣٩ ح ١٧.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

(٣) النصرة لسيد العترة، الشيخ المفيد، ص ٤٠١.

دخل عليهم:

«الهي هؤلاء أهل بيتي يموتون جوعاً»

فأغاثهم الله سبحانه بطعامه وآياته العُزّ.

هؤلاء هم أولياء الأمور، وسادة الأمم، وأولى الناس بالناس، ومن تتمنى الأمة أن تحيا في ظلّهم.

لم يكن سيد الشهداء ليتوقف عن جهاده في هدم دولة البغي والطغيان والكفر لمجرّد عقد الصلح مع معاوية، فمعاوية دفن التزامه بعهوده في مسجد الكوفة بمحضر أهل الشام وأهل الكوفة، وبمحضر الإمامين الحسن والحسين.

غير إنّ الإمام القائد أخذ يمهد للانقضاض على دولة الجور، في نفس وقت سعيه لتطويق آثار تدميرهم الواسع النطاق.

وقف الإمام في موسم الحج في عرفات، وجمّع الناس، وخطب بهم، مُبيناً فضائل بيت النبوة ككل، وفضائل أبيه المظلوم سيد الأوصياء بالخصوص، مستشهداً بهم على صِحّة كلامه، فشهدوا بصحّة كلّ ما قاله، فأمرهم عندها بنشر ما سمعوه في بلدانهم.

وهذا منه تعريّة للسلطة، وفَضْحاً لها، ولأبواقها الإعلامية، التي سلكت كلّ سبيل من كذبٍ ودجلٍ ووضعٍ للاحاديث، لحرف الأمة عن أهل البيت.

وهذا منه أيضاً تحريضٌ للمجتمع الإسلامي، لغاية مواجهة الهجمة الإعلامية للدولة، ومناقضةً لدعاواها، وصدّاً للفئة الحاكمة عمّا تحاوله من المشي خطوةً ثالثة بعد خطوة استلام السلطة، وخطوة قهر الأمة وتذليل إرادتها.

تلك الخطوة، هي:

تشويه الحقائق، وغسل الأدمغة، وتغيير العقيدة، واصطناع مجتمع جديد محل

المجتمع الإسلامي، أي:

مجتمع يحمل خصائص بني أمية، وفكر بني أمية، وعقيدة بني أمية، ومنهج بني أمية في الحياة.

مجتمع الدولة الأموية الجاهلية المستعبدة لرعاياها، فلا يوالي هذا المجتمع غير بني أمية، مع جهل كل شيء عن الإسلام: أصولاً، وفروعاً، وقادةً، بل يكون حرباً على الإسلام، وعلى أولئك القادة.

كان سيد الشهداء يرى الأمور تسير من سيّ إلى أسوأ في ظلّ الحكم القائم، فكان عليه تدارك الأمر ولو بالتخفيف من حجم الخسائر قدر الإمكان حتى يحين أمد التغيير، وقد وصلت أنباء تحركات الإمام القائد لمعاوية، فارتأى الإرهابي معاوية أرهاب الإمام، ليحدّ من نشاطه، فكتب إليه يتهدده ويتوعده.

فَرَدَّ عليه الإمام القائد بأغلظ كتاب خلّده لنا التاريخ^(١) حطّم به شموخه وأذلّ كبريائه، يُعلِّمه فيه بأنّه لم يسكت عنه لخوف، أو لحُرمةٍ ديني، في الخروج عليه. ومما قام به الإمام أيضاً إنه امتنع عن بيعة يزيد بالمرّة حتى قارب الأمر قتله أيام معاوية، لان مبايعته ولو صورياً تعني الإجهاز على حركته وإلى الأبد، بل كل حركة، إذ ستُعلن الأمة استسلامها للأبدي لبني أمية، لكنّه في الوقت نفسه حافظ على حياته المقدسة لأن نهاية حياته تعني نهاية المقاومة.

وكما أنه لم يبايع، فكذا لم ينقض عهداً ولا صلحاً أبرمه الإمام المجتبي، إلى أن تحين ساعة المنازلة.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٢١٢.

مسار واحد أم متعدّد

مَن يُلاحظ الفصول: «أسباب الثورة» و «أيضاً في سبب الثورة» و «السر في النهضة ايام يزيد»

قد لا يتشكّل لديه تصوّر واضح المعالم عن السبب المركزي في النهضة الخالدة، وعن ترابط هذه الأسباب ببعضها، بما يجعل تسلسلها منطقياً ومقنعاً.

وقد حاولنا فيما تقدّم، وسنحاول فيما سيأتي، من خلال فصول الكتاب المختلفة، التأكيد على وجود سبب مركزيّ هو الباعث على التحرك، كما ان هناك علل معاضدة، بالاضافة إلى أنّ الأسباب تكثرت بحسب حركة الأحداث، ولعلنا نُوَفّق بفضلٍ من الله سبحانه لإعطاء تصوّر واضح متكامل مرّضيّ يربط بين عموم هذه الأسباب.

والنتيجة التي توصلنا إليها: ان سبب بدء الإمام (عليه السلام) لحركته، غير سبب الاستمرار في الحملة، ولو كان أمام الإمام (عليه السلام) مساحة اختيار أكثر، لتغيّرت صيغة حركة الإمام (عليه السلام)، وطريقة تعامله مع الحدث إلى نحو آخر.

نحن نقول هكذا: إن حركة الإمام ابتدأت لتوفر عوامل عدة أوجبت النهضة، فلما انتكس بعض هذه العوامل كان مصير الإمام قد تحدّد، وهو لأبدية قتله من طرف الفئة الحاكمة، إذ هي قرّرت من البداية وأصرّت عليه في طول مسيرتها مع الإمام، نعم كان أمام الإمام صلوات الله عليه خيارات، أهونها الموت بحسب نهجه وبحسب المحبوب الالهي، فاختار (عليه السلام) ان يموت، وإلاّ لكانت الفئة الحاكمة تربح عليه أكثر من ربحها ببيعته.

فمسار الحسين ﷺ متعدد.

ابتدأ بلزوم الخروج ضمن أجواء مُمهّدة للانتصار المحتّم.

وحصلت الانتكاسة من جهات.

فتحدّد مصير الإمام: بالموت، أو بما هو أشنع منه.

فرضي بالموت بشكل حقق من خلاله أهدافه.

فالذي نفهمه أن قضية الإمام ليست على نحو - القضية في واقعة - فليست هي بغير مفهومة ولا مخالفة للقواعد أو الاحكام المشرّعة والمعروفة والمفهومة، أي: ليست هي على نحو التكليف الخاص للإمام، فلا يُفهم وجهه بحيث لا يصح الاقتداء به، لكون حركته سرّاً ربانياً غير واضح المعالم لنا.

إن الإمام لم يُبادر إلى الثورة ضد النظام القائم على كل حال، كي يُستفهم عن السرّ في موقفه هذا، ولا إمكانيات متوفرة عنده ﷺ للثورة، فتُفسّر على أساس السرّ الرباني المحض.

الإمام نهض لوجود معاهدة من جهة أهل الكوفة على النهضة معه منذ أكثر من عشر سنين.

ومسار الحركة إنما تحدّد بحسب تفاعلات الأحداث.

و انتهاء الحركة الحسينية إلى الاستشهاد، مع العلم القطعي للإمام بهذه النتيجة والعاقبة، لا يجعل القضية سرّاً ألهياً، وأمرّاً غير مدركٍ وغير مفهوم، وإنها قضية في واقعة، فحصر توجيهها بهذا أمرٍ غير مُدرك بوضوح، والسبب:

أ- مُلاحظة القضية ودراستها، من أول بدء انقداحها، وملاحظة تسلسل تفاعلاتها.

ب- إنّ هذا ليس ببدعٍ من الحال في مجريات الأحداث مع المعصومين، فالإمام

الوصي ﷺ قَبْلَ مبايعة الناس له بعد عثمان، وقد آلت الأحداث بعد تلك البيعة إلى خروج الناكثين والقاسطين والمارقين ضِدَّه في سنين ثلاث، واستمرت تفاعلات آثار تلك الفتن، بحيث لم يتمكّن الإمام من تصحيح المعوجّ في الأمة مما ارتكبه من سبقه، إلى أن آل امره إلى ما هو معروف، وإلى شهادته في المحراب مضمخاً بدمائه المقدسة، فهل يُفسّر هذا على اساس السرّ المحض؟

وابو محمد الحسن نهض بالأمر لما بايعه أهل الكوفة، مع أن الوضع استمر في التدهور إلى أن بلغ الحال به إلى مصالحة معاوية، فهل ان قبوله قضية في واقعة، وسرّ محض، أم ماذا؟

ومن قبلهما خرج النبي ﷺ لغزوة أُحُد، وإلى حنين، والنتائج معروفة.
بل أن التأمل في بعض مجريات الاحداث في عصر النبي الأقدس ﷺ يزودنا بأمثلة كثيرة تُقارب في المفاد والنتائج الامور المارّة الذكر.

فلا يَحْسُن أن يُفسّر كل هذا على انه قضية في واقعة، وسرّ ربانيّ محض، فإنّ في الشريعة حدوداً وأحكاماً على الإنسان أن يسير بحدّها، والعواقب وإن خالفت المبنى في المدى القصير، إلّا إنّها وفق التخطيط الالهي العام، ولا تمنع من انتصار الخطّ الايماني في نهاية المسار، كما لا يُمكن لنا ان نقتصر على سلوك ما به تحقيق مأمولنا بشكل دائم، فإن الدنيا دار امتحان، ودار تمحيص، ودار كشف عن معادن الناس، فمرحلة الانتصار، ووراثه الارض للمستضعفين، وتحقيق الاستخلاف الالهي لعباده المؤمنين، مرحلة مستقبلية، هي متحققة على كل حال.

دور الإمام عليه السلام في إنضاج الثورة، وإشعال فتيلها

أمّا دور الإمام عليه السلام في إشعال فتيل ثورته الإلهية فواضح، إذ هو الذي بدأ الخطوة الأولى في هذه النهضة المباركة حين رفض مبايعة يزيد بمحضر أمير المدينة ومروان ثم تابعت الأحداث الجسام.

وأمّا بدوّه الخطوة الأولى قبل شهادة الإمام الحسن عليه السلام أو بعدها، وإنضاجه لروح الثورة في الأمة، فهذا ما يحتاج لتأمل وبيان.

لم نجد - بحسب تتبعنا - ما يدلّ على أن سيد الشهداء عليه السلام ابتدأ الناس بإعلان الثورة والجهاد والعزم على الإطاحة بالنظام القائم.

والذي نقله الشيخ المفيد: إن أهل العراق تحركوا بعد شهادة الإمام الحسن، وكتبوا للإمام الحسين معلّنين له استعدادهم للنهضة والنصرة، فأبى عليهم، للعهد الذي بينه وبين معاوية.

نعم أكد شعورهم، وصحّ توجيههم في الجملة.

إذن الحسين عليه السلام لم يشخّص الظرف، ظرف قيام وانتصار.

غير أنّه عليه السلام إمتنع فيما بعد عن البيعة، لردالة يزيد، ولترتب مفسد عدّة على مبايعته، ولتامية الحجة بوجود الناصر، فنهض بالأمر كي يؤدّي ما عليه، ولتحمّل الأمة ما عليها دُنياً وأخرى.

إلاّ إننا نعلم أن أصل رفض خلفاء الجور المعرضين عن أحكام الله سبحانه، بل كل خليفة غير الأئمة الاثني عشر من أهل البيت، نابع من الكتاب والسنة، وهو منهج أهل البيت عليهم السلام، فإنّ الإمام عليه السلام وبقية أهل البيت ممّن قبله قد صدعوا بمثل هذه الأحكام، ونفخوا روحها في الأمة.

فهو عليه السلام إذن الأساس لهذا التيار في المجتمع، وهو المناادي به، والداعي إليه، والمشجّع عليه، والناشر له، وهو المؤيد لهذا التوجه - إن وُجد - في الأمة، لانه توجّه إسلامي أصيل، نابع عن مبدأ إسلامي، قام الإسلام على ركنه، وتواصل عليه، وانتعش به، كما به بقاؤه، وهو سر بقاء الأمة ضمن الإطار العام للإيمان، بل الإسلام، هذا من جهة أصل المطلب.

أما أوان التحرك ضدّ الفئة الظالمة المتجبرة فهو محلّ الكلام، إذ أنّه عليه السلام امتنع عن النهضة أيام معاوية ومنع الآخرين، للحاجة إلى توفر ظرفٍ معين يسوّغ معه القيام، ويحقق الهدف.

نُقل: إن جمعا كتبوا له بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام معلنين استعدادهم للثورة بقيادته، فامتنع عليهم، معلناً لهم تبعيته المطلقة للإمام الحسن، والتزامه بما فعل، أي أن الإمام الحسن ما دام في الحياة فهو القائد والإمام، وعلى الكل الطوعية له، لأنه هو الذي يقوم بتشخيص الظرف، وما يصلح فيه، وتشخيصه نفس تشخيص سيد الشهداء، لأنهما يصدران عن منبع واحد، ويسعيان لهدف واحد، وكلاهما يتدرّع بالعصمة الإلهية.

إن ما يحدث عادة هو بدء المريد للثورة ببث الدعاة وترغيب الناس لنصرته، والعمل على تهبيجهم وبعث غيرتهم وشهائمهم، ثم بعد اكتمال نصاب الأنصار سواءً أكان اكتمالهم لقناعة أم لحجل، تُعلن الثورة ويُشرع بالقتال والكرّ والفرّ، وكثيراً ما يخلد الأتباع قائدهم، ويتركونه يواجه مصيره القاتم وحده، وتنطوي صفحات الحركة، وقد

ينجح في مسعاه، وهذا يحدث نادراً.

أهل البيت دعوا الناس لاتباعهم مرات.

مرة: حينما تولى النبي ﷺ دعوة الناس إلى نبذ الاصنام والتزام كلمة التوحيد، وإلى معاضدته في دعوته، فاستجاب له من استجاب بعد اللتيا والتي، وبعد أن مُني بِبِهِم الرجال وذؤبان العرب ^(١).

وكانت الاستجابة بطيئة وقليلة للغاية، إلى أن بانت بشائر النصر فسارعت الناس حينها إلى دخول دين الله افواجاً.

ومرة ثانية: بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ إذ دعا أمير المؤمنين عامّة المهاجرين والأنصار إلى الوفاء بوصايا رسول الله فيه، ومعاهداتهم للنبي ﷺ بشأنه، وإلى العمل على إعانتة لاسترجاع حَقِّه في الخلافة، فلم يجد إلّا آحاداً من الأنصار الفدائيين، مع إن أكثر من مائة الف صحابي بايعوه قبل أيام في غدير خم على الخلافة والولاية العظمى ^(٢).

وثالثة: دعوة سيدة نساء العالمين عليها السلام المهاجرين والأنصار إلى النهوض لنصرتها، وإلى إعضاد أمير المؤمنين في محنته بعد وفاة النبي ﷺ وذلك لما جرى عليها فور أن أغمض النبي عينيه، وأرتحل إلى ربه، وقد اطلقتها صيحة في مجلس الحكم بمحضر المهاجرين والأنصار، فوجدت النفوس خائفة قد ضربت عليها الذلة والمسكنة ^(٣).

وما بين هذه الدعوات ونهضة الإمام الحسين دعوات عدة لأمير المؤمنين في النهضة لنصرته في جهاده ولاعلاء كلمة الدين وكف أيدي العابثين في أمن الأمة، وذوي الأطماع

(١) من خطبة للزهراء عليها السلام في المهاجرين والأنصار بعد استشهاد النبي الأعظم ﷺ، فراجع:

الاحتجاج، الطبرسي، ج ١ ص ٢٦٢.

(٢) راجع الغدير، الأمين، ج ١ ص ٣٧.

(٣) راجع: مأساة الزهراء عليها السلام، للسيد جعفر مرتضى العاملي.

من محبي الامرة. وكذا دعوة الإمام الحسن للجهاد... الخ.

وأما سيد الشهداء فمع تمسك أهل البيت عليهم السلام بمناهضة الحاكم الظالم والأخذ على يده، فإن الدعوة الخاصة للنهضة على معاوية، ومن بعدها على يزيد، قد صدرت عن أهل الكوفة بالحاح، مع معاهدة على النصر، ومع استغاثة لتخليصهم من جور بني أمية، وهذا وغيره حثّم على الإمام النهضة، فعرض بعدها على الناس -أفراداً ومجاميع- مساندته ومناصرته، ويأتي إن شاء الله تعالى بيان سببه.

نعم ورد عن الإمام مكاتبتة لأهل الكوفة بعد مجيء كتاب مسلم إليه:

«فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا»^(١).

لكنّ هذا حصل بعد ان قطعت الحركة شوطاً طويلاً، وهو غير الابتداء بالأمر، لكننا على كل حال قد قدّمنا اننا نعلم من خارج هذه الادلة ان الإمام له الدور الأساس في التوجيه لإسقاط عروش الظالمين عموماً وبني أمية خصوصاً، وان تحريم الظلم ومعاونة الظالمين والركون اليهم والدعوة لاقامة حكم الله في الارض من أعظم اهتماماته ومسؤولياته التي كرّس لها حياته المقدسة.

ومما ورد أيضاً في كتب التاريخ والسيرة من نصوص، مما يمكن من خلاله تعرّف وجود حركة من الإمام نحو إيقاد الثورة في النفوس، والتهيئة للنهضة، ما روي عنه عليه السلام:
«إني أرجو أن يعطي الله أخي على نيّته في حبه الكف، وأن يُعطيني على نيّتي في حبي جهاد الظالمين»^(٢).

ولا يعني هذا إننا نلتزم بما يشيعه البعض ويتوهمه - خصوصاً بعض الكتّاب من الجمهور - من ان الإمام الحسن محبّ للموادعة والسلام، وكاره لسفك الدماء،

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٧٠.

(٢) الحسين عليه السلام، الجليلي، ص ١١٣، والرواية عامية.

والإمام الحسين محبّ للجهاد، فإنّ هذا مما لا يُرتضى بحكم الأدلة الكثيرة القطعية على خلاف هذا، فإن الحسن والحسين معتقد واحد ومنهج واحد، ولو كان الحسين مكان الحسن لاختار نفس طريقه، والعكس أيضاً صحيح، فالكلام إنما هو في تشخيص الموقف السليم المناسب للحالة الفعلية الخارجيّة، لا أنّ الرغبة والمزاج والميل النفسي لاحدهما عليه السلام بهذا الاتجاه أو ذاك، إذ الحسنان معصومان مسدّدان من الله تعالى لا يختاران إلا ما يختاره الله تعالى، ولا يعملان إلاّ عن توجيه عام من النبي لمثل هذه المواقف، بل وبتوجيه خاص لخصوص ما واجههما من ظرف دقيق في حياة الإسلام وأهل البيت والأمة.

وقد قطع النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله خطّ الرجعة على كل شيعيّ وسنيّ توسّس له نفسه أمراً بشأن الإمامين، إذ قال عليه السلام: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»^(١). هذا وقد كتب مروان لمعاوية: «أني لست آمن أن يكون حسين مرصداً للفتنة، وأظن يومك من حسين طويلاً».

إذن الفئة الحاكمة كانت تُتابع تحركات الإمام الحسين عليه السلام وكانت على علم مسبق بنشاطه، فالحسين كان على هذا النهج لمدة طويلة، وليست حركته وليدة ظرف عجّل بها دونها حسابات طويلة مسبقة.

وفي نص آخر إن مروان كتب لمعاوية: «أما بعد فقد كثر اختلاف الناس إلى حسين، والله إنّي لأرى لكم منه يوماً عصيباً»^(٢).

فأمره معاوية بترك الإمام عليه السلام ما تركهم، غير أن مرواناً اقترح على معاوية نفي الإمام إلى الشام، وفرض الإقامة الجبرية عليه لقطعه عن أهل العراق، فلم يرتض منه معاوية

(١) مسند الإمام المجتبى، العطاردي، ص ١٨٤.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢ ص ٢٢٣.

ذلك - ولعلّ مرارة معاناته من أبي ذر^(١) يوم كان بالشام، يندّد بجرائمه وأُحدوثاته، ويجرّض الأمة عليه ما تزال في نفسه - فكتب إلى مروان:

« أردت والله أن تستريح منه وتبتليني به »^(٢).

ولعلّ هذه التحذيرات المستمرة أدت بمعاوية أن يكتب للإمام برسائل تحذيرية وتهديدية عدة.

منها ما كتبه للإمام السبط عليه السلام: « أني لأظن أن في رأسك نزوة، فوددت أني ادركتها فاغفرها لك »^(٣).

وبالتعبير الذي نقله ابن أبي الحديد في شرح النهج:

ولكنّي قد ظننت يابن أخي أن في راسك نزوة، وبوَدّي أن يكون ذلك في زماني، فأعرف لك قدرك وأتجاوز عن ذلك، ولكنّي والله أتحوّف أن تبلى بمن لا يُنظرُك فواق ناقة^(٤).

وهذه الرسالة كتبها معاوية للإمام عليه السلام حينما أمر الإمام عليه السلام صحبه بالاستيلاء على قافلة للدولة متجهة من والي اليمن إلى معاوية^(٥).

وهذه الرسالة تفيد طبيعة التوجّه وكيفية التعامل مع الإمام عليه السلام في العهد الزيدي وأنّ هذا التوجّه ذو جذور منذ ايّام معاوية بل لعلّه هو المؤسس له، وحاصل عن أمره، وهذه النتيجة تنفع في تكذيب ما ورد وراج من وصيّة معاوية ليزيد للاهتمام

(١) راجع: الغدير، ج ٨ ص ٤١٣ - ٥٣٤ لتطّلع على قضيّة أبي ذرّ كاملة.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢ ص ٢٢٣.

(٣) الحسين عليه السلام، الجلاي، ص ١١٤، عن تاريخ ابن عسّكر.

(٤) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢ ص ٢٣٢.

(٥) مقتل الحسين، السيد المقرّم، ص ١٧٣ هـ ٢.

بالإمام (عليه السلام) والأغضاء عنه إن خرج عليه.

بل الذي استقر به جداً: ان رسالة معاوية للإمام (عليه السلام) كانت مخادعة منه، لغرض التغير به وتحفيزه للخروج لاستسهال نتائجه، إذ يُصوّر للإمام أنّ ثورته إن نجحت فبها، وإن فشلت فإنه ستركه ولا ينتقم منه، فهو غير خاسرٍ على أي حال.

بينما الحقيقة هي عكس هذي تماماً، وإنّ معاوية كان يهدف لدفع الإمام لإعلان الثورة كي ينتقم منه ويعجل ما تأخر إلى عهد يزيد - وذلك لما قام به الإمام من استفزاز لمعاوية وتحذّر لمقامه باعتراض جماعة بأمر الإمام (عليه السلام) للقافلة المرسلة لمعاوية واستيلائهم عليها، وملكاتباته واجتماعاته المستمرة مع أهل العراق من المعارضين المتهيين للانقضاض على نظام الحكم الأموي - ولتحقيق انتقام من أهل البيت بأجمعهم يطمح إليه معاوية منذ سنين كثيرة ولا تنهياً له فرصته كما يشتهي ويخطط، لكن الإمام (عليه السلام) فوت عليه مكيدته وأفشلها.

ومن الشواهد المهمة على تحركات الإمام الكثيرة والواضحة ضد النظام الحاكم لدرجة اطلاع معاوية عليها - وَحَقَّقَ مِنْهَا - والتي أدّت إلى كتابته رسالة تهديدية يتوعّد الإمام بها، فردّ عليه الإمام بأغلظ كتاب وأعنفه، حطّم به كبرياء معاوية وغطرسته وأذلّ جبروته، وأعلن فيه الإمام عن موقفه من جهاد معاوية، وحكم الله سبحانه في هذا الأمر، وعن مدى استعداده للنهضة، مما دعى معاوية إلى القول:

إن أثّرنا بأبي عبد الله إلاّ أسداً^(١).

رسالة معاوية إلى الإمام السبط المطهر:

أما بعد: فقد انتهت إليّ أمور أرغب بك عنها، فإن كانت حقاً لم أقارّك عليها،

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ٢٢٨ عن سير أعلام النبلاء.

ولعمري إنّ من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير بالوفاء.

وإن كانت باطلاً فأنت أسعد الناس بذلك، وبحظّ نفسك تبدأ، وبعهد الله تفي.

فلا تحملني على قطيعتك والاساءة بك فإني متى انكرك تنكرني، وإنك متى تكذّبي أكدك، وقد أُنبئت أنّ قوماً من أهل الكوفة قد دَعَوْكَ إلى الشقاق فاتقِ شقّ عصا هذه الأمة وأن يرجعوا على يدك إلى الفتنة.

وأهل العراق من قد جرّبت، قد أفسدوا على أهلك وأخيك، وقد جرّبت الناس وبلوتهم، وأبوك كان أفضل منك، وقد كان اجتمع عليه رأي الذين يلودون بك، ولا أظنه يصلح لك ما كان فسد عليه.

فاتقِ الله، واذكر الميثاق، وانظر لنفسك ودينك، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون.

والجواب المروي للإمام الشهيد عليه السلام على رسالة الطليق:

«فقد بلغني كتابك تذكر أنه بلغك عني أمور ترغب عنها فإن كانت حقاً لم تقارّني عليها ولن يهدي إلى الحسنات ولا يسدّد لها إلا الله.

فأما ما نُمي اليك، فإنما رقاها الملاقون، المشاؤون بالنائم، المفرّقون بين الجمع، وما أريد حرباً لك ولا خلافاً عليك، وأيم الله لقد تركت ذلك وأنا أخاف الله في تركه، وما أظن الله راضياً مني بترك محاکمتك إليه، ولا عاذري دون الاعتذار إليه فيك، وفي أوليائك القاسطين الملاحدين، حزب الظالمين وأولياء الشياطين.

ألست قاتل حجر بن عدي وأصحابه المصلّين العابدين الذين يُنكرون الظلم ويستعظمون البدع ولا يخافون في الله لومة لائم ظلماً وعدواناً بعد إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلّظة.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي أبْلته العبادة فصفّرت

لونه وأنحلت جسمه بعد ان آمنتته وأعطيته من عهود الله عز وجل وميثاقه ما لو أعطيته العُصم ففهمته لنزلت إليك من شُعب الجبال ثم قتلته جرأةً على الله عز وجل واستخفافاً بذلك العهد.

أَوَلَسْتَ المدَّعي زياداً ابن سميّة المولود على فراش عبيد عبد ثقيف وزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله ﷺ:
«الولد للفراش وللعاهر الحجر».

فتركت سنة رسول الله ﷺ وخالفت أمره متعمداً واتبعت هواك مكذباً بغير هدى من الله ثم سلَّطته على العراقيين فقطع أيدي المسلمين وسمل أعينهم وصلَّبهم على جذوع النخل كأنك لست من هذه الأمة وكأنها ليست منك وقد قال رسول الله ﷺ: «من ألحق بقوم نسباً ليس منهم فهو ملعون».

أَوَلَسْتَ صاحب الحضرميين الذين كتب إليك ابن سميّة أنهم على دين علي فكتبت اليه: اقتل من كان على دين علي ورأيه، فقتلهم ومَثَّلَ بهم بأمرك.

ودين علي دين محمد ﷺ الذي كان يضرب عليه أباك والذي انتحالك إياه أجلسك مجلسك هذا ولو لاهمو كان أفضل شرفك تجشَّم الرحلتين في طلب الخمر. وقلت انظر لنفسك ودينك والأمة واتقَ شقَّ عصا هذه الأمة وأن تردَّ الناس إلى الفتنة فلا أعرف فتنةً أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة ولا أعلم نظراً لنفسي وديني أفضل من جهادك فإن أفعله فهو قربة إلى ربِّي وإن اتركه فذنب استغفر الله منه في كثير من تقصيري واسأل الله توفيقي لارشاد اموري.

وقلت فيما تقول: إن أنكرت تنكرني، وإن أكَّدت تكдени، وهل رأيك الأكيد الصالحين منذ خُلِقَتْ فَكِدْنِي ما بدا لك، فإنِّي أرجو أن لا يضرَّني كيدك وأن لا يكون على أحد أضرُّ منه على نفسك، على أنك تكيد فتوقط عدوك، وتوبق نفسك، كفعلك بهؤلاء الذين

قتلتهم ومثلت بهم، بعد الصلح والأيمان، والعهد والميثاق، فقتلتهم من غير أن يكونوا قُتِلُوا إِلَّا لذكرهم فضلنا، وتعظيمهم حقنا، بما به شُرُفَتْ وعُرِفَتْ مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مِتَّ قبل أن يفعلوه، أو ماتوا قبل أن يُدركوه.

فأبشر يا معاوية بالقصاص، وأيقن بالحساب، واعلم أن الله كتاباً لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إِلَّا أحصاها.

وليس الله بناسٍ لك أخذك بالظنة وقتلك أولياءه على الشبهة والتهمة ونفيك إياهم عن دار الهجرة إلى الغربية والوحشة.

وأخذك الناس بالبيعة لابنك، غلام سفيه، يشرب الشراب ويلعب الكلاب، ولا أعلمك إِلَّا قد خسرت نفسك، وأوبقت دينك، وَأَكَلْتَ أمانتك، وغششت رعيك، وسمعت مقالة السفية الجاهل، وأخفت التقى الورع الحليم، وتبوأْت مقعدك من النار، فبعداً للقوم الظالمين، والسلام على من اتَّبَعَ الهدى^(١).

ومن الدلائل المهمة على أنَّ الإمام كان يتهيأ للثورة، ويستعدُّ ليوم المنازلة ويعمل على توعية الأمة وإيقاظها رغماً عن معاطس الفئة الحاكمة وإرادتها، ما روي عنه عليه السلام قوله بمنى قبل هلاك معاوية بعامين، إذ خطب عليه السلام في الناس فقال:

«أما بعد فَإِنَّ هذا الطاغية قد فعل بنا وبشيئتنا ما قد رأيتم وعلمتم وشهدتم وإني أريد أن أسألكم عن شيء فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكتبوا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم فمن أمتم من الناس ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون من حقنا فَإِنِّي أَخُوفُ أن يدرس هذا الأمر ويذهب الحق ويغلب

(١) الحسين عليه السلام، السيد الجلالى، ص ١١٧ عن ابن عساكر واللفظ له، والاحتجاج، للطبرسي ج ٢ ص ٨٩ وحياة الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي ج ٢ ص ٢٢٧، ومعجم السيد الخوئي، ج ١٨ ص ١٩٢.

﴿وَاللَّهُ مُمِيتُ ثَوْرِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾...^(١) وهي طويلة.

وفي هذا الصدد أيضاً ما ذكره في الاحتجاج^(٢) من خطبته عليه السلام بمحضر معاوية في بيان فضل أهل البيت عموماً وفضله - الإمام - خصوصاً، وأمره الناس بإطاعته لأنها مفروضة، وبطاعة الله ورسوله مقرونة، وحذرهم الاصغاء إلى هتوف الشيطان، فهو عليه السلام كان - وعلى الدوام - يوضح للامة حقوق أهل البيت عليهم السلام عليهم، وما يلزم الأمة من سلوك تجاه آل محمد عليهم السلام، وحقيقة اعدائهم، ليزيل عنهم العمى، الناتج عن التهاون الشخصي في البحث عن الحقائق، وعن التضليل الاعلامي، وليؤجج نار الثورة فيهم ضد الفئة الحاكمة، وليعزز فيهم روح التمرد على الجبابة المستهترين بقيم الإسلام والإنسانية.

ومن مظاهر إنضاج الإمام لبواغث الثورة، مواصلته التكاثر مع الناقمين على معاوية وحكمه، وتأبيدهم في توجّهم الثوري.

واحترامه عليه السلام لمعاهدته مع معاوية، وإعلانه لهذا الالتزام، كان يخدّر معاوية عن متابعته والترصص به كي يتمكن عليه السلام من تهيئة الأجواء المناسبة لإعلان نهضته. ولذلك تعجّب معاوية من شدة ثورة الإمام في كتابه ومن تهديده له، وقال حينها: لقد أثّرنا بأبي عبد الله إلاّ أسداً.

فيقتضي أنّ هدوء الإمام الظاهري بنظر الدولة، والذي أسدل على ثورته ستاراً، كان يُخفي وراءه بركاناً هادراً.

(١) راجع الحسين عليه السلام، للجلالي ص ١٠٦ فقد نقلها بطولها، وذكر في الاحتجاج بعضها ج ٢ ص ٨٧

وذكرها القرشي في حياة الإمام الحسين، ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) الاحتجاج، ج ٢ ص ٩٤.

مقومات الثورة

متيقناً: إن الإمام الحسين عليه السلام لم يتحرك لهدّ النظام الجاهلي القائم، ولإحياء الدولة الإسلامية المحتضرة إلاّ وهناك مقومات تقتضي نجاح هذه الثورة، وإمكانية تحقيقها للمرجوّ منها.

غير ان هذه العوامل والأسباب بقيت غير محلّ التفاتٍ تام، ودراسة مستوفية لها، وتتبع تام لمفرداتها، وهذا أنتج جهالة البعض بها، والذهاب إلى القول بان قضية الإمام وحركته ليست بأمر يُمكن استكشاف أسبابه وبواعثه، وهي قضيةٌ في واقعة، وأمر رباني خاص لا يُقاس عليه، ولا يُستنتج من خلاله حكم حياتي لنا، وبالنتيجة عدم التفاعل مع معطياتها.

غير أنه - بملاحظة ما يأتي - يتّضح ان الحركة الحسينية كانت مُكمّلة الأركان، مستوفية لأسباب النجاح، مضمونة النتائج، بمقتضى الحسابات الظاهرية، ومجريات الاحداث الفعلية، لولا الإجراءات السريعة والإجرامية التي قام بها ابن زياد، والتي أدّت إلى انهيار في جوانب تلك الأركان، وحالت بين تلك الحركة وجنيها لثمار نصرها سريعاً، وأدّت بالتالي إلى وقوع الفاجعة الكبرى.

وقد صرّح السيد المرتضى رحمته الله إن أسباب ظفر الحسين عليه السلام بالأعداء كانت لائحة، وإن الاتفاق السيّء عكس الأمر^(١).

بل إنّ النتيجة الأكيدة التي يتوصل اليها الباحث من دراسته واستطلاع له لثنايا

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٩٨، عن تنزيه الانبياء للسيد المرتضى.

القضية الحسينية هي:

ان القضية الحسينية كانت تصادف في عِدَّةٍ من مراحل سيرها سبباً للانتصار الشامل أو الجزئي، لكن السبب يتكس فجأة، وقد تكرر هذا مرات.

ولعل اهم ما يُشار إليه: ما كتبه ابن سعد إلى ابن زياد من إمكانية إطفاء النائرة، وان الإمام قد رضي بالعود ونحو هذا، فاقتنع ابن زياد بكتابه، وأراد أن يوافق له على ما توصل إليه من انهاء حالة الحرب، لو لا ان شمراً كان بجانبه فحرَّضه على الامتناع وزينه له، واقترح عليه ان يكتب له بان يعرض على الإمام عليه السلام النزول على حكمه - وهو الاستسلام المذل - فان أبى الإمام عليه السلام ذلك قاتله وقتله، فاقتنع ابن زياد باقتراحه، وكتب بهذا إلى ابن سعد.

فانظر: إلى أنه لو لا وجود الشمر في تلك الساعة لانتهى الأمر، ولتوقفت مسيرة المأساة والكارثة المهولة التي حصلت في الطف، ولكن....

وكيف كان، فلنسرده بعض مقومات الثورة ومؤثرات نجاحها:

١- الجو الاجتماعي مع الثورة:

ان عموم البلاد الإسلامية كانت كالمرجل، تغلي حقداً وبغضاً للفئة المتسلطة على رقاب الأمة لأسباب تقدم ذكرها.

إذ أن ظلم بني امية عم أرجاء العالم الإسلامي كافة، واستمر هذا زمناً طويلاً دون أن يبدو في الأجواء بصيص أمل للخلاص، وهذا يعني ان حركة قويّة لو حصلت في مكان ما واشتعل بسببها هيب الثورة فسيستج تفاعل بقية الأرجاء معها وتضعض أركان دولة الطغيان والكفر والجبروت بسرعة كبيرة دون خسائر تُذكر، ولم يكن في العالم الإسلامي ولاء وطاعة بشكلٍ مطلق لبني امية في غير الشام.

ولا يخفى: أنه تتوفر في المجتمع يومذاك فئات رافضة للوضع الأموي كُليَّةً، وكان وجودها يوفر ركناً من أركان نجاح الثورة ويُعَجِّلُ بضعضعة الكيان الأموي: فئة: كانت مع الإمام الحسن عليه السلام إلى حين عقده للصلح مع معاوية، ولم ترتضِ الصلح.

فئة: كانت مع الإمام الحسن عليه السلام إلى حين عقده للصلح، وقبلت بالصلح باعتباره تكليفاً شرعياً، إلا أنها مستعدة للنهضة حالما تتوفر فرصتها.

فئة الخوارج: والتي كانت متمردة على الجهتين، دولة أهل البيت عليهم السلام، ودولة بني أمية، فلما استتبّت الأمور لبني أمية وجّهوا عداوتهم وحقدهم وسيوفهم نحو الدولة الأمويّة الجائرة الضالّة.

فئات عدّة: لها اتجاهاتها ومصالحها الخاصّة، إلا أنها جميعاً مستعدة لإسناد أيّ تحرّك ضدّ الأمويين، وإن كانت غير مستعدة فيما بعد للانضواء تحت راية الإمام السبط عليه السلام، كعبد الله بن الزبير ومن يسير في فلكه.

ثمّ هناك بعدُ التيار الاجتماعي العام المتذرّ من الأوضاع المقيتة المعاشة، والمستعد لإسناد أيّة حركة تقوم بقلب نظام الحكم الأمويّ الفاسد، فكيف إذا كانت هذه الحركة هي حركة ابن رسول الله، وسيّد شباب أهل الجنّة.

والمهمّ في البين أنّ مجموعة مهمة رفضت صلح الإمام الحسن عليه السلام بل أعلنت رفضها هذا أمام الإمام عليه السلام، ثم بدأ بعضها بمكاتبة الإمام الحسين عليه السلام مع المعاهدة على المعاوضة والنصرة وكان هذا أيام حياة الإمام الحسن عليه السلام.

ولم تكن في الأمة فئة كثيرة العدد، قويّة الجناح، قد استفادت من نظام الحكم الأمويّ كي تعضده وتكون ظهيراً له فتمنعه من السقوط، باستثناء أهل الشام.

فما كانت الأمة والاوزاع في تلك الفترة بحاجة لغير حركة بسيطة كي يحدث زلزال في كل مكان، وحركة الإمام عليه السلام كانت أكثر من حاجة الأمة.

فإذن: كان على الأمة ان تنهض، وقد نهضت فيما بعد، لكن بشكل متفرق الأجزاء، متباعد الزمان والمكان والهدف، ومتعدد القيادة، فأجهضت كل الحركات ولحقها الفشل والدمار، كحركات أهل الكوفة فيما بعد، وحركة المدينة - أهل الحرّة - وحركة مكة والبصرة مع ابن الزبير.

٢- إنّ بعض أهل الكوفة لم يرتضِ صلح الإمام الحسن عليه السلام من أوله، وبقي على اعتراضه إلى مراحل متقدمة، كما قام قسم من الزعماء وجمع من أهل الكوفة بمكاتبة الإمام الحسين عليه السلام أيام حياة الإمام الحسن عليه السلام فامتنع الإمام عليهم مع حياة الحسن السبط عليه السلام وعَصَدَ صلح السبط المجتبى ومسيرته ^(١).

ثم كاتبوه بعد استشهاد الإمام الحسن السبط عليه السلام فامتنع عليهم لوجود العهد والميثاق مع معاوية، فما دام معاوية حياً فلا نهضة، وهكذا دام الأمر، تترى على الإمام الكتب والرجال استنهاضاً له، وهو يتمنّع عليهم أكثر من عشر سنين، فإصرار جمع كثير، وهم من طبقات اجتماعية مختلفة، فيهم رئيس القبيلة، وقارئ القرآن، والوجيه الاجتماعي، ونحوهم من ذوي النفوذ، يسندهم في هذا الكثير من اتباعهم على موقف واحد خلال هذه المدة كلها، هو مما يبعث على اليقين أو الاطمئنان بصحة الاعتماد على هؤلاء مع كفايتهم - وكانوا كذلك - لإعلان النهضة، وهذا أركان دولة الضلالة.

٣- إنّ المكاتبين لسيد الشهداء كانوا قد تنعموا في ظلال عدالة دولة أمير المؤمنين،

(١) راجع: كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٠٥، ففيه شاهد على إقبال الشيعة على الإمام الحسين عليه السلام بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام لغرض النهضة، وبيان الإمام الشهيد لهم عدم مناسبة هذا الظرف للمراد.

كما أنهم عاشوا في ظلال دولة معاوية وعانوا منها كل مرّة، وقد جعلهم هذا في حنين دائم لدولة آل محمد، وفي إصرار على استرجاع الأمور لسابق عهدها، وتحديهم لدولة آل أمية وهي في اشدّ عنفوانها، يؤكد ان هؤلاء لا يترجعون عن موقعهم، وأنهم على الطريق، يواصلون تحقيق الهدف.

٤- إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) كان قد كاتب زعماء البصرة وشيوخها (١)- إذ لأهل البيت (عليهم السلام) شيعةٌ أشدّاء في تلك الأنحاء- وحثّهم على نصرته، فوافق البعض (٢) ومنهم يزيد بن مسعود النهشلي (٣)، فبعث الأخير بجيشٍ من البصرة لهذا الغرض، غير إنّ الخبر وصل اليهم باستشهاد الإمام (عليه السلام) وهم في الطريق، فرجعوا خائبين.

٥- كان ابن الزبير في مكّة معارضاً للدولة، وبسبيل إعلان المشاقّة لها، والثورة عليها، وفي هذا ما يُعين على هدم الدولة لو أعلن الإمام حركته، سواء كانت دعوة ابن الزبير تصبّ في صالح الإمام (عليه السلام) وحركته، أم بمنأى عنه.

٦- إن ولاية يزيد الذين كانوا في بعض المناطق المهمة لم يكونوا على استعداد لمواجهة الثورة بعنف، وهذا يُعينها على اتمام مهمتها بانسيابية أكثر وأمن.

فوالي المدينة لم يقتل الإمام (عليه السلام) مع أمر يزيد المؤكّد له بذلك، ووالي مكّة لم يعتمد عليه يزيد لاغتيال الإمام، بل أناط المهمة بمن أرسلهم من دمشق خصيصاً لأداء هذه المهمة، ووالي الكوفة النعمان يتضعّف، أو هو ضعيف، فلم يواجه حركة مسلم بما يتطلّب الموقف، وبما تأمله الدولة.

(١) الملهوف، ص ١١٠، وحياة الإمام الحسين (عليه السلام) للقرشي، ج ٢ ص ٣٢١.

(٢) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، القرشي، ج ٢ ص ٣٢١.

(٣) رسالة يزيد بن مسعود إلى الإمام في: الملهوف ص ١١٣، وحياة الإمام الحسين (عليه السلام) للقرشي،

ج ٢ ص ٣٢٤.

٧- ان سيد الشهداء عليه السلام حاول كثيراً إستمالة عمر بن سعد، مع إنه عليه السلام لم يكتب يزيداً أبداً، وامتنع عن ردّ جواب رسالة ابن زياد^(١)، ولم يُظهر اهتماماً بشخصية أخرى غير ابن سعد، وتحدث كتب السيرة^(٢) والمقاتل ان الإمام عليه السلام كان يلتقي بعمر بن سعد على حدة من الجيشين يتحدث معه، حتى بلغت اخبار هذه اللقاءات إلى ابن زياد، فقام بقطع الطريق على تلك المفاوضات، والتي لا تُبشّر نتائجها بأيّ خير له على كل حال. إن اهتمام الإمام عليه السلام باستمالة ابن سعد له ما يبرّره، لأنّه قائد الجند كما ان فيه مجالاً للقبول وللميل، وقد نقل المؤرّخون أنّه كان كارهاً للخروج على سيد الشهداء، واستعفى ابن زياد من ذلك فأعفاه على أن يردّ عهد توليته الري وجرجان فطلب مهلةً للتفكير فامهله ليلةً الاّ انه اختار الدنيا على الآخرة ورضي بالخروج لحرب الإمام الحسين عليه السلام على ان يتوجه بعدها إلى ولايته - والتي حُرم منها طبعاً فيما بعد-.

فما دام الميل فيه موجوداً، وأمكن التأثير عليه، بتحصيل دعمه أو انسحابه من ساحة المعركة، فإنّ هذا سيكون عملاً مهماً في دعم الثورة الحسينيّة، إذ سيؤثر هذا على الكثير، ولا أقل من أن ياتمر بأمره بعض من هم تحت قيادته مباشرةً وكانوا أربعة آلاف، كما أنّ استمالتهم ستؤدي إلى احداث انشقاق هائل في الجيش الاموي، وإلى إيقاع الوهن والا رتباك فيه، وتعزيز عامل الهزيمة والتردد والانسحاب والتقاعد عن ممارسة القتال، إذ كثير من الجيش مدفوع دفعاً بالأساس إلى الخروج لحرب الإمام عليه السلام.

وحتى مع فرض ان هذا مما لا يقع، أو لا يقع منه الشيء المؤثر، فإن إستمالة ابن سعد ستؤدي إلى تقاعسه عن القتال، وإلى امكانيّة فتح ثغرة من خلاله لنصرة النهضة الحسينيّة أو للدفع عنها، أو لفكّ الطوق من حولها، وقد أفاد هذا الجهد سعي ابن سعد

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٨٣.

(٢) منها: الإرشاد، ج ٢ ص ٨٧.

لِلْمَلَمَةِ الْمَسْأَلَةَ سَلماً وَتَسْوِيتَهَا، بَكْتَابَتِهِ رِسَالَةً لِابْنِ زِيَادٍ يُبَيِّنُ لَهُ فِيهَا امْكَانِيَةَ تَدَارُكِ الْأَمْرِ وَاصْلَاحِهِ عِبْرَ السَّبِيلِ الْمُمْكِنَةِ - وَصَدَّقَ فِي بَعْضِ مَا طَرَحَهُ فِي رِسَالَتِهِ تِلْكَ، وَكَذَبَ فِي بَعْضٍ آخَرَ - وَقَدْ إِقْتَنَعَ ابْنُ زِيَادٍ بِمَا كَتَبَهُ ابْنُ سَعْدٍ إِلَيْهِ، لَوْلَا...^(١) لَوْ لَا دَخُولَ شَمْرِ فِي الْمَعَادِلَةِ، وَتَخْوِيفِهِ لِابْنِ زِيَادٍ مِنْ قَبُولِ مَا عَرَضَهُ عَلَيْهِ ابْنُ سَعْدٍ، وَتَحْرِيطِهِ عَلَى جَعْلِ الْحُسَيْنِ (ع) أَمَامَ خِيَارَيْنِ، فَمَا الْقِتَالُ وَالْقَتْلُ، أَوِ الْاسْتِسْلَامُ بِالصَّيْغَةِ الَّتِي يَرِيدُهَا آلُ أُمِيَّةٍ، وَهُوَ مَا لَا يَرْضَى بِهِ الْإِمَامُ أَبَدًا، فَإِذْنِ الْإِمَامِ مُلْجَأٌ إِلَى الْقِتَالِ بِحَسَبِ خُطَّةِ شَمْرِ، وَالتِّي وَافَقَهُ عَلَيْهَا ابْنُ زِيَادٍ.

قَالَ شَمْرُ لِابْنِ زِيَادٍ: فَلَا تُعْطِيهِ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ فَإِنَّهَا مِنَ الْوَهْنِ، وَلَكِنْ لِيَنْزِلَ عَلَى حَكْمِكَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَإِنْ عَاقَبْتَ فَأَنْتَ أَوَّلَى بِالْعُقُوبَةِ، وَإِنْ عَفَوْتَ كَانَ ذَلِكَ لَكَ^(٢).

اسْتِمَالَةُ ابْنِ سَعْدٍ كَانَتْ مَهْمَةً جَدًّا، وَتَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ، كَتَفَتَّيْتُ الْجَيْشَ الْأُمَوِيَّ، وَادْخَالَ الْوَهْنِ وَالتَّخَاذُلِ عَلَيْهِ، وَدَخُولَ كَثِيرٍ مِنْهُمْ فِي جَيْشِ الْحُسَيْنِ (ع)، إِلَّا أَنْ عَارِضًا مَنَعَ هَذَا الْأَمْرَ التَّمَامِيَّةَ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي بَقِيَّةِ الْعَوَامِلِ الْمَتَوَفِّرَةِ لِنَجَاحِ الثَّوْرَةِ.

كَانَتْ هُنَاكَ ثَغْرَةٌ فِي شَخْصِيَّةِ ابْنِ سَعْدٍ حَاوَلَ الْإِمَامُ الْاسْتِفَادَةَ مِنْهَا لِنَصْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَلَانْقَازِ هَذَا الرَّجُلِ مِنَ السَّقُوطِ وَالْإِرْتِدَادِ، وَلَوْ اطَّاعَ لِتَغْيِيرِ الْأُمُورِ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ.

٨- أَنْ أَعْظَمَ خَطَرَ وَاجِهِ الثَّوْرَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ هُوَ تَعْيِينُ ابْنِ زِيَادٍ وَالْيَأَى عَلَى الْكُوفَةِ، بَلْ لَعَلَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ وَالْفَرْدُ، لِانْتِكَاسِ مَقُومَاتِ الثَّوْرَةِ كُلِّهَا.

وَخَطَرَ ابْنِ زِيَادٍ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ مَوَاجَهَتَهُ وَتَحْجِيمَهُ بَلْ جَعَلَهُ صَفْرًا عَلَى الشِّمَالِ وَالْقَضَاءِ عَلَيْهِ قَضَاءٌ مُبَرَّمًا عَبْرَ وَسَائِلِ سَنَدِكْرِهَا، وَلَوْ تَمَّ أَحْدَاها لَعَادَتْ الْأُمُورُ إِلَى نَصَابِهَا، وَلَا اسْتَقَرَّتْ كَفَّةُ الْمِيزَانِ لِصَالِحِ الْإِمَامِ السَّبِيطِ (ع)، وَالْوَسَائِلُ هِيَ:

(١) الْإِرْشَادُ، ج ٢ ص ٨٨.

(٢) بَحَارُ الْأَنْوَارِ، ج ٤ ص ٧٤.

أ- تحشيد جيش ضخم يُقارع الجيش الذي يمكن لابن زياد إعداده، وهذا ممكن إذ إنَّ العدد الذي ابتداء الإمام به مسيرته قُرابة الخمسة آلاف شخص - على رواية - وأقلَّ عددٍ هو ما ذكره المسعودي، وهو ألف فارس، ومائة راجل^(١) - وهذا طبعاً قبل تفرق الناس عنه من بعد وصول خبر شهادة مسلم ٢ - ثم أن الإمام كان قد كاتب شيوخ القبائل في البصرة وقد أرسلت البصرة جيشها إليه، يُضاف إلى هذا أهل الكوفة أنفسهم لو ثبتوا على وعودهم - روي: أن الإمام كتب عند وصوله قرب الكوفة وبعدما التقى بالحر كتاباً إلى زعماء الكوفة يدعوهم لنصرته وللوفاء بمعاهداتهم معه^(٢) - ثم هناك اثنا عشر الفاً من الشيعة والمحبين سجنهم ابن زياد بعد وروده إلى الكوفة وقتله لمسلم - وهؤلاء السجناء في الحقيقة جزء من أهل الكوفة، ولعلهم يمثلون الجزء الأعظم ممن كاتب الإمام ودعى إلى النهضة وليسوا بجمعهم إذ معهم أيضاً مجاميع أخرى من شرائع عقائدية متعدّدة ومختلفة، والجامع بينها سخطها على النظام الأموي - بالإضافة إلى اعتقاد بعضها بإمامة الحسين عليه السلام على نحو الحصر وكل هذه الأعداد كانت تمثل القاعدة العسكرية للإمام في بداية تحرّكه، وهي تكفل نجاحاً تاماً حتى لو اختزلنا هذا العدد، أو حسبنا حساب الناكليين والناكثين بحسب متعارف هذه الحالات، فإن العدد الباقي به الكفاية لتحقيق الغرض.

ب- كانت هناك إمكانيات لاغتيال ابن زياد، ولو تحقق واحد منها لانتهت الازمة في مهدها.

منها: إمكانية اغتياله حين دخوله لوحده إلى الكوفة.

ومنها: إمكانية اغتياله في بيت هاني بالطريقة المقترحة أو غيرها.

ومنها: محاولات عدة جرت لاغتياله في النخيلة، وهو يسرّح الجيوش لمقاتلة الإمام

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٧٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٨١ - ٣٨٢.

السَّبْطُ .

ج- لقد قام الإمام السبّط  بحركة مهمة في الطف قبل أيام من بدء القتال في سبيل هداية ابن سعد وارجاعه إلى صوابه، وكان من ثمار هذا العمل ان كتب ابن سعد لابن زياد بوصوله إلى حلٍّ مع الإمام يُؤدّي لإطفاء النائرة وانهاء الأزمة ببيان استعداد الإمام إلى الرجوع من حيث أتى، وعلّق ابن زياد على رسالة ابن سعد بأنها رسالة ناصح مشفق ووافق عليها فوراً، غير إن شمراً أخذ يحرض ابن زياد ويزيّن له التشدّد والتصلّب ويخوِّفه السير في الطريق الذي ينصح به ابن سعد، فمال ابن زياد من جديد لرأي شمّر، ولو لا هذا الاتفاق السيّئ لسارت الأمور إلى واقعٍ أحسن.

على طريق إنجاح الثورة

بمتابعتنا وتدقيقنا في ثنايا التاريخ المدوّن عن المسيرة المباركة للإمام الحسين (عليه السلام) والمنتهمية باستشهاده، فاننا سنظفر بما يؤكّد للمتأمل أنّ الإمام المظلوم كان يتحرّك بما ينفع في إنجاح الحركة المباركة، دون أن يكون تحرّكه لغاية تحقيق الاستشهاد فقط.

وقد تسأل: إنّ الحركة لم يُقدّر لها النجاح، وكان الإمام يعلم بالمصير الذي سيتهي إليه، وتنتهي إليه حركته، فما معنى صدور افعالٍ له بقصد تحقيق الانتصار. وهو سؤالٌ وجيهٌ بلا ريب، والجواب:

١- إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد سار مسيرته المباركة وهو يعلم بانتهائه إلى الاستشهاد ومع ذلك سارها - ويصعب الالتزام بأنّ جميع تحركات الإمام (عليه السلام) كانت مبتنية على السير قُدماً باتجاه تحقيق الاستشهاد فقط -، فما يُقال عن مجموع المسيرة، يُقال عن ابعاضها، وهذا جوابٌ نقضيّ.

٢- إنّنا تركنا الباب مفتوحاً بمقدار ضئيلٍ أمام احتمالية توفّر عنصر البدء في البين، بمعنى امكانية تغيير مسار الحركة إلى حيث انتصار الإمام الميداني على أعدائه، استناداً إلى أنّ المولى سبحانه أخذ على أوليائه القول بالبدء، وأنّ له ان يقدم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء، وأنّ قلم التقدير لم يجف، ومعنى هذا أنّ على أوليائه العمل وفق امكانية تبدّل المسار، وأنّ عليهم البقاء دائماً بين الخوف والرجاء، وإن كان مستوى وقوع المحذور أو المأمول عالياً.

وبحث هذا الجانب في حياة الإمام (عليه السلام) مهم، لأنّه يقدم منهجاً حياتياً لنا في مسيرة

صراعنا الطويلة مع أحداث الحياة، ومع قوى الكفر والطغيان.

فأول قاعدة يمكن تأسيسها في هذا المسار:

إن هناك سُبُلًا يمكن سلوكها لأجل كسر جناح السلطة الجائرة، كما أنَّ من السبل ما يحرم سلوكها، أو على المرء أن ينزّه نفسه بالترفع عن انتهاجها. فمبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » مرفوض ومنبوذ في التشريع الإلهي، لأنَّ أخذه بسعته هذه يؤدي إلى اقتراف جرائم لا حدَّ لها ولا منتهى.

نعم يُمكن ملاحظة العناوين الثانوية، والمصالح الإسلامية العليا، ومصالح الأمة، ضمن حدود وضوابط ذكرها الفقهاء الكرام في كتب الفقه وأصول الفقه تسمح بحرية الحركة في مجالات يخرج بها المرء عن انحطاط تلك القاعدة الشيطانية الخبيثة إلى مبدأ إسلامي عقلائي مقبول يُنجح مقاصد الإنسان المؤمن ولا يقع معه في مستنقع الرذيلة. ومن أروع ما قدّمته الحركة الحسينية كمثال يُتلى على مسامع الدهر في كل جيل عدم إقدام بطل الإسلام مسلم بن عقيل على قتل عبيد الله بن زياد^(١) مع أن الأخير رأس الفتنة، ويد يزيد في مواجهة المدّ الحسيني وإيقاف موجهه، وما تركه مسلم - والمجال مُتاحٌ أمامه لقتل ابن زياد بكل يُسرٍ وسهولة - إلاّ لأنَّ في قتله بتلك الصورة وفي ذلك المقام شائبة غدر ومحدور شرعي، لا يُقدم عليه من اتخذ قوانين الإسلام شعاراً ودثاراً ومنهجاً ومسلكاً في حياته، وإن أدّى ما أدّى.

والأمثلة على ما قدّمناه من القاعدة لا تُعدّ ولا تُحصى، وسيأتي ذكر بعضها، وكتابنا هذا مليءٌ بالشواهد على نصاعة الحركة الحسينية في هذا الجانب، فليتعض بها من لم يزل إلى حدّ هذا اليوم في حيرة بين تيار الضلالة والانحراف والارتداد والرذيلة - بنو أمية ونحوهم - وبين تيار الهدى والحق وعُشّاق درب الله سبحانه - رسول الله ﷺ وأهل

(١) بحثنا في كتابنا - مسلم بن عقيل - حول هذا المطلب في فصل بعنوان - الإيمان قيد الفتك -.

بيته الأبرار عليه السلام - .

ومما صنعه الإمام عليه السلام لحث الأمة ككل، وجيش الضلالة بشكل خاص على اتخاذ موقف إيجابي - في الجملة - من حركته المقدسة:

١ - إزالة الغشاوة عن أبصار وبصائر الأمة، من جهة الكشف عن حقيقة الواقع الخارجي وملابساته، وعن حقيقة ما جاء به الإسلام من عقائد واحكام.
أي ان الإمام بدأ بتبصير الأمة باتجاه:

معرفة الموضوعات كما هي، والأحكام كما هي.

وهذا الامر في حياة الإمام سلسلة متصلة فليس لها مكان معين ولا زمان معين بل هو شأنه وشأن آبائه وابنائهم من المعصومين مع الأمة في تمام أيام وجودهم.

ومن أهم ما صدر عن الإمام في هذا السبيل وقوفه بمنى قبل هلاك معاوية بستين وقيامه بجمع الناس حتى بلغوا قرابة الألف وفيهم جمع مهم من الصحابة فاستشهدهم على مجموعة كبيرة من النصوص قد صدرت من النبي الأكرم عليه السلام تجاه أهل البيت عليه السلام فشهدوا بصدورها، فأمرهم بالرجوع إلى اوطانهم ونشر هذه الاحاديث إذ أن الحق يكاد ان يُطمس^(١) بفعل تعتيم بني أمية وتشويهم وتشجيعهم لحركة وضع الاحاديث وكذلك لقيامهم بالتنكيل بكل من يصدر عنه شيء من قبيل هذه النصوص، بل قتله.

ولو تتبعنا مسيرة الإمام إلى كربلاء لرأينا مصاديق لهذه الكليّة كثيرة، فإنه عليه السلام ما فتى يحدث كل من يلقيه بحقيقة بني أمية، وبالموقف الإسلامي الواقعي من الحالة المعاشة، وبحقيقة حركته، وما ستؤول إليه الاحداث، وغير هذا.

ونصل إلى كربلاء فنرى سيد الشهداء عليه السلام يقف أمام الجيش الأموي، يوضّح لهم

(١) راجع لهذه القضية: الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢ ص ٨٧.

حقيقة شخصيته، وما ورد فيه من النصوص، وحقيقة آل أمية، وحقيقة موقفه في هذه الحركة والنهضة، وذلك كله كي يتخذوا موقفهم عن بصيرة، وكي يتخذ معهم الموقف المناسب لوعيمهم.

٢- مواجهة السلطة وفضحها وكشف زيفها وحقيقتها في حدّ نفسها وكذلك حقيقة أهدافها، ومن الأمثلة على هذا كتابته لرسالته الطويلة إلى معاوية ردّاً على رسالته التهديدية وكانت رسالة الإمام من العنف والفضح لمعاوية أن أبهتته وجعلته يقول: إن أثرتنا بأبي عبد الله إلاّ أسداً.

وحصل هذا أيضاً مع والي المدينة ومروان والحر وابن سعد.

٣- ان الإمام ﷺ كان يصرّح في مواقف كثيرة بأن أهل الكوفة خاذلوه، وأن بني أمية سيقتلونه.

وكما ان هذا التصريح قد يزيد في جُبن البعض وتقاعسه عن السير قُدماً مع الإمام، إلاّ انه في نفس الوقت يقضي على حالة التواكل لدى بعض آخر، باعتمادهم صرفاً على حركة أهل الكوفة في نصرة الإمام، وتجعلهم في مواجهة التكليف الالهي الواضح بلزوم نصرة الإمام والسير معه قُدماً ومعاضدته.

٤- كان الإمام يسعى في طريقه لتغيير قلوب الناس على بني امية^(١).

وفي هذا النهج فوائد، فإمّا أن تلتحق الناس به، أو تتكاسل عن الالتحاق ببني امية وتصمّ آذانها عن ترغيبهم وترهيبهم، بل هذا الأمر نافع على المدى الطويل فيما لو قدّر لحركة الإمام عدم تحقيقها للانتصار العاجل على الدولة الظالمة - كما حصل فيما بعد-.

٥- كان الإمام يطلب - وبوضوح وصراحة تامين - من الآخرين اتباعه ونصرتة

(١) تحفة العالم، ج١ ص ٣١٦.

بما يقطع معه عذرهم - بأي نحو كان - وفي هذا بيان للتكليف العام الموجه للامة ككل، كما فيه تكليفاً شخصياً لهؤلاء بتحمّل المسؤولية في نصرته ومعاذته، غير أن أكثرهم خالفوا التكليف العام والتكليف الخاص.

الإمام في مواجهة جيش الضلالة:

لقد سعى الإمام جاهداً إلى هداية الجيش الاموي - والمكوّن بشكل كامل من جمهور أهل الكوفة، والذين هم في معظمهم ممن لاقى كلّ مرّة في ظلّ الدولة السفليّة - وسعى الإمام هذا يُمكن ان يكون لبواعث عدّة غير ان ماله مدخليّة بموضوعنا هذا ان هدايتهم تنتج صحتهم وعودتهم إلى ساحة الصفّ الإيماني، أو لا أقل انسحابهم من أجواء المعركة بشكل كامل، وهذا بحدّ ذاته مرتبة مهمة من مراتب الانتصار للإمام (عليه السلام).

وكانت وسائل الإمام (عليه السلام) لإحداث الصحوّة فيهم:

١- توضيح وتأكيد ارتباطه المميّز برسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفائدة هذا التوضيح والتأكيد: أ- ان المجتمع العربي كان يُولي أهمية كبرى لمسألة النسب في حياته اليومية وكان لارتباط إنسان بشخص ما أو قبيلة ما مدعاة لتكريمه عندهم أو للاستهانة به، ويختلف الأمر شدّة وضعفاً بحسب موقع تلك الجهة أو ذلك الشخص عندهم، وطبق هذا السياق فينبغي ان يكون اهتمامهم بالحسين عظيمًا، وذلك لموقعه النسبي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) تبعاً لأهمية موقع الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) في الامة.

ب- ان الإمام (عليه السلام) أكّد ارتباطه بالنبي (صلى الله عليه وآله) بشكل يوضّح للامة ان نوع هذا الارتباط بمرتبة أعلى من الارتباط النسبي بالبحث.

٢- قام الإمام (عليه السلام) بوعظ الحشود المتجمّعة لمقاتلته وأبلغ في وعظهم ونصحهم وتحذيرهم من غضب الله سبحانه ومن عظيم أخذه ومن النيران وحذرهم من العواقب

الدنيوية الوخيمة لما هم بصدد الإقدام عليه.

ومن مهم ما قام به الإمام: إبرازه لكتاب الله سبحانه ونشره، وخطبته عند ذاك بهم. ووجه الأهمية: ان جمعاً مهماً من الجيش الضال إنما كان من فئة الخوارج وهؤلاء أشعلوا فتنة هائلة في جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) لما رفع معاوية وصحبه المصاحف وقاموا من جهتهم برفع سيوفهم بوجه أمير المؤمنين (عليه السلام) مطالبينه بوقف القتال والدخول في مفاوضات مع معاوية واستمروا في نهجهم وفكرهم هذا سنين كثر، غير انهم لم تتحرك لهم شعرة حين رفع ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والداعي إلى المعروف والنهي عن المنكر المصحف إمامهم.

٣- أعلن لهم أهدافه من حركته المقدسة.

٤- ذكرهم بجرائم بني أمية مع الأمة جمعاء، ومع الكوفيين بشكل خاص.

٥- بين لهم أنه إنما قدم عليهم بناءً على طلبهم ومعاهدتهم وإصرارهم.

٦- صدور بعض الكرامات من ساحته المقدسة ليعلموا - يقيناً - صدقه وارتباطه

بالله سبحانه.

٧- عرض أمامهم عرضاً وسطاً بين المبايعة المستحيلة التي يريدونها والقتال، والعرض هو: الرجوع من حيث أتى، أو الذهاب في بلاد الله العريضة - على ما روي -.

٨- سقى الإمام (عليه السلام) جيش الحر وهم ألف فارس وألف فرس، وكان المناسب كَرَدَّ فعلٍ على صنع الإمام (عليه السلام) هذا معهم الانحياز إلى الإمام أو العمل على إيصال الماء إليه وإلى أسرته النبوية، أو ترك ساحة المعركة في الأقل، لكن لم يُنقل شيء من هذا عنهم أبداً غير ما صدر من قائدهم الحر الرياحي من الانتقال إلى جيش الإمام (عليه السلام) وفدائه له بنفسه ومن جمع قليلٍ من المقاتلين.

٩- أكثر الإمام عليه السلام من إلقاء الخطب ومن بيان الحقائق ومن دعوة الجمع المحتشد ضده إلى التفكير في قضيته وإلى المقارنة بينه وبين بني أمية بالنسبة لهم إذ قال لهم: «أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون»

ومن هنا يتبين ان الرذالة العظيمة لبني أمية وقدااسة الإمام من الامور البينة عندهم، وكان عليهم استغلال ظرف حضور الإمام عليه السلام للانتقال إلى الجمع المصاحب له، ومعاضدته، وتغيير مسار الاحداث، على ما وعدوه ببذل النفس والنفيس، لكن رداءة الذات ورذالتها استحكمت فيهم، فلا حياء، ولا إيمان بآخرة، ولا رغبة بالمكارم. ١٠- اهتم الإمام بشكل خاص بمحاولته التأثير على عمر بن سعد وزحزحته عن موقفه المؤيد للسلطة الجائرة.

ولم يكن ابن سعد راغباً بالخروج لحرب الإمام عليه السلام غير أن ابن زياد خدعه بتعيينه له والياً على بلاد الريّ وجرجان - وهي بلاد واسعة ومهمة في تلك الفترة - وسلّمه كتاب التعيين ثم فتنه بطلبه منه الخروج لحرب الإمام وهدّده بسحب كتاب تعيينه لولاية الري لو أصرّ على الامتناع فوافق على مضض.

وقد حاول الإمام هدايته بطرق شتى منها تذكيره بانتسابه إلى رسول الله - لو كان الحافز الديني فيه حياً بنسبة ما - ونحو هذا، وخوّفه الآخرة وعذابها، فبدأ الطاغية بالاعتذار بأمور لا تصلح وجهاً للاعتذار حينما يكون الخيار المقابل ضرب الإسلام في اقدس مقدساته، وتوجيه أعنف ضربة للتوجه الإسلامي الحقيقي في المجتمع، في مقابل تيار الارتداد، والانقلاب على الأعقاب.

قال الإمام لابن سعد: «يا بن سعد، أتقاتلني؟ أما تتقي الله الذي إليه معادك، فإني ابن من قد علمت، ألا تكون معي وتدع هؤلاء فإنه أقرب إلى الله تعالى».

- فأجاب: أخاف أن تُهدم داري.

- «أنا ابنها».

- أخاف أن تُؤخذ ضيعتي.

- «أنا أخلف عليك خيراً منها في الحجاز».

- إن لي بالكوفة عيلاً وأخاف عليهم من ابن زياد القتل «والعجيب أنه يخاف على أولاده ولا يأبه إلى أن ذرية رسول الله ﷺ ستتعرض للإبادة وعلى رأسهم سبط رسول الله وريحانته من الدنيا».

فأنهى الإمام ﷺ محاولاته معه وواجهه المواجهة الأخيرة الحاسمة لأمر هذا التحير والتذبذب والنفاق:

«مالك ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرِك، فوالله إنِّي لأرجو أن لا تأكل من بُرِّ العراق إلاَّ يسيراً».

فكان جواب ابن سعد الساخر: إن في الشعر كفاية^(١).

فأعلن ابن سعد بجوابه هذا: ارتداده وانحرافه، بشكل حاسم ومصيري، إلى الفئة الاموية الفاسدة، فروع الشجرة الملعونة في القرآن.

هذا: مع أن محاولات الإمام آتت نتائج مهمة في بادئ الأمر، إذ كتب ابن سعد إلى ابن زياد بإمكانية رجوع الإمام وانتهاء الازمة وعَرَضَ الأمر بشكل وافق عليه طاغية العراق - ابن زياد - غير أن شمرًا كان بالمرصاد لمحاولات ابن سعد إذ حرَّض ابن زياد على التشدد وجرت الاحداث فيما بعد كما هو معروف.

قضى الإمام - مع صحبه الكرام - ليلة العاشر في الصلاة وقراءة القرآن والدعاء

(١) حياة الإمام الحسين ﷺ، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٣٣.

والذكر وكان الأجدد بالجيش المرتد الضال أن يُراجع نفسه وهو يرى ابن رسول الله ومعه أوتاد الارض وخيار الأمة - صحابة الإمام الكرام من بني هاشم وغيرهم - وهم بمحضر المولى سبحانه في آخر ليلة من عمرهم المقدس وقد قضوها بالدعاء إليه سبحانه وكان على جيش الضلالة أن يخاف سوء الحساب والعاقبة وهو يتهيأ لإبادة صفوة الأمة الإسلامية وَخَيْرَتِهَا، لكنَّ حُبَّ الحياة وعاجل الدنيا، والخوف من الموت، وخبث الذات، استحوذ على تلك النفوس الخائرة، والتي انحسرت عنها كل صفة كريمة وكل خلق حسن، إلى ان اقترفوا الجريمة الأعظم في تاريخ الإنسانية المليء بالجرائم والعظائم.

يوم عاشوراء:

ولم يتوقف الإمام (عليه السلام) عن سعيه الحثيث لصدِّ العُصبة الآثمة عن اقتراف الجرائم إلى قُرْب ساعة شهادته المقدسة.

فلم يبتدئهم بقتال.

وجعل شعار جيشه: يا محمد - وأين من يرعوي منهم، أو تثور فيه النخوة الدينيّة، لو بقي في ذواتهم منها أثر -.

وواصل خطبه فيهم ووعظه لهم.

بل أخذ يستغيث وسط ذلك الجمع المرتد:

«هل من ناصرٍ ينصرنا.

هل من مغيثٍ يغيننا.

هل من مغيثٍ يرجو الله في اعانتنا.

هل من ذابٍّ يذبّ عن حُرْم رسول الله ﷺ.

ونحو هذه، فلم تؤثر إلّا فيما يقارب الثلاثين منهم إذ انعطفوا إلى الإمام مقاتلين

معه ومستشهدين بين يديه.

رفع الإمام يديه إلى السماء وسط ساحة المعركة وأمام الجمع المحتشد كله يبتهل إلى الله سبحانه ويتقوى به:

اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل امرٍ نزل بي ثقة وعُدّة، كم من همٍّ يضعف منه الفؤاد، وتَقَلُّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته اليك، رَغْبَةً بي اليك عَمَّن سواك، فأذهبتَه وفرّجتَه وكشفتَه، فأنت وليّ كل نعمة وصاحب كل حسنة ومنتهى كلّ رغبة.

وبقي فكر وقلب الجيش المحتشد أقسى من الحجر.

واين انت عن أعظم منظر فجع في عرصات كربلاء وهو منظر عائلة النبي الأعظم ﷺ من نساء أهل بيته وصبيته وهم يئنّون من العطش وقد احتوشهم ذئاب الأمة وأعضاء فراعنتها ولم يتحرك من ذلك الجمع ساكن.

وها هو الإمام ﷺ يدعو الله سبحانه على هذه الفئة بأن يأخذها أخذ عزيز مقتدر في الدنيا والآخرة ويتنقم له منهم عاجلاً.

فلم يجد منهم غير الإصرار على نهج الجريمة وشرب كأس السم إلى آخر قطرة. ها هو الإمام ﷺ يوم الطف يستعدّ لمواجهة هجمة الجاهلية والارتداد عن حقيقة الإسلام وعن لوازم عقائده واحكامه، إذ لم يبق من الإسلام عند هذه الفئة غير الاسم وبعض المظاهر والآفهم يقاتلون تحت أمثال الشعار الذي رفعه عمرو بن الحجاج: يا أهل الكوفة، الزموا طاعتكم وجماعتكم.

ثم يؤكدّ عليهم التمسك بعدم مخالفة الإمام - أي يزيد -^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٩.

وهذا المنطق يُضحك الثكلي فاية جماعة هذه، والتي تُنتج صعود السفلة الأراذل على منبر رسول الله ﷺ واستلام مقام الإمامة والخلافة كما تُنتج قتل ولد رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة لأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويريد السير بسيرة أبيه أمير المؤمنين (ع) - أزهّد العالمين بعد رسول الله ﷺ - وسيرة جدّه رسول الله ﷺ المبعوث رحمةً للعالمين.

نعم ها هو الحسين (ع) يقارب خيام أصحابه ويحفر الخندق من خلف الخيام وحولها ويرتب جيشه.

ويصنع المستحيل في سبيل هداية الجمع الضال فما من أثر إلا من افراد.

ولا ينسى الحسين الوصية في تلك الساعات الهائلة.

هذا الإمام الباقر (ع) يُروى عنه:

«لما حضر علي بن الحسين (ع) الوفاة ضمّني إلى صدره وقال:

يا بُني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة.

ومما ذكر أن أباه أوصاه به، قال:

يا بُني، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله» (١).

استغاثة وغدر

لو لا أن أهل الكوفة استغاثوا بالإمام الحسين (عليه السلام) وطلبوا حضوره إليهم، ووعده المعاضدة، والمجاهدة بين يديه دفاعاً عنه، وعن قضيته، لما اختار الإمام (عليه السلام) الكوفة مُنْطَلَقاً لمسيرته، ولا اعتمدها في حركته أبداً.

بل يُمكن القول ويصحّ: أنه لو لا مكاتبة الكوفيين للإمام (عليه السلام) لأكثر من عشر سنين مستصرخين به ومستغيثين، ومؤكدين لمطالباتهم ومستمتين، لما نهض الإمام (عليه السلام) بتلك الصيغة، ولاكتفى بالامتناع عن البيعة، كأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد السقيفة، بل لعله كان يبايع كحال بقيّة المعصومين في مثل هذه الظروف.

إذ بعد مكاتبة الكوفيين للإمام الحسين (عليه السلام) أيام معاوية، وكذلك بعد استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام)، أضحى ظرف الإمام (عليه السلام) بين مشكلين:

المشكل الأول: الصلح القائم مع معاوية، وهو يقتضي من الإمام الحسين (عليه السلام) عدم النهضة وترك الخروج، لوجود معاهدات ومواثيق، بالإضافة إلى أمور أخرى شرحتها فيما تقدم، فلا يسعه والحال هذا الاستجابة لدعوة الكوفيين وهدم ما تمّ مع معاوية، خصوصاً وأن أهل الكوفة هم الذين أوقعوا أنفسهم في المحذور - ظلم معاوية - بسبب تكاسلهم عن نصره أمير المؤمنين، وتكرّر غدرهم به.

الثاني: استغاثة أهل الكوفة من ظلم معاوية وولاته، والآية الكريمة تقول:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ

نَصِيرًا ﴿١﴾.

وقد بين الإمام أن حالة أهل الكوفة باستنجادهم إياه سبب لحركته المقدسة، فقد قال لهم يوم عاشوراء:

«تبا لكم أيها الجماعة وترحاً، حين استصر ختمونا والهين، فاصر خناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في إيمانكم، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم أولياء لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم... أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون، أجل والله غدرٌ فيكم قديم، وشجّت إليه اصولكم، وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث شجاً للناظر، وأكلةٍ للغاصب»^(٢).

فالإمام عليه السلام كان بين محذورين:

أ- لزوم ترك النهضة لوجود المواثيق بينه وبين معاوية - كجزء علة أساسي -.
ب- ولزوم النهضة، لاستنجاد أهل الكوفة واستغاثنهم به، لكونهم مستضعفين من بني أمية.

وقد تحفظ الإمام عليه السلام على التكليفين، إلا أنه قدّم اللازم تقديمه في ذلك الطرف، وهو المحافظة على عهوده ومواثيقه، غير أنه وعد أهل الكوفة إنجادهم بمجرد هلاك معاوية.

واستمر أهل الكوفة على موثيقهم ومعاهداتهم، واستمر الإمام على وعده إلى أن هلك معاوية.

وهرع أهل الكوفة «زعماء وعامة» بالكتابة إلى الإمام عليه السلام.

(١) سورة النساء، الآية ٧٥.

(٢) الملهوف، ص ١٥٥.

الكثير من الرسائل وآلاف المبايعين.
 إذن: جاء حين إنجاز الإمام لوعده.
 فكان لأبد من تنفيذ الوعد على كل حال، وهو أمر غير سليم باطلاقه.
 أو تركه على كل حال وهو مستحيل في حق الإمام المعصوم.
 أو بلوغ مرحلة بحيث يتراجع فيه أهل الكوفة عن طلبهم واستغاثتهم.
 أو الانتظار لحين ظهور معالم غدرهم ونكولهم عن عهودهم.
 وهو ما لم يحصل إلا بعد ان ابتدأت المواجهة واستحكمت.
 فانتقل الأمر إلى مرحلته الثانية بعد تحقق غدر أهل الكوفة، وهو كف يد الدولة
 عن الاعتداء على حياته المقدسة، وعلى ما يلزم المحافظة عليه من مقدسات الإسلام.
 وامتنعت عصبة الحكم والارتداد، إلا باستسلام الإمام الاستسلام المذل - ونتيجته
 القتل وزيادة -.

ومثل هكذا استسلام، مستحيل جداً في حق الإمام (عليه السلام)، إذ الإمام (عليه السلام) يمثل في
 حركته وسكونه وقداسته مقام خلافة الله ورسوله في الأرض.
 فأصبح الإمام (عليه السلام) «في هذه المرحلة» في موقف الدفاع عن نفسه المقدسة.
 فهو بين أن يحاول كفهم عن أصل محاولتهم لتنفيذ خططهم بصيغته الدينية، وبين
 مدافعتهم عن نفسه وحرمة.

سقط شهيداً في عرصات كربلاء مغدوراً به من أهل الكوفة، ومخدولاً من معظم
 الأمة، مع بيان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المتكرر بأن الأمة ستقتل ولده من بعده، وبلزوم نصرته، ومع
 انتشار هذا البيان، فكان على الأمة الحذر والاستعداد، فلا يستصرخونه، لأن الأحداث
 ستأخذ هذا المسار، أو لا يغدرونه، ولا يخذلونه.

كان على الأمة كلها: الاستعداد.

وكان جمع منهم ملتفتون إلى ما بيّنه النبي صلى الله عليه وآله لكنهم ما اتخذوا الخطوة المناسبة غير الإشارة على الإمام بترك الخروج.

لم يرد نصّ واحد عن النبي «مهما كان ضعيفاً أو مفتعلاً» ينهى الحسين عن الخروج، بل توفّرت نصوص كثيرة يأمر النبي فيها أمته جماعات وآحاداً بنصرة الحسين إذا خرج، إلّا أنه لم يخرج غير نجوم الأرض من الأسرة والصحب، وهم قرابة المائة، يزيدون قليلاً أو ينقصون.

وحذّره أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيضاً^(١)، ولم يقل لولده: لا تخرج، بل قال للأمة: انصروا ولا تتخذلوا.

والعجب من أهل الكوفة: اذ أعابوا على الإمام الحسن صلحه مع معاوية، واستنهضوا الإمام الحسين عليه السلام سنين، فلما أجاب الإمام استصراخهم غدروه بل قتلوه^(٢).

ثم أنهم لم يعترضوا على قتل الإمام عليه السلام فيما بعد، أي في بقيّة أيام يزيد، مع عظمة ما قام به، وشناعة ما اقترفه، من قتل ولد رسول الله، واعتقال نسائه وصبيته، وتسييرهم من بلد إلى بلد بحال الأسر والقهر، ونقلهم من سجن إلى سجن. وتابت الأمة من ظاهرة الاستغاثة، بعد مجزرة الطف.

فبالرغم مما مرت به الأمة من كوارث وأهوال - فيما بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام - على يد حكامها الظلمة المستهترين بكل القيم والشرائع، فإنّه لم يُنقل توجيه فئة من الأمة استغاثةً واستنجاداً إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام لإنقاذهم من الاستضعاف، كما

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣١٤.

(٢) كشف المحجة، السيد ابن طاووس ص ٩٦.

لم تصدر معاهدة - بشكل جماعي - على النصرة والمعاوضة، نعم هناك حالات فردية. ولعل قضية الإمام الحسين عليه السلام أورثت الأمة عُقْدًا بالذنب، واستحياءً من المعاودة، بعد ما فشلت عن الوفاء بوعودها وعهودها مرات - مع الوصي والمجتبى والحسين الشهيد عليه السلام - كما أن الأئمة عليهم السلام كانوا يردّون الدعوات الفردية بعدم وجود الناصر المستميت بعددٍ يزيد على العشرات، أو هو دون المستوى المطلوب على كل حال.

أثر علم الإمام عليه السلام باستشهاد

الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم علماً قطعياً بأنّ مآله في حركته هذه إلى الاستشهاد، بل يعلم بتفاصيل استشهاد، كعلمه بمكانه، وبالجبهة التي ستتولاه، وبحركة الأحداث بعده، وما سيؤول إليه حال أهله، وقضيته، وحال قتلته وخاذليه، كل هذا عن طُرُق العلم المتاحة لخلفاء الله سبحانه في أرضه وأوصياء نبيه، ومنها إخبارات النبي صلى الله عليه وآله بهذا الشأن، وإخبارات وصيه.

وليس العلم بالاستشهاد بتفاصيله مقتصراً على الإمام الحسين عليه السلام بل هو شأن كل المعصومين الأربعة عشر - صلوات الله عليهم وسلامه - بل فازت مجموعة من الشيعة، خصوصاً من أصحاب الوصي عليه السلام بالعلم بتفاصيل عن نهايات حياتهم من نفس الوصي عليه السلام بل نال مثل هذا أيضاً بعض اصحاب النبي بتعليمه عليه السلام.

والتساؤل الوارد على قضية الإمام الشهيد عليه السلام - بعد الاخبار لهذا المطلب - عن الوجه في تحرك الإمام عليه السلام مع علمه بشهادته، مع وجوب المحافظة على النفس، وبعد قوله سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١)

وهكذا طرح يشمل حال المعصومين الأربعة عشر عليه السلام، ومن بلغوه بكيفية شهادته وخاتمته، فهو غير مختص به عليه السلام في الواقع.

البعض يعتقد أن الإمام الشهيد تعامل مع الأحداث دون أن يبيّن خطه وتحركه وتفاصيل توجيهه للأحداث على أساس ما علمه عن طريق آبائه أو عن طريق التأييدات

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

والتسديدات الربانية له، وهذا كلام لا يُمكن قبوله بإطلاقه أبداً.

إذ كيف يُخبر النبي الأكرم ﷺ باستشهاد ولده عن جبرئيل عليه السلام عن رب العزة تبارك وتقدس، بل ويتعدّد إخباره لهذا الأمر سرّاً وعلانية، ويسمع إخباره هذا الكثير من الصحابة، وكذلك يُخبر به الإمام الوصي علي عليه السلام، بل يُخبر به سيد الشهداء عدة مرات، وفي أماكن متعددة، من قَبْلِ البدء بحركته إلى قرب انتهائها، ثم لا يُرتّب الإمام الشهيد أثراً على هذا الأخبار النابع عن علم قطعي بالتحقق، لمجرد كون العلم به لم يحصل من الطرق الطبيعية العادية المتعارفة للعلم، بل بالطرق الالهامية والإعجازية، هذا أمر لا يمكن قبوله واعتماده، مع خطورة الموقف ومصيرته وكثرة الإخبار به.

أفلا يصحّ التساؤل والحال هذا: كيف لم يمنع هذا، الإمام عليه السلام من اعتماد كتب ورسائل أهل الكوفة، ولم سار الإمام عليه السلام مسيرته دون أن يأخذ أمر استشهاد الحسين مع أنه يُبينه في حِلّه وترحاله.

والذي نراه، أنه يلزم الأخذ بنظر الاعتبار لملاحظة الإمام مسألة استشهاد عند تخطيطه لحركته، وهذا ظاهر من دراسة أقوال الإمام وتحركاته، بل هو واضح جداً. من البعيد جداً أن يغضّ الإمام النظر عن هذه المسألة لمجرد أن العلم بها لم يحصل عن الوسائل الطبيعية وإنما عن طريق الوحي والإلهام، بل مع ملاحظة كثرة الأخبار عن النبي والوصي والإمام نفسه يصبح التصديق بهذه المقولة غير مقبول بل غير معقول أيضاً، ويُنزّه أهل العصمة والحكمة عنه.

والآثار التي ستترتب على علمه القطعيّ بانتهائه إلى الشهادة:

أ- إخباره أهل بيته، وخُلصّ صحبه، بل عامة الناس، به.

وفائدة هذا الأخبار والبيان - بل التأكيد عليه مراراً وتكراراً - هو حثّ الناس على

نصرته، وقطع الطريق على معاذيرهم وتقاعسهم اتكالا على دعم أهل الكوفة وغيرهم للإمام، بسبب كثرة المكاتين والمعاهدين والمنصرين له ﷺ، وكذلك استدعاءً لغيرتهم وحميتهم، وتفجيراً لمكان الشهامة فيهم، ودفعاً لتواكلهم.

فكان على الأمة - بعد إخبارات النبي والوصي والإمام الشهيد - أن تتعامل مع الحركة الحسينية بجِدٍّ ونشاط، وأن تُدرك الخطورة الهائلة التي تحيط بالإمام وحركته، فلا تنهون في نصرته، فتشرب بهذا كأس السُّم، وتُهْلِك نفسها، والأجيال التي بعدها.

ب- اتخاذ الخطوات المناسبة في تحركاته لمواجهة الجمع الأموي.

وكونه ﷺ معصوماً مؤيداً مُسَدِّداً من الله سبحانه لا يُنافي قيامه بالتخطيط استناداً إلى الطرق الطبيعية للعلم عند اتخاذه لقراراته في شؤونه الشخصية وفي شؤن إمامته، إذ هذا العلم من طرق تسديده وعصمته ﷺ، كما لا مُلزم للالتزام بغضه النظر تماماً عما وقع إليه من علم عن الطرق الخاصة التي يَسرها الله سبحانه لخلفائه الكرام ﷺ.

لكن من المهم الالتفات: إلى أنّ بعض ما صدر عن الإمام ممّا يصعب علينا تصوّر اختياره بدون أمر وإرشادٍ إلهيٍّ مباشرٍ إنّما هو بالقياس إلى مستوى أدراكنا وقابلياتنا، والمعصوم يمتلك مستوىً من الإدراك يعلو بها لانسبة معه عما عليه غيره كائناً من كان، فلا وجه لتفسير بعض ما صدر عن الإمام بأنه وفق أمرٍ ربوبيٍّ خاصٍ لمجرّد صعوبة أدراكنا لوجه اختياره، ومن هذا القبيل تفسير اصطحاب الإمام لعائلته معه من المدينة إلى مكة فكريلاء والذي أدّى إلى اظهار خساسة الجمع الأموي وحقيقة مبادئه وأهدافه وعظم مظلوميّة النبي وآله مع هذه الفئة وإيضاح حقيقة النهضة الحسينية للجمهور المغفل والمخدوع وإحداث هزّةٍ في ضمير المتقاعسين والمتخاذلين، وكان هذا جزءاً علةً في إشعال ثوراتٍ عدّةٍ فيما بعد، ولا يعني كلامنا هذا نفي صدور فعلٍ له ﷺ عن إرشادٍ ربوبيٍّ خاص، بل مرآنا الإثبات على نحو الموجبة الجزئية للموردين، في

مقابل الاثبات أو النفي على نحو الموجبة الكلية أو السالبة الكلية-أي: اعتياده  خططاً في حركته مستنداً فيها إلى ما استقاه من طرق العلم الطبيعيّة، كما أنّه يستند في بعض خططه إلى ما يستفيده من الطرق الخاصّة بالمعصومين- وهذا كلّ لا يصادم تسديده وتأييده الربوبي في تمام شؤونه والمعبر عنه بالعصمة، فهو  معصوم في كلّ آن، واختياره دائماً عين الصواب.

ومن أهم النصوص الشاهدة بعلمه باستشهاده، ما أعلنه الإمام إمام الملائم عزم الخروج إلى العراق:

«خُطَّ الموت على ولد آدم مَخَطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطّعها ذئاب الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن منّي أكراشاً جَوْفاً وأجربة سُنْبا، لا محيص عن يوم خُطَّ بالقلم»^(١).

(١) الملهوف، السيد ابن طاووس، ص ١٢٦، مع ملاحظة الهامش ١٦٧.

هدف الحركة الحسينية

إنَّ أول ما يلزم وضعه نُصب العين حين استعراض النهضة الحسينية المحمدية المباركة هو الهدف الحسيني المُعلن إذ كَتَبَ - عليه أفضل الصلاة والسلام - في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين»^(١).

وقال صلوات الله عليه في خطبته لجيش الحر:

«أيها الناس، إن رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء قد لزموا الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحقّ من غير»^(٢).

كما قال ﷺ: «خُطّ الموت على ولدِ آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى

(١) المقوم. مقتل الحسين ﷺ ص ١٣٩، والسيد العسكري. معالم المدرستين ج ٣ ص ٥٠ نقلها عن مصادر عدة.

(٢) المقوم. مقتل الحسين ﷺ ص ١٨٥، ومعالم المدرستين ج ٣ ص ٧١.

أسلافي إشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها
عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلا، فيملأن منّي أكراشاً جَوْفاً وأجربة سُنبا، لا
محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور
الصابرين»^(١).

إن صدور هذه النصوص عن سيد الشهداء عليه السلام يوضّح بجلاء أن المسيرة التي
سارها الإمام الحسين عليه السلام إنما هي عن إرادة وتصميم وإدراك لأبعاد الوضع الخطر
الذي يعانیه المسلمون بل الدين الإسلامي الحنيف الغصّ، الذي لما يزل يتغلغل في أبنائه
ومعتنقيه، تتشربّه نفوسهم وعقولهم، إذ هجم ذئاب الكفر وصعاليك العرب بكل
شراسة ووقاحة، يتخذون عباد الله خولا، وماله دولا، ولم يزل الكفر وعشق أصنام
مكة يملأ كل جوانحهم، إدراكاً منهم أن لبقاء لمجدهم، ولا لهم، ولا بلهنية في العيش،
ما دام الإسلام يحيا ناصعاً واضحاً بوجود الكتاب العزيز، وبوجود القادة الربانيين.

إنّ الدعوة الإلهية التوحيدية التي بدأها أبو البشر آدم عليه السلام، وقام بتبليغها مائة
وأربعة وعشرون ألف نبي، ومثلهم عدداً من الأوصياء، والكثير الكثير من العلماء
والصلحاء والربانيين والمؤمنين، والتي انتهت إلى خاتم الأنبياء محمد عليه السلام، الذي أحيا
من دين الله تعالى ما اندرس، وأثار الله به درب الهداية للبشرية جمعاء، وجعل شريعته
الخاتمة والباقية إلى يوم القيامة والتي ناضل من أجلها سيد الأوصياء علي عليه السلام وأبو محمد
الحسن المجتبى عليه السلام والكثير من الصحابة المخلصين.

أقول: إن هذه الدعوة وصلت إلى منعطفٍ خطر جداً، وكانت جهود الماضين
وآمالهم تستصرخ الحسين عليه السلام إذ إنّ بني أمية قد عقدوا العزم على إطفاء تلك الشعلة
الإلهية واماتة الدين الحنيف وطمس حقيقته وإلى الأبد وقد أعلن هذا الهدف جدّهم

(١) المرقم. مقتل الحسين عليه السلام ص ١٦٦، ومعالم المدرستين ج ٣ ص ٦١ عن مثير الأحزان والملهوف.

ابو سفيان وأبوهم معاوية سيد البغاة في قوله للمغيرة بن شعبة: لا والله إلا دفناً دفناً، في قصة مشهورة^(١).

إن مسألة الخلافة واستلام زعامة الأمة الإسلامية مركزيّة جداً في أهداف الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام وهي الوسيلة الوحيدة الطبيعية الغير مُخلّة بالتخطيط الإلهي لمسيرة الكيان البشري وتكامله وللمحافظة على سلامة مسيرة الدين الإسلامي وبقاء تعاليمه واحكامه وعقائده، بل وعلى قاداته وافراده والكيان الاسري والاجتماعي العام للامة.

فاذن: لابدّ من استلام الخلافة، فإن أمكنت بالطريقة المثلى الأسهل فيها، وإلاّ فبكل طريقة ممكنة لا تتعارض وقوانين الإسلام ما وُجدَ المُعاضد وأمكنت الفرص، إلاّ انهم ﷺ لا يعملون لإستلام الحكم لو نتج عن ذلك فساد يكون حصوله أعظم شراً من فوت الولاية، كما لو ينتج عن الحركة فناء الإسلام أو هتكه أو وقوع أحداث تؤدي إلى تشويه صورته الحقيقية في أنظار الجماهير وتؤدي إلى اشمئزازهم منه أو تصوير حركة الأئمة ﷺ على أنها تنافس لأجل سلطان وأمثال هذه من الأمور التي تعيق الأئمة ﷺ عن أداء دورهم الأصيل، وهو المحافظة على الأسلام، أو إحيائه بعد طمس الظالمين لمعالمه.

(١) القصة بتمامها في كتاب حياة الحسين ﷺ للقرشي ج٢ ص ١٥١، عن شرح النهج ج٢ ص ٢٩٧، ونقلها السيد علي الشهرستاني في منع تدوين الحديث ص ٣٨٨، عن صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص ٨١ ومسترشد الطبري ص ١٧٤.

ولدور بني امية الريادي في الإجرام بحق الإسلام وقاداته ومبادئه ورد ورودهم يوم القيامة بشرّ حال واسوء مصير، ففي الخصال للصدوق ج ٢ باب السبعة: للنار سبعة ابواب، ح ٥١ عن النبي ﷺ «لنار سبعة ابواب.. إلى أن قال: وهذا الباب الآخر يدخل منه بنو أمية لأنه هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصة يدخلون ذلك الباب فتحطمهم النار حطماً لا تسمع لهم منها واعية ولا يحيون فيها ولا يموتون» راجع معجم الرجال للسيد الخوئي ج ١٨ ص ١٩٧.

نعم ذهاب الأنفس والاستشهاد، فضلاً عن بذل الأموال ونفائس المقتنيات، في هذا السبيل مما لا توقف للأئمة عليهم السلام فيه أبداً، كيف و: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(١)﴾.

ويترتب على ما تقدم حقيقة: أن الأئمة عليهم السلام من بعد وفاة سيد الأنبياء والمرسلين عليه السلام كان همهم الدائم إقامة حكومة إسلامية يحكم فيها بحكم الله تعالى ويؤخذ فيها للمظلوم من الظالم وترسخ فيها مضامين الإسلام في قلوب معتقيه بما يؤدي إلى تطابق سلوكياتهم مع قوانينه.

وهم عليهم السلام لم يغفلوا عن هذا الأمر لحظة واحدة لضرورته، واستحالة تصحيح المسيرة والمحافظة على ما يجب المحافظة عليه بدونه، إلا أنهم عليهم السلام توقفوا في بعض الأحيان عن إعلان الثورة على الوضع القائم لعدم المعاضد والمناصر بما يكفي لنجاح الحركة، وللخوف على الكيان الإسلامي من التصدع، ومن ثم الدمار، والخوف من هيجان فتنة تكون عاقبتها انهيار البناء الذي شاده سيد المرسلين عليه السلام وانطفاء نور التوحيد وإلى الأبد، فيذهب الإسلام بالمرّة، كما انتهت الأديان السابقة من قبله، قبل أن تضرب في الأرض جذورها، وتستوي على سوقها، ويوضح هذا المعنى ما نقل عن الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه - على ما في نهج البلاغة -:

فعنه عليه السلام: «أما بعد، فإن الله سبحانه بعث محمداً عليه السلام - نذيراً للعالمين ومهيماً على المرسلين، فلما مضى عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر بباله، أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده عليه السلام - عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه

عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ يُبَايَعُونَهُ فَأَمْسَكَتْ يَدِي حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ، يَدْعُونَ إِلَى مُحَقِّ دِينَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فَخَشِيتُ أَنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثُلُمًا أَوْ هَدْمًا تَكُونُ الْمَصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وَلَايَتِكُمْ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعٌ أَيَّامٍ قَلِيلٌ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاغَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهَّاهُ»^(١).

ثم لما حانت الفرصة لسيد الأوصياء ﷺ قام بالأمر، لكن حدث ما حدث من الفتن والاضطرابات التي أثارها الطامعون في السلطان والإمرة والتمتع بميزات منصب الرئاسة للعالم الإسلامي مما لا يكون مسوغاً لترك تحمل المسؤولية وترك الحبل على غاربه وفسح المجال للجهلة بالتشريع الإسلامي بل غير المباليين بتطبيقه لإدارة دفة الحكم، وترك الناس في محنة تحت سيطرة هؤلاء.

ثم قام بالأمر الإمام الحسن السبط سلام الله عليه، وانتهى الأمر إلى ضرورة عقد الصلح مع أمير البغاة وإمام الطُّغاة معاوية لاستيلاء معاوية على أطراف العالم الإسلامي المهمة، ولشرائه ذمم مجموعة من رؤساء العشائر ووجهاء المجتمع وقادة الجند، ولأحداثه الفتن والبلبل في أوساط جيش الإمام ﷺ، وبين جماهير المسلمين المتشعبة آراؤهم ونزعاتهم.

ثم، ولوجود مؤامرة تستهدف تسليم الإمام ﷺ حياً إلى الطليق معاوية كي يُضفي على الإمام الطاهر ﷺ نفس اللقب الذي حمل معاوية عاره وإلى الأبد فلا لقب له مدى الدهر كلقب الطليق^(٢)، فقد روي أَنَّ خَاتَمَ الرِّسْلِ ﷺ قَامَ بِفَتْحِ مَكَّةَ ثُمَّ اعْتَقَالَ جَمْعٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَتَأْنِيَهُ لَهُمْ.

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٦٢ من كتبه ﷺ ص ٦٢٦.

(٢) راجع: الغدير، الأمين، ج ١٠ ص ٤٦.

قال عليه السلام لهم: «ما تظنون أني فاعل بكم»؟

فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١).

فاعتقهم بعد أن صاروا عبيداً، وأضحوا موالى لبني هاشم بعد أن كانوا سادة مكة. أقول: قد صالح الإمام الحسن عليه السلام الباغي معاوية على شروط^(٢)، وعلى أساس تلك الشروط توقفت الحرب وانتقلت ذمة الحكم إلى معاوية، لتري الامة: عن مؤازرة من تخاذلت، وعن جهاد من تقاعست.

ففعل معاوية الأفاعيل، وما أبقي للجاهلية عادةً إلاّ أحيائها، ولا للإسلام مكرمةً إلاّ وأعفاها وطمسها، ولا لله ولياً إلاّ وشرّده أو قتله، وتتبع أولياء علي عليه السلام فحصدتهم، فأحدث في الإسلام أحداثاً يشيب لها الولدان ويناث منها قلب المؤمن كالمالح في الماء، وهذا ما دعا أوليائه وأعدائه إلى الثورة عليه، وكاتب الناس ورؤساء العشائر ملجأهم ومفرج نازلتهم سيد شباب أهل الجنة وحفيد النبي عليه السلام - الحسين عليه السلام - طالبين منه النهضة، ووعدوه النصرة والموت دونه، وأخذت الكتب والرسائل تترى.

فالهدف الأساس من الحركة هو:

إسقاط النظام الأموي الفاسد، وإقامة صرح الحكومة الإسلامية المحمدية بامتدادها الحقيقي المتمثل بحكومة علي أمير المؤمنين عليه السلام، فحكومة الحسن السبط المجتبى عليه السلام، ثم تسلسل الأمر بالحسين عليه السلام، ومن بعده السجاد، فالباقر، ثم الصادق عليه السلام، وهكذا إلى آخر سلسلة أهل البيت عليهم السلام، المقصودين بآية التطهير، وآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾،

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، الفيروز آبادي ج ٣ ص ٢٤٢ عن الاستيعاب.

(٢) راجع: صلح الحسن عليه السلام. الشيخ راضي آل ياسين، ومسند الإمام المجتبى، العطاردي، ص ٢٨١

وما بعدها، وراجع ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ج ٢ ص ٤٢٥.

والمقصودين بحديث الثقلين، وحديث السفينة: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»

وكل الأدلة واللوازم والقرائن تصرخ بهذا الهدف الحسيني وتنادي، وهي كثيرة منشورة في اطراف هذا الكتاب، ولعله يكفي منها: «وأسير بسيرة جدي وأبي»
فكيف يسير بسيرة أبيه وجدّه -صلوات الله عليهم اجمعين- بدون أن يسعى ويعمل جاهدا لاستلام الدولة.

سرد مختصر لأحداث الحركة الحسينية

ذكرت كتب التاريخ والمقاتل:

إن الناس كاتبوا الإمام سيد الشهداء (عليه السلام) - بعد صلح الإمام الحسن (عليه السلام) - مؤكدين له مناصرتهم إياه، لو نهض ضد معاوية، فأبان لهم عن التزامه بصلح أخيه الإمام الحسن (عليه السلام)، وأنه تبع له، وعلى نهجه.

فلما استشهد الإمام الحسن السبط (عليه السلام)، بسعي معاوية ودسيسته، كتب أهل العراق إلى الإمام الحسين (عليه السلام) بخلع معاوية والبيعة له، لكنه أبى عليهم لعهد وعقد بينه وبين معاوية، فإن مات الأخير نظر في ذلك - والعقد المقصود هو ما صالح الإمام الحسن (عليه السلام) معاوية عليه لسريان العقد ما دام معاوية حيّاً -.

وقد حاول معاوية استحصال بيعة الإمام الحسين بشأن استخلافه ليزيد، فأبى (عليه السلام) إباءً شديداً.

فلما مات معاوية كتب يزيد إلى والي المدينة بأخذ البيعة من الإمام (عليه السلام) فوراً وإلاّ فليقتله، فامتنع الإمام (عليه السلام) من البيعة، لردالة يزيد، وتجاهره بالمعاصي، وتهتكه المشهور والمعروف، ولظلمه، ولأسباب أخرى مثورة في ثنايا هذا الكتاب.

وأعقب الإمام (عليه السلام) امتناعه، بالخروج عن مدينة الرسول وحرمه، مع عياله، إلى حرم الله الأكبر - مكة المكرمة - وهناك اشتهر أمر امتناعه عن البيعة وذاع، فكاتبه أهل العراق بآلاف العهود والمواثيق على نصرته وإطاعته والموت دونه.

في الوقت ذاته بعث يزيد ثلاثين من شيعته ومردته لاغتيال الإمام عليه السلام بمكة - حرم الله ومأمنه - ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة، والفرصة لهذا في موسم الحج، فخرج الإمام عليه السلام من مكة يوم التروية، وهو الثامن من ذي الحجة، ولم ينتظر للقيام بشعيرة الحج، لئلا تُنتهك بقتله حرمة الحرم، وتوجه إلى العراق، بعدما أعلن أهدافه ومواقفه بشكل واضح، ودعا البعض لنصرته، كما أوضح لبعض أنه مقتول، وأن عياله مَسِيَّة. سار الإمام عليه السلام بجمع فيهم عياله - نسوته وصبيته - وبعض خُلص أنصاره، كما صحبه أناس كثر لأغراض شتى، ويُقال أن مجموع القافلة كان قرابة الخمسة آلاف نسمة.

وكان عليه السلام وهو بمكة قد بعث ابن عمه مسلم بن عقيل سفيراً عنه لاستعلام خبر أهل الكوفة، وأخذ البيعة منهم، والكتابة إليه، كي يحزم أمره، ويتخذ موقفه، فكتب إليه بالقدوم لما رأى من تصميم الناس وصدق نيّتهم في نصره الإمام.

ذلك أن مسلماً حين قدم الكوفة، وكان واليها النعمان بن بشير، وهو غير ميّال لاستعمال العنف والقسوة مع هذه الحركة - والأصح أنه قد يكون خائفاً من نتائج مواجهتها، وإلا فلا أثر للرحمة في قلوب بني أمية وشيعتهم - أقبلت الناس عليه بتابعه وتعاهده، وأخذ مسلم يجمع الرجال المقاتلين والسلاح والأموال تهيؤاً لاستقبال الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام.

غير أن بعض شيعة بني أمية كاتب يزيد بحال الكوفة وتطوراتها ليتدارك الوضع قبل أن يفلت منه زمام الأمور، فبعث يزيد إليها واليه على البصرة عبيد الله بن زياد بن أبيه بعد أن جمع له ولاية الكوفة والبصرة، وابن زياد من أقسى وأرذل الولاة في التاريخ الإسلامي، فقدم الكوفة وأعمل الحيل للتعرف على مكان استخفاء مسلم - والذي كان في دار المختار، فتحوّل عند قدوم ابن زياد إلى دار هانيء بن عروة - فلما اكتشف

ابن زياد مقر مسلم وعرف أنه ضيف هانيء بعث إليه مطالباً بتسليمه مسلماً، فأبى هانيء عليه فما كان منه إلا أن ضربه وهشم أنفه وسجنه في قصر الإمارة، حينها أعلن مسلم الثورة المسلحة واحتل الكوفة بأسرها، وسيطر عليها بواسطة رجاله، فذعر ابن زياد وأغلق قصره عليه مع ما يُقارب الخمسين من رجاله، غير أنه بثّ الجواسيس بين الناس لترغيبهم وترهيبهم وتهديدهم بقدوم جيش الشام عليهم عاجلاً، وبقطع الأرزاق عنهم، وبتفريق مقاتليهم في الثغور، فعملت الأراجيف والشائعات عملها في الناس، وعَصَدَهَا تحذيل الناس بعضهم لبعض، فالزوجة تُخَذِّل زوجها، والأب ابنه، وهكذا، فلم تدم معاضدة الناس له يوماً واحداً كاملاً.

وانتهى الأمر إلى إلقاء القبض على مسلم بعد قتال عنيف، ثُمَّ صُرِبَ عنقه المقدّس، ورمي جسده المطهر من أعلى قصر الإمارة، وكذلك ضرب عنق هانيء بن عروة في السوق على مرأى من الناس، وهو زعيم عشيرة كبيرة مرهوبة في الكوفة، وقام بعدها شيعة آل أمية بِسَحْبِ جسديهما في السوق، وأنصارهما بالأمس اليهما ينظرون - صلوات الله عليهما وسلامه -.

دُفِنَ الجسدان الطيّبان حيث مقرهما الآن، والواقع عند الباب الشرقي لمسجد الكوفة وشمال قصر الإمارة، و مرقدهما اليوم من أهم معالم الكوفة.

وكان قتلها في يوم التروية، الثامن من ذي الحجة، أو يوم عرفة، أي التاسع منه، سنة ستين للهجرة، وهو نفس وقت خروج الإمام (عليه السلام) من مكة، حيث ورد أنه خرج يوم التروية، أو كان خروج الإمام (عليه السلام) قبل استشهادهما بيوم.

بعد مسير الإمام مسافة طويلة باتجاه العراق بلغه خبر استشهاد مسلم رضوان الله عليه، وكان الإمام قد بعث رُسلًا وسفراء آخرين عنه إلى الكوفة إلا أنهم قتلوا جميعاً، كقيس بن مسهر وعبد الله بن يقطر، غير أن الإمام لم يعدل عن خط سيره، وواصله

حيثاً.

كانت السلطة متابعة لتحركات الإمام ﷺ و مترصدة له، كما أن ابن زياد عَلمَ بتوجه الإمام إلى الكوفة وأنه في طريقه إليها فاستعد له استعداد المناجزة، فالمعركة قد بدأت، ولا بد للإمام ﷺ أن يتصرف ملاحظاً مجريات الأحداث وتصاعد وتيرتها، فجَدَّ السير إلى أن التقى بطلائع جيوش ابن زياد بقيادة الحر بن يزيد الرياحي حيث ابتدأت بهم مأساة الحصار على الحسين ﷺ وانتهت به إلى الاستشهاد والفاجعة العظمى.

رافق الحرّ بجيشه الإمام ﷺ محاصراً، حتى بلغوا أرض كربلاء في اليوم الثاني^(١) من محرم الحرام، سنة احدى وستين من الهجرة، حيث ألقى ﷺ رحله هناك. تتابعت جيوش ابن زياد إلى أرض كربلاء حتى بلغت قرابة الثلاثين ألفاً أو تزيد، بقيادة عامة معهودة لعمر بن سعد بن أبي وقاص عليه لعائن الله سبحانه والملائكة والناس أجمعين.

أرسل ابن زياد إلى ابن سعد أن أعرض على الحسين ﷺ النزول على حُكمي وإلاّ فقاتله واقتله واوطئ الخيل جسده، فحاول عمر بن سعد حسم الأمر يوم التاسع من محرم الحرام عصرًا، غير أن الإمام عرض عليهم تأخير الأمر إلى الغد فأجابوه طمعاً بتراجعهم، وكان الإمام ﷺ يريد الإكثار من الصلاة والذكر والدعاء وحزم أمره مع عائلته وأصحابه الربانيين، وهكذا قضى ليلته هو وأصحابه الميامين.

ويُحتمل - بالاضافة إلى ما تقدم - أنه ﷺ أراد لجيش الضلالة ان يراجع نفسه ويحاسبها قبل أن تقع الواقعة ويضحى أفراده رهينة جريمتهم ويتحملون عبئها وعارها

(١) في البحار ج ٤ ص ٣٨١ عن الملهوف أنه يوم الثامن، مع أن الموجود في الملهوف - الطبعة المحققة - ان بلوغهم كربلاء كان في اليوم الثاني، غير أن المحقق أشار في الهامش إلى ان الموجود في إحدى نسخ الملهوف: الثامن، ولا يبعد أن الثامن من سهو القلم.

مدى الدهر.

يوم عاشورا:

وفي صباح اليوم التالي - يوم العاشر من محرم الحرام سنة إحدى وستين من الهجرة الشريفة - استعدَّ الإمام ﷺ لمواجهة ذلك العسكر الجرّار، بعشرات من الرجال يُحيطون بمجموعة من النسوة والأطفال في تلك الأرض المترامية وقد أنهكهم العطش، إذ قطع جيش ابن زياد عنهم الماء، فنظّم الإمام جيشه كأحسن ما يكون التنظيم مع قلة عددهم وعُدّتهم وضعف إمكانياتهم.

أول ما صنعه الإمام في صبيحة اليوم العاشر، أن خطب خطباً عدّة في جيش يزيد وابن زياد قاصداً تبصيرهم وإرشادهم وإزالة الغشاوة عنهم - إن وُجدت - وإزالة أعدار من يتكئ على عُذر، ومُلقياً لكلّ حجة عليهم، وقد أثّرت خطبه في بعضهم لدرجة تغيير موقف قائدٍ من قادتهم وهو الحر بن يزيد الرياحي - وكفى في هداية مثل هذا الرجل وتغييره لموقفه حجة عليهم - إذ أعلن توبته وتحول من نُصرة ابن زياد مع أنه أحد قادة جنده، إلى نصرة الإمام وهو يعلم أن لا نتيجة لتحولّه إلا الموت، لكنه صرّح بأنّه يُخَيّر نفسه بين الجنة والنار، وأقسم أنه لن يختار على الجنة شيئاً، وكذلك اهتدى جمع آخر من الجند.

ولمّا يئس الإمام من بقيتهم واجههم بخطبته الأخيرة الشديدة المنددة بأفعالهم، وأعلن أمام الملأ أنّه قد صمّم على الامتناع عن البيعة من جهة، والامتناع أيضاً عن الاستسلام بتلك الصيغة المطروحة من قبلهم مهما تكن النتائج.

أول من ابتدأ القتال عمر بن سعد بن أبي وقاص عليه لعائن الله والسموات والأرض، إذ رمى معسكر الإمام بسهم وتبعه جنده، فتحرك جند الإمام للدفاع عن

مقدساتهم، وشهدت كربلاء في ذلك اليوم أروع ملحمة في التاريخ سطرها الحسين وصحبه، وأرذل سلوكٍ بشريٍّ - في مواجهة أظهر إنسانٍ وأنبَل جمعٍ - سطره يزيد وجنده.

تقدم رتل الشهداء فدائيو الإسلام من الصُحب والمُحبين والصادقي التشيع والولاء والعقيدة، ثم أعقبهم بنو هاشم بالفدائية والتضحية، وأول شهيد منهم أي: من بني هاشم هو علي بن الحسين بن علي عليه السلام، وهو أشبه الناس برسول الله ﷺ، واستمرت قافلة الشهداء تُردف بكل ضيغم، إلى أن بقي الحسين عليه السلام وحده، فقاتل قتلاً ذكراً أهل الكوفة بأبيه أمير المؤمنين عليه السلام وبحملاته وصبره على القتال والطعان، وذلك بعد ظهر يوم العاشر، وبعد أن صلى بأصحابه الصلاة المشروعة في مثل تلك الحالة، ومضى إلى ربه شهيداً صابراً مظلوماً عطشاناً غريباً مسلوباً بمنظرٍ ومسمع من نسائه وصبيته على ما مضى عليه من كان قبله من أهله أصحاب الكساء وأصحاب آية التطهير من أهل العصمة والاصطفاء الإلهي.

ولم ينجُ من الرجال في ذلك اليوم غير ولده الإمام السجاد عليه السلام إذ كان قد شارف الموت لشدة مرضه فترك ليموت بمرضه - وما أنقذ السجاد غير اللطف والتدبير الرباني - والثاني هو الحسن بن الحسن المجتبي عليه السلام والذي قاتل وجرح في ساحة المعركة وأغمي عليه، فظنَّ موته ثم أنهم تركوه حتى تعافى، وكذلك نجا خادم للحسين عليه السلام هو عقبة بن سمعان.

تهالك الجيش الاموي على سلب الإمام وأنصاره وعائلته، فتركوا الشهداء عُراة على أرض المعركة، كما سلبوا من محتويات القافلة كل نفيس ورخيص، وقاموا بقطع رؤوس الشهداء وبضمنهم رأس الإمام وقد قطع رأسه - صلوات الله وسلامه عليه - وهو لا يزال في الحياة يُعالج جراحه وآلامه، والوحيد الذي سلم رأسه من القطع: الحر

الرياحي، لاستنقاذ عشيرته لجسده بحجة خدمته السابقة لبني أمية، وأما الحسين عليه السلام فلم يشفع له عندهم بنوّته لرسول الله كي يسلم رأسه من القطع.

بل نُقِلَ أَنَّ جيش الطاغوت قد قطع راس رضيع آل محمد، المذبوح المظلوم عبد الله بن الإمام الحسين عليه السلام بعد أن نبشوا قبره، وكان والده الإمام عليه السلام قد حفر له بجفن سيفه اثناء المعركة ودفنه في ساحتها، غير أنهم نبشوه لمنازعة بين القبائل، وإصرار قبيلة على استحصال رأس من رؤوس الشهداء للفخر به عند الطاغية ابن زياد ولنيل المغانم من خلاله، فكان رأس الرضيع هو حلّهم لفض المنازعة ^(١).

كما قام جيش بني أمية باعتقال كل من بقي حياً من آل الحسين ومن شاركهم محنتهم، وسرّحوا الأسرى والرؤوس الشريفة إلى ابن زياد، مرتحلين عن كربلاء يوم الثاني عشر من محرم الحرام، تاركين ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله الحسين على صعيد كربلاء مع بقية الشهداء من عائلة النبي وأنصارهم.

آل محمد أسارى:

دخل آل محمد الكوفة أسارى، وتجمعت الناس لهم تبكيهم وتعتذر إليهم. خطبت فيهم - والحال هذا- عقيلة بني هاشم زينب بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام خطبتها العظيمة المجلجلة والمنكّسة لرؤوس أهل الكوفة والمحطمة لكبريائهم والنافية لأعدائهم، ذكّرتهم بما حملوا من عار لخذلانهم الإمام، ونصرهم لأعدائه وأعدائهم عليه، كما خطب الإمام السجاد، واحدى نساء بني هاشم. أخذ آل محمد بعدها إلى قصر الإمارة حيث ابن زياد محور الفتنة والجريمة بهمجيته

(١) ذكر لنا هذا مشافهةً استاذنا آية الله العظمى الشيخ بشير حسين صادق النجفي رحمته الله، وهو اليوم من مراجع الأمة في النجف الأشرف، وذكره السيد هادي المدرسي في كتابه «الشهيد والثورة».

المعروفة، والذي حاول قتل الإمام السجاد عليه السلام، غير أن العقيلة استنقذته منه و كان بين الإمام وبين الموت شعرة، ثم قام ابن زياد بتسفيرهم - بهيئة الأسرى - من الكوفة إلى دمشق حيث يزيد - لعنه الله - بصحبة الرؤوس الشريفة.

حين بلغ ركب أسارى آل محمد عليهم السلام الشام، جدّد يزيد إعلانه لكفره بأبياته المشهورة الذائعة، يُفصح فيها عن تحقيق مأموله بانتقامه من النبي عليه السلام، ولا تقتصر مظاهر كفره بهذا بل الدلائل عليها كثر، ومنها نفس قتله للإمام، وما فعله برأسه المقدس عليه السلام وهو سيد شباب أهل الجنة، وإمام الأمة بنصّ النبي الأقدس عليه السلام وقد روى هذا الشيعة والسنة وصرّحت به كتبهم المعتمدة.

قال يزيد -لعنه الله-:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت
تلك الشموس على رُبى جيرون
نعب الغراب فقلت نُح أو لا تُنح
فلقد قضيت من النبي ديوني

وقال:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً
قد قتلنا القرم من ساداتهم
وعدلناه ببدرٍ فاعتدل
لعبت هاشمٌ بالملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندفٍ إن لم انتقم
من بني أحمد ما كان فعل
قد أخذنا من عليٍّ ثأرنا
وقتلنا الفارس الليث البطل^(١)

(١) راجع: ليالي بيشاور، سلطان الواعظين، ص ٢١٥، والمقتطفات للسقاف الاندونيسي،

ج ١ ص ٢٠٢ ومسند الإمام الحسين عليه السلام للعطاردي ج ٢ ص ٢٥٧

ورد عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام:

«لما أُحْمِلَ رأس الحسين عليه السلام إلى الشام، أمر يزيد لعنه الله فُوضِعَ، ونُصِبَت عليه مائدة، فاقبل هو وأصحابه يأكلون ويشربون الفُقاق، فلما فرغوا أمر بالراس فُوضِعَ في طست تحت سريره، وبسط عليه رقعة الشطرنج، وجلس يزيد لعنه الله يلعب بالشطرنج، ويذكر الحسين بن علي عليه السلام وأباه وجده عليه السلام ويستهزئ بذكرهم، فمتى قمر صاحبه تناول الفُقاق فشربه ثلاث مرات ثم صبّ فضله على ما يلي الطست من الأرض، فمن كان من شيعتنا فليتورع عن شرب الفُقاق واللعب بالشطرنج، ومن نظر إلى الفُقاق أو إلى الشطرنج فليذكر الحسين عليه السلام وليلعن يزيد وآل زياد يمحو الله عز وجل بذلك ذنوبه ولو كانت بعدد النجوم»^(١).

ثم إنَّ العقيلة زينب عليها السلام خطبت في القصر الملكي بالشام بمحضر سفراء الدول، وقادة الجند، وأركان دولة يزيد، بما فضحته به، وكسرت هيئته وشموخه، وبددت نشوته، وأذلتته على رؤوس الأشهاد^(٢).

كما خطب الإمام زين العابدين عليه السلام في الجامع الأموي بمحضر يزيد، بما عرّف به نفسه المطهرة، ووالده الإمام المظلوم، وجده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وحقيقة صلتهم بالنبي الأعظم عليه السلام وحقيقة النهضة الحسينية وأهدافها، وما أصابهم من ظلم وجبروت يزيد.

ذكر الشيخ الطبرسي في الإحتجاج أنه عليه السلام قال:

«أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن المروة والصفاء، أنا بن محمد المصطفى، أنا ابن من لا يخفى،

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤ ص ٣٥٢ ح ٩١١.

(٢) راجع خطبتها في كتاب: السيدة زينب عليها السلام، للشيخ باقر شريف القرشي، ص ٣٠٠. وبحار الأنوار، ج ٤ ص ١٣٣.

أنا ابن من علا فاستعلى، فجاز سدره المنتهى، فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى»^(١).
فَضَحَّ أهل الشام بالبكاء حتى خشي يزيد أن يؤخذ من مقعده^(٢).

أدى موقف الإمام زين العابدين وعمته زينب بنت علي عليهما السلام بِخُطْبِهِمَا وبياناتهما وتحريضهما إلى بدء إعصار في دولة يزيد، في الكوفة ودمشق، بل في كل مكان حلّ أسرى آل محمد فيه، وإلى هيجان الناس وانقلاب الأمور على الطاغية، ومنهم زوجته أمام الملاء في القصر الملكي، وتصاعدت الأحداث بعدها من إعلان عصيان مدني إلى ثورات كاسحة ودارت الدائرة على بني أمية وسقطت رؤوس القتلة الواحد تلو الآخر إلى أن أُطيح بالدولة السفينانية عاجلاً وبدولة بني أمية ككل في خاتمة المطاف، ونُبشت كل قبور ملوك بني أمية كما نُبش قبر رضيع آل محمد وهيئات أن يكون ذاك عدل هذا، أو تُختم الجناية بما جرى.

عادت بقية عائلة الإمام إلى المدينة، واستقبلتهم جماهيرها بكلِّ فئاتها بالبكاء والعزاء، وابتدأت صفحة جديدة للخلفاء مع الأمة، والامة مع الخلفاء، وآل النبي مع كليهما.

أما الحسين عليه السلام وصحبه فقد بقوا أياماً على رمضاء كربلاء، ونال شرف دفنهم في مرقدهم المقدسة قوم من بني أسد، إذ دفنوا الإمام عليه السلام وولده علي الأكبر عليه السلام وولده الرضيع عليه السلام في قبر، وأبا الفضل العباس عليه السلام في قبر، والشهداء من الأصحاب في قبر كبير، وقبر آخر لشهداء آل محمد، وآخر لحبيب بن مظاهر الأسدي، ودُفن الحر بن يزيد الرياحي بعيداً عنهم بمباشرة من عشيرته.

وفي الرواية: ان الإمام السجاد عليه السلام دفنهم بالترتيب المارّ الذكر بمشاركة بني أسد

(١) الخطبة المذكورة في الاحتجاج بشكل مختصر، وسائرهما في: بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٣٨.

(٢) الاحتجاج، الطبرسي، ج ٢ ص ١٣٣.

له، وكان حضوره من محبسه على نحو الكرامة الإلهية.

ولا يفوتني التنبيه إلى ما نقله البعض^(١) من أنّ الإمام السجاد عليه السلام قد قاتل في الطف يوم عاشوراء وأنه أُثنى بالجراح وأنقذ من الموت.

وهو أمر لا يمكن قبوله بالمرّة وذلك لأنّ عدم مقاتلة السجاد عليه السلام يوم عاشوراء لعلّة مرضه لعلّه من الضروريات، ولا يبعد كون الرواية موضوعة لتصحيح مذهب الزيدية الملتزمين بعدم صحة إمامة أحدٍ إلّا لمن خرج بالسيف، وهم يلتزمون بإمامة السجاد عليه السلام، مع عدم خروجه بالسيف، وهذه ثغرة عقائدية ضدهم، ولا بُدّ من معالجتهم لها ولا علاج في البين، فيظهر أنّ هناك من تطوّع لسدّ الثغرة بهذه الإكذوبة وهيهات، بل لا حاجة لنا إليها بعد ثبوت إمامته وخلافته ووصايته لرسول الله ﷺ بالدلالة القطعية المتوفرة بكثرة في كتب السنّة والشيعّة على السواء، وهو وكلّ أبائه وابنائهم المعصومين خلفاء لرسول الله وأئمّة للأئمّة سواء أقاموا أو قعدوا كالحسن والحسين لا فرق، والدين بكلّ تفاصيله يؤخذ منهم وقد قال رسول الله:

«ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(٢)

نعم الحسن بن الحسن المجتبي عليه السلام قاتل بكرلاء وجرح وأشرف على الموت ثم أنقذ وليس السجاد عليه السلام، ولعلّ المشكلة في الخلط حول هذه الحادثة دون الوضع.

(١) حياة الإمام السجاد، الجلاي، ص ٥٠-٥١.

(٢) المراجعات، السيد شرف الدين، ص ٤٩، وذكر إخراج الطبراني له ونقله ابن حجر عنه في الصواعق.

ابن محمّد وعلي في ساحة المعركة

من الأمور التي تستحق الالتفات والذكر:

شجاعة الإمام الحسين عليه السلام، وإقدامه، وصولته، في ساحة مكافحة الفئة المرتدة.
إذ إن هذا الجانب من البحث لم يتوفّر له في الدراسات الحسينية مجال واسع، والسبب المحتمل:

أ- التركيز على مظلومية الإمام عليه السلام والفجائع التي أصابته.
ب- البناء على أن ما صدر عن المعصومين إنما هو من إمداد الله سبحانه لهم بنحو الكرامة والامر الخارق، فلا عجب في البين كي يُحكى ويلقى الاهتمام عند المعتقد بإمامتهم.
ج- ان بطولات علي بن أبي طالب أخرجت امثال هذه الامور عن حيّز العجائب، فلا تجد من يهتم لها ذاك الاهتمام المطلوب.

د- نسج بعض الكتب - غير المعتبرة - لبعض الأكاذيب والمبالغات، أو نقلها للموضوعات والخرافات، مما زهّد الناس في متابعة هذا الجانب.
وكل ما تقدم، لا يقتضي إهمال هذا الجانب، والزهد في معرفته.

وذلك لأن الشجاعة من جملة الصفات اللازم توفرها في إمام الأمة وقائدها، ومما لم نسمع عنه أبداً توفّر صفة الشجاعة لأي متصدّد لمنصب خلافة الأمة الإسلامية من الخليفة الأوّل إلى يوم الناس هذا، باستثناء علي أمير المؤمنين عليه السلام، وأما ولده الإمام الحسن عليه السلام فقد خاض أهوال الحروب أيام والده، أما في أيام خلافته فلم تقع معركة ما، نعم تصدّى لحرب

معاوية وخرج لها ولذلك ضرب وطعن بالمدائن - صلوات الله عليه - إلا أنه لم تقع هناك معركة شديدة وطويلة لتظهر فيها بسالة وشجاعة الإمام الحسن عليه السلام جليلة - أيام خلافته - .
من جملة مواقف الخليفين - الأول والثاني - فرارهم يوم غزوة أحد، ويوم حنين، وجنبهم الشهير يوم الأحزاب، ويوم خيبر، ويوم العاديات، ورجوعهم عن جيش اسامة مع أن النبي ﷺ لعن من تخلف عنه، بالإضافة إلى أننا لم نسمع عنهم إقداماً في حرب، وكذلك عثمان ومعاوية.

أما علي عليه السلام فقد قام الإسلام بسيفه، ونادى جبريل في السماء:

«لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي»^(١).

وكشف الكرب العظيم عن رسول الله يوم أحد وحنين، إذ فرّ المسلمون بأجمعهم، وواجه وحده - في مواقع كثيرة - جبلاً من الحديد والرجال، والله يشهد له، بل كل عدو وصديق.

والذي يفهمه كل مدرك في جبن أولئك ونكولهم عن ساحات الوغى، تعلّقهم الشديد بالدنيا، وحبّهم للحياة، وزهدهم في مراتب الآخرة، وتشبّثهم بالعيش، وبهذا ينكشف - من جملة الكواشف عن ذواتهم - أن الحكم عندهم لغاية دنيوية، ولتحقيق نزعات نفسية، ولأجل هذا تهاكوا عليه، وفعلوا الطامات والمخازي في سبيله.

أما كون بطولات الإمام الحسين عليه السلام في حيز المعاجز فهو مقبول من جهة، وغير مقبول من جهة أخرى.

إذ أن أصل تأييد المولى للمعصومين، ودعمه لهم بكل ما يمكنهم من تأدية المهام العظام المناطة بهم بما فيها المعاجز والكرامات، حق لا ريب فيه.

(١) راجع لهذه: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٢ ص ٣١٧ فقد نقلها عن تاريخ الطبري وغيره.

إلا أن هناك فرق بين القوة المعتادة للإمام (عليه السلام) بحسب وضعه المستمر -حياتياً- وبين القوة الإعجازية التي تظهر فجأة لتحقيق غرض مهم كبقية المعجزات - ثم يعود الأمر إلى سابق عهده.

فقلع علي (عليه السلام) لباب خيبر^(١) لم يكن أمراً عادياً بحسب قوته المتعارفة وإنما كان من كراماته (عليه السلام).

وما ظهر من الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء لم يكن من هذا القبيل - ولا دليل عليه - ولذلك يحسن الالتفات إليه، والتأكيد عليه.

فلننقل الآن بعض نصوص المؤرخين وأهل السيرة فيما نحن بصدد:

قال السيد ابن طاووس: قال الراوي:

ثم إن الحسين (عليه السلام) دعا الناس إلى البراز، فلم يزل يقتل كل من برز إليه، حتى قتل مقتلة عظيمة...

وقال بعض الرواة:

والله ما رأيت مكثوراً قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشاً منه، وإن الرجال كانت لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فتتكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم، وقد تكملوا ثلاثين ألفاً فينهزمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر... حتى أصابه اثنتان وسبعون جراحة... فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينما هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته، فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه... ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره، فانبعث الدم كأنه

(١) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٢ ص ٣٢٤ فقد نقل هذه الكرامة الباهرة عن مسند أحمد وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي وكنز العمال، والاستيعاب لابن عبد البر، والتفسير الكبير للفخر الرازي.

ميزاب فضعف عن القتال ووقف، فكلّمَا أتاه رجل انصرف عنه كراهية أن يلقي الله بدمه^(١). وعن ابن شهر آشوب وغيره: ولم يزل يقاتل حتى قتل ألف رجل وتسعمائة رجل وخمسين رجلاً، سوى المجروحين - أي «١٩٥٠» عدد من قُتل بيد الإمام عليه السلام -.

فقال عمر بن سعد لقومه: الويل لكم أن تدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الانزع البطين، هذا ابن قتال العرب، فاحملوا عليه من كل جانب، وكانت الرُّمّة أربعة آلاف، فرموه بالسهم فحالوا بينه وبين رحله^(٢).

وذكر أيضاً: ثم حمل عليهم كالليث المغضب، فجعل لا يلحق منهم أحداً إلاّ بعجه بسيفه فقتله، والسهم تأخذه من كلّ ناحية وهويّتيها بنحره وصدره... ثم لم يزل يُقاتل حتى أصابته جراحات عظيمة^(٣).

وذكر في البحار: قال صاحب المناقب والسيد: حتى أصابته اثنتان وسبعون جراحة. وقال ابن شهر آشوب: قال أبو مخنف، عن جعفر بن محمد بن علي عليه السلام قال: «وجدنا بالحسين ثلاثاً وثلاثين طعنة، وأربعاً وثلاثين ضربة». وقال الباقر عليه السلام: «أصيب الحسين عليه السلام وَوُجِدَ به ثلاث مائة وبضعة وعشرون طعنة برمح وضربة بسيف أو رمية بسهم».

وروي: ثلاثمائة وستون جراحة.

وقيل: ثلاث وثلاثون ضربة سوى السهم.

وقيل: ألف وتسعمائة جراحة.

(١) الملهوف: ص ١٧٠ - ١٧٢ وأكد معظم هذه التفاصيل ابن أعثم في: مقتل الحسين ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٢) بحار الانوار، ج ٤ ص ٥٠.

(٣) بحار الانوار، ج ٤ ص ٥٢.

وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ، وروي أنها كانت كُلِّها في مُقدِّمه^(١).
والدُّفْعَةُ الاخيرة من الضربات الخطيرة أو القاتلة الواصلة للإمام ﷺ:
ضربه أبو الحتوف بسهم فوق في جبهته^(٢).
وأتاه حجر فوق في جبهته أيضاً^(٣).
ثم ضَرَبَ بِسَهْمٍ مسموم له ثلاث شُعَبٍ فوق على قلبه... فأخرجه من قفاه فانبعث
الدم كالميزاب، فضعف عن القتال وتوقف^(٤).
فأتاه مالك بن اليُسْر فشتمه وضربه بالسيف على رأسه^(٥).
ثم طعنه صالح بن وهب المُزني في خاصرته فسقط عن فرسه إلى الارض على خدِّه
الأيمن^(٦).
بعدها ضربه زُرْعَةُ بن شُرَيْك على كتفه.
وضربه آخر على عاتقه المقدَّس بالسيف ضربةً سقط بها لوجهه^(٧).
فجعل - صلوات الله عليه وسلامه - ينوء ويكبو.
فطعنه سنان بن أنس النخعي في ترقوته.
وانتزع الرُمح فطعنه في بواني^(٨) صدره.

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار ص ٥٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق ص ٥٤.

(٧) المصدر السابق.

(٨) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٥٥، والبواني: أضلاع الصدر، راجع: المنجد، ص ٥١.

ثُمَّ رَمَاهُ سَنَانٌ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي نَحْرِهِ فَسَقَطَ عليه السلام وَجَلَسَ قَاعِدًا.
 وَحَاوَلَ خُوَلَيُّ بْنُ يَزِيدَ أَنْ يَحْتَزَّ رَأْسَ الْإِمَامِ فَأَرْعَدَ.
 فَتَزَلَّ سَنَانٌ أَوْ شَمْرٌ إِلَى سَيْدِ شَبَابٍ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَاحْتَزَّ رَأْسَهُ الْمُقَدَّسَ.
 وَلَمْ يَكْتَفُوا بِكُلِّ مَا صَدَرَ عَنْهُمْ مِنْ إِجْرَامٍ وَخَسَاسَةٍ.
 إِذْ ابْتَدَأَ فَصْلَ جَدِيدٍ مِنْ إِجْرَامِهِمْ مَعَ أُسْرَةِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ صلوات الله عليه وآله.
 وَمِمَّا جَرَى فِيهِ:

أَمَرَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ «لَعَنَهُ اللَّهُ» عَشْرَةَ فَرَسَانٍ فَدَاسُوا الْحُسَيْنَ عليه السلام بِحَوَافِرِ خَيْوَلِهِمْ - إِذْ
 سَيَّرُوها عَلَيْهِ - حَتَّى أَلْصَقُوهُ بِالْأَرْضِ ^(١).

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٢٠٤.

صرخة في وجه الطاغوت

لعلَّ الإمام الحسين (عليه السلام) يومها لم يتجاوز السنِّي العشر من عمره المبارك، حين وقف أمام عمر - وهو الذي خافه كبار الصحابة لخشونته في التعامل - والأخير على المنبر، إذ خاطبه الإمام (عليه السلام) بقوله:

إنزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك
فبهت عمر، ولم يملك غير أن يُجيب: ليس لأبي منبر^(١).
وتمضي الأيام، والحسين (عليه السلام) الحسين.

يكتب مروان إلى معاوية يحرضه على الإمام (عليه السلام)، فيكتب معاوية إلى الإمام (عليه السلام) يتهدّده،
وإذا بالإمام (عليه السلام) يجيبه برسالة طويلة - يُخلِّدُها التأريخ - ذكرناها في ثنايا كتابنا هذا^(٢) حطّم
فيها كبرياء معاوية وشموخه بما أذهل معاوية وأنطقه:
إن أثرتنا بأبي عبد الله إلاَّ أسداً^(٣).

وتمرّ الأيام وإذا بالإمام (عليه السلام) في منى، إذ تجتمع له الحجاج، فلم يدع أحداً من أصحاب
رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومن أبنائهم ومن التابعين، ومن الأنصار المعروفين بالصلاح والنسك إلاَّ
جمعهم، فاجتمع إليه بمنى أكثر من ألف رجل، فخطب الإمام (عليه السلام) فيهم:

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٣ ص ٦٩، عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي،
والاحتجاج ج ٢ ص ٧٧.

(٢) راجع: ص من كتابنا هذا.

(٣) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ٢٢٨، عن سير أعلام النبلاء.

«أما بعد فإنّ هذا الطاغية قد صنع بنا وبشييعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم، وإني أريد أن أسألكم عن أشياء فإن صدقت فصدّقوني وإن كذبت فكذبوني، اسمعوا مقالتي واكنموا قولي، ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم ومن أمتموه ووثقتم به فادعوه إلى ما تعلمون، فإنّي أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب، والله متمّ نوره ولو كره الكافرون». فما ترك الحسين عليه السلام شيئاً أنزله الله فيهم من القرآن إلّا قاله وفسّره، ولا شيئاً قاله الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في أبيه وأمه وأهل بيته إلّا رواه، وفي كل ذلك يقول الصحابة: اللهم نعم، قد سمعناه وشهدناه.

ويقول التابعون: اللهم نعم، قد حدّثناه من نصّدقه ونأتمنه.

حتى لم يترك شيئاً إلّا قاله، ثم قال:

أنشدكم بالله، إلّا رجعتم وحدّثتم به من تثقون به.

ثم تفرّق الناس على ذلك^(١).

وكان هذا قبل هلاك معاوية بسنتين.

ثم هلك معاوية، وجاءت رسالة سرّية مستعجلة إلى والي المدينة من يزيد يأمره فيها بأخذ البيعة عاجلاً من الإمام عليه السلام وإلّا فعليه قتله عليه السلام.

فاستدعى الوالي الأموي الإمام عليه السلام وعرض عليه الأمر، فكان جواب الإمام عليه السلام في نهاية المطاف:

«إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، وبنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، مُعلن بالفسق، ليس له هذه

(١) الاحتجاج، ج ٢ ص ٨٧، وذكر محققه في الهامش وجوده في كتاب سليم، وفي بحار الأنوار للمجلسي، والغدير للاميني ج ١ ص ٢٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١ ص ٤٥.

المنزلة، ومثلي لا يُبايع مثله»^(١).

ونتحول إلى حيث مرحلتين ما بين الإمام والكوفة حيث يلتقي ﷺ بالحر وجيشه فيخطب فيهم:

«أيها الناس، إنَّها معذرةٌ إلى الله وإلى من حضر من المسلمين، إنِّي لم أقدم على هذا البلد حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم، ان اقدم إلينا، إنَّه ليس علينا إمام، فلعلَّ الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كُنتم على ذلك فقد جئتمكم، فإن تعطوني ما يثق به قلبي من عهودكم ومن موثيقكم دخلت معكم إلى مصركم، وإن لم تفعلوا وكنتم كارهين لقدمي عليكم انصرفت إلى المكان الذي أقبلت منه إليكم»^(٢).

وها قد وصلنا كربلاء، وللسبب فيها مواقف عدَّة، يُجابه فيها أهل الضلالة ومرتدي الأمة، لعلهم ينتبهون، وإلى مخافة الله تعالى ينتبهون.

ومن أهم ما صنعه الإمام قبل يوم عاشوراء لقاءاته المتعددة مع ابن سعد في محاولة لهدايته ورَدِّعه عن اقتراف الجرائم العظمى بحق الإسلام وأهل بيت النبي الأكرم ﷺ خصوصاً أنه كان يكره الخروج لحرب الإمام ﷺ غير أن ابن زياد أغواه بوعده له بولاية الرِّيِّ وجرجان، فوافق.

وقد كانت نتيجة هذه اللقاءات، ان كتب ابن سعد لابن زياد بأنَّ المشكلة قد حُلَّت: أمّا بعد: فإنَّ الله أطفأ النَّائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأمة، هذا حُسَيْنٌ أعطاني عهداً أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى... وفي هذا رضا لك وللأمة صلاح^(٣).

ووافق ابن زياد اول الامر الا انه عاد ورفض بتحريض ووسوسة شمر، فكتب إلى

(١) الملهوف، ص ٩٨، ومقتل الحسين ﷺ لابن أعثم، ص ١٩، باختلاف طفيف بينها.

(٢) مقتل الحسين ﷺ، ابن أعثم، ص ٩٠.

(٣) حياة الإمام الحسين، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٢٨.

ابن سعد بأن يعرض على الإمام النزول على حكمه، أو يبدأ بمناجزته عليه السلام.

فكان اللقاء الأخير بين الإمام وبين ابن سعد:

قال له الإمام عليه السلام: «ويحك يا ابن سعد أما تتقي الله الذي إليه معادك ان تقاتلني وأنا ابن من علمت يا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فاترك هؤلاء وكن معي فاني أقربك إلى عز وجل».

ابن سعد: أبا عبد الله، أخاف أن تُهدم دارِي.

قال الإمام عليه السلام: «أنا أبنيها لك».

ابن سعد: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

قال الإمام عليه السلام: «أنا اخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز».

فلم يجب عمر إلى شيء من ذلك، فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: «مالك ذبحك الله من على فراشك عاجلاً، ولا غفر الله لك يوم حشرك ونشرك، فوالله إنِّي لأرجو ان لا تأكل من برّ العراق إلاّ يسيراً»^(١).

وابتداً عاشوراء، فبدأه الإمام عليه السلام بخطبة في جيش الضلالة:

«انشدكم، الله، هل تعرفونني؟»

قالوا أاللهم نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه^(٢).

واستمر الإمام يعرّف نفسه واسرته، ومقامه عند الله ورسوله، ويشرح قضيته، ويحاول معهم - مستميتاً - ردّهم إلى جادة الصواب، وكفّهم عن العدوان، وعن تقديم مصالح الدنيا على الآخرة، فما وجد فيهم غير صخرة صماء، حتى إذا آيس منهم خطب

(١) مقتل الحسين عليه السلام، ابن اعثم، ص ١١٠.

(٢) الملهوف، ص ١٤٥.

فيهم خطبته الاخيرة:

تبا لكم ايها الجماعة وترحاً، حين استصرختمونا والهين، فاصر خناكم موجفين
فَسُحْقاً لكم يا عبيد الأمة، وشُذَّاذ الاحزاب، وَنَبْذَةَ الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة
الآثام، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن.

أهولاء تعضدون، وعنا تتخاذلون^(١)؟

وسقط الإمام، سبط الرسول، وسيد شباب أهل الجنة في كربلاء شهيداً صابراً
محتسباً.

وما بين مخاطبته لعمر على المنبر، وبين استشهاده، ما لا يحصى من المرات، واجه
فيها الطواغيت وجبههم بكلمة الحق والهداية، وصك بها وجوههم، وأثبت الحجة من
خلالها على الجميع، الحاكم والرعية.

لكن صولة الحسين عليه السلام لم تنته بمصرعه في كربلاء.

لقد ابتدأت صفحة جديدة في مسيرة سبايا آل محمد عليهم السلام من كربلاء إلى حين عودتهم
إلى مدينة الرسول الأكرم عليه السلام.

أول من ابتدأ النهضة الجديدة بطلاة الإسلام:

زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام.

وقفت في الكوفة تخطب وسط أهلها:

«أتبعون وتنتحبون؟ أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها
وشنارها، ولن ترخصوها بغسل أبداً...

ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟

وأي كريمة له أبرزتم؟

وأي دم له سفكتم؟

وأي حرمة له انتهكتكم...»^(١).

وتبعها السّجادة بخطبة له، ثم أم كلثوم.

ودخل أسارى آل محمد ﷺ قصر الإمارة حيث مقر الطاغية ابن زياد.

فزلت زينب عاتقها عقيلة بني هاشم قصره، وكسرت شموخه، وأذلت كبرياءه، وهو في قمة انتصاره الظاهري^(٢).

ثم دخل أسارى آل محمد ﷺ قصر الملك في دمشق الشام، حيث مقر طاغية العصر، وعدو الله الأكبر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سليل الكفر والإلحاد، فأظهر ابن معاوية كفره، وأعلن ارتداده إمامهم، وإمام قذارات الأمة من حاشيته:

لعبت هاشم بالملك فلا ملك جاء ولا وحي نزل

فخطبت ربيبة القرآن، وحفيدة محمد ﷺ، وابنة علي وفاطمة، وأخت الحسن والحسين عاتقها، في قصر يزيد، تلك الخطبة الخالدة^(٣) والتي فجّرت - كجزء علة - بركاناً في قصر يزيد، مما بدأ معه يزيد بالتخاذل وإظهار المعاذير والتنصّل من الجريمة، فضاع عليه الاحتفال بانتصاره، واحتاج إلى تطويق بدايات انقلاب الوضع عليه.

ركبت الآثام رقبته - بعد ما ذهبت لذّة الانتصار - وابتدأ العد التنازلي له، كما ابتدأ أن تقاضي الحساب.

إنّ مواجهة السيدة زينب بنت أمير المؤمنين ﷺ شملت كل اطراف الضلالة في

(١) الملهوف، ص ١٩٣.

(٢) الملهوف، ص ٢٠١، والمقتل لابن أعثم ص ١٥٠.

(٣) الملهوف، ص ٢١٥.

فاجعة الطف، فقد صرخت في وجه يزيد وأركان حكمه، وفي وجه ابن زياد وحاشيته، وفي وجه ابن سعد ومن معه، كما وجّهت صرختها إلى جموع أهل الكوفة رجالاً ونساءً. وقد أردف الإمام السجاد - صلوات الله عليه وسلامه - خطبها بخطب أتمّت مرادها ومسيرتها، وزاد عليها أن خَطَبَ أمام يزيد وجموع الشاميين من فوق منبر الجامع الأموي بدمشق بما أُرهب يزيداً لخوفه انكشاف بعض حقائق الأمور أمام الشاميين إذ قد يعقب هذا انفلات الأمور من يده.

كذلك خطب الإمام عليه السلام أمام جموع أهل المدينة بعد رجوع أسرة النبي الأكرم ﷺ إليها مبيناً ما جرى، وبعض أبعاد المأساة.

ولعل ما ذكرناه ليس كل شيء في البين بل الأكيد هو أننا نقلنا نزرًا من الأحداث، لكن ما تقدّم هو في حدّ نفسه شيءٌ عظيم يصدر عن الإمام، وعن العقيلة، إمام الطاغوت المنتصر الجاثم على العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، ومن البين أن قضية أهل البيت عليهم السلام يومذاك بحسب ظاهر الحال قضيةٌ محتضرة، بل قد انتهت وإلى الأبد، لولا...
لو لا أن الله سبحانه وعد التمام لنوره، وأنه يمكر بالطغاة الماكرين، والله خير الماكرين.

وإلى يوم الناس هذا.

ما زالت نهضة الإمام سيد الشهداء عليه السلام صرخة في وجه كل طاغوت.

صرخة لم يتمكن أحد أبداً من إخمادها وإسكاتها.

فهي تُرعب الطواغيت أبداً.

وهي - في الأمة - توقف الضمير النائم، والغافل.

فأنت عند تذكرك لكربلاء، تشعر بوخزة الضمير دائماً.

تستشعر أنّ عليك فعل شيء.

وأنّ كربلاء تستصرّخك لحال الإسلام الفعلي، أو لأجلها.

إذ هي بركان لا يهدأ، إلّا بعد أن تضع الحرب أوزارها.

وحينما ينتهي ولد الحسين (عليه السلام) «المهدي» من وضع الأشياء مواضعها.

اختيار الموت

هناك ظاهرة كانت بارزة للعيان في المجتمع الإسلامي الأول، ولا تجدها اليوم من أثر - إلا ما ندر - وهي:

ظاهرة الجود بالنفس، واختيار الموت، وعدم التعلل بالتقية أو ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١) ولا غيرها من الأعذار.

ظاهرة الفدائية كانت بادية في سوح القتال في الصدر الإسلامي الأول، ولا غرابة في بروز هذه الظاهرة يومذاك بعد ما كان قائد المسيرة ونافخ الروح فيها سيد الفدائين وإمام المضحين الرسول الأكرم ﷺ والذي قذف نفسه في لهوات الموت وعرض نفسه القدسية لكل كريمة من أجل إخراج البشرية من الظلمات التي تتقلب فيها، وانقاذها من المتاهة التي تسير فيها طول تاريخها.

برزت ظاهرة الفدائية في سوح القتال، وفي سوح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وإن كان بروزها في الأخيرة بنسبة أقل بكثير من سوح القتال - وهناك سوح للفدائية نستجليها هنا للتأكيد عليها:

أ- إنَّ نهوض الأنبياء والمرسلين لإعلان دين الله، ودعوتهم إلى وحدانيته تبارك وتعالى، وإلى الأعراض عن كل شريك، مِنْ مَلِكٍ أو صنم أو هوى، وكذلك دعوتهم إلى العقائد المهمة الأخرى، وإلى اتباع أمر الله ونهيه، وقيامهم بمقاومة أعتى الطواغيت الذين وقفوا سداً أمام تحقيق الإرادة الإلهية وأمام نجاح جهود الانبياء، وإن اقتضى

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٥.

الامر تقديمهم لأنفسهم قرايين في سبيل ما أرسلوا به.

هذه الروح التضحية في هذا المسار يكاد ينعدم وجودها - في غير شخص الانبياء وأوصيائهم والقليل القليل من الربانيين من أتباعهم -.

ب- إثثار ولي الأمر بالحياة حين تعرّض حياته المقدسة للخطر.

وأحسن الشواهد لهذه القضية مواقف علي عليه السلام مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهو يبيت على فراش النبي ليلة الهجرة دون ان يبالي بالخطر العظيم الذي ينتظره في مبيته هذا، وهو أيضاً يحطّم كتائب المشركين وحده في أحد بعد فرار المسلمين وسقوط النبي صلى الله عليه وآله أرضاً مثخناً بجراحه مغمياً عليه، حتى هدّ جموع الشرك وأنقذ النبي صلى الله عليه وآله من موت قطعي مرّات.

وكان أصحاب الحسين عليه السلام على نفس المسار، إذ فدوا الحسين عليه السلام بارواحهم وكل ما يملكون مع أنهم يعلمون ان هذا لا ينفع الحسين عليه السلام بشيء ينقذه من الموت، وانه لاحقٌ بهم، ومع إذنه لهم إذناً شرعياً بالانسحاب من ساحة المعركة.

ج - اختيار الحسين عليه السلام الموت من بين أحد خيارين ثانيهما المذلة، قال عليه السلام:

«ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين، بين السِّلّة والدِّلّة، وهيهات منّا الدِّلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجور طهرت، وانوف حميّة، ونفوسٌ أبيّة، من ان تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»^(١).

ولعل المرء يطمئن من صحة صدور هذا النص عن الإمام فيما نُقِلَ من وقائع تلك الملاحمة الحسينية الخالدة خلود الدهر.

وما قصده الإمام، إشارة إلى ما عرضه الطغاة عليه بقول قائلهم:

(١) الملهوف، ص ١٥٦.

أَوْ لَا تَنْزِلْ عَلَى حَكَمِ بَنِي عَمَّكَ^(١)

والنزول على حكمهم قد شرّحه شمر لابن زياد، إذ هو المقترح عليه به:
ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة، وإن
عفوت كان ذلك لك^(٢).

وقد أجابهم الحسين عليه السلام على عَرْضِهِمْ بما تقدم، وبقوله عليه السلام: «لَا وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ
بِيَدِي اعْطَاءَ الذَّلِيلِ»^(٣)

والظاهر ان نتيجة العرض الذي قدّمه للإمام عليه السلام هو أن يصبح الإمام أسيراً، لكن
لا كأيّ أسير، بل أسير خاص، وهذا النوع الذي يقصدونه هو أن عليه أن يستسلم،
لأنّه لا حيلة له ولا حلّ آخر أمامه إلا الموت، وأمّا هم، فإنّهم أحرار في اختيار طريقة
التعامل معه، فلا ضمانة له بشيء، لأنّه نزل على حكمهم ولا يعلم ماهية حكمهم.
فلعلّهم يختارون قتله، أو أسرّه مدى الحياة، أو - والعياذ بالله العظيم - استرقاقه و
التعامل معه بما هو شأن الارقاء، أو استرقاقه وإطلاقه، ليحمّلوه - والعياذ بالله العظيم
- ما حمله آباءهم بعد فتح مكة، إذ أصبح لقب الطلقاء لصيقاً بهم، وسبّةً عليهم مدى
الدهر.

سيد الشهداء رفض هذا العرض رفضاً قاطعاً، لأنّه ولّد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وما يلحق
به يلحق برسول الله صلّى الله عليه وآله، ولا بدّ ان تُنزّه ساحة رسول الله صلّى الله عليه وآله عن كل وصمة وشائبة
ومنقصة، وقد أدّى الحسين عليه السلام حق هذه الولادة والنسبة تماماً.

لأنّه وصيّ رسول الله.

(١) الإرشاد، ج ٢ ص ٩٨.

(٢) الإرشاد، ج ٢ ص ٨٨.

(٣) الإرشاد، ج ٢ ص ٩٨.

لأنه خليفة الله في أرضه.

لأنه: بشموخه، وعزّه، وكرامته، ومنعته، ورفعته: رفعة الرأس والكرامة لكل المؤمنين طول الدهر.

لو اختار الحسين - والعاذ بالله العظيم - طريقاً آخر، لرضيَ المؤمنون، لأنه المقدم في كل الحسابات، لكنّ الحسين - فدى نفسه، فرفع المؤمنون والهاشميون والإسلاميون رؤوسهم شامخة في كل مكان، وعبر العصور، لإباء الحسين -، وشموخ الحسين -، ومواقف الحسين - كلها بلا استثناء.

لقد انقصر ظهر المؤمنين، وأصابهم الذلّ لما سقط إمامهم على التراب معفراً، وتناهشته سيوف أزدل الخلق، وسحقته خيولهم، وقطع الأندال رأسه الشريف، وهو لا يزال حيّاً، لكن المؤمنون بأجمعهم شمخوا وفخروا بمواقف الحسين وإبائه في العالم كله وأمام الملل كلها.

الحسين مفخرة الرسول ومفخرة الإسلام ومفخرة الإسلاميين.

رفض الحسين - الاستسلام لبني أمية لرفضه الذلّ والمهانة، وقد ورد في الروايات الشريفة: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا فِي إِذْلالِ نَفْسِهِ»^(١).

ويمكن أن نفهم من هذا - خصوصاً إذا عضدناه بموقف سيّد الشهداء ومصدر عنه من نصوص - أنّ للمؤمن، أي مؤمن، أن يرفض خيار الذلّ في حالات التزاحم، ويُعتبر غير ذي مصلحة، أو ذي المصلحة الأضعف في مثل هذه الحالات فيتم اختيار مقابله، لكن هذا الموضوع يحتاج لبحثٍ ومراجعة فقهية، لاستيعاب المسألة بكلّ حيثياتها، لتجلية الموقف النهائي بشأنها، ومما ينبغي ملاحظته:

(١) راجع: وسائل الشيعة، ج ١٦ ص ١٥٧، طبعة المؤسسة.

أ- ان اختيار الإمام الحسين عليه السلام للموت دون قبوله بما يجزّ الذلّ والهوان، لعلّه لعنوان ثانوي، أو لعنوان أوليّ فيه، لموقع إمامته وخلافته عن الله ورسوله، ولنسبته من رسول الله، ولأنّ الهوان الذي يُراد إدخاله عليه بما أنه ابن رسول الله، ولأنّه جزء من عملية انتقام العصبة الحاكمة الفاسدة المرتدة من رسول الله:

لعبت هاشمٌ بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندفٍ إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل

والمعروف أن هذا الشعر تلاه يزيدٌ كافر الأئمة، بمحضر أسرة النبي الأعظم عليه السلام.

فإباء الحسين عن الاستسلام، وتصلبه في موقفه، لكيلا يدخل الهوان والمنقصة على رسول الله عليه السلام من طريقه، فهو ضحّى في سبيل حماية شرف النبي، من أن يلوّث هؤلاء الاوغاد الاراذل ساحته المقدّسة، وهذا الحال امر آخر غير المطلوب الذي نُريد إثباته.

ب- إننا نتبنّى من خلال موافقنا في علم الأصول تقديم الأهم ملاكاً عند الشرع المقدس في حالات التزاحم على المهمّ، ففي حالة الحسين المتقدم شرحها يتقدم خيار الموت والتضحية بالغالي والنفيس من نفسٍ وولدٍ وأهلٍ على الطرف الآخر، الذي هو أنفـس من كل نفيسٍ في نظر الشرع الاقدس.

ففي حالة التزاحم بين إنقاذ مؤمن من الغرق او تطهير مسجدٍ يتقدم الامر الاول على الثاني لأهميته في نظر الشرع، إذ نعلم أن حفظ النفس من الهلكة في نظر الشرع أمرٌ مهم جداً لا يزاحمه ما هو من قبيل تطهير مسجدٍ وأن كان هذا أيضاً أمراً واجباً.

وفي الحالة التي هي من قبيل ما واجهه الإمام عليه السلام، أي الوقوع بين محذوري: التضحية بالنفس وهو أمرٌ محرّمٌ، أو فعلٌ ما يوجب الذلّ والمهانة وهو محرّمٌ أيضاً - على القول بحرمة ممارسة ما يوجبهما، مطلقاً أو في بعض مراتبهما وفروضهما - فإنّ حفظ

النفس يتقدّم على مقابله هنا لأهميّة حفظ النفس بحسب هذه الفرضيّة.

نعم، إذا توفّر عنوان ثانوي، بسبب كون حالة وظرف المرء المبثلي ممّا تقتضي منه ترجيح واختيار الموت، لأنّ في الرضا بالذلّ، حدوث وهن في الإسلام، وإضعاف لكيانه، وتمكّن الأعداء من ديار الإسلام، مما قد يجعل حالته وظرفه من قبيل حالة الدفاع عن بيضة الإسلام وحياضه - وهذا يقتضي منه القتال وبذل النفس والنفيس - فهنا يُرجّح الموت، لأن الموضوع غير الموضوع الأول، فيقتضي اختياراً جديداً، وحكماً خاصاً به.

ومّا تقدّم يتضح بعض الشيء وجه تقديم الإمام صلوات الله عليه لجانب اختيار الموت على القبول بما يُنتجُ الذلّ، فالمجموع المكوّن لظرف الإمام والحالة التي هو فيها أنتج اختياره السير في طريق الموت.

ج - ينبغي ملاحظة أن رفض الذلّ في بعض الأحيان - وأن جوّزناه بحكم بعض النصوص والترجيحات - قد يُوقع المرء في الذلّ الأعظم، لاستلزام الخيار الآخر لهكذا نتيجة، وإن لم يكن واضحاً عند الابتلاء بدواً.

ويُستأنس لهذا من أنّ الناس وإن مدحت مَنْ لا يرضى بالذلّ، ولا ينام على ضيم - وهذا ديدن العرب بالخصوص، وهو موجود عند غيرهم بنسبة، ومن سُلبت عنه الغيرة، وفقد معاني الكرامة لا يُقاس عليه لأنّه شاذ - إلا أن الناس تلوم من يرفض ذلّاً ويقع في أعظم منه، ويقبل بأكثر مما رفضه وتأبى عنه.

سياسة منع الماء

لعنة الله تعالى، تتلوها ما لا تُحصى من اللعنات، على أمةٍ تقتل ذرية نبيها عطشاً، أو توهن عزائمهم، وتفتّ في عضدهم بالعطش.

الماء مبذول للكل، إذ يشربه المؤمن والكافر والمنافق، بل يشربه الإنسان والحيوان، فلا يمنع عنه مانع.

فكيف تجرأت هذه الأمة أن تمنع الحسين الماء إلى ان قتلته عطشاً.

مع أنه ابن من كان يسقي جيوشه وأمته بياض يفور من أنامله المقدسة.

وكذا ابن من سقى جيش عدوه الكافر في حرب صفين، بعد ما مُنِعَ وجيشه الماء، فلما أراحهم عن شريعة الماء واستولى عليها، سقاهم.

بل هو ابن من أكرمه الله سبحانه بكوثر الآخرة.

ثم ما ذنب المرأة الضعيفة المسكينة أن يقتلوها عطشاً.

أما من رحمةٍ للأطفال وهم من أسرة النبي الأكرم ﷺ.

ثم ما النفع من قتل طفلٍ رضيعٍ بسلاح العطش.

أليس هذا أفذر سلاحٍ يستخدمه صنف الارتداد ضد أعلام الهداية ومصلحي البشرية وأملها في تغيير الانحراف، وطمس معالم الفساد والرذيلة.

مع أن الحسين استسقى الله سبحانه لأهل الكوفة « بأمر والده الوصي » أيام جذبٍ

فسقاهم الله به^(١).

من بين ما يهدي إلى حقيقة بني أمية، ويكشف عن معتقدهم ومنهجهم في الحياة، ما يتبعونه من أساليب في حركة صراعهم مع من يناوئونه العداء.

تأمل في أساليبهم ضد النبي الأكرم ﷺ منذ البعثة إلى الهجرة، من سبّه، وإهانته، وتحريش النساء والأطفال والعبيد عليه، ورميه بالحجارة، والسحر والجنون وقول الشعر والكهانة، ومحاولة إيقاع الفتنة بينه وبين بقيّة بني هاشم خصوصاً عمّه أبي طالب «قلعة الإسلام الحصينة وحامي حماه» والتنكيل بصحبه من رجال ونساء، والشدة في تعذيبهم، بل وقتلهم بأبشع الطرق وأقذرها، ومقاطعة النبي ﷺ وبني هاشم - ومعهم بقيّة المسلمين أيضاً بلا ريب - في مختلف ألوان التعامل من بيع وشراء ونكاح وغيرها، حتى الجئوا النبي وعامة بني هاشم للعيش في شعب أبي طالب، وعامة المسلمين إلى الهجرة عن مكة إلى الحبشة^(٢) ويشرب.

ومجمل الكلام: أنهم استخدموا كل ألوان الحرب والضغط الجسدية والنفسية والاقتصادية والاجتماعية.... الخ.

هذه خديجة بنت خويلد، امتنعت نساء قريش من الدخول إليها، ومن معاشرتها سنين - بإيعاز من رجالهنّ طبعاً - وذلك للضغط عليها، ولتحقيق أكبر ضغط ممكن على النبي ﷺ كي يترك دعوته، فيعرض عن تسفيه عقولهم، وعن محاربة معتقدهم الوثنيّ، حتى آلت النتائج إلى وفاة أبي طالب وخديجة، وهما ركنان من أركان النبي الأكرم ﷺ وإلى خروج النبي ﷺ من مكة، وهجرته إلى يثرب، وانتهاء الوجود الإسلامي في مكة.

(١) كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ١٣٣.

(٢) لم يتركوا المهاجرين إلى الحبشة، وهم يقاسون الشدائد المختلفة، حتى اتبعوهم وعمرو بن العاص وجمع معه، لاستردادهم منها وقتلهم، اولقطع طرق العيش والأمان عليهم.

ثم تنتقل إلى المرحلة الثانية من حربهم مع النبي ﷺ، مع أنه ترك لهم ديارهم وزعاماتهم، هو وعائلته وصحبه، فإذا بهم يحشدون الجيوش على النبي ﷺ لإنهاء حياته المقدسة، ودعوته المباركة، بل حرّضوا عليه عموم العرب، وأتباع الديانات الأخرى، وعقدوا التحالفات المختلفة لهذا الغرض.

وخير ما يُعبّر عن منهجهم وفكرهم وسلوكهم، ما صنعتته هند زوجة أبي سفيان وأم معاوية، بحمزة سيد الشهداء، حين مزقت بطنه بحربة، وأخرجت أحشائه، فلاكت كبده، غير أنها لَفَظَتْهُ لمرارته، وبعدها صنعت قلادة لها من أعضائه الشريفة، وقد عرفها القاضي والداني بأكلة الأكباد.

وقد أردف زوجها أبو سفيان فعلها، بحضوره إلى مكان استشهاد حمزة لينظر إليه وهو ممزق الجسد ليشتفي منه، ثم ما اكتفى حتى أخرج خنجره وأخذ يطعنه ويكرّر الطعن.

استمر بابي سفيان حقهه هذا، ومن الكواشف عنه، مروره على قبر حمزة بعد تولي عثمان الأموي للخلافة، فقام بركل القبر الشريف وقال:
يا أبا عمار، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف، أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به^(١).

وذلك بعد أكثر من ربع قرن على رحيل النبي الأكرم ﷺ إلى الملاء الأعلى، والأمثلة لا تنتهي على مدى قرن ونصف من الزمان- إلى حين انتهاء الحكم الأموي- مما به الدلالة على تأصل الكفر في بني أمية وتجذره ورسوخه، وعلى خستهم وذرالتهم ودناءة أساليبهم.

(١) الغدير، الشيخ الأميني، ج ١٠ ص ٨٣، عن شرح ابن أبي الحديد ٤: ٥١.

وتعال معي نستطلع سياسة معاوية في حكم الشام، والتي -من جملة ما أثرت- أن أدت بأبي ذر إلى الثورة على معاوية في دار حكمه، وجعلته يقول:

عجبت لمن لا يجد القوات في بيته، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه.

فالجوع والحرمان لعامة الأمة، والعطايا لكل من يمتّ بصلة إلى الكيان الحاكم، أو يقدم لهم خدمة ترسخ لهم سلطانهم، وترضي لهم خواطرهم.

وتأمل في فعله أيام صفين حين يستولي على شريعة الماء ويمنع جيش الإمام عليه السلام من الشرب منه، فما كان من الإمام عليه السلام إلا أن أمر جيشه بالهجوم واحتلال الشريعة فاحتلّوها، ورغب جيشه في منع معاوية وجنده من الاستفادة من الماء، غير أن الإمام عليه السلام أمرهم أن يفسحوا لهم مجالاً، ولم يعاملهم بمثل صنعمهم.

ومن فعله: سبّه لأمر المؤمنين عليهم السلام بل سنّه لسبّه، إذ أمر بسبّ الإمام عليه السلام على منابر المسلمين من أقصى العالم الإسلامي إلى أقصاه وجعله سنّة لازمة.

وغدره بمعاهداته ومواثيقه مع الإمام الحسن عليه السلام حتى أنه صرح بمجرد دخوله الكوفة بعد الصلح وبمحضر الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام ولدي رسول الله صلى الله عليه وآله وأمام جند الكوفة والشام ومن على منبر مسجد الكوفة أن كل ما شرطه للإمام الحسن عليه السلام، فهو تحت قدميه لا يف بشيء منه له.

ومن فعله: بدء الهجوم الكاسح على شيعة أهل البيت عليهم السلام لأوّل مرة في تاريخ الإسلام، سجنًا، وتعذيبًا، وسملاً للأعين، وقتلاً، ومصادرة للأموال، وهدمًا للدور، وتشريدًا في أقاصي الأرض، حتى قطع رأس الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي، وسير رأسه في البلدان، ولا أدري لم لا يُدافع أنصار نظرية «عدالة الصحابة» عن هذا الصحابي الجليل العابد التقي المجاهد، والذي قُتل بأمر الطليق -معاوية- المفتون بالدنيا، والذي لعنه رسول الله، بل لعنه القرآن، ولعن أسرته كلها «في آية الشجرة

الملعونة» وما له من منقبة غير خؤولته للمؤمنين، مع أن محمد بن أبي بكر «عضد أمير المؤمنين علي وحبيبه» لا يجد من أنصار نظرية «عدالة الصحابة» من يُلقَّبُه بخال المؤمنين، ولا من يلعن قتلته، مع أنه قُتل ثم أُحرق في جيفة حمار، لأنه من شيعة علي، وأنصار علي، ومحبي علي، وهذه جرائم كُبرى في قاموس خال المؤمنين «معاوية» وشيعته، مع أن علياً سيد المسلمين، وحبّه علامة إيمان المرء، وبغضه علامة النفاق، وقد ورد في حقّه ما لا يُحصى من الآيات والروايات.

ومن أفعال معاوية وخزائاته الأبدية: إلحاقه لزياد بن أبيه، أو ابن عبيد، أو ابن سميّة، بنسب عائلته التي سمّاها القرآن بالشجرة الملعونة، بدعوى زنا أبي سفيان بسميّة عند خمار فأولدها زياداً، وياله من نسب يعترف به خال المؤمنين معاوية على رؤوس الأشهاد مدى الدهر، ولا من مستحيي من مثل هذا الخال، ولا من دافن لرأسه في التراب، فقد الحق شخصاً كله عار بأبيه الذي قضى حياته حرباً لله ورسوله ﷺ، بقصة كلها خزي وعار، وهي على كل حال خلاف قواعد الشريعة، والتي تنصّ على أن الولد يلحق بالزوج الفعلي للمرأة إذا حصلت حادثة زنا إلا إذا قُطع بعدم ارتباطه بالزوج الفعلي، والقاعدة هي: «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

ومن أفعاله الخسيسة: تأميره وتوليته لأراذل الأمة على أشرافها، وهذا يُظهر بجلاء معدنه ومعتقده وأهدافه من هذا الحكم، ومن نزاعاته على السلطة، والتي أجرى لبلوغها أنهاراً من الدماء في أيامه، وانتجت كذلك بحاراً من الدماء على طول التاريخ إلى يومنا هذا، وهي كلها في رقبته، ورقبة شيعته، ومن يسانده، ويدافع عنه، ويلتزمه.

ومن جرائمه العظيمة: عدوانه الأثيم على ولد رسول الله ﷺ وسبطه وريحانته من الدنيا سيد شباب أهل الجنة، وإمام الأمة ان قام أو قعد، وقاتل أو صالح، أبو محمد الحسن بن علي المجتبي (عليه السلام)، مع أنّه صالحه وأخذ عليه العهود والمواثيق وترك زمام

الحكم، واستقرّ عند قبر جدّه ﷺ فما تركه وشأنه حتى نغص عليه كلّ عيشه إلى أن قتله بالسّم، فالى أين يفرّ من سطوات الله وأخذه، ولتنفّعه خوؤلته للمؤمنين.

ومن جملة جرائمه العظيمة التي لا تُحصى ولا تُستقصى: رفعه ولده يزيد على منبر رسول الله ﷺ وإسباغ عناوين: خليفة رسول الله، وأمير المؤمنين، وإمام المسلمين، ونحوها، والتي يُناقش أصحاب «نظرية عدالة الصحابة» في استحقاق أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً واستحقاق عليّ ﷺ صاحب بيعة يوم الغدير والذي بايعه فيه ما لا يقلّ عن مائة ألف صحابي على أمرته للمؤمنين، وأنّه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، في ثبوت هذه العناوين لهم، ثم يخضعون ويَقْبَلون بإثباتها ليزيد الكافر الفاجر والذي قضى حياته بين الكلاب والقروود والفهود، وبين الغناء والسُّكر، في دار الخلافة، وبالأموال التي تُجبى من شرق العالم الإسلامي إلى أقصى غربه، من الفلاح والأجير ونحوهم ليأخذها يزيد، فيرتع بها ويسكر ويشترى القيان المغنيات وليستورد القروود والفهود تحت حمى خال المؤمنين.

مثل هذا السكيرّ الفاجر - والذي أعلن كفره في موارد عدّة كآبيه وجدّه وبقية الأسرة الأموية - يُوَلَّى على شُعْب فيه الحسين ﷺ والسجاد ﷺ، وفيه آلاف الصحابة، وما لا يُحصى من العلماء والزُّهّاد وقراء القرآن، ولا أقلّ أنّ فيهم حبر الأمة ابن عباس والذي يخضع له أنصار نظرية «عدالة الصحابة»، فما بال هؤلاء يُحْكَمُونَ من يزيد وأمثال يزيد ممّن استلم الخلافة أو الولاية أو بيوت المال أو قيادة الجيوش أو القضاء ونحوها من المراكز الحساسة في كيان دولة الإسلام والتي بناها محمد ﷺ وعليّ ﷺ بكفاح وجهاد مرير، بعد ما حاول أبو سفيان ومعاوية ونحوهما قتلها - النبيّ والوصي - وإنهاء هذه المسيرة وإلى الأبد، غير أنّ الله سبحانه كسر شوكة المشركين وأذلّهم وأخضعهم لحكم الإسلام، وأراهم عزّ رسوله ﷺ وعزّة دعوته، غير أنّهم انتهزوا فرصة وفاة الرسول

الأكرم ﷺ فَعَدَّوْا على آلِه فأخرجوهم من ساحة التأثير الاجتماعي - وذلك ظَنَّهُم وإفكهم - واستغلَّوا الفراغ الحاصل فانتشروا كالسرطان في كل حَيِّز من بلاد الإسلام، واستمرت مؤامراتهم وجرائمهم - وساندهم أهل الاطماع والكسل والغفلة - حتى تفرَّدوا بالتربُّع على مساند الحكم في بلاد المسلمين، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ، وإلى يومنا هذا.

نُعرِّج على كربلاء:

ابتدأ يزيد عهده، بالكتابة لواليه في المدينة، بالتشديد على الحسين ﷺ لأخذ البيعة منه، وإلاَّ فعليه قتله وأن يبعث إليه برأسه المقدَّس. أفتستوجب عدم المبايعة قطع رأس إمام الأمة، وسيد شباب أهل الجنة، وسبط رسول الله ﷺ؟

واترَ يزيد كتبه ورجاله بقتل الحسين ﷺ حتى حاصره في كربلاء بجيشٍ يُعَدُّ لفتح دولة مُعادية مع أنَّ الحسين ﷺ كان مَعَ أسرته - النساء والأطفال - ومجموعة قليلة من الصحب، وسبعة عشر رجلاً من بني هاشم - أو أقل -.

في كربلاء: عرض عليهم سيد شباب أهل الجنة حُلُولاً للقضية، غير أنهم رفضوها كلها، وخيَّروه بين أمرين، فتأمَّل فيهما لتزيد رقماً إلى رذائل بني أمية. خيَّروه بينَ النزول على حكم ابن زياد، وبين بدء المنازلة، فَقَتَلَهُ. عليَّ أن أعرفك جيداً على ابن زياد، ثم أوضح لك مقصودهم من النزول على حُكمِهِ.

إنَّ من يستقرأ بعض النصوص الشرعية، والواردة في شأن من يتولَّى إدارة أمر المسلمين وتسيير شؤونهم، ثم يحاول تطبيق ما قرأ على الخلفاء الأمويين، ومن وُلَّوه

لإدارة شؤون الأمة، من والٍ، وقاضٍ، وخازنٍ لبيت المال، وقائد عسكري، ونحو هؤلاء يعلم علماً قطعياً أن لا عُلاقة للفئة الحاكمة بمبادئ الإسلام ونصوصه وتشريعاته، ولا يعبتون بها أصلاً.

فعن رسول الله ﷺ: «لا تصلح الإمامة إلا لرجل فيه ثلاث خصال: ورع يحجزه عن معاصي الله، وحلم يملك به غضبه، وحسن الولاية على من يلي حتى يكون لهم كالوالد الرحيم»^(١).

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «وذلك أنّ في ولاية الوالي الجائر دوس الحقّ كلّ واحياء الباطل كلّ، وإظهار الظلم والجور والفساد وإبطال الكتب وقتل الأنبياء والمؤمنين وهدم المساجد وتبديل سنة الله وشرائعه فلذلك حرم العمل معهم ومعاونتهم والكسب معهم إلاّ بجهة الضرورة نظير الضرورة إلى الدم والميتة»^(٣).

ولسنا في مقام إثبات المطلب وجمع النصوص له فهو من الواضحات، ولا يرى مسلم في دين الله إلاّ قيامه على مثل هذه التشريعات والأسس، وتشريعات الإسلام في

(١) الأصول من الكافي، ج ١ ص ٤٧٠، كتاب الحجّة، باب: ما يجب من حق الإمام على الرعية:

ح ٨.

(٢) نهج البلاغة، السيد الرضي، الخطبة ١٣١.

(٣) تحف العقول، الشيخ الحراني، ص ٣٣٢.

حدّ نفسها معجزة من معاجز النبي الأكرم ﷺ يُستشهد بها على حقّيته ومصدريته عن الله سبحانه.

غير أن استيلاء أمثال ابن زياد على مقاليد الأمور - الخلافة والولاية - في طول تاريخ الإسلام، أوقع بعض الأمة في حيص بيص، وجعلهُ يفقد التمييز، ويذهل عن هذه النصوص الواضحة، وما ذلك إلا لتقاعسهم عن إتّباع آل محمد ﷺ واستبدال سواهم بهم، فوقعهم هذا في التيه.

وابن زياد - من جهة خصائصه الذاتية - من أَرذل الناس، وأبعدهم عن الاتصاف بصفات الإنسانية، وعن الاشتغال بخصلة حسنة، فما فيه غير رديء الخصال والصفات، ولا يصدر عنه إلاّ الخسيس الرذل، وهو ابن بغيّ معروفة، وبهذا نصّت كتب التراجم، كما أن أباه - زياد - من هذا السنخ، فالأب: ابن سميّة، والابن: ابن مرجانة.

ولا أدري، ولعلّ أنصار نظرية عدالة الصحابة يدرون، في وجه تأمير هذا وأمثاله على بلاد المسلمين، فليراجع منهم من لا يعرف حقائق وذاتيات قادته وقدوته.

ليُراجع تراجم كل واحدٍ ممن حكم بلاد المسلمين، ممن اغتصبوا لقب أمير المؤمنين من وصيّ رسول الله ﷺ الحق - عليّ عليه السلام - وكذلك تراجم ولاتهم وقادتهم وأعضادهم في الحكم.

زياد بن أبيه، عبيد الله بن زياد، المغيرة بن شعبة، الوليد بن عُتبة، الحجاج بن يوسف، يوسف بن عمر الثقفي، والقائمة تضمّ أسماءً بالمئات بل الآلاف من الجزّارين والمتهتكين وأراذل الأمة وفسدتها.

أما في الأمة من يحمل علماً وتقوىً وفضيلةً وسابقةً ومنقبةً وكرامةً وصفةً حسنةً، حتى يتولى أولئك الرئاسة والزعامة على رقاب الملايين.

النزول على حكم ابن زياد:

هذه العبارة: هي الحلّ الوحيد الذي طرحه ابن زياد بتحريض من شمر بن ذي الجوشن على سيد شباب أهل الجنة وإمام الأمة الحقّ بنص رسول الله ﷺ والمتوفّر - هذا النص - في كتب الشيعة والسنة.

معنى العبارة: الاستسلام من غير قيدٍ أو شرط، ولهم الحق - كل الحق - في الإسلام الذي يختارونه في التعامل مع الإمام.

فقد يقتلونه، أو يسجنونه، أو يعذبونه، ولا يسع قلبي ولا لساني سرد بقيّة الاحتمالات التي قد يسلكونها، والتي صدرت منهم تجاه أبناء الأمة، وفي أمور أخفّ من مواقف الإمام بكثير.

هذا مسلم بن عقيل آمنوه، ثم حكم عليه ابن زياد بأن يقتله قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام، وهكذا اختياراتهم، وهذا الحكم يمثل طبيعة تفكيرهم، وبهذا يواجهون الأمور والأحداث، وهذه هي حلولهم.

لو أردنا معاقبتهم على أقل جريمة اقترفوها بحق الأمة لما أبقيناهم من أثر. ولو طالبناهم بتنفيذ حكم الله في الأرض، وبالعامل وفق أحكام الكتاب والسنة، أو بحق من حقوقنا، أو ان يتركونا وشأننا، لما توقفت الدماء عن المسيل، ولما أبقوا جريمة في وسعهم إلا واقترفوها.

أي دين يصلح كرداء لهؤلاء غير شريعة الغاب، وغير منهج الفراعنة.

منع الماء عن الحسين واسرته وصحبه:

من جملة الأساليب الأموية المعروفة في التعامل مع من يعادونه منع الماء عنه، وهو المباح لكل كائن حيّ.

هم ثلاثون ألفاً.

والحسين وصحبه من المقاتلين في حدود المائة، ومعهم مجموعة من النساء والأطفال من عائلة النبي الأكرم ﷺ فماذا يؤثر في معادلة القتال لو سُقوا من الماء شيئاً.

وقد استسقى الإمام في ساعات حياته الأخيرة لولده الرضيع، والذي يكاد يقضي عطشاً، وعرض عليهم أن يأخذوه بأيديهم ويسقوه الماء إن خافوا أن يشرب هو من الماء أيضاً، فما كان جوابهم إلا رمي الرضيع بسهم فأصابوه في نحره وذبحوه، فتصور أي دين لهؤلاء، وآية إنسانية، وآية صفة يمكن أن نصفهم بها.

حرمان الحسين ﷺ، وأسرة النبي، وصحابة الحسين ﷺ الأخيار - وهذه المجموعة هم نخبة الأمة، وأوتاد الأرض، ومن يُستسقى بهم الغمام، ويُستجاب بهم الدعاء، وصحب الحسين ﷺ وأمثالهم هم الصحابة العدول في معتقدنا وفقهنا، وهؤلاء وأمثالهم تُوكّل اليهم إدارة شؤون الأمة، وتسيير دفة المسيرة الإسلامية المظفرة - من الماء جريمة عظيمة وآية جريمة لو تأملنا فيها.

ثم قتل أطفال اسرة النبي الأكرم ﷺ، بالإضافة إلى قتل بعض النساء عظيمة أخرى. بل جرائمهم يوم الطف لا تُحصى ولا تُستقصى. ومنها:

أ- محاولة إبادة البيت النبوي كُله، لو لا الإعجاز الإلهي، وتدخل زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها لإنقاذ زين العابدين ﷺ إمام الأمة بعد الحسين ﷺ.

ب- قتل عامة الرجال في معسكر الحسين ﷺ، وقطع رؤوس الجميع، باستثناء الحر إذ تشققت فيه أسرته لماضييه في خدمة الكيان الحاكم، والحسين ﷺ سيد شباب أهل الجنة وابن رسول الله ﷺ ولا شفيع له بينهم.

ج- إجراء الخيول على جسد الحسين عليه السلام وتكسير عظامه المقدّسة، وقد نقل أهل التاريخ: أنّ عمر بن سعد أمر عشرة فرسانٍ فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيولهم حتّى ألصقوه بالأرض ^(١) عن أمر عبيد الله بن زياد.

د- نهب الشهداء ومخيّم الحسين عليه السلام كله، حتّى تركوا الشهداء مجرّدين على صعيد كربلاء، وحتّى ورد أنهم قطعوا إصبعاً من أصابع الحسين عليه السلام لنهب خاتم من يده المقدّسة.

هـ- إحراق مخيّم الحسين عليه السلام، وإرعاب العائلة، وتشيتهم في البداء، لو لا زينب بنت علي عليها السلام، والتي حرصت على جمعهم وحمايتهم وإنجائهم.

و- أسر عائلة النبي الأكرم عليه السلام وأخذهم بأفجع حالةٍ وأشدّها إيلاًماً من كربلاء إلى الكوفة وبينهما قرابة المائة كيلو متر، ثمّ في مسيرة طويلة: الكوفة، دمشق، كربلاء، مدينة الرسول عليه وآله.

ز- ومئات من الجرائم غير ما تقدّم لو أراد أحد استقصائها.

عن مولانا الباقر عليه السلام في وصف استشهاد الإمام الحسين عليه السلام :

لقد قتلوه قتلة نهي رسول الله عليه وآله أن يُقتل بها....، لقد قُتل بالسيف والسنان، وبالحجارة، وبالخشب، وبالعصا، ولقد اوطأوه الخيل بعد ذلك ^(٢).

رفعوا رأسه ورؤوس أصحابه على الرماح لما لا يقلّ عن شهر.

تركوا جسده وصحبه دون دفن لما يقارب ثلاثة أيام لولا دفن بني أسد لهم.

أبقوا أسرة رسول الله في الأسر والسبي والترحّل لما يقارب الشهرين، وقرّروا إبادتهم وقتلهم غير مرّة في الكوفة والشام، لأن وجودهم أحياء كان فضيحةً مطبقةً لهم

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٨ ص ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٩١ ح ٣٠.

غير ما يعتمل في نفوسهم من حقدٍ وهمجيّة، وحاولوا قتل السجادة غير مرة، ونجا بحماية الله وهمّة زينب عليها السلام بطة الإسلام وجوهرة الدهر.

وما سُمِع منذ خُلِقَ العالم، ولن يُسمع حتى يَفنى، أفضع من ضرب ابن مرجانة بقضيبه ثغر ابن بنت رسول الله ﷺ، ورأسه بين يديه، بعد أن كان سيد الخلق ﷺ يلثمه^(١). ومن عظام بني أمية بعد كل جرائمهم وكفرياتهم التي لا تُحصى هدم دور آل محمد ﷺ في المدينة المنورة انتقاماً من ثورة الإمام الحسين عليه السلام على يد واليها عمرو بن سعيد الأشدق^(٢)، وسرّ كل ما فعلوه يُستكشف من قول مروان بن الحكم لما سمع صرخة بني هاشم لقتل الحسين عليه السلام:

يا محمد يوم بيوم بدر^(٣).

لكن تعال وألقِ بصرك:

هذا حرم الحسين عليه السلام، وأبو الفضل العباس عليه السلام، وعلي الأكبر، وعبد الله الرضيع عليه السلام، وزينب العقيلة عليها السلام، وصاحب الحسين عليه السلام، وهذه شيعتهم قرابة المائتي مليون، وهذا فكرهم وفقهم يملأ الأرض، وهؤلاء ذرية علي وفاطمة عليها السلام - قرابة الثلاثين مليون في أرجاء العالم.... الخ.

فأين أثر يزيد، وابن زياد، وشمر، وعمر بن سعد، وجيش ابن سعد، وأين شيعتهم، وأنصارهم، وأين فكرهم - إن كان لهم ذرة من فكر - وأين ذريتهم....، أصابتهم اللعنة الإلهية في الدنيا، والسعير بانتظارهم، ولكل من يتعصب لهم، ويدافع عنهم، ويبرّر لهم.

(١) الشيعة في الميزان، الشيخ محمد جواد مغنّية، ص ٢٢٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق المقرّم، ص ٣٣٥.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٤٢٢.

ولم يقتصر كفر وفجور آل امية واذنابهم على منع الحسين عليه السلام وصحبه الماء
لنستكشف من هذا خستهم وارتدادهم عن الإسلام.

بل عرّج على ما صنعوه من إجراء الخيل على جسد الحسين عليه السلام بعد شهادته حتى
كسروا عظامه المقدسة.

ثم هجومهم على بنات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسرته، وأسر الهاشميين، وأسر الصحابة
الأبرار - أسر أوتاد الأرض والأمة - فسلّبوهن.

ثم أضافوا إلى كلّ جرائمهم أخرى بجعلهم صوم يوم عاشوراء سنة، فرحاً بقتل
الحسين ^(١) الذي هو ولد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقلّ ما يُقال بشأن الحسين عليه السلام، أنّه خرج للأمر
بالمعروف، وللنهي عن المنكر، وإنقاذ المستضعفين وإنقاذهم من بطش أقدر زمرة
حكمت بلاد الإسلام، واستولت على مقام رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يُحتفل بقتله من هذه
الامة التائهة والتي ضيّعت طريق رشادها وما بقي لها الاّ الاهتداء بأمثال يزيد وابن
زياد.

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٩٤، ٩٦.

أدعية الحسين عليه السلام في نهضته

لم يطلب الإمام الحسين عليه السلام من الله تعالى في أدعيته خلال مسيرته من المدينة إلى حين استشهاده قبل غروب يوم العاشر من المحرم أن ينصره على عدوه في معركته هذه، وأن يجعل الغلبة العاجلة له.

لم يسأل الله سبحانه شيئاً من هذا القبيل ابداً.
لا ينبغي أن يغيب عن ذهن المؤمن ما للدعاء من أثر عند الله سبحانه، ومن واقعية في تغيير المصائر وجوداً وعدماً، في الدنيا والآخرة.
في الذكر الحكيم: ﴿ مَا يَعْجُزُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾^(١).

في الآية دلالة لا خفاء فيها على أهمية عظيمة للدعاء، وبها له من أثر في ربط الإنسان بربه، بل أثره في عموم مسيرته الوجودية.
وقال جلّ وعلا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾^(٢).

فالدعاء عبادة في حدّ نفسه، ومن يستكبر عن العبادة مصيره جهنم، فمن يترك الطلب من الله سبحانه - استكباراً - مصيره جهنم أيضاً.

طلب أي شيء من خلق الله سبحانه ثقل على الطرفين - والثقل نسبي، إلا أن أصل وجوده ولو بمرتبة قليلة أكيد - باستثناء الطلب من المعصوم، فإن الكلام بشأنه

(١) سورة الفرقان، الآية ٧٧.

(٢) سورة غافر، الآية ٦٠.

ينحو منحى آخر.

أمّا الله سبحانه، فإنّه يبلغ عباده بأنّ الدعاء إليه وطلب شيء منه عبادة، فمن يطلب من الله سبحانه، فهو كمن يصلي له ويصوم ويحج ويزكي، أي يستحق الثواب على دعائه، كما يستحق إجابة نفس الدعاء بمقتضى وعده سبحانه.

قال سبحانه: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

وقال جلّ وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

بالإضافة إلى عشرات الآيات المتضمنة لأدعية الأنبياء والصالحين والتي حكاها سبحانه عنهم في كتابه العزيز، أو الأدعية التي يلقنها المولى لعباده من خلال كتابه العزيز كي يتزلفوا بها إليه، ولينالوا بها من فضله الواسع العظيم^(٤). وما ورد في السنّة أكثر، لأنها المفصّلة لما أجمله القرآن العزيز.

١ - عن مولانا الصادق عليه السلام في قوله لميسر: «ادع ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه، إنّ عند الله عزّ وجلّ منزلة لا تُنال إلّا بمسألة، ولو أنّ عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يُعط شيئاً فسل تعط، يا ميسر إنّهُ ليس من باب يُقرع إلّا يُوشك أن يُفتح لصاحبه»^(٥).

٢ - في المعبر عن مولانا الصادق عليه السلام: «الدعاء أنفذ من السنان الحديد»^(٦).

(١) سورة النساء، الآية ٣٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨٦.

(٣) سورة الطور، الآية ٢٨.

(٤) راجع لها: الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم، محمد فارس بركات، ص ١١١.

(٥) الأصول من الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢ ص ٤٥٥، الباب الأول من كتاب الدعاء.

(٦) الأصول من الكافي، ج ٢ ص ٤٥٨.

٣- وفي المعبر عن مولانا الباقر عليه السلام، قوله لزرارة: «ألا أدلك على شيء لم يستثن فيه

رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: بلى.

قال: «الدعاء، يردّ القضاء، وقد أبرم إبراماً» - وضمّ أصابعه - ^(١).

٤- وفي المعبر، عن هشام بن سالم، عن مولانا الصادق عليه السلام:

«هل تعرفون طول البلاء من قصره؟»

قلنا: لا.

قال: «إذا ألهم أحدكم الدعاء عند البلاء، فاعلموا أنّ البلاء قصير» ^(٢).

٥- في المعبر، عن عمر بن أذينة، قال سمعت أبا عبد الله - الصادق - عليه السلام يقول:

«إنّ في الليل ساعة ما يوافقها عبْدُ مسلم ثم يصليّ ويدعو الله عزّ وجلّ فيها إلّا

استجاب له في كلّ ليلة».

قلت: أصلحك الله وأيّ ساعة هي من الليل.

قال: «إذا مضى نصف الليل، وهي السدس الأول من أول النصف» ^(٣).

بل هناك مئات النصوص المتضمنة للأدعية الطويلة والقصيرة، والمنقولة عن النبي

الأكرم والزهراء وآله الاطهار عليهم السلام.

بل لعل ظاهرة الاهتمام بالدعاء ممّا يختص بائمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم - تبعاً

للكتاب والسنة - دون بقيّة فرق المسلمين قاطبةً.

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٦٦.

إذن: نحن مأمورون بالدعاء.

وبعدم اليأس من روح الله وفرجه وإعائته وإعانتته.

قال سبحانه: ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(١).

وكيف ييأس المرء، وهو يلمس التفات الله سبحانه إليه في مواطن الشدة والأزمات، وهناك وعدٌ الهي بإجابة دعائنا لو دعوناه سبحانه، وهو الذي لا يخلف الوعد أبداً. لكننا قد ندعو، وفي بعض الأحيان لا نقطع بتحقيق الإجابة، وحصول أثرٍ عن دعائنا.

لكن هذا مقتضى قدراتنا، ولقصورنا في هذا الميدان دُخْل، وقد عشت تجارب شخصية عديدة كنت ألاحظ فيها بلوغي لمرامي، واستجابة المولى لدعائي، لكن هذه الملاحظة تتحقق بعد فترةٍ من الاستجابة، لأن الأخيرة قد تحصل بالتدريج، ولأسباب أخرى، وفي المطلب تفاصيل، ليس هنا مجال استقصائها.

وشأن سيد شباب أهل الجنة، وإمام الأمة، ولد رسول الله وريحانته، الحسين عليه السلام، مختلف تماماً، فهو إذا دعا وطلب من الله سبحانه، وأراد ما دعا به حقيقةً، أجابه الله سبحانه حتماً، ولا يتخلف هذا الأثر أبداً، كالحال في بقية المعصومين - محمد وآل محمد أجمعين عليه السلام -.

وقد نقلت كتب الشيعة والسنة أدعية سيد الشهداء عليه السلام على بعض أعدائه، فاستجاب الله سبحانه دعاه في بعضهم فوراً، وفي بعضهم الآخر بعد حين، إلا أنه ثبت لجميع من اطَّلَعَ على الأمر أن هذا كان لدعائه سلام الله عليه^(٢).

(١) سورة يوسف، الآية ٨٧.

(٢) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج ٣ ص ٢٩٩، فقد نقل بعضها عن مصادر العامة،

ومن ثمرات الاستجابة الفورية لدعائه عليه السلام: ان تكون عَلمَ هداية لاعدائه، كي يكفوا عن محاربته، بل لينتقلوا إلى معسكره، وقد التفت إلى هذا المعنى بعض جند بني أمية فكفّ عن مقاتلة السبط وأخذ جانباً، وهو وإن كان مستحقاً للعذاب الأليم لأنه سمع واعيعة الإمام فلم ينصره، وَبَلَغَتْهُ استغاثته فلم يبذل له نفسه ونفيسه، إِلَّا أَنَّ للعذاب مراتب، وَفَرَّقَ هائلٌ بين مرتبة ومرتبة.

وإجمال الكلام: أَنَّ المتفحص والمتأمل في أدعية الإمام عليه السلام يلتفت إلى أنه لم يدع لنجاته مما هو فيه أبداً.

بل أدعيته: تحميد، وتمجيد، وشكر الله سبحانه، ودعاء شامل على قتلته، أو على بعض أفرادهم، ونحو هذا.

ولنسرّد بعض أدعيته، صلوات الله عليه وسلامه: «اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقةً وعُدّة، كم من كرب يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، وَيَحْذُلُ فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة مني إليك عَمَّن سواك، ففرّجته وكشفته، فأنت وليّ كل نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبة»^(١).

ومنها: «اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مُصَبّرة، ولا يدع فيهم أحداً إلّا قتله، قتلةً بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرّونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربّنا، عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير»^(٢).

منها ما عن الصواعق المحرقة، لابن حجر، ص ١١٨.

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٠.

ودعا على محمد بن الاشعث فأخذَ سريعاً في ساحة المعركة ^(١).
ومن أدعيته عليه السلام: «اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تغادر منهم أحداً، ولا
تغفر لهم أبداً» ^(٢).

ومن أدعيته عليه السلام: «اللهم إني أشكو اليك ما يُفعل بابن بنت نبيك» ^(٣).
ودعا على مالك بن النُسر الكندي، والذي ضرب الإمام عليه السلام على رأسه بالسيف:
«لا أكلت بيمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين» ^(٤).
ومنها: «اللهم إن متعتهم إلى حين، ففرّقهم فرقاً، واجعلهم طرائق قديداً، ولا تُرض
الولاية عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا، ثم عدّوا علينا يقتلونا» ^(٥).
ودعا على ابن حوزة: «اللهم حُزه إلى النار».

فعوقب فوراً وهلك ^(٦).
ومن دعائه حين ذبح ولده عبد الله الرضيع: «اللهم لا يكون أهون عليك من فضيل
ناقة صالح» ^(٧).

ومن أواخر أدعيته صلوات الله عليه وسلامه: «ربّ، إن تكن حبست عنا النصر
من السماء، فاجعل ذلك لما هو خير، وانتقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين» ^(٨).

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٦.

(٣) الإرشاد، ج ٢ ص ١٠٩.

(٤) الإرشاد، ج ٢ ص ١١٠.

(٥) الإرشاد، ج ٢ ص ١١١.

(٦) الإرشاد، ج ٢ ص ١٠٢.

(٧) مقتل الحسين، السيد محمد بحر العلوم، ص ٧٥.

(٨) الإرشاد، ج ١ ص ١٠٨.

موقف الإمام (عليه السلام) من أنصاره

قد يَجْزِمُ المرء بعد ملاحظة النصوص أنه لم يُعذر أحد أو صنف من أهل الكوفة في عدم نصرته للإمام الحسين (عليه السلام).

ولا إشكال: إن الذم في معظمه متوجه إلى الذين كاتبوا الإمام (عليه السلام) والتمسوا حضوره ووعده النصر وعاهدوه على الوفاء والموت دونه ثم لم يفوا بعهودهم ومواثيقهم.

والذين كاتبوا الإمام (عليه السلام) أصناف:

فصنف التحق به في المدينة، أو مكة، أو في الطريق، وبعض في كربلاء.

وصنف حاول اللحاق به، وخرج من الكوفة قاصداً هذا، ثم قبض عليه، ومنع من تحقيق هدفه.

وصنف اعتقل في الكوفة، وأودع السجن.

وصنف قُتل قبل ورود الإمام.

والمتقدمون كلهم معذورون، بل مشكور لهم سعيهم ووفائهم.

بلى، من جُبِن خوف اعتقاله، أو لأنه حَسِبَ أنَّ كلَّ شيء قد انتهى، ولا سبيل إلى نجاح الثورة، ولم يعبا بما سيؤول إليه حال الإمام (عليه السلام)، فهو المدان.

وهؤلاء يمكن تقسيمهم لأصناف أيضاً، واردؤهم من بلغ به جنبه حد الخروج مع جيش الطاغية ابن زياد وقاتل أو حضر المعركة فقط والحكم في الحاليين واحد بحسب هدف بحثنا.

وهناك أصناف أخرى يجمعهم أنهم لم يكتبوا الإمام عليه السلام والكلام فيهم أيضاً متفاوت.

وبطبيعة الحال ليس جميع هذه الأصناف تستحق العقاب أو الملام بل ينحصر في:

أ- من خرج للقتال، ولم يلتحق بالإمام، أو يضرب في خلفية الجيش الاموي.

ب- من ساهم في قوات ابن زياد بأي شكل من الأشكال، ككتائب البحث عن الإمام عليه السلام، أو قطع الطرق على الملتحقين ونحو هذا.

ج- من قعد عن النصرة.

إن من لا يتمكن من الالتحاق بالإمام عليه السلام، فإنّ عليه نصرته عن طريق تشكيل كتائب صغيرة-مثلاً- والدخول في عمليات قتالية هنا وهناك، لتخفيف الضغط عن الإمام، ولإرهاب الدولة الطاغوتية، كي تعلم بوجود أنصار له، فتضطرّ للاستماع لما يطرحه عليه السلام، بل وللإستجابة لبعض المطروح، ويُمكن من خلال هذه الطريقة أو تلك اشغال ابن زياد، وإشعاره ببدايات ثورة عارمة عليه، وتشجيع الآخرين على الالتحاق بصفوف الجماعات المسلّحة المناهضة للحكم الفاسد، بل لعلّ هذا يشجع بعض من في جيش ابن زياد على الالتحاق بتلك الكتائب، ولا أقلّ من فرارهم من ميادين المواجهة.

ففي ميدان الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يسقط الواجب ما دام يُمكن تحصيل النتيجة بوجه من الوجوه.

إن مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معروفة، لكن هذه المراتب تنطوي على مراتب متدرّجة، فإن لم تُمكن المرتبة الأخفّ انتقل المكلف إلى مرتبة أعلى، وإن لم تنفع هذه الطريقة استعملنا طريقة أخرى، وهكذا حتى يتحقق المطلوب، ولا يسقط وجوب الأمر والنهي حتى يحصل العجز من كلّ جهة.

هذا وقد بدأ الإمام الحسين عليه السلام من حين ما وصل إليه خبر استشهاد سفيره مسلم

بن عقيل رضوان الله عليه ومعه هاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، بانتهاج ماصار سبياً للتساؤل والتحير في سرّه.

إذ أخذ الإمام بترغيب بعض الناس لنصرته، ولمؤازرته في نهضته المقدّسة، وفي الوقت نفسه يفسح المجال لمن معه للانسحاب، ولترك مواصلة مسيرته معه، بل أنه عرض عليهم هذا بشكل مؤكد من قبل أن يلتقي بجيش الحر، ولم يترك التأكيد عليهم به في أصعب الظروف - أعني: ليلة عاشوراء -.

إذ تيقّن الإمام من استشهاده، وأن لا فائدة من المقاومة، ولا أثر لها غير كثرة الخسائر، يقتضي إبعاد الجميع عن ساحة النزال.

واحتمالية النجاح تقتضي دعوة أكبر عدد ممكن من الأنصار - ولو بتألف بعض الناس - لغرض قلب الموازين في ساحة المعركة، علّ الدوائر تدور على ابن زياد وجنده. فكيف نفسر النهج الذي سار عليه الإمام، وكيف نقتبس منه درساً وتوجيهاً.

ومما يلفت النظر: أن سيد الأوصياء سلام الله عليه لم يأذن لجنده بالانصراف أثناء معاركه، مع تمللمهم، وكثرة ما معه من جند، وهذا عكس ما صدر عن الإمام سيد الشهداء، والذي كان جيشه عشرات من الرجال^(١)، وكان يقابل عشرات الآلاف من جند السلطة

(١) من موارد الإذن بالانصراف، ما ذكره القرشي في حياة الإمام الحسين ، ج٣ ص ١٧١، وكذا ص ١٦٦ هـ ١٦٥، وكان أول إذن بالانصراف عند بلوغ خبر استشهاد عبد الله بن يقطر إلى الإمام وهو إذن عامّ تلي في رسالة على الناس، فراجع: بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٧٤، وقد فسّر الشيخ المفيد إذن الإمام بأنه علّم بأن الأعراب الذين اتبعوه، إنّما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون على ما يقدمون. غير ان توجيه المفيد تأباه الرواية نفسها، وهذا نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد فإنه قد أتانا خبر فظيع: قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف، في غير حرج، ليس عليه ذمّام» ففرّق الناس عنه، واخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من

الكافرة.

قال الشيخ صاحب الجواهر: ثبات سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء بنيف وسبعين رجلاً أمام ثلاثين ألف الذي هو أقل ما روي في نصوصنا ^(١).

وذكر العلامة القرشي خمسة أقوال في عدد أصحاب الإمام يوم الطف، وختم كلامه بقوله:

والذي نراه أنهم ثمانون رجلاً بما فيهم من أبناء الأسرة النبوية، والذي يدعم ذلك ان الرؤوس التي احترت وبُعث بها إلى ابن مرجانة ويزيد بن معاوية كانت ٧٩ رأساً لا غير ^(٢).
أقول: هذا مع ملاحظة أن الراس الشريف للحر لم يقطع، وهو الوحيد في هذا الشأن، حيث استنقذته عشيرته، ودفنته بعيداً عن ساحة المعركة حيث مرّقه اليوم معروف مشهور.
كما أن عبد الله الرضيع دفنه الإمام أثناء المعركة، وقيل بقطع رأسه الشريف بعد نبش جند الضلالة لمدفنه المقدس اثر انتهاء المعركة ^(٣).

ونسأل: هل نحن نخيرون في نصرته الإمام وعدمها، والإمام المعصوم خليفة الله في أرضه، وهو في طريقه إلى الموت المحتم كما أخبر عليه السلام عن نفسه، وأخبر النبي الأكرم عليه السلام بهذا من قبل.
فقد روي عن النبي عليه السلام أنه قال حينما بكى أصحابه إذ ذكر لهم استشهاد الحسين عليه السلام:
«أبكون ولا تنصرونه» ^(٤).

اذن بمقتضى هذا النص وأمثاله أن النبي أراد من الأمة نصرته، فكيف يدعوه

المدينة، ونفر يسير ممن انضموا إليه.

راجع: الإرشاد، المفيد، ج ٢ ص ٧٦.

(١) جواهر الكلام، ج ٧ ص ٥٢١.

(٢) القرشي، ج ٣ ص ١٢٦.

(٣) الشهيد والثورة، السيد هادي المدرسي.

(٤) معالم المدرستين: ج ٣ ص ٢٩، عن مقتل الخوارزمي ج ١ ص ١٦٣.

الإمام عليه السلام للرجوع وترك النصرة؟

ومن المروي: أن حبيب بن مظاهر ذكر للإمام عليه السلام وجود جمع من عشيرته قُربَ معسكرهم وهو مستعد للذهاب إليهم كي يجلب مجموعةً مقاتلة منهم لتعزيز جبهة الإمام فوافق الإمام عليه السلام إذ ذاك ذهب حبيب وجاء بسبعين رجل غير أن جند ابن زياد حالوا بينهم وبين بلوغ معسكر الإمام ووقع قتال بينهم فرجع ذلك الجمع وعاد حبيب لوحده إلى معسكر الإمام عليه السلام ^(١).

إذن: ما زال الإمام عليه السلام بصدد دعوة الناس لنصرته.

سيد الشهداء عليه السلام وأنصاره ^(٢):

لا شك أن النهضة الحسينية بل كل حركة تقاوم استبداد دولة قوية طاغية ظالمة لها أن تعتمد على اقتناع أفراد الأمة بها وإيمانهم بصحتها واندفاعهم لنصرتها وإخلاصهم واستماتتهم في سبيلها، وهذا لا يتحقق مع إكراه الناس، أو الاستفادة من حيائهم ومجاملتهم.

يروى التاريخ أن سيد الشهداء عليه السلام خرج من مكة بموكب يرافقه فيه ما يقارب الخمسة آلاف نسمة إلا أن هؤلاء لم يكونوا جميعهم من مستوى الجيش العقائدي المطلوب توفره في مثل هذا الظرف ولذلك حين بلغه خبر استشهاد مسلم بن عقيل رضوان الله عليه أبلغ الناس أنه:

«قد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل، وهانئ بن عروة، وعبد الله بن يقطر،

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٤٢.

(٢) راجع: معالم المدرستين، للسيد العسكري، حول رأي المؤلف في دعوة الإمام عليه السلام أناساً لنصرته، والسباح لآخرين بالانصراف، ووجه الجمع بينهما.

وقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الإنصراف فليصرف، غير حرج ليس عليه ذمام». فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممن انضوا إليه، وإنما فعل ذلك لأنه عليه السلام عَلِمَ أن الأعراب الذين اتبعوه إنما اتبعوه وهم يظنون أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون^(١).

وبدأ الإمام عليه السلام في موقفه الحازم منذ ذلك الحين والذي وقع مورد التساؤل. فتراه يُرغَّب بعض الرجال لنصرته وَيُبيِّن له الكرامة الأخروية التي تنتظره، ومغفرة الذنوب الكثيرة التي بذمته، ومَن دُعاه الإمام للنصرة عبيد الله بن الحر الجعفي الخائب، وزهير بن القين رضوان الله عليه.

وتراه من جانب آخر يعرض على أصحابه الرجوع، ويشرح لهم طريقة نجاتهم وهم في أشد الظروف، وذلك عند إحاطة جيش ابن زياد بهم إحاطة السوار بالمعصم. لا شك أن حركة الحسين عليه الصلاة والسلام كانت بحاجة إلى من يستشهد مع الإمام المظلوم المهتضم، وإلى من يبقى بعد شهادته المقدسة.

أما وجه الحاجة إلى من يبقى فلمواصلة الجهاد عن طريق شرح مظلومية الحسين عليه السلام وشرح أهدافه وتحريض جمهور الأمة على السلطة الحاكمة الغاشمة، وإشعال فتيل الثورة في أرجاء الدولة، وكذلك لنشر عقائد ومبادئ الأئمة من آل محمد عليهم السلام، وقد قيل أن الثورة الحسينية إنما آتت بعض ثمارها بجهود الاسرى، وهذا يؤكد أن من بقي له أثر فعال في إيضاح حقيقة الحركة الحسينية وأحداثها، وفي نشر أريجها، وله الريادة في العمل من بعد الإمام عليه السلام على هدم الدولة الاموية بكل وسيلة، بالاستفادة من قضية الإمام المظلوم.

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٧٥ - ٧٦.

ووجه الحاجة إلى من يستشهد: لأنّ من الطبيعي أن حركة الحسين تكتمل بوجود عناصر متعددة مساندة لها مما يقطع الطريق على أذنان السلطة لتشويهها، فترى في ثورة الحسين : أهل بيته من أولاد علي وأولاد الإمام الحسن وأفلاذ كبّد الحسين ، وأولاد عقيل وأولاد جعفر.

ونرى أيضاً الشيخ الكبير والطفل الصغير، والمرأة المسنة والأخرى الشابة، والحر والعبد، وأعظم الناس تشيعاً والعثماني الهوى - زهير بن القين - وقائد جيش الأمويين - الحر الرياحي - وزعيم العشيرة، ومعه أيضاً نساؤه وصغارهن ونساء أصحابه. وكل من حضر كان من خيرة صنّفه، ومن الوجوه، ومن النّسك والزهاد، وقد اتّحد هذا الجمع في عقيدة إسلامية حسينية تحت راية الإمام القائد .

إن وجود هذه المجموعة تحت راية الحسين مما يستوقف من لا يعرف الحسين وقضية الحسين ، فما الذي يدفع زهير بن القين وهو العثماني إلى السير تحت راية الحسين وبذل حياته رخيصة في سبيله وفي سبيل قضيته ويهجر الأهل والولدان والأموال.

وهكذا القول في الحر قائد جيش ابن زياد حيث أعرض عن قيادة الجيش بعدما أحاطت الجيوش بالحسين ، وبعد ما تيقن الجميع من مقتله فما الذي يدعوه للتضحية بطيبات الحياة الدنيا، ثم لم تمنعه خطيئته عن أن يتوب إلى الحسين في وسط ساحة المعركة، ويكون هو أول مقاتل، وأول شهيد.

والعبد جون لو ترك القتال لتركه جيش ابن زياد - كما يروي التاريخ أنهم تركوا عبداً آخر بعدما انتهت المعركة -.

وسيد قومه حبيب بن مظاهر الأسدي، وهكذا، وصور أخرى في منتهى الروعة،

وأعظم العبرة، تستوقف المتأمل لتشرح له بلسانها الذلِّق مظلوميّة الحسين عليه السلام، وطهارة أهدافه، وإسلامية ثورته، مما حفلت بها كتب الخاصة والعامة، وأودت بيزيد ودولته وآل أمية، وحشرتهم في مزابل التاريخ، وعجّلت بفناء دولتهم، وصيرتهم ألّعن دولة، وأخسّ عائلة في تأريخ الإسلام.

إن استشهد الإمام الحسين عليه السلام وحيداً في ساحة المعركة مما تأبى نتائجه النفوس الأبيّة، فإن في هذا استهانة بمقام المعصوم، وبخساً لقدره، وغضّاً من مقامه، واثارة لروح الشكوك حول قضيته، وهذا بخلاف ما لو كان معه أهل بيته، صغاراً وكباراً، شباباً وكهولاً، رجالاً ونساءً، بأرفع بيوتهم شاناً، ومعه من الأنصارِ عليّة المجتمع من زعماء ورؤساء عشائر وقراء للقرآن - كما هو المصطلح المتداول للإشارة إلى العلماء والفقهاء في تلك الفترة - بل وزعماء من جهاز الدولة وقادتها العسكريين وأفراد عدّة من جندهم برفقته في نهضته المقدّسة، فإن هذا يضيف على قضية الحسين عليه السلام مع عظمتة الشخصية التي هي في الظهور كالشمس في وضوح النهار تمامية وصورة رائعة من الالتحام وكون قضية الحسين عليه السلام إسلامية، لا شخصية ولا نفعية، ولهذا يندفع هذا الجمع المختلف الانتماء، وبتشكيلته القائمة إلى التضحية بكل غالٍ ونفيس لأجل الحسين عليه السلام.

ويقف الإمام القائد لينقل للدين عبر الأجيال صورة هؤلاء الصحب ولإيمانهم وتفانيهم وجيل خصالهم ممّا عجّزت أمّ الدهر عن أمثالهم إلا ما ندر.

يقول الإمام عليه السلام:

«أما بعد فاني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيت أفضل وأبرّ من أهل بيتي».

إذاً هو الإمام عليه السلام يعرض عليهم الرجوع - لمجموعهم ولأحاديهم -.

عرض على الجميع بقوله: «ان هؤلاء يريدوني دونكم، فالنجا»^(١).

وقال ﷺ لهم أيضاً: «أنتم في حلٍّ من بيعتي، فالحقوا بعشائركم ومواليكم»^(١).
وقال ﷺ لأهل بيته: «قد جعلتكم في حلٍّ من مفارقتي، فانكم لا تطيقونهم لتضاعف
اعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري، فدعوني والقوم، فإن الله عز وجل يعينني ولا يخليني
من حسن نظره، كعادته في أسلافنا الطيبين»^(٢).

ويقول لجون - مولى أبي ذر الغفاري، وكان عبداً أسوداً -:

«أنت في إذنٍ مني، فأنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا».

نرى بعضهم يحبيه ﷺ:

«ولمَ نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً».

وآخرون: «لا والله يابن رسول الله لا نفارقك أبداً، ولكننا نفيك بأنفسنا حتى نُقتل بين
يديك، ونرد موردك، فقَبَّحَ الله العيش بعدك».

ويقول له زهير بن القين - والذي كان لأيام خلت على دين الدولة وفكرها العثماني -:
«والله يابن رسول الله لو ددت أني قُتلت ثم نُشرت ألف مرة، وإن الله يدفع بذلك القتل
عنك وعن هؤلاء الفتية من اخوتك وولدتك وأهل بيتك».
وغیره: «اكتلني السباع حياً إن فارقتك»^(٣).

ولا يفوتنا التنبيه إلى أن الجهاد مرفوع عن المرأة في الإسلام، وقد أكد الإمام - صلوات
الله عليه - هذا الأمر، وهو مرفوع عنهن في ملحمة كربلاء أيضاً^(٤).

يقيناً: لا دافع لمقال الصحب الكرام ومواقفهم إلا محض الإيمان، والوقوف إلى جهة دين

(١) البحار، ج ٤ ص ٩٠.

(٢) البحار، ج ٤ ص ٩٠.

(٣) راجع لكلمات الأصحاب: بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٨١، ص ٣٩٣.

(٤) البحار، ج ٤ ص ١٧.

الله في مفترق الطرق، ومواجهة الموت وآلام المعركة وكل نتائجها مهما كانت. ودافع آخر: هو عدم ترك الإمام عليه السلام وحيداً يواجه الموت، وأكفر أعداء الله، في موقف إيماني وقضية تتعلق بوجود الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله والقرآن.

والواقع: ان أعظم مشكلة واجهت المعصومين، بل كل الأنبياء والأوصياء تقريباً عبر الأزمان، هي مشكلة الأنصار وعقيدتهم وتفانيهم في الذب عن دين الله، والتضحية في سبيله كي يقوم على سوقه.

ومن جملة أسباب التخيير ما ورد في بعض النصوص من أن الإمام عليه السلام خيرهم كي يستظهر أو يظهر ثباتهم^(١).

ومما يلوح من القرائن:

إن الشهيد الصدر حاول القيام - في أواخر القرن الرابع عشر الهجري - بعمل ضد النظام الصدامي، فقرر الذهاب إلى الحضرة العلوية المقدسة وإعلان موقف جري ضد الدولة مع جماعة من طلابه، بحيث يستمر في موقفه إلى أن يلجئ الدولة إلى قتله وطلابه في الحضرة العلوية، في الوقت الذي يتفق فيه مع آخرين من طلابه الحاملين لأهدافه وفكره لاستثمار حركته إلى أقصى حد، من خلال تهيج المجتمع ضد النظام، وتوعيته بما يؤدي إلى إشعال فتيل الثورة لإسقاط الحكم الفاسد^(٢).

أقول: تؤكد القرائن ان الشهيد الصدر قد فهم العمل الحسيني بهذه الصيغة ولهذا الهدف - في عرض رجوع أصحابه، وفي دعوة آخرين لنصرته - ولذلك حاول ترسم خطاه عليه السلام.

إن الإمام عليه السلام كان يبحث عن أنصار ينضمون تحت لوائه، ويبايعونه على الأمر

(١) كلمات الحسين عليه السلام، ص ٤١٠ - ٤١١.

(٢) الشهيد الصدر، الشيخ النعماني، ص ١٣٤.

بالمعروف والنهي عن المنكر، واستنكار بيعة أئمة الضلالة - أمثال يزيد - على الحكم، أنصاراً واعين لأهداف قيامه، يقاومون الاغراء بالدنيا، ويصارعون الحكم الغاشم، حتى يقتلوا في سبيل ذلك ^(١).

واستنتاجنا:

ان الإمام عليه السلام دعى الأمة جميعاً إلى نصرته، وبلّغها تكليفها المتعلّق بقضيته، وحَثَّها عليه بمختلف صنوف التبليغ.

وقد سبقه لهذا جدّه الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله حين شرح لأُمته ما سيؤول إليه حال ولده الحسين عليه السلام وأمر حينذاك الأمة جميعها بنصره.

وقد استمر الإمام عليه السلام في نهجه هذا من الدعوة إلى الانضمام إلى جيشه المبارك دون استثناء، فلم يُرَخَّص لأحد ابتداءً في ترك القتال، ولم يتقدّم لأحد بالمعذورية.

نعم: مرحلة الترخيص ابتدأت بعد بلوغ خبر استشهاد مسلم رضوان الله عليه للإمام عليه السلام.

ذلك أنّ كل من اتبع سيّد الشهداء طواعية والتحق بركبه، فإن الإمام عليه السلام قد رَخَّص له في تركه، والترخيص هنا يرفع التكليف الإلزامي، فالعقوبة الأخروية.

فمن انسحب من نصرّة الإمام عليه السلام - بناءً على ترخيص الإمام عليه السلام - فإنه يفعل ما هو مناف للمروءة، بتركه للإمام المعصوم وخليفة الله ورسوله صلّى الله عليه وآله في الأرض ومن لا تُحصى أياديّه على الأمة جماعات وأفراد، غير أنه لا يُعاقب أخروياً بالنار، لمكان ترخيص الإمام عليه السلام.

وأما من لم يلتحق به رأساً، فالتكليف ثابت في حقه، والإثم لاحق به، ولا ترخيص

(١) معالم المدرستين، ج٣ ص ٧٤.

لمثله ابداً^(١)، خصوصاً لمن طلب منه الإمام عليه السلام الالتحاق به كعبيد الله بن الحر الجعفي والذي أبى على الإمام عليه السلام عرضه، غير أنه عرّض عليه فرسه، فأجابه الإمام عليه السلام: «إن كنت رغبت عنا بنفسك، فلا حاجة لنا فيك ولا في فرسك».

ننقل ما ذكره الشيخ القرشي، عن بعض المقاتل، قول الإمام عليه السلام لبعض من صمد معه، وأصرّ على البقاء: «إن كنتم وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه، فاعلموا: أنّ الله إنما يهب المنازل الشريفة لعباده لاحتمال المكاره، وإن الله كان خصّني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاءً في الدنيا من الكرامات، بما يسهل عليّ معها احتمال المكروهات، فإنّ لكم شطراً من كرامات الله، واعلموا أن الدنيا حلوها ومرّها حلم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقي من شقي فيها»^(٢).

لقد صنع الحسين عليه السلام وأصحابه المعاجز في قتالهم لجند بني أمية. أما الحسين عليه السلام فالحديث في أمره يبتدأ ولا ينتهي حتى قيل فيه من أحد الأمويين: ما رأيت مكثوراً قط أربط جأشاً من الحسين^(٣)، وورد أنه: كان يهزم الالف من الرجال، وأنه قتل الكثير منهم مع أن مقدّمه الشريف كان مفروشاً بالسهم، حتى صاح ابن سعد «لعنه الله»:

هذا ابن الأنزع البطين

- لعظيم شجاعته، ولما أظهر من بطولاتٍ تذكّر بملاحم والده الوصي عليه السلام - .
وأما أصحابه فقد لقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح بصدورهم، والسيوف

(١) تكلمنا عن هذا المطلب بتوسع في كتابنا «العباس بن علي عليه السلام» وأوضحنا هناك ما نريد بيانه، فراجع فصل: الإمام عليه السلام وانصاره.

(٢) حياة الحسين عليه السلام، القرشي ج ٣ ص ١٦٦ هـ.

(٣) البحار، ج ٤ ص ٥٠.

بوجوههم، وهم يُعرض عليهم الأمان والأموال فيأبون ويقولون:
 «لا عذر لنا عند رسول الله ﷺ، إن قُتل الحسين عليه السلام، ومنا عين تطرف.
 حتى قتلوا حوله»^(١).

ووصفهم أحد جند بني أمية: ثارت علينا عصابة، أيديها في مقابض سيوفها
 كالأسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل
 الأمان ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين حياض المنيّة أو الاستيلاء على
 الملك، فلو كففنا عنها رويداً لآتت على نفوس العسكر بحذايرها^(٢).

(١) البحار، ج ٤٥ ص ٩٣.

(٢) العباس عليه السلام، للمقرم، ص ١٨٥، عن شرح النهج الحديدي، ج ١ ص ٣٠٧.

مسلم وما أدراك ما مسلم

دل اختيار الإمام المعصوم لمسلم رضوان الله عليه كممثل عنه وسفير له إلى أهل الكوفة على ملكات عظيمة نادرة في هذا الهاشمي الرباني، لم تكن لتبرز واضحة معلنة عن رفعة صاحبها، لو لا هذه السفارة الميمونة، على الرغم من كثرة بني هاشم بمحضر الإمام عليه السلام وتأهل جملة منهم لأمثال هذا المقام.

فالسفارة في مثل ذلك الظرف العصيب من عمر الإسلام والامة وأهل البيت عليهم السلام تستلزم وتحتم توفر جملة من الملكات والخصال والمواهب من المتحمّل لها بما لا تقتضيها في ظرف آخر.

ذكر السيّد الخوئي^(١) مبنئ له حول من يوكله الإمام عليه السلام لمهمة معينة وهو: «أن الوكالة لا تقتضي وثاقة الوكيل، بل غاية ما تقتضيه كفائته فيما وكله الإمام فيه، وقدرته على القيام به، وتوفر الشروط اللازم توفرها فيمن يؤدي هذه المهمة، دون شروط الكمال، فالوكالة لوحدها لا تدل على توفر أكثر من المقدار الذي يلزم توفره فيمن يتصدى لوكالة ما».

وهذا إن تم - ويمكن ذكر شواهد عدّة له - فهو في غير أمثال هذا التوكيل، وهذه السفارة حتماً، إذ أن ما أحاط بقضية الحسين عليه السلام من ملايسات، كانت تحتم توفر جملة من الخصال في سفير الإمام عليه السلام لأهل الكوفة بما به الدلالة على معتقد عظيم، ونزاهة، وإخلاص لله سبحانه، وتفان في جنب الإمام المظلوم.

(١) معجم رجال الحديث، السيّد الخوئي، ج ١ ص ٧٥.

كما دلت سيرة مسلم في الكوفة على ديانة عظيمة بحيث نلتزم بأنها مما لا مثيل لها في تلك الايام المصيرية من عمر الأمة، وان ذكرت بعض المصادر أن غاية ما كلفه به الإمام عليه السلام هو استعلام الموقف الحقيقي لأهل الكوفة، والكتابة إليه بصورة ذلك الواقع مع أخذ البيعة منهم.

ومما يصلح ان يكون شاهداً له ما ذكره الشيخ المفيد:

إن سيد الشهداء عليه السلام كتب إلى أهل الكوفة كتاباً أرسله مع مسلم رضوان الله عليه حين بعثه اليهم:

«وإني باعث اليكم أخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي، فإن كتب إلي أنه قد اجتمع رأيي مَلَيْكُمْ، وذوي الحجى والفضل منكم، على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله» ^(١).

قال الشيخ المفيد رحمته الله: ودعا الحسين بن علي عليه السلام مسلم بن عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعُمارة بن عبد السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وأمره بتقوى الله، وكتبان أمره، والطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك ^(٢).

وقال أيضاً - المفيد -: وقدّم أمامه ابن عمه مسلم بن عقيل «رضي الله عنه وأرضاه» للدعوة إلى الله، والبيعة له على الجهاد، فبايعه أهل الكوفة على ذلك، وعاهدوه، وضمنوا له النصرة والنصيحة، ووثقوا له في ذلك وعاقدوه، ثم لم تطل المدة بهم حتى نكثوا بيعته، وخذلوه، وأسلموه، فقتل بينهم، ولم يمنعوه، وخرجوا إلى الحسين عليه السلام ^(٣).....

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٣٩.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٣٩.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٣١.

فالإمام المظلوم ﷺ لم يأمر مسلماً بالقتال وإنما أوصاه بكتبان أمره، واللفظ، والكتابة إليه بما يكون عليه حال الناس - من الانقياد له - حتى يقدم عليه عاجلاً.

لكن هناك إيراد طرحه البعض، ونقله العلامة المطهري:

أن كل المعترضين انتقدوا تقييم مسلم لأوضاع الكوفة وتتهمه بالضعف^(١).

ويقول العلامة القرشي: إن جيش مسلم مُني بهزيمة مخزية لا مثيل لها في التاريخ، من دون أن تكون قبالة أية قوة عسكرية.

والإيراد الأخير يتعلق أولاً وبالذات:

بأهل الكوفة لأنهم جيش مسلم إذ فرّوا وتشتتوا مع عدم وجود أية قوة عسكرية قباهم في داخل المدينة، ولم تتوجّه اليهم أية قوة من خارجها.

كما يتعلق هذا الإيراد بمسلم رضوان الله عليه:

من جهة أنه قائد الجيش، وأنه كان عليه استخدام قدراته ومهاراته وامكانياته للمحافظة على الجيش من الانهيار وإيجاد حالة التماسك لدى أفرادهِ حتى قدوم الإمام ﷺ.

ولابأس بتسجيل إیرادات أخرى، لمناقشتها وللجواب عنها، ترفلاً إلى المولى سبحانه، وإن كان مسلم، وعظمته، وأوحيته في ميدانه، كالشمس في رائعة النهار. فبالإضافة إلى الإیرادين المتقدمين، هناك ثالث، وهو:

إنّ مسلماً كتب - وهو في طريقه إلى الكوفة - إلى الإمام ﷺ بعد موت الدليلين يستفهمه عن صوابية رجوعه إلى مكة من عدمها، وقد أجابه سيد الشهداء ﷺ بجواب حازم، بحسب ما ورد في كتب التاريخ.

الإيراد الرابع: إن مسلماً امتنع من قتل ابن زياد لما جاء عائداً لشريك في مرضه، وهذا

(١) الملحمة، الشيخ المطهري، ج ٣ ص ٣٥٥.

الامتناع أدى إلى نجاة ابن زياد، وكل الأحداث التي جرت فيما بعد، كان لوجود ابن زياد خصوصية في جريانها بالشكل الذي جرت به، فلو قُتل لتغيرت المعادلات، ولما قُتل الإمام عليه السلام.

الإيراد الخامس: إنه رضوان الله تعالى عليه أعلن القتال ولم يوصه الإمام عليه السلام بذلك وكانت المصلحة - ظاهراً - في التأني وتأخير البدء بالمواجهة إلى حين حضور الإمام عليه السلام أرض الكوفة - إذ في وجود الإمام عليه السلام حين إعلان الثورة خصوصية ومنفعة كبيرة، إذ تدفع بالثورة إلى الإمام عليه السلام، ويؤدي وجوده المقدس إلى كثرة التفاف الناس حول حركته المقدسة - غير أن استعجال مسلم رضوان الله عليه وإعلانه المواجهة، هيأ فرصة ذهبية لابن زياد كي يُجَبِّطَها ويقلب الأمور رأساً على عقب.

فتنهارة الثورة.

ويُقتل مسلم.

وينتقل أهل الكوفة من صف الحسين عليه السلام إلى جند لبني أمية - أعداء الإمام والأئمة جمعاء -.

بدءاً:

يقول العلامة القرشي: إن مسلم في الشجاعة يأتي بعد الأئمة المعصومين، ومراجعة ما صنعه في قتاله عند بيت طوعة يؤكد هذا ^(١).

وقال: كان مسلم يوصي الكوفيين بكتان أمرهم حتى قدوم الإمام عليه السلام ^(٢).

أقول: إن الكوفة بلد مُصَّر كقاعدة عسكرية للدولة في تلك الفترة كي تكون رديفاً للجيوش الفاتحة ومرجعاً لها في تعزيزها، فهي إذن بلد يغلب على أهله طابع الروح

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢ ص ٣٩٤.

(٢) نفس المصدر، ج ٢ ص ٣٤٥.

القتالية والعسكرية، وكانت أيضاً عاصمة لسيد الأوصياء عليه السلام، فأهلها كانوا يشكّلون معظم جيشه، ومثل هذا البلد يمثل أهمية عظمى كقوة معتمدة للمهمات، من طرف الدولة، ومن طرف أية جهة تعارضها.

وثانياً: إن هذه البلدة تتسم بكثرة الفئات المتخالفة بينها، مع اشتراك أغلبها بقاسم مشترك، هو معارضة الدولة وَتَبَنِي العمل على إزالتها، كموقف ديني، وكموقف دفاعي، وذلك لعدوانية الدولة وشدة وطأتها عليهم.

وثالثاً: إن هذه المدينة نالت من الاضطهاد والفجائع خلال حكم معاوية ما لم تُصَبَّ به أية حاضرة من حواضر الإسلام، فقد فعل زياد بالكوفة الأفاعيل بأمر معاوية. ورابعاً: إن أهل الكوفة بالنسبة لمستوى ارتباطهم بآل البيت عليهم السلام مراتب:

أ- فمجموعة غير قليلة منهم، من الشيعة الموالين المخلصين لأهل البيت عليهم السلام.
ب- و أخرى من المحبين لهم - أي أنّ مرتبتهم دون الفئة الأولى من جهة قوّة الرابطة باهل البيت عليهم السلام - .

ج- ونسبة أخرى ممن يفضلهم على آل أمية، وعلى حكمهم الجاهلي المقيت.
د- ونسبة عالية من فئات أخرى، معارضة للدولة وكارهة لها وإن لم تلتق مع أهل البيت عليهم السلام برابط عقائدي، إلا أنّ البعض منهم بلا شك يُفَضِّل أهل البيت عليهم السلام لصراحة آل أمية في مخالفة أحكام الإسلام، ولهمجيتهم في حكم الناس، ولعدوانهم المستمر عليهم.

هـ- هناك نسبة في الكوفة تبغض أهل البيت عليهم السلام وتعاديتهم وتبني محاربتهم، وهي فئة قليلة نسبةً لبقية الفئات إلا أنّها كانت قويّة ومؤثرة لمساندة الدولة لها مادياً ومعنوياً. فالنتيجة: أنّ عامة شرائح الكوفة مع الإمام الحسين لو خُليت ونفسها، ورُفعت

عنها الضغوط.

خامساً: ان أهل الكوفة - نسبةً إلى باقي أهل المدن الإسلامية الأخرى - يتمتعون بوعي فكري وسياسي عالي يؤهلهم أكثر من غيرهم للاعتماد عليهم في مثل هذه المهمات والظروف.

سادساً: إن أهل الكوفة أعلنوا خلال سنوات طويلة استعدادهم لمقارعة السلطة الأموية ومنازلتها بقيادة أهل البيت عليهم السلام بل إن قسماً كبيراً منهم لم يكونوا راضين عن التحكيم بين الإمام عليه السلام ومعاوية وأحدثوا فتناً وفوضىً ومجازر لرفضهم هذا، وقسم مهم آخر لم يكونوا راضين أصلاً عن صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية مع تشيعهم وولائهم للأئمة عليهم السلام وهذا التصميم منهم استمر لسنوات طويلة مع ما عرفوه وقاسوه خلال تلك السنوات من بطش آل أمية، وكل هذا يدل على صلادة في الموقف، يُقطع معها بصدق نياتهم، وصحة الاعتماد عليهم.

هذه العوامل مجتمعة وغيرها تجعل من الاعتماد على أهل الكوفة في النهضة ضد دولة آل أمية أمراً منطقياً جداً وراجحاً، كما أن طواعيتهم مع هذه النهضة لابد أن تكون بنسبة عالية للوجوه المازة الذكر، وهذا يؤدي أيضاً إلى صحّة رسم خطة العمل معهم بناءً على مقتضيات ما مر.

ومع ملاحظة كل ما تقدم نضيف: ان آلاف الرسائل وصلت إلى الإمام عليه السلام معبرة عن تضامن أهل الكوفة معه واستنصارهم به ومعاهدتهم إيّاه على النصرة والثبات، والرسائل الكثيرة الذين حضروا إلى مكة حيث الإمام عليه السلام كانوا من شخصيات أهل الكوفة ومن الواعين وقد اكدوا للإمام عليه السلام عزمهم، وصدق الناس في نياتهم، وعزموا عليه الحضور، وبدء النهضة، كل هذا والدولة قائمة وقوية.

ثم جاء مسلم إلى الكوفة فاقبلت الناس عليه من ارجائها لمعاهدته ومبايعته، فأبي

تشخيص لأوضاع الكوفة - مع ملاحظة كل ما قدمناه - أصبح من تشخيص مسلم وتقييمه لأوضاعها، ومن الأكيد أن يكتب للإمام ﷺ والحال هذا بالقدوم سريعاً لقيادة ثورة أهلها على السلطة القائمة.

رئيس واحد من شيوخ عشائر الكوفة مع أفراد عشيرته كافٍ لإنجاح الضربة الأولى ضد الدولة واحتلال الكوفة وترتيب الأوضاع للمنازلة الكبرى مع العُصبة الأموية الفاجرة وهانئ رضوان الله تعالى عليه مع عشيرته المطاوعة كان كافياً جداً في هذا المجال كما كان متضامناً مع مسلم ومخلصاً له.

المسألة لم تنبع من سوء تشخيص مسلم ﷺ بل من جوانب أخرى من الأهمية بمكان:

١- ان ضربات الدولة المتجبرة لأهل الكوفة خلال سنين كثيرة احدثت فيهم غضباً وحقدًا هائلاً، وكذلك أودعت في نفوسهم رعباً منها ووهناً من مواجهتها، وقناعة لاستحالة قلعها من جذورها وإنهاء وجودها، ولذلك فبمجرد أن نشر ابن زياد جواسيسه وأزلامه وقام هؤلاء ببث أكذوبة أن جيوش الشام في طريقها إلى الكوفة، فأن التخاذل بدأ يدب فيهم وروح الاستسلام تتغلغل في جوانحهم حتى استولت عليهم.

٢- إن بمقتضى النظام العشائري الجاري في بلاد العرب فإن أكثر الناس تتبع شيخ العشيرة وتحترم كلمته وتطيع أمره، وكثير من هؤلاء الرؤساء يتخذون قرارهم تبعاً لمصلحة الساعة وما يقتضيه الوضع الفعلي، دون أن يحسب لأوامر الدين حساباً، ودون أن يجعل قوانين الإسلام مرجعه في المهمات والملمات، فهؤلاء يستطيعون بسهولة تامة تغيير مجرى الأحداث وجهة اطاعه اتباعهم، وقد قام جمع منهم بالمشاركة في تثبيط الناس عن الإمام من جهة، وفي الدعوة إلى الخضوع لأوامر السلطان وللسير طبق رغباته لاستدرا عطاياه وللنجاة من سطوته وبهذا فقد وُطدوا الأركان كي يُنجز ابن

زياد جريمته.

٣- ان ابن زياد قام بحركات عدّة - تنبع من دهائه وتجربته في الحكم - لتفتيت جمع الناس وتشتيت تكتلهم، بالتهديد بجيش الشام، وبقطع أرزاقهم، أو تهديد شيوخ العشائر والعرفاء وغيرهم لإحداث الأثر المطلوب.

فالوهن إذن ليس في سوء تشخيص مسلم عليه السلام وإنما لطبيعة الجبن والتقلب السريع وتقديم حب الدنيا على الآخرة وتقديم أسباب الراحة على التضحية والفداء، المودعة في نفسية أهل الكوفة والتي أدت إلى هذا الانقلاب الهائل في موقفهم وانهزامهم من غير أن يقابلوا جيشاً.

ولعل إدخال مسلم لأهل الكوفة في معركة مع قوات الدولة لأجل أن تتعزز نفوسهم بالنصر، وينقطع عليهم خط الرجعة، ويكون أرجى في ثباتهم إلى حين وصول الإمام واستلامه دفعة الأمور، ولكل هذا ما يبرره ظاهراً.

إلاّ أنّه رضوان الله تعالى عليه ما كان له أن يتخذ هذا القرار بدوياً، لأنه لم يجد داعياً لذلك، ولم يؤمر به - بحسب ما بلغنا - وكانت الأمور تجري بشكل جيد، منتظراً لقدم الإمام عليه السلام عليه، فيتخذ الإمام عليه السلام حينها الموقف المناسب، إلاّ أنّ الأحداث تسارعت، وتطلّبت منه اتخاذ إجراء سريع لتدارك الموقف، وهكذا تسلسلت الأحداث إلى ما بلغته.

وأما تطير مسلم رضوان الله تعالى عليه وما كتبه للإمام عليه السلام وجواب الإمام عليه السلام له فقد جزم الشيخ القرشي^(١) بأنّ هذه القضية بتفاصيلها من الموضوعات ومن جملة الدسائس التاريخية لتشوية أحد أبطال القضية الحسينية وأنّى لمسلم هذا والواجب الشرعي يقتضي ما يأمره به الإمام عليه السلام ووضع الشيعة وأهل البيت قد بلغ الزبى منذ

(١) حياة الحسين عليه السلام، القرشي، ج ٢ ص ٣٤٣.

قراة العشرين عاماً، فلا بُدَّ من تضحيةٍ لإرجاع الأمور إلى مجاريها، والحق إلى أهله.
وأما امتناع مسلم رضوان الله تعالى عليه عن قتل ابن زياد لما جاء عائداً لشريك في دار هاني فقد تعرضنا له بشكل مفصّل في كتابنا - مسلم بن عقيل^(١) - ووجهه:
أ- ما ذكره مسلم من امتناعه عن الاغتيال، وذلك لنصّ عن النبي الأكرم: «الإيمان قيد الفتك»^(٢).

ب- وفي نقل البعض ان هانئاً منعه من القتل.

ج- وفي نقل آخر ان امرأة هاني قد منعتة من القتل^(٣).

والسر في موقف هاني أو امرأته هو أنّ إهانة الضيف وطرده، أو فعل أمر من هذا القبيل معه - خصوصاً من قبل هاني شيخ العشيرة، والذي ينبغي أن يكون مضيفاً كريماً ملجئاً للناس، ومحطاً لأمنهم - يكون سبباً لإدخال العار بين العرب على من اهانه، ومدعاة لمنقصته ومهانته ومذلته بين الناس، فكيف وقد قتل ضيفه، ومن دخل داره، وجلس على بساطه، وشرب وأكل من طعامه وشرابه، وارتاح إلى أمنه فإن في هذا أعظم العار عليه بين العرب.

كما أن قتل ابن زياد في دار هاني شيخ العشيرة سبب لإبادة الدولة لهذه العشيرة وسبب لتحريش أتباع ابن زياد على هذه القبيلة فيستفحل فيها القتل، ثم أن ابن زياد على كل حال قد أحس بدقة الوضع وتخوف فخرج سريعاً.

على أن الشيخ المفيد في الإرشاد، والسيد ابن طاووس في الملهوف لم يذكرا حضور ابن زياد في دار هاني مع أهمية القضية إذ لا بُدَّ لهما من ذكرها، وهذا ما يثير الشك في

(١) راجع كتابنا «مسلم بن عقيل» ص.

(٢) نقلتها مصادر عدة، راجع كتابنا «مسلم بن عقيل» ص.

(٣) مسلم، للمقرّم، ص ٩٤.

أصل حصولها.

ومن المفيد جداً الاطلاع على ما أفاده الشيخ القرشي^(١) توجيهاً لعدم إقدام مسلم على قتل ابن زياد في دار هانئ بن عروة.

ونزيد عليه بأن الرواية: «الإيمان قيد الفتك»

تعني أن المؤمن مرتبط بإيمانه ما دام لم يصدر منه فتك، فإذا فتك انحل قيد ارتباطه بإيمانه، وهذا البيان يُفيد حرمة الفتك، بل كونه من كبائر الذنوب والتي تستوجب نار الآخرة والعذاب العظيم.

والفتك ليس نفس معنى الاغتيال بالتمام - كما ذكر هذا البعض -، بل الفتك اغتيال وزيادة، والزيادة هي كون الشخص المراد قتله في أجواء تأمين بها يعني استلزام قتله لصدق عنوان الغدر على العملية، فتحرم.

إن البعض قد لا يستوعب وجه ترك الفتك بابن زياد وامثاله، ووجود مساحة في التشريع لمثل هكذا حكم، بعد أن أَلَفَ كثير من أفراد النوع الإنساني ارتكاب ما يُريد، بالتوسل بآية وسيلة تكوينية أو تشريعية لتحقيق ما يصبو إليه، وإن وجد بينه وبين ما يصبوا إليه أَلَفَ مانع ومانع.

إذ إن نهج التبرير، والغاية تبرّر الوسيلة، وتحقيق المراد وإن كان بيننا وبينه مانع، فضلاً عن حالة توفر الموانع الكثر، هو سلوك منبوذ في الإسلام، وفي منهج الحركة الحسينية بالتالي.

ولا نعدم الشواهد المتعددة على أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يسرون سيرة مبدئية ليس لها نظير في تاريخ الدنيا، ولا يُقعدهم عن مبدئيتهم رغبة لهم أو أمنية، كائناً ما

(١) حياة الحسين عليه السلام، للقرشي، ج ٢ ص ٣٦٥.

كانت، ما دامت غير مطلوبة من الله تبارك وتقدس، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «اتقوا الله وعليكم بأداء الأمانة إلى من ائتمنكم فلو أن قاتل علي ائتمني على أمانة لأديتها إليه»^(١). وعن الصادق (عليه السلام): «أدّ الأمانة إلى من ائتمنك وأراد منك النصيحة ولو إلى قاتل الحسين (عليه السلام)»^(٢).

وعن مولانا الإمام زين العابدين (عليه السلام): «عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً لو أن قاتل أبي الحسين (عليه السلام) ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه»^(٣). وهذا سيد الشهداء (عليه السلام) يخرج من مكة كيلاً تُنتهك به حرمة الحرم. ومسلم على هذا النهج إذ ترك قتل ابن زياد فتكاً لقيام الحجة على عدم جواز اتخاذ الفتك سبيلاً.

وأما إعلان مسلم رضوان الله تعالى عليه للثورة ولما يحضر الإمام (عليه السلام) فلدقة الوضع وصرامته، وللقبض على هانئ، وللخوف من فشل القضية والحركة بكل كيائها، وللأبدية المحافظة على الوجود حين مقدم الإمام (عليه السلام)، والرغبة في السيطرة على الموقف، فقد صدر عن مسلم هذا الإعلان. وقد نجح مسلم في هذا نجاحاً هائلاً وسيطر على الموقف وتعززت نفوس مقاتليه، ولكن...

إن الله ورسوله أرادا للأمة الحياة الأسعد الأطهر، غير أن حب الدنيا، وبغض الوصي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) غلب على نفوس جمع فحالوا بين الوصي والخلافة.

(١) وسائل الشيعة، ج ١٩ ص ٧٢ ح ٢.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٧٣ ح ٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٧٦ ح ١٣.

فالأمة تخاذلت عن نصره الوصي، فحرمت نفسها من استدرار البركات الإلهية. لكن الأمة انتفضت ورجعت إلى أحلامها حينما نكل عثمان بها وأذلها ومنعها عطائها وفضل أقرابه عليها فقتل، ومالت الأمة إلى الوصي من جديد فبايعته وأكدت رغبتها فيه. فقام الوصي بالأمر ونهج بهم نهج الكتاب والسنة لكن الأمة أصابها الملل من مقارعة الفتن وغلب عليها حب الراحة فخذلت الوصي وولده المجتبي حتى لم يبقَ من يقاتل بأمر الإمام المجتبي الا نزر لا يقوم بهم قتال فترك الإمام الخلافة.

اغتصبها معاوية وفعل بالأمة الأفاعيل مما حدث به التاريخ وهي من أكثر الصفحات قتامة وخزياً في تاريخ الإسلام فنشطت الأمة من جديد فوجدت الإمام سيد الشهداء مستعداً لقيادتها وانتشال الإسلام وبلاده واهله، فمشت الأمة مع الحسين عليه السلام خطوة، لكنها خذلتها -كعادتها- حباً بالراحة والسلامة ف وقعت الجريمة الأعظم في الدنيا، وهذه هي المرة الثالثة التي تخاذلت الأمة عن الأوصياء من أصحاب الكساء وحرمت نفسها من العيش في كنف أهل البيت والكتاب والسنة بعد ما ذقت فترتين من فترات المحنة والاضطهاد، فمن حينها لم يأذن الله سبحانه بالفرج ولأوليائه بالخروج والنهضة إلى ما شاء تبارك وتعالى. حتى ترى الأمة من خذلت، وعمن تكاسلت وتقاعست، ولقتال من تركت، وبمن ابتليت.

لأبد للأمة من عقوبة، ولأبد للآثر الوضعي أن يأخذ أثره ويكون ما ذكرته الزهراء لأهل المدينة:

فأبشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وعيشكم حصيداً.

نعم خروج الإمام المهدي عليه السلام ورفع العقوبة عن الأمة منوط برجوع الأمة إلى ربها،

ولبسها لأكفانها، وقطع ارتباطها بالراحة والكسل والتواكل وحب الدنيا وإيثار الحياة على الموت، وهذا إلى حد الآن لم يحصل بالمستوى المطلوب، فالبلاء مستمر.

نسأل المولى سبحانه أن يحمينا بحصنه -الحسين عليه السلام- - ويعفو عن جرائمنا بحق أنفسنا وبحق قادتنا الربانيين وبحق ديننا.

نسأل الله سبحانه أن يعفو عن تقصيرنا بحقوقه علينا، ونعمه الكثير عندنا، وإنَّها لَفِتْنٌ تذر الحليم حيراناً، وهكذا أوعدنا.

المرأة في كربلاء

حالما يتحدّث المرء عن هذا الجانب من المسيرة الحسينيّة، فأوّل ما يحضر في الذهن مواقف وخطب وجهاد عقيلة بني هاشم.

بنت علي وفاطمة عليهما السلام.

وأخت الحسن والحسين والعباس عليهم السلام:

زينب عليها السلام

إمرأة أحاطها الله سبحانه - بعنايته وكرمه - بابطال البشرية وسادتها، ومن هم الأقرب إليه سبحانه من بين جميع خلقه على الإطلاق، فنهلت - سلام الله عليها - من هذه المناهل، وسخرت ما اكتسبته من تربية علي وفاطمة عليهما السلام في خدمة الحسين عليه السلام ونهضته وأهدافه، وما زالت اصدااء خطبها تدوي في اصول آذاننا، ولا زلنا نتفياً - نحن واولادنا ومن له عُلقَةٌ بنا - في ظلال بركات تلك الجهود وتلك الصرخات المدويّة في قصور الظالمين والجبابرة.

تتحدّث كتب التاريخ والسيرة عن مواقف لها قليلة قبل يوم عاشوراء، وأخرى أكثر منها في أثنائه، غير أنّ جُلّ المنقول عنها واهمه هو ما صدر عنها بعد استشهاد الإمام عليه السلام. تحمّلت السيّدة زينب عليها السلام العبء الرئيسي من بعد استشهاد الإمام السبط عليه السلام في جمع شمل عائلة الإمام عليه السلام وفي حمايتهم من سطوات الظالمين، وفي القيام بالجزء الثاني من المسيرة الحسينية المظفّرة.

ومن المنقول عنها في تلك المسيرة حُطبتاها العظيمنتان، الأولى في الكوفة، والثانية في القصر الملكي في دمشق.
أمّا التي ألقته في الكوفة:

«الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار:

أما بعد يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر أتبكون، فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة، إنما مثلكم كمثّل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون أيمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف والنطف، وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة، أو كفضة على ملحودة ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتبكون وتنتحبون إي والله فابكوا كثيرا واضحكوا قليلا، فلفقد ذهبتم بعارها وشنانها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم الانبياء، وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم، ومدره ستكم ألا ساء ما تزررون، وبعدا لكم وسحقا فلفقد خاب السعي وتبت الايدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتكم، لقد جئتم بهم صلعاء عنقاء سواء فقهاء « وفي بعضها: خرقاء شوهاء » كطلاع الأرض، وملاء السماء، أفعجبتكم أن قطرت السماء دما، ولعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل فانه لا تحفره البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإن ربكم لبا المرصاد»^(١).

وهذه التي ألقته في دمشق:

«الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول:

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٥ ص ١٠٨.

﴿ثُمَّ كَانَ عَنِقَةَ الَّذِينَ أَشْتَوْا السَّوَاءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الاسارى أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة وأن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والامور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلا مهلا أنسيت قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْهُمْ لَنْفُصِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾^(٢) أمن العدل يا ابن الطلقاء تحذيرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحذو بهنّ الاعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الازكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء وكيف يُستبطى في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والاحن والاضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

وأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تُشل

منتحيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الارض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تنادهم فلتردن وشيكا موردتهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته وانتهكت من حرمة في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

شعثهم، ويأخذ بحقهم، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، حسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصياً وبجبرئيل ظهيراً، وسيعلم من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك واستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دماننا والافواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتناها العواسل وتعفوها امهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً، حين لا تجد إلا ما قدمت وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تमित وحيناً، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

لقد طُرح - بتأكيد - التساؤل حول وجه اصطحاب الإمام الحسين عليه السلام لمجموعة من العوائل معه.

ذلك أنه عليه السلام لم يكتفِ باصطحاب عائلته الخاصّة به فقط، إذ عيال المرء: زوجاته واولاده ومن يتصل بهم من أحفادٍ وزوجات أبناء ونحو هؤلاء.

بل نجد معه: زينب عفيفة بني هاشم عليه السلام وابناها - ولا يحسبوا من عائلة الإمام عليه السلام بالمعنى الأخص المعروف المتقدم ذكره بل بمعنى أعمّ قليلاً وأشمل -.

وأيضاً: جمعٌ من آل الإمام الحسن عليه السلام، وآل جعفر، وآل عقيل، فهناك إذن في الجمع

نساء تتعلّق بهم، بالإضافة إلى من تتعلّق بصحبه المرافقين له.

وعلى كلّ: فإنّ هذا الجانب - أي تحديد من حضر مع الإمام (عليه السلام) من النساء والصبيّة - أمرٌ غير مستقصى في كتب السيرة والتاريخ بشكل يتّضح به المقام جلياً.

ونؤكّد: ان مسألة أخذ الإمام (عليه السلام) نساءً وصبيّةً معه، مما كثر طرحها، كما ذكّرت بشأنها مجموعة من الأجوبة.

ولنا في هذا المجال جواب نسرده كالتالي:

إنّ المعروف والواضح من سياسة بني أميّة، وطريقة حكمهم للعالم الإسلامي - كطريقة أخذهم لأصل الحكم - أنّهم لا يأبهون لضوابط وموازن دينٍ أو عُرفٍ، كما لا يترشّح عنهم من السلوك ما هو مقتضى الخصال والصفات النبيلة.

فكلما أحوجهم شيء أخذوا به.

وكلّما يتوقف عليه غلبتْهُمْ فعلوه دون أيّ وازع من عقل أو دينٍ أو ضمير يحدّد لهم ما يصحّ الاخذ به وما لا يصحّ، وما يلزم الاستحياء من فعله وما ليس كذلك.

ومن جملة ما صدر عنهم، تعرّضهم للنساء والأطفال، للفتّ في عزائم الرجال، ولإرباك تحركاتهم، ولتخطيط معنوياتهم.

منه: ما صدر عن جيوش معاوية - أيّام حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) للعالم الإسلامي - من الإغارة على أطراف دولته قتلاً وسلباً، فلا ينجو من شرّها أحد، بما فيهم المرأة المسلمة والمعاهدة.

في نهج البلاغة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف أفعال جيش معاوية:

«ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فيتنزع حجلها، وقُلبها، وقلائدها، ورُعثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع

والاسترحام.. فلو أنّ امرءاً مُسلمًا مات من بعد هذا أسفًا، ما كان به ملومًا، بل كان به عندي جديرًا»^(١).

ومن مآثر معاوية - مخازيه - الجيش الذي ارسله بقيادة بُسر بن أرطأة من الشام إلى اليمن - وكانت اغلب هذه المناطق تحت حكم أمير المؤمنين (ع) - ففعل بُسر الأفاعيل بالناس حتى وصل إلى اليمن فقتل وسلب وذبح الاطفال وباع نساء المسلمين في أسواق اليمن، وكانوا يكشفون عن سيقان النساء في الاسواق فيتم تقدير اسعارهن على هذا الأساس^(٢).

وهذا عمرو بن الحمق الخزاعي، الصحابي الجليل، والعابد الزاهد، طلبه معاوية للتنكيل به لأنه كان من نخبة شيعة علي بن أبي طالب (ع) ومحبيه وأهل ولاءه فامتنع منه واختفى في بعض كهوف الموصل، فما كان من معاوية إلا أن أمر باعتقال زوجته وارسالها إليه في الشام، فلما بلغت الشام أودعها السجن، فلبث فيه حتى تمكنت جيوش معاوية من زوجها فقطعوا رأسه وارسلوه إلى معاوية، فأمر بالقائه إليها في سجنها، فرمي به إليها، فعَلَّ الأراذل الجبناء.

هذه سياسة معاوية وافعاله قبل توليه للخلافة وبعدها، ودَعَّ عَنْكَ عشرين عاماً سامَ خلالها الأمة الإسلامية كُلَّ ما تفتّت عنه عَقْلِيَّتُهُ الجاهلية والشيطانية من ذُلِّ وإهانة وتحقير وقتل وسمل للأعين وهدم للدور وما لا يُحصى من ألوان الإجرام، ولم تشفع للامة الإسلامية حُؤُولُهُ معاوية لهم، ولا كتابته للوحي !!!

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧، والمعاهدة: المرأة الكتابية التي لها معاهدة ومعاهدة مع ولي المسلمين تصون لها دمها وعرضها ومالها إن عاشت في بلد المسلمين وفق شروط عدّة، والخلج: الخلل، والقلب: جمع قلب وهو السوار، والرُعْث جمع رعاث وهو ضرب من الخرز، راجع: نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص ٥٩.

(٢) راجع: الغدير، الأميني، ج ١ ص ٣١ وما بعدها.

نعم تستذكر الأمة جيداً أنّ النبي ﷺ قال لهم: «إذ أرايتم معاوية على منبري هذا فاقتلوه» أو: «فاقتلوه بطنه» وما فعلت.

بل تراخت عنه، فذاقت عاقبة إهمالها وتقاعسها وحُبّها للراحة ولرخي الحال. فإذاً: كان التعرّض للنساء والاطفال من السياسة الثابتة للدولة الأموية، وذلك لاستغلال ضعف هذين الصنفين كثرة للضغط من خلالها على الرجال، أو على أولى الأمر من قادة الأمة الإسلامية الحقيقيين، أو للضغط على كل جهة معارضة للفئة الحاكمة.

ومعلوم: أن الباعث لهذه السياسة، هو استغلال نُقْطَةِ ضَعْفٍ في كلّ امرئ مهما كانت ديانتَه وخِصَالُهُ، من المحافظة على عرضه وصيانته والدفاع عنه بكلّ غالٍ ونفيس، حتى قد يدفع المرء حياته ثمناً في سبيل هذه المحافظة والصيانة والذود عن العرض. وقُلْ في جانب المحافظة على الصِبيّة كذلك، فترى كل إنسان يسعى للمحافظة على صغيره، وتلبية مطالبه، ودفع المكاره عنه، ويتحمّل مُرَّ متاعب الحياة ومشاقّها لتحقيق هذه الاغراض.

وكل ما تقدم مقتضى الإنسانية وفطرتها، كما أن الدين الإسلامي الحنيف أكّد عليها وعضدها وأمر بها تشييداً لحكم الفطرة وتكميلاً لإنسانية الإنسان، إلّا أنه - شأنه في جميع جوانب الحياة - هدّبها واعطاها موقعها الصحيح.

وقد استمر نهج معاوية - الخياني للإسلام والأُمَّة - طيلة عهده، بل بقي إلى آخر عهد بني أمية نهجاً ثابتاً للطواغيت وللمتمردين على احكام الإسلام والفطرة معاً. فهذا عصر يزيد مليء بالمصاديق المفجعة لهذه السياسة، وكذا فترة من جاء بعده،

ومن جملتهم الحجاج والذي وُجدَ في سجنه بعد موته آلاف النساء.

عهدُ يزيد:

عُرف يزيد في حياة أبيه بأنه قرين هو وسفاسف وفجور، فلم تُعرف عنه خصلةٌ كريمة، ولا حياة هادفة، ولا التزام ديني، وقد اعترضت جميع اطراف الأمة على تولية معاوية له لفقدانه كل مؤهل.

بل الصحيح: إن توليته كانت اهانة كُبرى للأمة الإسلامية جمعاء إذ كان عنوان الكرسي الأول في السلطة يومذاك هو:

الخلافة عن الله ورسوله في الارض.

ومع وضوح قداسة هذا العنوان ومصيرية هذا المنصب للإسلام ولقدسائه وللامة، فان الأمة لم تُعط رأيها لأحد أبداً كمستحق لهذا المنصب باستثناء أشخاص ثلاثة:

الأول: علي بن أبي طالب - صلوات الله عليه وسلامه -.

والثاني: الحسن بن علي بن أبي طالب - عليه الصلاة والسلام -.

والثالث: الحسين بن علي بن أبي طالب - عليه الصلاة والسلام -.

مع ان الجهة التي بايعتهم لم تكن منحصرة بشيعتهم أو أهل الولاء لهم أبداً، بل كانت شرائح مختلفة، وتوجهات متعددة، وعقائد وسلوكيات متضادة، ومع ذلك اتفقت كلمتها على تقديمهم لهذا المنصب عن طواعية ورغبة وتسليم وشوق لم يُعهد مثله لأحد من أول تأريخ الإسلام إلى اليوم.

وأما أول الخلفاء - أبو بكر - فقد عقد البيعة له أفراداً، هم عمر وابو عبيدة وآخرون، ثم بايعه الأوس بغضاً لسعد بن عباد سيد الخزرج ان يتناولها، وخُبطَ الناس بعدها خبطاً بالسيوف لإتمامها، والتاريخ الذي سجله الجمهور شاهد على هذا.

وأمّا عمر فقد عيّنه أبو بكر تعييناً.

وعثمان: نال الامر عن طريق عمر، إذ جعل عمر الخلافة ضمن ستة وجعل أمر تعيين الخليفة بيدهم ومن بينهم، فسُلبت الأمة حقها - على رأي غير الإمامية في الأقلّ - في تعيين حاكمها ومتوليّ أمرها، ثم رتب عمر الأمر بحيث جعله يصل بشكل قطعي إلى عثمان، إذ قال: إذا اتفق خمسة واعترضهم واحد فيُقتل هذا المعترض، وإذا اتفق أربعة مقابل اثنين فيُقتل الاثنين.

وإذا اتفق ثلاثة وثلاثة فيؤخذ برأي الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف - وهو صهر عثمان فسيميل إليه قطعاً - وإذا لم يتفقوا إلى مدى ثلاثة أيام فيُقتل الستة بأجمعهم^(١).

ومن التأمل في قانون الانتخاب الذي سنّه عمر يظهر أنّه كان يخطط لحرمان علي أمير المؤمنين عليه السلام من الخلافة التي بايعه عليها مائة ألف أو أكثر من الصحابة يوم الغدير العظيم، بل أنّه كان يسعى لقتله، ذلك أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان سيخالفهم على آية حال، وهذا هو الذي حصل واقعاً، كما أنّ ميل طلحة إلى الأمير ليس بأكيد إذ أنّه تيميّ، والعصبيّة القبليّة والعائليّة موجودة في تلك الفترة بقوة، فمن شبه الأكيد وصول الحالة إلى ما به قتل الإمام عليه السلام غير أن الامور جرت على كل حال لما كان يخطط له عمر - في الجملة - واعتلى عثمان الاموي مقام رسول الله ﷺ.

هكذا بلغ الخلفاء الثلاثة سدة الحكم، ومقام النبي الأطهر، ومنصب الحاكمية

(١) تأمل جيداً في أمره بقتل المخالف للأكثرية في هذه الشورى، وهل لهذا مثيل في الإسلام أو في امم الارض كلها، مع أن هؤلاء كانوا نخبة الأمة في تلك الفترة بتظر عمر، وفي نظرنا - الإمامية - ان نخبة الأمة هو علي بن أبي طالب وصي النبي وخليفة الله ورسوله في الارض والمعصوم بحكم الكتاب والسنة ومن إذا خالفه أحد - كائناً من كان - فهو مستحق للنار قطعاً.

والولاية العظمى للامة، واما معاوية فقد فعل كل رذيلة وجريمة وأشعل بلاد المسلمين بالفتن لغرض نيل الزعامة والتروّس والاستيلاء على مقاليد الامور، فهو الذي قدح زناد فتنة عائشة وطلحة والزبير-الناكثين- أملاً في التخلص من جميع الأطراف أو في بلوغها مرتبةً من الضعف بحيث يستولي على الأمر بسهولة إذ لا أمل له في الحصول على شيء مع وجود هذه الاطراف وقوّتها.

وهو رأس القاسطين.

وسبب فتنة المارقين-الخوارج-.

بل هو فرعون هذه الأمة كما ورد في النصوص^(١).

وهذه كتب المسلمين قاطبةً تنقل كيف تولّى يزيد الأمر من بعد أبيه، إذ إنّ: بذل الأموال لمن يشتري.

والتهديد بالقتل لمن يأبى.

والغش لعامة الأمة.

هي وسائل معاوية لرفع يزيد على منبر النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله.

والامر من بعد يزيد إلى يومنا هذا معلوم تقريباً.

فالعامل الوراثي.

والحروب والفتن.

ثم التآمر مع اعداء الإسلام في العصر الحديث.

والانقلابات العسكرية.

(١) نقلها في البحار في أماكن عدّة منه عن مصادر عدّة فراجع مثلاً: البحار،

ج٣١ ص٢٧٤ و٤٣٨، وج٣٣ ص١٧٠ و١٧١.

هي الطريق إلى الزعامة.

فأين من أتى عن طريق اختيار الأمة واستشارتها استشارة حقيقية، أو أيّ طريق آخر هذا القبيل.

نعم علي بن أبي طالب وولده عليه السلام فقط اختارتهما الأمة حين تمكنت ان تعبر عن رأيها، وحين استطاعت ان تفتح فاهها.

إذ بعد مقتل عثمان توجهت الأمة إلى صاحب بيعة الغدير عليه السلام وعزمت عليه قبول بيعتها والتصدي لولاية أمرها، وهذا علي عليه السلام يصف تلك الايام، وذلك التوجه الجماهيري السابق الذي لم يُعهد له مثيل:

«وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداكتمتم عليّ تذاك الإبل الهيم على حياضها يومَ وردها، حتّى انقطعت النعل وسقط الرداء، ووُطيء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي ان ابتهج بها الصغير، وهَدَج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب»^(١).

وعنه عليه السلام: «أما والله لقد تقمّمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرّحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إليّ الطير، فسدتُ دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطَفِقْتُ أرثني بين أن أصول بيد جدّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربّه، فرأيتُ أنّ الصبر على هاتا أحجى، فصبرتُ وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى تُراثي نهباً.

حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى عمر من بعده، فباعها ببنا هو يستقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها - ثم تمثّل بقول الأعشى:

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٩.

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرٍ
فَصَيَّرَهَا فِي حُوزَةِ خَشْنَاءَ، يَخْشُنُ مَسْهَا، وَيَغْلُظُ كَلِمَهَا، وَيَكْثُرُ فِيهَا الْعِثَارُ، وَيَقْلُ
مِنْهَا الْإِعْتِدَارُ، فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ، إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمٌ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمٌ،
فَمُنِّي النَّاسَ لَعَمَرَ اللَّهِ بِخَبِطٍ وَشِمَاسٍ، وَتَلَوْنُ وَاعْتِرَاضٍ، فَصَبَرْتُ عَلَى طَوْلِ الْمُدَّةِ، وَشِدَّةِ
الْمَحَنَةِ.

إِلَى أَنْ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَجَعَلَهَا شُورَى فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا اللَّهُ وَلِلشُّورَى،
مَتَى اعْتَرَضَ الرِّيبُ فِي مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ الْآنَ أَقْرَنَ إِلَى هَذِهِ النِّظَائِرِ، لَكِنِّي
أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُوا، وَطَرْتُ إِذْ طَارُوا، فَصَبَرْتُ عَلَى طَوْلِ الْمَحَنَةِ، وَانْقِضَاءِ الْمُدَّةِ، فَهَالَ
رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ، وَصَنَعِيَ الْآخِرَ لَصْهَرِهِ، مَعَ هَنْ وَهَنْ، إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا
حِضْنِيهِ بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ، يَخْضُمُونَ مَالَ اللَّهِ تَعَالَى خِضْمَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ
الرَّبِيعِ، إِلَى أَنْ انْتَكَثَ عَلَيْهِ فَتْلُهُ وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ.

فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسَ رُسُلًا إِلَيَّ كَعُفْرِ الضَّبْعِ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، حَتَّى لَقَدْ
وُطِيَ الْحَسَنَانِ، وَشُقَّ عِطْفَايَ، مَجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ، فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكْتَتِ
طَائِفَةٌ، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿تِلْكَ
أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْفِقِينَ﴾.

بَلِ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ، وَرَاقَهُمْ زَبْرُجَهَا.
أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوْ لَا حَضُورُ الْحَاضِرِ وَلِزُومُ الْحِجَّةِ بِوُجُودِ
النَّاصِرِ، وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْأَمْرِ أَنْ لَا يُقَرَّوْا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَغْبِ مَظْلُومٍ،
لَأَلْقَيْتِ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، وَلَسَقَيْتِ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْهَا، وَلَأَلْفَيْتِمْ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي أَزْهَدَ
مِنْ عَفْطَةِ عِزٍّ...»^(١).

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ١ ص ٤٥١، وهي الخطبة الشَّقَشَقِيَّة الشهيرة، وقد رواها السيد

ومحلّ الشاهد من الرواية غير خفيّ، وهو الذي في ثلثها الأخير، وقد نقلنا هذه الرواية الشريفة بطولها لتفصيلها ما نُريد قوله.

فهذا ما كان من أمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامه.

وأما ولده الإمام الحسن عليه السلام فقد نصّت كتب التواريخ والسيرة:

ان ابن عباس عرض أمر الخلافة على الأُمّة بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فرغب الناس في خلافة السبط واعلنوا رضاهم بها، فخرج لهم الإمام المجتبي عليه السلام وتمّت مبايعتهم له عليه السلام، ثم أنّ معاوية اتعّبهم بمؤامراته ومذابحه في الاطراف، فجنبوا وتكاسلوا وتقاعسوا عن مواجهته، فرأى الإمام أنّ حكم الله في تلك الظروف والتفاصيل هو ترك إدارة أمر الأُمّة، فتركها بشروطٍ غير أنّ معاوية نكث كلّ الشروط، واعد الجاهلية إلى الساحة بكل جيفها وخصالها السيّئة، نعم ترك منها بعض ما كان عليه أهلها من خصال حسنة، فأحيا من الجاهلية جاهليتها، وترك منها بعض المكارم التي هي من بقيّة حنيفية ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام.

ولا يتوهّم متوهّم أنّ الأُمّة أعرضت عن أبي محمد الحسن عليه السلام سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله وريحانته وسيد شباب أهل الجنة، بل هو التقاعس والإخلال إلى الراحة من المعظم، فإن الكثير من الشواهد متوفرة على اعتراض نسبة مهمة من وجهاء الأُمّة وعليّة القادة على صلح الإمام عليه السلام، بل قام جماعة منهم بمكاتبة الإمام الحسين عليه السلام بعد الصلح مطالبينه بقبول عرضهم لمبايعته ومناصرته على ان يُعرض عن صلح الإمام عليه السلام ويقوم بمجاهدة القوم ويُعيد الدولة إلى أهلها وقادتها الحقيقين «آل محمد عليه السلام» إلّا أنّ الإمام الحسين عليه السلام رفض هذا رفضاً قاطعاً، لإيمانه المطلق بصحة كل ما يفعله الحسن السبط عليه السلام، بل وبمطابقته للواقع.

ثم نأتي إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام والذي أخذ الناس بالكتابة إليه قرابة العشرين عاماً، أي منذ صلح الإمام الحسن عليه السلام واستمر الحال على هذا، والحكومة الطاغوتية المتجبرة قائمة بزعامة معاوية وهي تقتل وتفتك بالأمة ولا تفرّق بين طبقاتها وشرائعها في ذلك، فالكل في ظلمها سواء، باستثناء أهل الشام وبني أمية ومن هو لصيق بهم أو محسوب عليهم.

وقد استمرّ الناس يهتفون باسم الحسين عليه السلام، لو لا حركة ابن زياد السريعة، وما اختلط بدم الناس من بعد عصر النبي صلى الله عليه وآله من تكاسل، وثناقل، وإخلاد للراحة، وكأنّ منطلق قوم موسى قد أضحى منهجاً ثابتاً لهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.

ومن بعد: ها هي الأمة تقف سباطين عند الطواف لتفتح طريق وصول الإمام زين العابدين إلى الحجر الاسود، والزحام على أشده، ثم ليقف الفرزدق فيخطب هشام بن عبد الملك ومن معه:

والبيت يعرفه والحلّ والحرم	هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
هذا التقي النقي الطاهر العلم	هذا ابن خير عباد الله كلّهم
العرب تعرف من انكرت والعجم	وليس قولك من هذا بضائره
بجده انبياء الله قد ختموا	هذا علي رسول الله والده
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم	يكاد يمسكه عرفان راحته

وهذا بينما يحاول هشام بن عبد الملك شقّ الجموع ليصل إلى الحجر الاسود فلا يتمكن ولا يفتح له أحد طريقاً، وكأنّ الأمة تريد ان تنتهز الفرصة لتعبّر عن نبذها له، وحقدّها عليه ^(١).

(١) ينابيع المودة، الشيخ سليمان القندوزي الحنفي، ج ٣ ص ١٠٧، عن حلية الاولياء لأبي نعيم

وهذا رضا آل محمد ﷺ: عليّ بن موسى ﷺ يضطر المأمون لتوليته العهد ليستفيد من شعبيته العارمة وحبّ الأمة واکبارها له، فيهدّده لقبولها فيقبلها نتيجةً للتهديد، إلّا أنّه يشترط عليه عدم تدخله في شؤون الحكم ليفهم الجميع رفضه للكيان الحاكم، وعدم شرعيته، ومخالفته لتشريعات الإسلام.

ثمّ يخرج علي بن موسى الرضا ﷺ لصلاة العيد فيخرج أهل مرو كلهم خلفه، و يذعر المأمون من احتفاف الناس بالإمام ﷺ والتفافهم حوله ويأكله الحسد، فأهل مرو سنّة وليسوا بشيعة، فكيف رفض السنّة المأمون وتوجّهوا إلى الرضا ﷺ^(١).
الأمة كلها تريد آل محمد ﷺ لو تركت شأنها، وحيث يُمكنها التعبير عن رأيها، والمصاديق كثيرة وهذه بعضها.

عود على بدء :

إنّ النهج الذي كان يسير عليه معاوية من أخذ النساء والصبية لفتّ معارضة الرجال للفتنة الحاكمة قد انتقل إلى فئة الحكم اليزيدي.
ومما يصلح كمعلّم له - كي يتأكد أي امرء من أنّ هذا النهج سيكون مستمراً أيام يزيد - هو ما كان عليه يزيد قبل صيرورته ملكاً على بلاد المسلمين من: خِلاعة ومجون واستهتار بالحرّمات، وتظاهر بالحرّمات حتى شاع هذا عنه في أطراف العالم الإسلامي يوم لم يكن اعلام ولا صحافة، ولم تكن للعامة من وسائل ارتباطٍ بالفئة الحاكمة بحيث تطلّع على مجريات سلوك الحكّام كي تعرف هذا عنهم وتتناقله.
وقد كان الإمام الحسين ﷺ مطلوباً من جهة يزيد طلباً حثيثاً بما لا مُساهلة فيه،

وغیره.

(١) الارشاد، شيخ الامة المفيد، ج٢ ص ٢٦٤.

ودولة الشجرة الملعونة قد قامت سياستها - كما قدّمنا - على مؤاخذه النساء والاطفال والأقارب بما يفعله المرء، وقد تجلّت هذه السياسة أيام يزيد في موردين هائلين:

الأول: ما صنعه بنات رسول الله ﷺ وصبيته، وبقية أهل بيته عليه السلام، في السنة الأولى من حكمه.

الثاني: ما صنعه بنساء المدينة في وقعة الحرّة في السنة الثانية من حكمه.

إنّ أسر أسرة معارضٍ للفئة الحاكمة في حياة هذا المعارض، لعلّ لها ما يبرّرها، وذلك كاحداثٍ ضغطٍ نفسي عليه كي يترك المعارضة، أو يسلم نفسه إلى السلطة، ونحو هذا.

أمّا أسر عائلة المعارض بعد التمكن منه، وبعد قتله بأشنع قتلة، فايّ مبرر لها، وقد ارتفع الخطر عن الفئة الحاكمة، واشتفت من عدوّها.

فما بالك إذا كان القتل سيد شباب أهل الجنة، وولد رسول الله ﷺ.

وقد قتلت الدولة قتلة لم يقتلها أحدٌ، إذ قتلتها:

«بالسيف والرمح والسهام والحجارة والخشب والضرب والركل والذبح»

وذبحته وما زالت الروح فيه، ثم قطعّت بعض أعضائه، ونهبت، ورفعت رأسه على الرماح، وتركت جسده عارياً في الفلاة، مع ولدين من أولاده، أكبرهم: شبيه رسول الله ﷺ، واصغرهم ذو سِنَّة أشهر، تركتهم مذبحين، مقطوعي الرأس، مع خمسة عشر من أهل بيته هم نجوم الأرض وأقمار بني هاشم، ومع العشرات من صحبه أبرار الأمة وعلماءها وفرسانها، وقد رُفعت رؤوس الجميع على الرماح، وطيف بها في البلدان، وتركت جثث الجميع عارية في الفلاة.

فماذا تريد فئة الكفر والانحراف منهم أكثر من هذا حتى تلاحق النساء والاطفال

الباقين بعد المجزرة الرهيبة.

إنّه خبث الذات، ولئيم الخصال، والحقّد على النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، والتعطّش لإطفاء نور الإسلام، ونور الاسرة النبوية.

ما الذي يدفع الفئة الحاكمة لإحراق الخيام على الأسرة النبوية، وإلى نهب امتعتها بما فيها ملاحف النساء وخلاخيلهنّ، ثمّ أخذ العائلة النبوية بأشنع حالة ومهيئة الاسرى من بلد إلى بلد، وإيداعها في السجون، واستعمال الشدّة والغلظة معها، مع التهديد المستمر لها بالقتل إلى حين رجوعها إلى المدينة.

إنّ ما صنعه آل امية، ابتداءً من عصر السفّاح معاوية إلى نهاية عصر صاحب المجزرة الاعظم في آل محمد ﷺ - يزيد- يجعلنا نتساءل عن حقيقة الفئة التي تنتمي إليها هذه العُصبة، وجهة انتمائها وارتباطها.

فان كان ارتباطها بالإسلام، فإن مواقف الإسلام واحكامه في التعامل مع الضعفة من امرأة أو طفل أو شيخ كبير معروفة، وملؤها العفو والرحمة والرعاية. واذ كان ارتباطها بالجاهلية الأولى، فإنّه: «كان الرجل ليتناول المرأة، فيعيّر بها وعقبه من بعده»^(١).

نعم، إنها الجاهلية الثانية الذي أخذت حدوداً وأبعاداً أردأ بكثير عما كانت عليه الجاهلية الاولى، إلّا ان هذه بقناع، وتلك مُسفرة، بل والله هذه أشدّ إسفاراً من تلك لذي البصر والبصيرة.

نساء بيت النبوة :

مرّ أبو خالد الكابلي - التابعي الجليل - بقرب دار مولانا الإمام السجاد عليه السلام فرأى

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥ ص ٩٥، عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أن باب دار الإمام ﷺ لم تكن مغلقة بشكل تام، فاستفسر من الإمام ﷺ عن ذلك فأجابه - وتأمل في جواب الإمام ﷺ - :

«يا أبا خالد، إنَّ جارةً لنا خرَّجت ولا علِّم لها بالتواء الباب، ولا يجوز لبنات رسول الله أن يخرجن فيصفقن الباب»^(١).

بنات رسول الله ﷺ لا يخرجن عن فناء الدار إلى قرب الباب لغلقة، وهكذا سيرتهن واجواؤهن، ثم يأتي بنو أمية وجندهم الكافر لأسر بنات رسول الله ﷺ بعد قتل عمادهن وحماهن ثمَّ ليسلبوا عن ظهورهن الملاحف والعباءات، كما يسلبوا خلاخيلهنَّ، ويمتهنوهن بضرب السياط ويأسروهن ويأخذونهن من بلدة إلى بلدة ومن سجن إلى سجن ويستعرضوا بهنَّ البلدان فعلَ الجاهلية.

ومن المصائب العظيمة على أهل بيت النبوة، كما هي غصة في نفس كل غيور، ما صرَّحت به سيِّدة بني هاشم زينب بنت علي أمير المؤمنين عليه السلام أمام يزيد في مجلس حكمه:

«أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهنَّ، وأبديت وجوههنَّ، يحدو بهنَّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنَّ أهل المناقل، ويبرزن لأهل المناهل، ويتصفَّح وجوههنَّ القريب والبعيد، والغائب والشهيد، والشريف والوضيع، والديني والرفيع، ليس معهنَّ من رجالهنَّ وليٍّ، ولا من حماتهنَّ حميم، عتواً منك على الله، وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله.

ولاغرو منك، ولا عجب من فعلك، وأننى يُرتجى مُراقبة من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السُّعداء، ونصب الحرب لسيِّد الانبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحراب، وهز السيوف في وجه رسول الله ﷺ، أشدَّ العرب لله جحوداً، وأنكرهم

(١) مقتل الحسين عليه السلام، السيد المقرم، ص ٣٣٨، عن مدينة المعاجز للبحراني.

له رسولاً، وأظهرهم له عدواناً، واعتاهم على الربِّ كفراً وطغياناً»^(١).

أبداء الجيش الأموي لوجوه بنات رسول الله ﷺ بسلب مقانعهن، والتي أدت إلى أن يتأمل أهل البلدان في تلك الوجوه المقدسة، أنّها هي جريمة عظيمة، و مصيبة مهولة عند سيدة الاسرة النبوية: زينب، كما هي كذلك عند الله ورسوله.

لكن كيف نفهم هذا المنطق لمن هو في الطرف المقابل من هذا الفهم والسلوك؟

المرأة في معركة الطف:

بشكل عام، لم تمارس المرأة قتالاً في يوم عاشوراء.

إذ ينقسم القتال في التشريع الإسلامي إلى: قتال جهادي، وآخر دفاعي.

والجهاد موضوع عن المرأة فلا يجب عليها.

أما الدفاع فيجب عليها إذا وصلت النوبة إليها، ولم يكفِ المقاتلون من الرجال للدفاع عن حياض الإسلام، وعن مقدساته، وعمّا يلزم الدفاع عنه.

ومما يلزم الدفاع عنه بدون أدنى ريب: الإمام المعصوم عليه السلام.

إذ هو من أقدس مقدسات الإسلام، ومن أهم ما يلزم الدفاع عنه.

ولو كان من الممكن إنقاذ الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف لوجب على الجميع الدفع عنه.

إلا أن المعركة كانت محسومة قبل بدئها لصالح الجمع الأموي.

ولعلّه لذلك أسقط الإمام عليه السلام لزوم البقاء معه، عن بقية الصحب المرافقين له، وعن أهل بيته.

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٥٨.

فإذن: لما اسقط الإمام هذا التكليف عن الرجال المرافقين له فسقوطه عن النساء أولى.

ولعل سقوط التكليف بالجهاد عن المرأة مفهوم لمن يعرف احكام الإسلام ويتأمل فيها.

إذ طبيعة العمل القتالي مما لا يناسب طبيعة المرأة وامكانياتها بالاضافة إلى ما يهتم له الإسلام- بل المرأة ايضاً بحسب فطرتها- من لأبديّة الاهتمام بالحجاب والستر والمحافظة على العرض خصوصاً في تلك الأزمنة المعلوم حال وضعيّة القتال فيها وما ستُبتلى به المرأة لو مارست قتالاً وكفاحاً.

ومع انّ ما تقدّم مشترك بين الجهاد والدفاع، إلا أنّ في البين فرق آخر وهو: إنّ الجهاد يحتاج لاذن وليّ الامر- على قول-، ووليّ الامر لا ياذن مع عدم وجود العدد الكافي من الرجال الذين يتحقّق بهم الهدف وتتمّ من خلاصهم المهمّة، فلا يصل الامر والحال هذا إلى الاحتياج للنساء.

وهذا بخلاف الدفاع فانه امر تتعرّض له الأمة بدون اختيارٍ منها، ولعلّ الهجوم الذي تتعرّض له اكبر ممّا تحتمله امكانياتها، فيجب الدفاع على كلّ من يتحقّق به الدفع، وردّ عادية الهجوم، ولا يجب هنا على المرأة ايضاً.

نعم إذا لم يتوفّر من يتمّ بهم الدفع وجب على النساء ايضاً المشاركة لتحقيق الدفع عن الإسلام، وعن مجتمعه.

بل قد يكون الهدف من الدفاع انّما هو دفع المرء عن نفسه وذلك إذا كان من أهداف المعتدين قتل المسلمين أو أسرهم أو الأعتداء على أعراضهم، فالمرأة في مثل هذه الحالة إنّما تدافع عن نفسها وهو واجب عليها، خصوصاً مع عدم تمكّن الغير من الدفع عنها.

لكن:

برز للمرأة دور قتالي في ساحة الطف.

إذ خرج شاب قُتل أبوه في المعركة، وكانت أمّه معه، فقالت له أمّه:

اخرج يا بُنَيَّ وقاتل بين يدي ابن رسول الله.

فخرج.

فقال الحسين عليه السلام: «هذا شاب قُتل أبوه، ولعلّ أمّه تكره خروجه».

فقال الشاب: أمي امرتني بذلك.

وقاتل حتى قُتل، وحُزّ رأسه، ورُمي به إلى عسكر الحسين عليه السلام، فحملت أمّه رأسه

وقالت:

أحسنّت يا بُنَيَّ، يا سرور قلبي، ويا قرة عيني.

ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته، ثم ضربت رجلين فقتلتهم.

فأمر الحسين عليه السلام بصرفها، ودعا لها ^(١).

وهذا آخر، وهو وهب بن عبد الله الكلبي، وكانت أمّه معه أيضاً، فقالت له:

قم يا بُنَيَّ فانصر ابن بنت رسول الله.

فقال: أفعل يا اماه.

ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة، فرجع إلى امه وامرأته، فوقف عليهما

فقال:

يا اماه أَرْضِيتِ؟

فقالت: ما رَضِيت، أو تُقَتِّل بين يدي الحسين عليه السلام.

فقلت امرأته: بالله لا تُفجعني في نفسك.

فقلت أمّه: يا بُني لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله.

فلم يزل يُقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً، واثنى عشر راجلاً، ثم قُطعت يداه، فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه، وهي تقول:

فداك أبي وامي، قاتل دون الطيبين حرم رسول الله.

فأقبل كي يردّها إلى النساء، فأخذت بجانب ثوبه وقالت:

لن أعود، أو اموت معك.

فقال الحسين: «جُزيتُم من أهل بيتي خيراً، ارجعي إلى النساء رحمك الله».

فانصرفت، وجعل يُقاتل حتى قُتل رضوان الله تعالى عليه.

فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه، فَبَصُرَ بها شمر، فأمر غلاماً له فضر بها بعمود كان معه فشدخها وقتلها.

وهي أوّل امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام.

وفي نصّ: ان وهب هذا كان نصرانياً، فأسلم هو وأمّه على يدي الحسين عليه السلام ^(١).

ولو لا الحكم الإسلامي العام بشأن قتال المرأة.

ولو لا منع الإمام للنساء من دخول حومة الوغى، لكان للمرأة شأناً آخر في الطف، وان كانت الحالة رهيباً بمكان، إلا أن خصوصية الحسين عليه السلام وقضيّته، وتميّز نساء الطف، كان سيجعل للمسيرة النسوية نهجاً مختلفاً.

وهذا الحسين عليه السلام يصرخ في جيش الضلالة حين اربعوا النساء وطوّقوا الخيام:

«ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إذ كنتم أعراباً».

فناداه شمر - لعنه الله -: ما تقول يا بن فاطمة.

قال: «أقول، أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عُتاتكم عن التعرُّض لحُرْمي ما دمت حياً»^(١).

ثم يغتنم الإمام (عليه السلام) فرصة، ويتوجه إلى نساء بيت النبوة لتوديعهن، وهن يتحرقن من لوعة فراق الحسين (عليه السلام)، وقلوبهن متعلقات بمن سيضحي شهيد الإسلام الاول بعد سويغات، ومن سيكون ثأر الله في الدنيا والآخرة.

«استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله تعالى حاميك وحافظكم وسينجّيك من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بألستكم ما يُنقص قدركم»^(٢).

وأخيراً، ها هي زينب بنت علي وفاطمة (عليهما السلام) تنهج نهج اصحاب الكساء - جدها النبي (صلى الله عليه وآله) وابويها واخويها - في مقارعة الباطل وفضحه، والعمل على هداية اركانها، فما ان بلغت المدينة بعد الفاجعة حتى أخذت بحركة جديدة تحيي بها قضية الإمام الشهيد، وتبين حدودها - مجرياتها وأهدافها - في الوقت الذي كانت السلطة واذنابها يحاولون التعتيم على القضية، أو تشويهها.

وبلغ تحرّك السيدة زينب (عليها السلام) من القوّة والأهمية والخطورة عند الدولة الفاسدة أن كتب والي المدينة إلى يزيد في أنّ وجود زينب بين أهل المدينة مهيجٌ للخوادر، وأنّها:

(١) بحار الأنوار، ج ٥ ص ٥١.

(٢) السيدة زينب (عليها السلام)، الشيخ القرشي، ص ٢٦٧.

فصيحة، عاقلة، لبيبة، وقد عزمت هي وقومها على القيام للأخذ بثأر الحسين عليه السلام.
وقد أدى هذا إلى إخراجها من المدينة ^(١).

(١) واقعة كربلاء، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص ٢٢٨.

أسباب الانتكاسة

ذكرنا في ثنايا كتابنا هذا ان أسباب نجاح حركة الإمام سيد الشهداء عليه السلام متوفرة، ومعطياتها أكيدة، فما الذي قلب الامور رأساً على عقب مما أدى إلى تمكّن السلطة الجائرة من الإمام السبط وانصاره، وحرمان الأمة من فرصة حُرّيّتها ورجوعها إلى الصراط السويّ، وإغلاق باب الرشاد والسعادة بوجهها إلى الأبد بحسب الحسابات الطبيعية لولا...

«لولا الوعد الإلهي الحتميّ بالأبديّة يوم المهدي، وقيامه بقصم ظهر الكفر والنفاق، واقامة دولة الحق».

ما الذي حال بين الأمة وتربعها على عروش الجنان.

ما الذي قذف بالامة إلى دركات الجحيم - وبئست الأُمَّة -.

بعض السبب يعود للأمة نفسها، وبهذا - باختيارها - استحققت الحرمان من الجنان، والفوز بالنيران.

وبعض: يعود للكيان الحاكم المستمسك بكرسي الحكم - رغم كل شيء - بمخالبه واسنانه، وبكل فعلة وإن بلغت ما بلغت من الرذالة والخسّة.

وبعض يعود لاختيارات وأخطاء وجنایات سابقة، وقد حصد التالون ما زرعه الأولون.

قالت لهم الزهراء البتول صلوات الله عليها حينما أحكموا فعلتهم واستمكنوا من

منبر رسول الله ﷺ: «أما لعمرى لقد لقحت، فَنَظَرَةً ريشاً تنتج، ثُمَّ احتلبوا مِلَأَ القعب دماً عبيطاً، وذعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غِبَّ ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم انفساً واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبدادٍ من الظالمين، يدع فيكم زهيدا، وجمعكم حصيдаً»^(١).

فما التفتوا إذ كانوا سكارى بما نالوا، فاستفاقوا على البيت النبوي الطاهر ودماء ابنائه تملأ أراضي بلاد المسلمين في شرق العالم الإسلامي وغربه، وبناته سبايا، وابتدأت محنتهم بفاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام اصحاب الكساء واصحاب آية التطهير وآية المباهلة، ثم لم تنته بعد.

استفاقت الأمة على الحسين خامس اصحاب الكساء ورأسه على الرمح، وقد قتل بأمر حفيد من قضى عمره واستنفذ جهده في تجهيز الجيوش على رسول الله ﷺ لمحقوق دينه ودولته وإنهاء حياته، بل إن مواجهة النبي ﷺ وإطفاء نوره كان هماً واحداً وفعلاً مشتركاً بين الجد والأب - أبي سفيان ومعاوية -.

ولما اسلم الجد - أبو سفيان - يوم الفتح الأكبر أي: فتح مكة، خوفاً وحفظاً لدمه، عيَّره ولده معاوية.

هذا الجد، وهذا الأب، وهذا الابن والحفيد.

رفع الجد - أبو سفيان - سيفه على النبي الأعظم.

ورفع الأب معاوية سيفه على الإمام علي وصي رسول الله ﷺ - والوصي مولى كل مؤمن كما الرسول ﷺ - مولا هم بنص حديث الغدير، مهما اجتهدنا في فهمه، وبآية صيغة قبلناه -.

ورفع معاوية سيفه أيضاً على الإمام الحسن عليه السلام سبط رسول الله عليه السلام.

ورفع سليلهم يزيد سيفه على الحسين عليه السلام.

ورواية السنّة والشيعة تقول: ان بني امية ينزون على منبر رسول الله كما تنزو القردة، وأنهم الشجرة الملعونة الوارد ذكرها في القرآن ^(١).

مع كل هذا تولّت الأمة الشجرة الملعونة، وجنّدت نفسها لها، وذبحت ابن رسول الله عليه السلام، ورفعت رأسه على الرماح، وأسرت نساءه واطفاله، وساقتهم من بلد إلى بلد. وإلى اليوم لم تحسم الأمة أمرها مع هذه الشجرة.

في مكة سوق اسمه سوق الليل غيّرُوا اسمه إلى سوق أبي سفيان.

وما سمّوه بسوق حمزة مثلاً - أسد الله وأسد رسوله -.

ألا يدلك هذا على جهة ولاء هذه العُصبة ومدى حقدها على البيت النبوي الطاهر ومدى ولائها لاعداء الدين، بل والله اعداء الإنسانية والشرف والكرامة.

نعم: الأمة استفاقت من غفوتها لكنها لم تستفق من غفلتها، ولعلّ الحجة بن الحسن عليه السلام يوقظها وينبها فانه لهذا أدخر.

وما يعود للسلطة الجائرة من عوامل للانتكاسة:

١ - قامت الفئة الحاكمة بيّث أجواء الرعب والارهاب في الكوفة ^(٢) فخلعت بها القلوب وتحيّرت الافهام واضطربت النوايا واختلفت الآراء وتضعضع الجمع وانهار التكتل ^(٣).

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد الفيروز آبادي، ج٣ ص ٢٤٨ فقد نقلها عن مصادر

عدة عن الفخر الرازي في تفسيره الكبير، والسيوطي في الدر المنثور وغيرهما.

(٢) انظر: حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج٢ ص ٣٦٠.

(٣) ورد أنّ ابن زياد قتل شامياً لعدم خروجه لحرب الحسين عليه السلام مع ان امر الفير العام كان لأهل

٢- ملأت السجون برجال الشيعه ومخلصيهم بل بكل من يخاف منه هذا الوجه، حتى قيل ان في السجن اثني عشر ألفاً، وهو رقم هائل بالنسبة لتلك الفترة كما انه رقم قادر على حسم الامور ولا ريب لصالح الحركة الحسينية، وكيفيك ان منهم ميثماً التمار والمختار والأصبغ والحارث الهمداني^(١)، وكلهم اعتقلوا بعد حركة مسلم رضوان الله تعالى عليه.

٣- اغلاق ابن زياد لحدود العراق كله، والكوفة بالخصوص، وارساله الكتائب للبحث عن الإمام^(٢)، ولمراقبة الخارجين والداخلين، فمنع هذا أهل الكوفة من اللحاق بالإمام، لكن نجح جمع في اختراق الحواجز العسكرية والالتحاق بالإمام.

٤- بذل الاموال والمناصب لبعض شيوخ العشائر والشخصيات المعروفة في المجتمع الكوفي مما دفعهم للالتحاق بابن زياد وتحذيل الناس عن الإمام وتوجيه عشائريهم وجهة ثانية نحو الولاء للدولة والاطاعة لأوامرها.

وبشكل أوضح: انهم استعملوا اسلوب الترغيب والترهيب.

الترغيب: ببذل المال، ورضا الدولة عنهم.

والترهيب: بقطع العطاء، وبقدوم جيش الشام، وبتفريق المقاتلة في الثغور، ونحو هذا.

أي حمل الدرهم بيد، والعصا الغليظة باليد الأخرى.

٥- من الخيل التي سببت الكارثة: ما فعله عمرو بن الحجاج - عميل السلطة -

الكوفة وسكانها ومقاتليها وما فعل هذا لإرهاب الناس وبث اجواء الذعر والرعب بينهم وقد نجح.

(١) حياة الحسين، للقرشي، ج ٢ ص ٣٩٠.

(٢) حياة الإمام الحسين، للقرشي، ج ٣ ص ٥٦.

والذي ترأس جموع^(١) مذبح للسؤال عن هاني، فلما أخبرهم موفد الدولة - شريح - بحياته، فإذا به يعلن لهم انتهاء مشكلتهم مع السلطة، ويقوم بارجاعهم، ويُنهي بذلك ثورتهم، وكان عليهم اقتحام المكان، وإخراج زعيمهم.

وما صنعه ابن الحجاج حيلةً عجيبةً لم تلتفت لها مذحج، وانطَلَّت عليها فخرت زعيمها، ودفعت ثمن غفلتها من دنياها وَاخراها، وحُرمت بالنتيجة من التمكن من نصرة ابن رسول الله ﷺ، وانتهى أمرها إلى أن خرجت بقيادة ابن الحجاج لحرب الحسين عليه السلام.

ومن قبيل هذه القضية - مع فارقٍ في النتيجة - ما حصل لشعلان ابو الجون، من استنقاذ عشيرته له، ثم إعلانهم للثورة العراقية الكبرى على الإجماع الانجليزي في ثورة العشرين.

٦- من حيل الدولة: إرسالها أحد عناصرها مع مالٍ، للتمكن بهذا من معرفة مكان استخفاء مسلم، وقد تم لها ما ارادت بالقاءها القبض على هاني، وإيصال الأمور إلى القبض على مسلم، بعد افشالها لحركته، وكان هذا بداية النهاية للحركة الحسينية. ما يعود للأمة:

أ- إن الأمة لم تتحرك لنسف الدولة القائمة، ولرفع ابن رسول الله ﷺ على منبر رسول الله ﷺ، بل كان دوافع تحركها مختلفاً حسب اختلاف الفئات المشاركة في أوائل هذه الحركة.

كان باعث جمع منهم نغمته على الدولة، لحرمانه من مزايا مادية معينة.
أو لمعاناته الأهمال والاضطهاد.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، للقرشي، ج٢ ص ٣٧٦.

فلما هددوه باضطهاد أكبر، أو لَوَّحوا له بعطايا وهبات ومناصب سكت وهذا وغير وجهه ولأئه.

والتحرك الناتج عن تقوى وورع واطاعة للمولى سبحانه، هو الذي لا تُؤثِّر فيه النوازل، ولا تُزعزعه القواصف.

ب- إعطاء الوعد والمواثيق من بعض الأمة للإمام السبط على المعاوضة والمناصرة لحين تحقيق أهدافه، ثم غدر الكثير من المعاهدين، بل تحوَّهم إلى جيش الارتداد والجور، والذي منه استغاثوا، إلَّا أَنَّهُمْ تحت لواءه انضوا، وقاتلوا من به استغاثوا، ثم قتلوه واهل بيته في فلاة من الأرض مضيعة، لو لا ان الله للظالم بالمرصاد، ولوليِّه بالمباركة وإعلاء الشأن.

فخصيصة الغدر والخذلان مما لَصِقَ بأهل الكوفة، وبها عُرفوا واشتهروا، وهذا سيد الشهداء عليه السلام ينعى عليهم خصلتهم هذه، إذ روي عنه خطابه الاخير فيهم: «وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيَّانا تُخاذلون، أجل والله الخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم، وتوارثته اصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء سنخاً للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم والله هم»^(١). وموضوع غدر الكوفيين موضوع طويل، يحتاج لدراسة كاملة، ولا نرُمع التوسع فيه هنا.

ج- روي عن الإمام عليه السلام قوله لجيش الضلالة حين رفضوا استماع خطبه: «وكلكم عاصٍ لأمرى، غير مستمعٍ قولي، فقد مُلِّت بطونكم من الحرام، وطُبِعَ على

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٨-٩.

قلوبكم»^(١).

ومسألة ملاء البطن من الحرام، وكونها سبباً للانحراف عن طريق الحق، وعلة لقساوة القلب عن أن يستجيب لنصح ناصح، من الأمور العميقة والمجهولة بالتمام في أبحاث علمي النفس والاجتماع الفعليين، وهي محل اهتمام في علم الاخلاق والتربية الإسلامية، وهذا المطلب يحتاج أيضاً لسعة في البحث، ولا نبتغي هنا غير الإشارة إلى اصل أسباب الانتكاسة، دون الحديث عنها من جميع أطرافها.

(١) بحار الأنوار، ج ٥ ص ٨.

من الذي قتل الإمام

والسؤال عن الجهة، لا الشخص، وإلاّ فالشخص المباشر للجزء الأخير من جريمة قتل الإمام (عليه السلام) هو:

شمر بن ذي الجوشن الضبابي، أو سنان بن خوليّ الأصبحي.
والأكثر: على التصريح بالأوّل.

على الفاعل منهما لعائن الله والملائكة والناس أجمعين بل كل من وما في الوجود.
- والقاتل من هذين إنما صدر منه الجزء الأخير الذي حدث الاستشهاد عنه، وإلاّ فالذين صدر عنهم فعلاً قاتلاً للإمام: عدّة.

- إذ قام - شمر أو سنان - بذبح الإمام (عليه السلام) من الوريد إلى الوريد بعد أن أُنْهِكَ الإمام (عليه السلام) وأُتْخِنَ بالجراح، من ضرب السيوف والسهام والرماح والحجارة، من جيش يقارب تعدادة الثلاثين ألفاً أو يزيد، وقد قُطعت الرؤوس الشريفة لأنصار الإمام (عليه السلام) بعد تحقق شهادتهم غير سيد الشهداء، إذ ذُبِح وهو ما يزال على قيد الحياة.

وقد قتله شمر أو سنان عن أمر عمر بن سعد بن أبي وقاص لعنة الله تعالى عليه، وقتله عمر بن سعد عن أمر عبید الله بن زياد بن أبيه لعنة الله تعالى عليهم، وقتله عُبيد الله عن أمر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كما ان يزيداً كان مندفعاً لقتل الإمام (عليه السلام) عن عللٍ.

منها: توجهه الشخصي لهذا الهدف.

ومنها: وصية والده معاوية له بهذا الأمر على ما ورد في بعض النصوص التاريخية.
 بل أشار معاوية إلى هذا في رسالةٍ تهديديةٍ بعثها إلى الحسين السبط عليه السلام.
 فعلى كل من شارك في قتل الإمام السبط - بكل نوعٍ من أنواع المشاركة - لعنة الله تعالى والملائكة والخلق أجمعين.
 كان يزيد قد تابع أوامره بقتل الإمام عليه السلام:
 إذ أمر به أولاً والي المدينة.
 ثم أمر به ثلاثين من خاصته باغتياله أثناء موسم الحج ولو وجدوا الإمام عليه السلام متعلقاً بأستار الكعبة.
 ثم أمر به ابن زياد.
 بل وجه أوامر أخرى لجهات عدة بتنفيذ جريمة قتل الإمام أو اغتياله.
 بل القاتل كل من شارك في جيش ابن زياد، إذ لم يقتل شمر ولا يزيد: الحسين عليه السلام إلا بهذا الجمع، المعاضد بعضهم لبعض حتى أتموا جريمتهم العظمى.
 في الرواية المعتبرة:
 أنه أتى أمير المؤمنين صلوات الله عليه بثلاثة:
 أحدهم أمسك بشخص.
 والآخر قام بقتله.
 والآخر ينظر.
 فقتل الإمام عليه السلام القاتل.
 وحبس المسك مؤبداً.

وسمل عين الناظر^(١).

وما هذا إلا لأن كلاً منهم اشترك في الجريمة بقدر.

بل كُلُّ من رضي بقتل الحسين صلوات الله عليه من حين وقوع الجريمة إلى يوم القيامة يُعتبر مشتركاً في القتل.

إذ ورد في الروايات: «من غاب من أمرٍ فرضي به، كان كمن شهده وأتاه»^(٢).

وعن النبي الأكرم ﷺ:

«لو أن أهل السماء والأرض شركوا في دم امرئٍ مسلم ورضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار»^(٣).

وانه يُعامل معه يوم القيامة على هذا الأساس.

وَمَنْ يُعامل معه على هذا الأساس بالإضافة إلى من مرّ:

من يبغض الحسين ﷺ.

أو يحب قاتل الحسين ﷺ، وعدو الحسين ﷺ، ومبغض الحسين ﷺ.

أو يسير على خط من تقدم، وعلى نهجهم العقيدي، والسلوكي، والديني.

أو يُبرّر لمن تقدّم، ويلتمس المعاذير والوجوه، ويحاول اسنادها بدليل، كالكافر الفاجر الذي سطر، وياويله مما سطر: الحسين ﷺ قُتل بشريعة جدّه^(٤).

كل من يكتب ويوجّه ليزيد وجنده، ويبرّر ويلتمس لهم الوجوه والمعاذير، فلا

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٩، ص ٥٠ ح ٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٨٣ ح ١.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٢٩، ص ١٨ ح ٢.

(٤) حياة الإمام الحسين ﷺ، الشيخ القرشي، ج ٣، ص ٤٠٣، والقائل هو ابن عربي، كما في العواصم، ص ٢٣٢.

ريب أنه على نهجهم ويأخذ حكمهم، لأن قضية الحسين عليه السلام في نهضته، وما جرى عليه، ومقامه عند الله ورسوله، وما ورد بحقه، ملأ كتب الفريقين، ويكفيك أنه أحد الثقلين^(١) اللذين من تمسك بهما فلن يضل أبداً، وأنه سفينة نجاة الأمة^(٢)، وأما من حاربه فقد حارب الله ورسوله^(٣)، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

فو الله، ان كل محجمة دم سالت وتسيل في شرق الأرض وغربها ففي عُنق يزيدٍ، ومن ولّى يزيداً، ومن أسس ليزيد^(٤)، لأن بالحسين عليه السلام وآباء الحسين - النبي والوصي - واخ الحسين وأبناء الحسين عليهم السلام التسعة نهاية مأساة البشرية، والتي ابتدأت من يوم هابيل وقايل، وما ذلك إلا لخلافتهم الله ورسوله في الأرض، ولما يتمتعون به من خصائص وملكات، ولتسديد وتأيد رباني خاص يعينهم على إتمام هذه المهمة، والوصول إلى هذه النتيجة، لكنهم أبوا على هؤلاء الأطهار تسنم مقام الخلافة الظاهرية، وأبوا على الأمة، بل على البشرية جمعاء عبر أجيالها كلها أن تعيش السعادة وترغد في العيش الطاهر الرباني كما أراده الله تعالى، والذي يهيئها لرغد العيش في الآخرة.

أبوا ذلك لأجل أيام قليلة يأمرهم فيها وينهون ويتلذذون، ويأخذهم الزهو

(١) راجع: نفحات الازهار، السيد علي الميلاني، المجلد، ١ - ٢ - ٣ فانها جميعاً في حديث الثقلين المبارك.

(٢) راجع: نفحات الازهار، المجلد الرابع، فهو خاص بحديث السفينة المبارك.

(٣) راجع: الخمسة من الصحاح الستة، السيد الفيروز آبادي، ج ١ ص ٢٥١ فقد أورد الأحاديث الخاصة بهذا المضمون.

(٤) يحاول البعض رفع المسؤولية عن قتل الإمام عليه السلام عن كاهل يزيد وتبرئة ساحته مع أن مركزية يزيد في توجيه الأوامر بقتل الإمام عليه السلام وإيعازه إلى جهات عدّة بهذا، أظهر من الشمس وأبين من الأمس، والجدال فيه كالجدال والمخاصمة في البديهيّات، وإلا فمن صاحب المصلحة - في المقام الأول - في قتل الإمام غير يزيد - لعنه الله - بعدما أعلن الإمام عليه السلام عن عدم رضاه بخلافة يزيد، وامتناعه عن المبايعة، وتأنيده لكل من يريد الخروج عليه.

كالطاووس - بسبب الإمرة - أمام زوجاتهم وأولادهم وأقاربهم، ثم ما هي إلا أيام - وما تهنأ أطولهم هناةً بها أكثر من عشرين عاماً، لو تمت لهم هناة طوال سني حكمهم - وإذا بهم رحلوا بعارها وشنارها وتبعاتها إلى الحكم العدل الرقيب على كل خافية، والذي أوعد أن من يعمل مثقال ذرة شراً يره.

فأين المفرّ لهم يوم العدل الإلهي أمام ما لا يُحصى من الملائكة وجوع الخلق من الجن والانس بمحضر جميع الصديقين والشهداء والصالحين، وذلك يوم الحسرة.

كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية سيحاسب على:

موقفه من عترة النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام.

موقفه من علي عليه السلام صاحب يوم الغدير.

موقفه من فاطمة الزهراء ومظلوميتها، من عصرها بالباب، وإسقاط جنينها، وضربها على عينها وخدّها، ومحاولة إحراق دارها بعد الهجوم عليه وكسر بابه وإعتقال من فيه، ثم موت ابنة النبي الأكرم جراء الحادثة، بعدما أعلنت غضبها على الأمة جمعاء - باستثناء آحاد - ويؤول أمرها إلى أن تُدفن سرّاً في عاصمة الخلافة الإسلامية، ولا يُعلم قبرها إلى يوم الناس هذا.

موقفه من الحسن عليه السلام ولد رسول الله ﷺ وسبطه وخليفته بالإضافة إلى موقفه من ابن آكلة الأكباد، والذي قسر الحسن السبط عليه السلام على تسليم الخلافة له، ليعيث في الأرض فساداً ويهلك الحرث والنسل، وليأتي بيزيد هديةً منه إلى الأمة التي آزرته على جرائمه.

موقفه من الحسين عليه السلام وذريته.

هذه قضايا إسلامية في الصميم ما زلنا نعيش آثارها وتتطلب منا إعادة ما يتعلق بها

إلى مكانه الصحيح.

ان السبب الذي دعانا لكتابة هذا الفصل هو ما يتداوله البعض، ببراءة أوبسوء نية، من أن الذي قتل الإمام عليه السلام هم شيعته.

ومع اعتقادنا بكفر كل من حارب الإمام المظلوم، سيد شباب أهل الجنة الحسين صلوات الله عليه وسلامه.

ومع براءتنا من كل مشارك في هذا بأي شكل من أشكال المشاركة، بما فيها الرضا بهذا الفعل فما دونه.

إلا أننا لا نغفل عن أن القاتل الأعظم هو يزيد، ولا يقصر ابن زياد وابن سعد وشمر والخط الذي سوّغ لهؤلاء قتل الإمام عليه السلام عن مرتبة يزيد في الجريمة، وإن كان يزيد هو الأمر المحرّك.

إن هناك ملاحظات ينبغي الالتفات إليها، حتى يتحدّد بشكل واضح، الجهة التي قتلت الإمام بمساحتها الحقيقية.

لم يكن جميع من كاتب الإمام الحسين عليه السلام من الشيعة بمعنى: من يعتقد بإمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وذريته الأطياب بتعيين من الله تعالى وتبليغ من رسول الله صلى الله عليه وآله وبأحقيتهم بالخلافة ورئاسة الدين والدنيا من غيرهم.

بل لم يكونوا من محبي الإمام الحسين وأهل البيت الكرام عليهم السلام. وإنما كان القاسم المشترك فيمن كاتب الإمام عليه السلام هو رفض الجميع لحكم يزيد وتوفّر العزم منهم والتصميم على تحطيمه وهده واستبداله بنظام آخر.

والفرصة السانحة للجميع لتحقيق هذا الهدف، والتي لا يصح تفويتها، هي ما بعد هلاك معاوية، وقبل تمامية البيعة ليزيد، كي تنهياً لهم السعة في العمل، ولما يتيهأ الحاكم

الجديد لوضعه الجديد، ويُمسك على أزمة الأمور باقتدار تام.

بعض الرافضين لحكم يزيد كان يحمل هذا الرفض في نفسه دون أن يكون له ولاء لشخص الإمام الحسين (عليه السلام) أو لأهل البيت النبوي (عليهم السلام)، كفتنة الخوارج، بل أن كرههم ومعارضتهم للكيان الحاكم دفعهم إلى دعم الحركة الحسينية في بادئ أمرها عبر المكاتب، ثم فيما بعد انسلخوا عن تعهداتهم وقلبوا للإمام ظهر المجن، واصطفوا مع عدو الجميع - يزيد - ومثالهم في زماننا: الحركة الشيوعية، والتي تنادي بمُثلٍ عليها شعارياً، وتسلك النهج الدموي سلوكياً، وتصطف بقوة مع الدولة المستأسدة، وتشاركها المظالم والمغانم، في الوقت الذي تنخرها من الداخل حتى تتمكن، فتفترس الحكم والحاكم والمحكوم، وتعيث في الأرض فساداً، غير أنهم لم تستقم لهم الأمور - غالباً - ولم تجر معهم الرياح، كالخوارج تماماً.

وبعض آخر من أولئك الرافضين، كان بالإضافة إلى رفضه بني أمية، راغباً بحكم الحسين (عليه السلام) بالذات لما في الحسين من ملكات. وبعضهم يعتقد باستحقاق الإمام لمنصب الخلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كأبيه وأخيه، لأنه ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأولى الناس بالناس.

وقسم قليل، هم زبدة المجتمع الإسلامي وخيرته وديّانيه، يعتقد ويرى إمامة الإمام الحسين صلوات الله عليه، ووراثته لمنصب الخلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبيه وأخيه بالنص من الله تعالى عليه على نحو الحصر والتعيين، وأنه وارث لمقام جميع خلفاء الله في أرضه من آدم إلى أخيه الحسن (عليه السلام) من دون أن يكون نبياً وإنما هو وصي نبي، وهو (عليه السلام) بقية الله في أرضه، ولا يُقبل إيمان فرد ولا يصح له دينه إلا باعتقاده إمامته وتقديمه على جميع من سواه، وأنه واجب الطاعة كطاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحكم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنه لا يأمر ولا ينهى إلا عن أمر الله ورسوله.

وهناك طائفة رفضت الحكم الأموي لتضارب مصالحها معها أو لارتباطها بمصالح مع فئات أخرى وهكذا...

وسبب رفض الأصناف المتقدمة الذكر وغيرها للحكم الأموي القائم:

إمّا تديناً كما هو حال الشيعة المخلصين، والذين يرون بطلان الحكم الأموي ولا بُدّية نصره أهل البيت النبوي لإقامة الحكم المحمدي الحقيقي كما نصّ النبي ﷺ على قاده وحدوده.

وقسم كانوا يعتقدون بفساد الحكم الأموي واستهتاره وتجبره وتمردّه على الشريعة فلا بُدّ من اسقاطه تقرباً إلى الله سبحانه، والفرد الأصلح لتولي حكم الأمة هو الحسين ﷺ.

وقسم كبير كانوا يعانون صنوف العذاب والهوان والإهمال من قادة الحكم الأموي، ويتجرعون كل غصة، وأصبحوا في الأمة كبني إسرائيل تُقتلُ أبنائهم وتُستحيى نساؤهم، بعد ما سلط معاوية عليهم أقسى من عرفهم التاريخ ظلماً وعتواً وطغياناً وخلّوا من كل فضيلة كزياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد وأمثالهم من أفذر الولاة وأردأ الجنس البشري، إذ أمعنوا في الكوفة بل العراق قتلاً وسجناً وتعذيباً ونفياً وهتكاً ومصادرة للأموال والممتلكات وهدماً للدور وفتنة في الدين.

وعموم هؤلاء كانوا ينتظرون سنوح الفرصة للانتقام والنجاة من التجبر والبطش الأموي، ووجدوا في الإمام الحسين ﷺ: المنقذ، والخصال المطلوبة للحاكم العادل القائم بحقوق الأمة، ورأوا إمكانية إتمام الأمر عبر مكاتبته ومعاهدته ونصرتة والمقاتلة معه، وما كان الحسين ﷺ بالذي يترك نصرة أمة جدّه من شيعته ومن سائر المظلومين المستضعفين - من الذين اتخذهم آل أمية خولاً وأموالهم دولاً - وقد قال الله سبحانه:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

نَصِيرًا ﴿١١﴾.

بل يسعى الحسين عليه السلام بكل جهده لإطفاء حرائق ذلك الكيان الظالم الكافر، وينعش المستضعفين، ويستنقذ الموالين، ويعيد للعدل والحرية وجودهما في مجتمع شاده النبي صلى الله عليه وآله والوصي والآل الكرام وخُلصّ الصحب، بعد ما كادت هذه العصبه الباغية من الطلقاء أن تقضي عليه.

فإذن لم يكن جميع من كاتبوا الإمام عليه السلام ثم نكثوا العهد معه، وخانوا ذممهم، وتباطأوا عن نصرته، أو سلّوا السيف عليه، وعاضدوا في قتله، هم ممن يعتقد فيه الإمامة بالنص، وممن يرى وجوب إطاعته، ولزوم الاستماتة في سبيل شخصه، وهم الذين نصطلح عليهم بالشيعة الإمامية في عصرنا الحاضر بما لهم من حدود عقائدية.

لكن، ما الشاهد على ما تقدّم؟

وأيّن ذهب المعتقدون بإمامة الحسين عليه السلام وعصمته؟

وأيّن الذين كانوا مع أبيه وأخيه؟

أيّن شرطة الخميس الذين عاهدوا أمير المؤمنين عليه السلام على الموت حتى تحقيق أهدافه المقدّسة؟

أيّن من قامت بسواعدهم ومعاضدتهم ملاحم الجمل وصفين والنهروان، وكسر الله تعالى بهم تلك الفتن؟

عن الإمام الشهيد عليه السلام أنه قال في خطبته الاولى يوم الطف:

«يا شُبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا زيد بن الحارث، ألم

تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضرّ الجنب، وإنما تقدّم على جندك مجنداً^(١).

ان شبت بن ربعي مثلاً كان من قادة الخوارج، وهو وإن كان كارهاً للخروج لحرب الإمام عليه السلام وتمارض حينها، إلا أن ابن زياد أخرج وأخرج في الف من المقاتلين، وفي أحداث الطف يروى: أنه كان في بعض الأحيان يتجنب المقاتلة، وينأى عنها، لكن هذا لا يمحو سواد صحيفته، ولا العار والخزي وعظم المأثم الذي لحق به لجريمتين عظيمتين بل أربع:

أ- خروجه ومشاركته في مقاتلة خليفة الله تعالى، وابن رسول الله ﷺ، والإمام الحق، والأمر بالمعروف والعدل.

ب- كونه من قادة الجند.

ج- وهذه العظمى: كونه كتب للإمام عليه السلام، ثم نكل وخذل، فنقض عهده، وتسبّب في حصول ما حصل للإمام عليه السلام، ولعائلة بيت النبوة، وللإسلام ككل.

د- كونه جمع بين الجريمتين الكتابة للإمام، والخروج عليه لحربه.

وقد نقل الشيخ المفيد^(٢) أسماء آخرين شاركوا الذين ذكرهم الإمام صلوات الله عليه في إرسال تلك الرسالة كعمرو بن الحجاج الزبيدي - وهو من قادة جند ابن زياد في الطف - ومحمد بن عمرو - عمير - التميمي وعروة بن قيس.

وعن الإمام في خطبته الأخيرة يوم الطف قوله:

«تباً لكم أيّها الجماعة وترحاً، حين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيّمانكم، وحششتهم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم أولياء - إلباً - لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٩٨.

(٢) الإرشاد، ج ٢ ص ٣٨.

أصبح لكم فيهم، فهلاً - لكم الويلات - تركتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن،
والرأي لما يُستحصف...

أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون، أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه
اصولكم، وتأزرت عليه فروعكم، فكنتم أخبث ثمرة، شجاً للناظر، واكلة للغاصب،
ألا فلعنة الله على الناكثين.....»^(١).

بعد التأمل في هذا النص، لا نلمح فيه ما يفيدنا ان الإمام (عليه السلام) كان يكلم شيعةً
خذلوا إمامهم، أو محبين أظهروا خلاف ما انطوت عليه نفوسهم من الحب، بل يكلم
أناساً لهم تاريخ مع أهل البيت في النكث والغدر، وهذا شأن الخوارج، وشأن من كانوا
على غير خط أهل البيت (عليه السلام).

ومن يُراجع خطب الإمام السجاد (عليه السلام)، والعقيلة^(٢) زينب (عليها السلام)، وفاطمة
الصغرى (عليها السلام) في الكوفة، لوجد أنهم ينسبون الجُرم إلى أهل الكوفة، وإلى معشرٍ
مُسلمةٍ بالسنتهم، وإلى من كاتب الإمام (عليه السلام) وأعطاه العهد والميثاق ثم خذله، فلا ذكر
لشيعة منقلبين ومرتدين ونحو هذي مما يفيد وجود شيعة موالين ومعتقدين بإمامة سيد
الشهداء بما عليه طائفة الإمامية اليوم، وقد قدمنا أن قسماً ممن كاتب الإمام (عليه السلام) إنما هم
من الخوارج، والجامع بين من كاتب الإمام، بُغض الفئة الحاكمة ونقمتهم عليها، بغض
النظر عن معتقدتهم، وعن نيتهم في التقرب إلى المولى سبحانه في تمردهم على الدولة.

فأين الشيعة إذن؟

تذكر بعض المصادر التاريخية^(٣): أنه ونتيجةً لإجراءات معاوية وولاته في محاربة

(١) الاحتجاج، ج ٢ ص ٩٧ والحسين (عليه السلام)، الجلالى ص ١٧٠، وتحف العقول، ص ٢٤٠ باختلاف بينها.

(٢) الاحتجاج، ج ٢ ص ١٠٤ إلى ص ١١٩.

(٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي، ج ٢ ص ٧٨٨.

شيعة علي عليه السلام: «فلم يبق وليُّ الله إلَّا خائفًا على دمه، أو مقتول، أو طريد، أو شريد» إذ أوعز معاوية إلى ولاته بقتلهم، وتشيتهم، ومصادرة أموالهم، وفعل الأفاعيل بهم، وقد سوّد زياد صحائف التاريخ بما صنع بشيعة آل محمد في الكوفة إبان تلك الفترة. ويذكر التاريخ أن زياد بن أبيه نفى «٥٠» ألفًا من شيعة الكوفة إلى خراسان يقول القرشي: إنهم نشروا التشيع هناك^(١).

هذا قبل حركة الإمام سيد الشهداء عليه السلام، وأما بعد البدء بالتحرك: فقد جاء ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، وقتل فيها وسجن بعد حركة مسلم رضوان الله تعالى عليه حتى قيل إن عدد المعتقلين قد بلغ قرابة الاثني عشر ألفاً^(٢) وأغلبهم إن لم يكن جميعهم من الشيعة وأنصار الإمام ومن يُخاف منه النزوع نحو هذا الاتجاه. كما قام ابن زياد بقتل البعض منهم، فقد قتل من القادة: مسلماً، وهانثاً، وميثماً التمار، وعبد الله بن يقطر، وقيس بن مسهر الصيداوي، وغيرهم.

على أنه التحق بالإمام عليه السلام جمع من أهل الكوفة أثناء إقامته بمكة، وفي طريقه إلى الكوفة، وبعد التقائه بجيش ابن سعد.

وقسم تسلل من الكوفة رغم المسالحي والكتائب والتحقيق بالإمام القائد عليه السلام.

وقسم آخر التحق بجيش ابن سعد ثم تركه والتحقيق بجيش الإمام عليه السلام.

هؤلاء شيعة آل محمد وهذا وضعهم ومآلهم.

على المشانق، وفي السجون، وتحت سياط التعذيب، ومن وجد منفذاً توجه من

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ القرشي، ج ٢ ص ١٧٨ عن تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ١ ص ١٤٧.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٢ ص ٤١٦.

خلاله إلى الإمام والتحق به: في مكة، أثناء المسير إلى الكوفة، في كربلاء. أما غيرهم ممن التحق بجيش ابن زياد فلم يكونوا بهذا المعنى من التشيع أبداً، فهم بضرٍ قاطع ليسوا من الشيعة ولا بحاملين لمعتقد التشيع. وإن ورد هذا فيهم، فهو بمعنى آخر، ولعله بالمعنى اللغوي الذي يُراد منه نحواً من المتابعة، أعم من حمل عقائد الأئمة من أهل البيت، والتزام خطهم ونهجهم العقيدي والسلوكي.

على اننا لا نضايق لو التزمنا بوجود بعض من يعتقد بإمامة الإمام، وقد انقلب على عقبيه وانضمَّ إلى جيش ابن زياد - جيش الكفر - طمعاً، أو خوفاً وجبناً، أو شكاً وارتداداً، فقد انقلب البعض عبر التاريخ ممن كانوا على ظاهر التشيع والاعتقاد بإمامة الأئمة إلى طائفة مقابلة، أو إلى طائفة خاصة بهم ابتدعوها.

الواقفية مثلاً انقلب قادتها طمعاً بهال الإمام^(١) منهم علي بن أبي حمزة البطائني، وزياد القندي، وأدى انقلابهما إلى التأثير على جمع من الشيعة، فانقلبوا معهم طمعاً أو تحيراً.

والفطحيّة، والخطابية، والنصيرية، وغيرهم - قديماً وحديثاً - انقلبوا لهذا السبب أو ذاك.

بل ذكر الشيخ الطوسي في مقدمة كتابه التهذيب أن بعض الأفراد رجعوا عن التشيع لدخول شبهة عليهم بسبب ورود روايات متعارضة منسوبة للأئمة المعصومين عليهم السلام واستعصى عليهم وجه الجمع بينها^(٢)، وهكذا، فالإيمان منه مستقر ومنه مستودع، غير اننا ننفي كون صبغة الجيش المنفذ لقتل الإمام هي التشيع، بل العكس هو الصحيح.

(١) مقباس الهداية، الشيخ عبد الله المامقاني، ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) التهذيب، الشيخ الطوسي، ج ١ ص ٥٣.

إذ الأعم الأغلب، بل جميع من حارب الإمام كان على خلاف خط الأئمة، ومن كان مضاداً ناصباً العداء لهم، أو لا شأن له بهم، فهو يتبع الدولة في أوامرها ونواهيها سواء أ حاربت الروم، أو الخوارج، بل حتى أولاد النبي الأكرم ﷺ.

وأما الشيعة، فقد رُفِعوا على المشانق، وامتألت بهم السجون، وأخذ البعض منهم الرعب والجبن لإجراءات ابن زياد الإرهابية والتنكيلية، ومنهم من خرج فيما بعد تحت عنوان التوايين للأخذ بثأر الإمام، ولغسل خطيئته بالقعود والتهاون عن نصرته الإمام ﷺ، ومنهم من حاصرته المسالحة والكتائب فلم يتمكن من الالتحاق بالإمام ﷺ حتى وقعت الواقعة، وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية ان جيشاً من البصرة ورد للالتحاق بالإمام ﷺ ولنصرته، غير أنه بلغته أخبار استشهاد الإمام ﷺ وهو في الطريق، فرجع إدراجه.

فالإمام ﷺ حين اتخذ قرار النهضة لم يتخذ قراره استناداً إلى كتب لأناس غير جادين في نقض كيان الدولة الأموية، وليس بينهم وبين الفئة الحاكمة عداوة حقيقية أبداً، فهم كلهم ذوو موقف عدائي مع الكيان الحاكم، وإن كان لأسباب مختلفة، ومع ذلك فلم يعتمد عليهم الإمام ﷺ فقط، وهو العارف بهم والخبير بالكوفة منذ أيام أبيه الإمام ﷺ وأيام أخيه، ولا يُعقل أبداً أن يعتمدهم الإمام ﷺ فقط للنهضة، بل الإمام ﷺ نهض اعتماداً على آلاف من مختلف الفئات بهم الكفاية لنقض قواعد الدولة ولهدّ كيانها، بالإضافة إلى العوامل الأخرى المتوفرة غير أنّ الحال، وما آل إليه، ما شر حناه.

ونشير إشارةً نافعةً إلى أمرٍ خطير، وهو:

إن بعض من كتب للإمام ﷺ كان يكتب إليه ويحرّضه خدمة لبني أمية، أو لإيقاع الإمام ﷺ في الخطر والتهلكة، انتقاماً منه ومن آل البيت ﷺ.

فقد نُقل أنّ بني هاشم بعد فاجعة الطف اتهموا يزيداً بأنه دسّ الرجال للإمام ﷺ

ليخرج عن مكة إلى الصحاري، كي يسهل القضاء عليه^(١).

وعن أنساب الأشراف أن الإمام عليه السلام قال لأصحابه المخلصين: «ما كتب إلي من كتب، إلا مكيدة لي وتقرباً لابن معاوية»^(٢).

إنّ هذا لا مانع من التزامه في الجملة، لكن لا يمكن قبوله بإطلاقه، بل يُجزم بعدم واقعيته، إذ أن حركة الإمام عليه السلام نتجت عن معاناة سنين كثيرة لقيت الأمة فيها الويلات من آل أمية، وعن وعود وعهود - لآلاف فيهم القادة والزعماء - للإمام عليه السلام والرواية عامية، والأمر فيها سهل.

ويُمكن توجيه القضية: بأنّ يزيداً حاول توسعة نطاق انتقامه من عموم بني هاشم بعد الطف، فواجهه بعض الهاشميين بإتهامه - يزيد - بسببته في دفعه الإمام عليه السلام للخروج، بهذا الشكل أو ذاك، كي يتخلصوا من شره - يزيد - وإلا لا يُمكن أن يُخدع الإمام صلواته الله عليه وسلامه بهذه البساطة وهو من هو في خصائصه وذاتيته وعصمته، وبعد ملاحظة ظروف الحركة الحسينية.

وكيف كان فهذا الأمر كثير الحصول - وفي زماننا كذلك - إذ يعمد أحد طرفي النزاع إلى دفع الطرف الآخر - بالتضييق عليه أو استفزازه - لإعلان موقفه قولاً أو سلوكاً، ليتخذ هذا سبباً لضربه، وتخطيطه، وإنهاء دوره، وقتل شخصيته، أو قتله شخصاً.

وعجبية أخرى: أن ذلك الجمع الأموي المنحرف قتل الإمام الحسين سبط رسول الله وربحائه من الدنيا - صلوات الله عليه وعلى من معه في الركب - بعد ما صلى صلاة الظهر في عرصات كربلاء أمام الجمع، وبعد ما قُتل من جيشه - الإمام - العشرات.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٥٥.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٧٠، عن أنساب الأشراف.

ومن قبل، ترك أبو بكر وعمر تنفيذ الأمر النبوي بقتل ذي الشدية، بدعوى إنهما وجداه على حال صلاة، مع تكرار الأمر النبوي بقتله، فلم يمثلا ولم يراعيا الأمر^(١).
فهذه الأمة الفاجرة الكافرة لم تأخذ بهدي الحسين عليه السلام ونهجه، بل ذبحته وأطفاله وآله وصحبه، ولم تأخذ بنهج أبي بكر وعمر اللذين تركا تنفيذ أمر النبي بقتل من هو من أكابر المجرمين بدعوى أنه يصلي، ومعروف أن النبي ﷺ قَبَلَ إسلام أبي سفيان - وهو المنافق الذي قضى حياته في تجهيز الجيوش للقضاء على الإسلام، ولقتل النبي ﷺ - فإذن ما هو شأن الذي أمر النبي بقتله، لأبْد أنه كان على درجة من الكفر والإجرام عالية جداً ليأمر النبي ﷺ بقتله، ومع هذا تركه أبو بكر وعمر لوجدانهم إياه في حال الصلاة - بحسب دعواهما -.

بل إن من شيم العرب - حتى اجلافهم - احترام وتعظيم أولاد زعمائهم وقادتهم، بغض النظر عن حالهم وواقعهم، لانهم أبناء زعمائهم فقط.
فهلّا غَضَّتْ الأمة الفاجرة طرفها عن ابن رسول الله، وهو خير الناس، وملاذ القاصي والداني، وقد عرض عليهم ان يرجع من حيث أتى، أو يذهب في بلاد الله العريضة.

ونُهي كلامنا حول القاتل المباشر - شمر^(٢) - لعنة الله تعالى عليه.
إذ ابتدأت الفاجعة به، فهو الذي حرّض ابن زياد على قتل الإمام عليه السلام وعلى رفض عرض ابن سعد لمهادنته، بعدما كاد ان يُعرض عن أمر قتله.
وهو الذي قتل البطل نافع بن هلال الجملي رضوان الله تعالى عليه - وهيناً لنافع

(١) راجع لتعرف تفصيل القصة: النص والاجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين، ص ٧٩.
(٢) ورد في عدّة من النصوص توصيف شمر بأنه كلب أبقع، وكان شمرّ ابرصاً فراجع بحار الأنوار، ج ٤ ص ٣١.

موقفه وخاتمته ومرتبته - .

وهو الذي في نهاية المطاف ارتكب الجريمة الأعظم في التاريخ، فذبح الإمام صبراً من الوريد إلى الوريد.

كما أنه حاول إحراق خيام الحسين عليه السلام قبل بدء المنازلة. هذا بعض شأنه، وأما فعّاله في ساحة المعركة ومع أسرى آل محمد عليهم السلام في حلّهم وترحالهم، فلا يحيط بها قلم، ولا يضيع مقدار خردل عند أسرع الحاسبين.

تنبية :

من المسائل التي يُمكن إعتبارها من القواعد الفقهية في الشريعة الإسلاميّة: أن المرء إذا دُعي إلى الله تعالى وإلى طاعته، ووُضّح له الحكم، وأقيمت الحجة عليه، ثم أبى، فقد استحق العقاب في الدنيا والآخرة، وإن لم يتعدّ مرتبة الإباء إلى فعلٍ آخر مناهضٍ للتشريع أو للشريعة.

ومثاله: الكفار الذين يُدعون إلى الإسلام، وتوضّح لهم حقيقة، فإنهم إذا أبوا الأخذ بالإسلام، وأبوا اعتناقه، فليجوش الإسلام مهاجمتهم ومقاتلتهم وتنفيذ أحكام الله فيهم من قتل، أو أسر، أو مصادرة أملاك، وغيرها.

ومن هذا القبيل: استيجاب جيش ابن زياد للعذاب الإلهي قبل وقوع القتال بينهم وبين الإمام عليه السلام، إذ مع غصّ النظر عن مقدار وعيهم لحقيقة الإمام الحسين عليه السلام، وحقيقة يزيد، وعن بقية ما يتعلق بالحالة المعاشة والتي اقتضت من الكوفيين الثورة على النظام الأموي الجائر، ومع الغصّ عن وضوح موقف الإسلام برفض الطبقة الحاكمة من فئة يزيد وابن زياد كقدر متيقن عند الكل.

أقول: مع الغصّ عن كل ما تقدم، فإن الإمام الشهيد عليه السلام قد وقف أمام القوم مراراً،

من حين التقاء بجيش الحر حتى استشهاده، يوضح لهم حقائق الأمور، وما ورد بحقه من نصوص، ويدعوهم إلى نصرته، أو إلى الابتعاد عن مساندة الفئة الحاكمة في الأقل، وكرّر عليهم الخطاب، ثم تقدم عدة من أصحابه ينصحون القوم ويدعونهم إلى نصرته من لا يجهلون قدره، وإلى خذلان من قد خبروا سوء ذاته وسيرته - يزيد - حتى تقدّم إليهم وألقى الحجة عليهم من كان أحدهم بل من قادتهم قبل ساعة - الحر الرياحي - وكذلك من كان على مذهبهم وخطّهم وفكرهم - زهير بن القين - إلى ما قبل أيام، لكنّ هذا لم يُغيّر من واقعهم شيء، نعم تحول جمع قليل منهم - الحر وعشرات من المقاتلين - إلى صف الإمام المظلوم وبقي عشرات الآلاف سادرين في غيهم، قد أعماهم واصمهم عن الاستجابة لنداء الحق حبّ السلامة، والخنوع تحت قهارية المتغلب المتجبر، دون أن يرقبوا الله سبحانه أن يغضب عليهم، وقد حكى لهم في كتابه كيف غضب على من خالفه فصاد السمك يوم السبت، وعلى من عقر الناقة، فكيف بمن يقتل خليفته في أرضه، وابن رسوله الأمين ﷺ، وإمام الأمة ﷺ، ثم يسبي عائلة النبي ﷺ - نساءه وصبيته - ولا أقلّ من أن الإمام ﷺ جاء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتطبيق أحكام الإسلام، وما جاء إلا عن طلبهم واستغاثتهم تنفيذاً لأمر الآية الكريمة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾

وإذا بهم يقبلوا له ظهر المجنّ، ويحيطوا به، لإحدى غايتين:

أ- اما للاستسلام المذلّ للدعي ابن الدعي.

ب- أو للقتال - بعدما اعطيت أوامر القتل لجهات كثيرة على مدى ستة أشهر تقريباً -.

فما وجد إمام ﷺ الأمة ومفرزها وملاذها غير رفض كل الخيارات المتاحة، وإعلانه

استعداداه لبذل روحه في سبيل إبقاء راية الإسلام مرفوعة، والتضحية بكل ما يتعلق به ما دام في هذا تحقيقاً لرضا الله سبحانه، وقد تقبل الله سبحانه هذه التضحية الغالية، فكتب النصر المبين للحسين في الدنيا، والعذاب المهول على أعدائه في الدارين، وليس هذا تمام الكلام في الجزاء فجزاء الطرفين مما لا نُحيط به، والاعتذار عن بيانه أولى.

وخلاصة ما مرّ: أن أهل الكوفة قد استوجبوا العذاب الأليم بمجرد ردّ دعوة الحسين عليه السلام وإبائهم عن الإخذ بها، سواءً قاتلوه أم لا، فكيف بهم وقد فعلوا من الجرائم والخزايا ما لا يُحيط به قلم ولا فكر.

وقد ورد عن سيد الشهداء قوله للشهيد حنظلة بن سعد الشبامي، بعد ما خطب حنظلة في الجيش السفيفي:

يا ابن سعد: «إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك يشتمونك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٢٣.

المرقد الطاهر

عن عقيلة بني هاشم زينب بنت علي بن أبي طالب عليها السلام في قولها للإمام السجاد عليه السلام:
ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة، لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيد الشهداء عليه السلام لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميمه، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علوّاً^(١).

وحقاً ما نقل عن السيدة العقيلة عليها السلام، فهذا ضريح الإمام عليه السلام سيد الشهداء شامخ عبر العصور، يقصده الشيعة والمحبّون والمنصفون من كافة أرجاء العالم، ولا يستطيع له الطغاة إلاّ السكوت على مضض، أو مماشة الناس في تعظيمهم واهتمامهم، أو أن يردد الطاغية ويزبد ثم يخنس دهرًا.

من آخر ما روي عمّا صنعه الإمام الحسين صلوات الله عليه قبل استشهاده: أنّه أوصى إلى ولده علي بن الحسين السجاد - والمشفّر على الموت أيضاً من شدة مرضه -:
قال له: «يا بني، إيتاك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلاّ الله»^(٢).

وتوجّه الإمام عليه السلام إلى حُرّمه ونسائه، فأمرهنّ بلبس الأزّر، وقال لهنّ:
«استعدّوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميك، وحافظكم، وسينجيكم من شرّ

(١) بحار الأنوار، ج ٢٨ ص ٥٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٦ ص ١٥٤.

الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب عدوكم بأنواع العذاب، ويعوّضكم عن هذه البليّة بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألستكم ما يُنقص قدركم»^(١). وهكذا كان.

وسقط سيد شباب أهل الجنة في عرصات كربلاء، مضمّخاً بدمائه الزكية. ذبحوه وما زال به رمق من الحياة، بخلاف صحبه الذين قطعت رؤوسهم بعد ما فارقت الروح أبدانهم. ذبحوه وهو يكلمهم ويعظهم. ذبحوه، وقطعوا رأسه المقدّس، ثم سلبوه، وأجروا الخيل على جسده وطحنوا عظامه.

ورفعوا رأسه على الرُمح. وتركوا جسده في العراء بلا دفن هو وصحبه بعد أن دفنوا قتلاهم. وقد قيّض الله سبحانه لتلك الأجساد الطاهرة من دفنها من عشيرة بني أسد. وفي الرواية: أن الإمام السجاد عليه السلام حضر لدفن والده وشهداء الطف كافة، وكان حضوره على نحو الإعجاز والكرامة الربّانية - بما أنه خليفة الله ورسوله في الأمة - . ومحل دفن الإمام وصحبه معروف لم يختلف فيه إثنان. نعم الخلاف في محل دفن رأسه المقدّس. والمعروف في الطائفة: أنه أعاده الإمام السجاد إلى كربلاء، حيث الجسد المقدّس. وقول آخر: بدفنه في الشام. وآخر: بأنه بعد دفنه في الشام، فإنه نُقل إلى مصر حيث مشهد الحسين في القاهرة

(١) السيدة زينب عليها السلام، الشيخ القرشي، ص ٢٦٧.

اليوم، تجد تفاصيل نقل الرأس المقدّس وذكر حاله عند إخراجه، وأن دمه لم يكن قد جفّ بعد، وأنّ له ريح كريح المسك، في كتاب نسمة السحر^(١).

كما ذكر تفاصيل مشهد الإمام الحسين عليه السلام في القاهرة العلامة الأميني في الغدير عن رحلة ابن جُبَيْر^(٢).

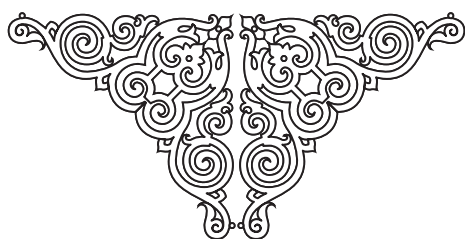
وفي أفغانستان، في مدينة «مزار شريف» مشهد ضخم معروف هناك بأنه مشهد رأس الحسين عليه السلام.

وفي رواية: إنّ الحسين عليه السلام يأتي إلى القيامة في موقفٍ من مواقفها بدون رأس، ولعل فيها بعض الإشعار بأن الرأس غير مدفون مع الجسد المقدّس.

(١) نسمة السحر، الصنعاني، ج ١ ص ٤٧٣.

(٢) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٥ ص ٢٦٧.

الفصل الثالث



نتائج الطف

في الرواية عن مولانا الإمام الصادق (عليه السلام): «لَمَّا قَدِمَ عَلَيَّ بَنُ الْحُسَيْنِ وَقَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بَنُ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اسْتَقْبَلَهُ إِبرَاهِيمُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَقَالَ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَنْ غَلَبَ؟

وهو يغطي رأسه وهو في المحمل، قال: فقال له عليُّ بنُ الحسين: إذا أردت أن تعلم من غلب، ودخل وقت الصلاة، فأذن، ثم أقم»^(١).

في الواقع ان نتائج الحركة المباركة للسبط الشهيد لها آفاق واسعة لا تحيط بها كتب، فضلاً عن ورقات متواضعة، نحاول عبرها تسجيل بعض هذه الآثار، ومنها:

١ - إنهاء الدولة السفينية:

وهذا الأثر قلما يتم التأكيد عليه، مع أهميته العظيمة، إذ إنَّ الحركة الحسينية فجّرت الغضب في أبناء الأمة ورجالاتها، وهزّت ضمائرهم ومشاعرهم، وأثارت الحزن العميق في نفوسهم، وأورثتهم تأنيباً وملامة للنفس، وشعوراً بالتقصير، وحسرة لا تنقطع.

وهذا أدى إلى تعجيل ثوران بعض الحركات المسلحة ضد يزيد، مما زاد في فضحه في الأمة، ودقّ الإسفين بينه وبينها، وجعله في خط اللا رجعة، فإما أن يزداد قتلاً وتدميراً وإيغالاً في الجريمة، وإما أن تقضي الأمة عليه.

وهلك يزيد، ولا ندري من حقيقة هلاكه ما جرى، غير إن اغتياله يبقى أمراً محتملاً جداً، وإن لم نعرف ناقلاً له.

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٧٧.

إذ هنالك نُقولُ مختلفة في كيفية هلاكه، منها:

أنه حمل قردته المفضلة على أتانٍ، وهو سكران، ثم ركض خلفها، فسقط، فاندقت عنقه.

هذا بحسب رواية البلاذري، وأما بحسب ما نقله ابن كثير، فهو:

أنه حمل قردة وجعل ينقرها، فعَضَّتْهُ، فمات من عَضَّتِهَا^(١).

ولا شك أن هذه مودة ذليلة فاضحة تليق بمثله.

بعد هلاكه، تولى الأمر ابنه معاوية، والذي صدمته جرائم آبائه في أهل البيت عليهم السلام فخطب في أهل الشام، ففصح أبيه يزيد^(٢)، وجدّه معاوية، بما ارتكبا من جرائم، وخطأهما فيما فعلاه لتولي الخلافة، وأقرّ بعدم استحقاقهما لها، وأعلن عظم جريمة أبيه في قتله سيد الشهداء عليه السلام ثم تخلّى عن الخلافة، وترك مقعدها خالياً، فلم يرشح لها أحداً -وقد قتله آل أمية فيما بعد-.

وبهذا انتهت السلالة السفيانية، وسقطت عن المتكأ الذي باعت من أجله كل المقدّسات، وكل فضائل الإنسانية، من أجل سنوات قليلة أكلوا فيها شيئاً من مخوخ الطيور، وسكروا، وعربدوا، ثم انطفأوا، لكن خلفوا خلفهم سنناً ومآسي ومخازي لا تحصد لهم غير اللعنة.

نعم أنذرت الأحاديث بظهور السفياني^(٣) من نسلهم في آخر الزمان، يحمل نسبهم وأخلاقهم ومبادئهم، ويسير بسيرتهم، وينطفئ سريعاً أيضاً، على يد ثائر الحسين عليه السلام.

(١) معالم المدرستين، ج٣ ص ٢٢.

(٢) الملحمة الحسينية، الشيخ الشهيد المطهري، ج٢ ص ٧٤.

(٣) راجع لما ورد من روايات في السفياني: بحار الأنوار، ج٥٢ ص ١٨١ وما بعدها، وعقد الدرر للمقدسي الشافعي، ص ٦٧ وما بعدها.

المهدي المنتظر عليه السلام.

فالدولة السفينية إذن انتهت سريعاً ببركة الحركة الحسينية.

انتهت بيزيد، ولولا الإمام عليه السلام لاستمرت الدولة التي تحمل روح أبي سفيان واسمه إلى ما شاء الله تعالى، إذ لا معوق أمامها.

نعم، ابتدأت بعدها الدولة مروانية، وهي الشق الثاني للدولة الأموية، والحاملة لنفس فكرها وروحها، ولا تنسى مواقف مروان الإجرامية:

ضد الدين وأهل البيت عليهم السلام والأمة أيام عثمان.

وفي عهد الإمام علي عليه السلام إذ هو أحد الناكثين والمثيرين للفتنة ضد أمير المؤمنين عليه السلام. ومواقفه ضد الإمام الحسن عليه السلام.

وضد أبي الشهداء الحسين عليه السلام في المدينة.

وما يوم أهل البيت عليهم السلام من مروان بواحد.

وقد قضت الحركة الحسينية فيما بعد على الدولة مروانية، والحققتها بأختها السفينية، وطوت بذلك وجود بني أمية من دائرة الخلافة الإسلامية، بعد ما تركوا خلفهم تأريخاً كله أجرام.

وقد أقلق هؤلاء من قبل قلب النبي الأكرم عليه السلام بعد ما رأى في منامه نزوهم على منبره كنز القردة فنزلت الآيات: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾.

والشجرة الملعونة هم بنو أمية.

وكذلك الآيات: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ والألف شهر مدة الدولة الأموية.

فما يُذكر من أنّ دولة بني أمية استمرّت قرابة قرن من الزمن، ثم انتهت نتيجةً لحركة سيد الشهداء (عليه السلام) دون التأكيد على قضائها السريع على الدولة السفينانية، يؤدي إلى الغفلة عن التأثير السريع لحركة الإمام (عليه السلام)، وظهور الاستجابة لدعاء الإمام (عليه السلام) ضد هذه الحفنة المجرمة، من التعجيل بانتهاء عهد آل أبي سفیان.

ذلك أنّ فترة القرن طويلة جداً لظهور الأثر للنهضة الحسينيّة، بينما الأكيد أنّ الأثر بدء فوراً، بثورات متتابعة إلى ثورة المختار الذي قتل منهم مقتلة عظيمة وأباد أكثر من شارك في الفاجعة، ثم استمرت سلسلة الثورات حتى اندلاع الثورة الهاشمية - والتي ركب بنو العباس صهوتها - وهي التي أبادت آل أمية عن جديد الأرض.

٢- إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الفرائض الإسلامية وبها تُقام باقي الفرائض وتؤدي، وعن طريقها تترسخ أحكام الإسلام وتتجدد، وقد آل مصير هذه الفريضة في ظل مجموعة الحكم الأموي إلى ضمورها عملياً وخروجها عن حيّز فرائض الإسلام فكل مسلم يصلي ويصوم ويحج إلاّ أنّه ليس من الضروري إنّ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالقول فضلاً عن بقيّة المراتب الشديدة.

ومن المعلوم المجرب - بل دلّت عليه نصوص أيضاً - أنّ من يترك الأمر والنهي بالمراتب المطلوبة ينتهي به الأمر إلى أن تنتهي عنده المرتبة الأولى أيضاً وهي الإنكار بالقلب.

بل ينتهي عنده أصل رفض المنكر بالقلب، إذ يتكس قلبه فيصبح أسفله اعلاه وبالعكس، ويرى الأمور حينها بعكس ما هي عليه من حقيقة فلا يتوقف عند حالة أنّه لا ينكر منكراً ولا يأمر بمعروف، بل قد يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، ثم يأخذ بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، وبهذا ينسلخ عن فطرته بالمرّة، ويخرج عن الإسلام

واقعيّاً وان كان فيه ظاهريّاً، ثم ينتهي به الأمر إلى أن يموت على غير ملة الإسلام أو يكاد، كما نراه في زماننا عياناً.

لقد بلغ الحكام الجائرون بهذه الفريضة مبلغاً فضيعاً إذ شجّعوا مقولتي:

«الحريات الشخصية» و «عدم صحة التدخل في شؤون الآخرين».

بنطاق واسع جداً بحيث لا يبقى مجال لإعمال هذه الفريضة في مواردّها، فأصبح الأمر والنهي تدخلاً مرفوضاً في شؤون الآخرين وجريمة يُعاقب عليها القانون، وهو ما يأباه القانون الإسلامي والتشريع الإلهي إباءً شديداً، وقد وصل الأمر إلى حدّ بحيث لا يعتبر موقف أولئك الحكام من قبيل عدم الحكم بما أنزل الله سبحانه أو عند حدود عصيان أمره تعالى فحسب، بل هو تمرد وتحديّ وتشريع لما يقابل حكمه تعالى وتقدس، ثم التعدي منه إلى قسر الناس على اتباع ما يقابل حكم الله تبارك وتعالى، والأمر يستشري يوماً بعد يوم، ويزداد مساحة وتجذراً في عقر بلاد الإسلام فما بالك إذا كنت تعيش خارجها.

لقد حطّم الحسين عليه السلام هذا التوجه في أيامه وإلى عصرنا هذا وأصبح مضادة هذا التوجه ولو بحمل السلاح وسفك المهج أمراً مشروعاً واضحاً من شرع الإسلام ببركة نهضة أبي الأحرار سبط رسول الله صلى الله عليه وآله ومحبي شريعته.

نعم لا ريب أنّ الأمر والنهي قد يحُرمان في موارد، فليسا هما بصحيحين أو جائزين بشكلٍ مطلق، فالتمكن من اتباع النهج الحسيني سكناً وانطلاقاً شيء، وإماتة هذه الفريضة في أغلب مواردّها شيء آخر، والذي يريده الإسلام هو ما نهجه الحسين عليه السلام عند ما سكن، وما نهجه عندما أطلق صرخته المدويّة، ورفع عنده سيفه، وسفك لأجل تحقيقه: دمه.

الحسين قلب الموازين الأموية وتلك الخطط الماكرة على رؤوس أهل الكفر

والفساد، إذ هي التي سببت دماراً لا يُحصر نطاقه في مجتمع الإسلام والذي بُني بجهد النبي الأكرم ﷺ سنين طوال، فما فتىء بنو أمية حتى ردّوا الناس على أعقابهم القهقري وأعادوها جاهلية وأين منهم الجاهلية؟ بل هذه ألعن وأشد كفراً وإجراماً.

ويتبيّن ممّا تقدّم: إنّ الحركة الحسينية انتجت التفات مجموعة من الأمة إلى وجود حدود في الإسلام وضوابط لا يصحّ تجاوزها والالتفاف عليها وغضّ الطرف عنها وإلاّ فسيخرج المرء عن ساحة الإسلام أو سيبقى ضمن دائرته اسماً ويخرج عنه حقيقة حاله حال المنافق، وهو ما لم يعه من ترسم خطى الحكام الظالمين المستأسدين على آل بيت الرسول ﷺ إذ نرى أبناء هذا النهج قد تجاوزوا جميع الخطوط الحمراء المرسومة في الإسلام بمدى شاسع، وهم بعدّ يعتبرون أنفسهم من يمثلون الخط الأصيل فيه، فتراهم يترسمون نهج الأطياف المختلفة ويجمعون في الولاء والاحترام بين علي ومعاوية وبين الحسين ويزيد - وأين أقصى اليمين من أقصى اليسار - دون أن يستشعروا التناقض الصارخ الذي وقعوا فيه، أو إباء الإسلام بصورة أكيدة للجمع بين هذين المسارين.

وبناءً على ما تقدّم: فقد تمّ - ببركة الثورة الحسينية، والتضحيات الهائلة التي قدّمها الحسين وصحبه - انفتاح جمع من جماهير الأمة على خط الولاء لأهل بيت الرسول والأئمة المعصومين من ذريته بعد ما نفخ الحسين ﷺ الروح في هذا الكيان وقد كاد أن يقضي عليه معاوية ويزيد القضاء المبرم.

لقد تنسّم خط أهل البيت الرّوح من جديد بالحسين وصحبه بعد ما أعرض الكثير عنه بضغط الظالمين ودسائسهم فحالوا بين الأمة وبين أوليائها الحقيقيين ووجهوها نحو موالاة جزّارها.

ونتيجةً لما تقدّم: فقد أدى إبعاد الخلافة عن أهل البيت إلى مناوئتهم ممن لم تنحسر الجاهلية - عقيدة وفكراً وسلوكاً - عن ذواتهم، إلى ضياع الأهداف المنشودة من بعثة

الأنبياء وإنزال الشرايع، أو في الأقل حدوث التباطؤ في السير نحو إنجاز تلك الأهداف العظام، وإن ما كسبته البشرية من تحريفات الظالمين ودسائسهم هو: وجود دين منسوب إلى السماء إلا أنه مشتمل على محاذير كثيرة تؤدي بالبشرية إلى نتائج خطيرة وإلى ما تأبى السماء نسبته إليها.

والمذهب الحق -مذهب آل البيت النبوي الذي يتصدره الوصي علي عليه السلام- ويحمل اليوم رايته حفيده المهدي عليه السلام - يصارع دوماً لتحقيق الأهداف الإلهية ومصالح التشريع بالقدر الممكن، وإن كان الجو ملبداً بغيوم كثيفة.

ولما كانت حركة الانحراف في الأمة خطيرة إلى درجة إمكانية تحقيق محققها للشريعة وإرجاعها للناس إلى الجاهلية الأولى، يدعم هذا ميل كثير من الأمة لسبب أو لآخر للفئة الظالمة فكان من اللازم:

أ- استنقاذ ما يمكن استنقاذه من أبناء الأمة عن السير في طريق الانحراف، وباتجاه الهاوية والخسران الابدي.

ب- إرجاع أهل البيت إلى موقع الصدارة في الأمة -بعد أن جعلهم الله ونبه أحد الثقلين الذين يهتدي من سار وفق منهاجهما، ويضلّ من يحيد عن دربهما- كي تفيء الأمة إليهم وتثبت بهم الحجة على المتمرّد.

ج- كسر هيبة الفئة الطاغوتية أمام المجتمع المسلم كي تتسع حركة التمرد على الظالمين المتعمدين لمحق الدين، وذلك لكي تؤول الأمور إلى إسقاطهم عن منصب الأنبياء والأوصياء خلفاء الله في الأرض.

وكل ما تقدّم: قد حصل، ببركة الحركة الحسينية.

إن ذلك البيت الذي أغلقت -تقريباً- أبوابه أيام معاوية، حتى وصل إقبال الناس

عليه إلى درجة الصفر، حتى إنه لم يُعثر للإمام الحسين عليه السلام على حديث واحد في جميع فروع الفقه، أصبح -ببركة نهضة الحسين عليه السلام - قلة تؤمها أفواج الشيعة كالسيل من الأطراف والأكناف^(١).

كما قطع الإمام عليه السلام بحركته على الشيعة الذوبان في النهج الذي اختطته حكومات الظلم والانحراف إذ قرابة الألف واربعمائة عام من وقوع الشيعة ضمن دائرة القبضة الفولاذية للظالمين مع جور منقطع النظر فقد كان هذا كافياً لسقوط الشيعة في حضيض الانحراف كما سقط غيرهم، أو إلى محق وجودهم كما حصل هذا للآخرين كالمعتزلة مثلاً بل للكثير من التيارات الإسلامية.

وأدت حركة الإمام عليه السلام إلى سقوط دولة آل أبي سفيان عاجلاً إذ تهاووا سريعاً، كما لم يطل أمد الحكم الأموي بشكل عام إذ لاحقهم غرماؤهم من بني هاشم حتى نبشوا قبورهم.

وقد ندر فيما بعد حركة الإمام عليه السلام خروج حركات تمرد ضد الإسلام وأسسهِ وتشريعاته، وانفتح باب التمرد على السلطات الكافرة الجائرة التي تحكم الأمة باسم الإسلام، والإسلام منها براء.

لقد ارتكب آل أمية الخطأ الفظيع بقتل الحسين عليه السلام ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته في أمته وبتلك الصورة الشنيعة والتي لا يمكن معها لهاشمي أو مؤمن أن ينام عن الأخذ بثأرها وهكذا كان.

لقد جعل الإمام الحسين السبط عليه السلام من موته بركاناً لا يهدأ أبداً بعدما أراد الأمويون أن يُغلق بقتله باب الإسلام المحمدي الأصيل وينفتح على مصراعيه باب إسلام بني أمية الذي لا يُفرّق في جوهره عن الجاهلية التي تركوها مرغمين إلا ببعض المظاهر، إلا

(١) مقالات تأسيسية، السيد محمد حسين الطباطبائي، ص ٢٠٢.

إنّ جوهر الأمر يبقى واحداً.

هذا وقد اكتفينا بذكر ما تقدم من نتائج لمنازلة الطف، وإن كان هناك الكثير مما يقال في هذا المجال، ولعل ما قدمناه يستبطن أسباباً عدّة لو أردنا تفصيلها والإسهاب فيها كما ستأتي غيرها في مطاوي بحثنا أو في فصولٍ مستقلة.

من نتائج الطف الانتقام الإلهي لسيد الشهداء عليه السلام

من المعلوم أنّ لكل جريمة آثار عقابية دنيوية -تشريعاً وتكويناً- و أخروية، وتختلف هذه الآثار شدة وضعفاً، كثرة وقلة، تبعاً لنوع الجريمة ولما يحيط بها ويرافقها من تفاصيل، ومن أعظم الجرائم واشدها اثراً: القتل.

وقد قتلت الزمرة الحاكمة «الحسين بن علي عليه السلام» وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، بل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله كما صرّحت بهذا نصوص قطعية الصدور، وعلى الأمة أن تتعامل مع الحسين عليه السلام على هذا الأساس، وهو إمام الأمة، وخليفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله في الأرض، وسيد شباب أهل الجنة، وأفضل أهل الأرض أجمعين، فلا بُدَّ من عقابٍ - دنيوي واخروي - جزاءً لقتله:

والعقاب الدنيوي: تشريعي، وتكويني.

فالتشريعي: كالقصاص.

والتكويني: وهو الأثر الوضعي.

وقصدنا بالأثر الوضعي: ترتب اللوازم التكوينية لتلك الجريمة العظمى كمثل من يأكل سُمّاً، فإنّه يموت، أو يصاب بعوارض سيئة كثيرة، نتيجة لفعله، سواء علم بأن ما تناوله سُمّاً أم لا.

ثمّ يبقى من بعدُ العقاب الاخروي: وهو دخول النار الكبرى، والتي لا يموت من

فيها ولا يحيا.

فماذا حصل نتيجة استشهاد الإمام عليه السلام المظلوم العطشان الغريب، من عقابٍ للقتلة، وماذا ينتظرهم من عذاب أليم، وماذا ترتب على استشهادهم من آثار؟

هل انتقم المولى سبحانه للحسين عليه السلام؟

هل انتقامت أمة جده له؟

هل انتقم له شيعته وأحبابه؟

هل هناك انتقام الهي مؤجل، سيهز الأرض في يوم ما؟

هل الانتقام شمل الأمة كلها، بل الأرض، في يوم استشهاد الحسين عليه السلام، وما بعده، والامة غافلة؟

لقد بدأ الانتقام للحسين عليه السلام قبل استشهاد ذلك لأن للجريمة بدايات وإرهاصات قبل الطف، والانتقام مستمر، والحسين عليه السلام هو القضية المركزية في الدنيا والآخرة، لأن الحسين يمثل القضية الأعظم.

من جملة ما روي عن سيد الشهداء عليه السلام في هذا المجال:

«ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس، حتى تدور بكم الرحي، عهد عهده اليّ أبي عن جدي»^(١).

«اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسومهم كاساً مصبرة»^(٢).

ومن جملة أبيات الشعر التي نقل استشهادها في خطبته الأخيرة:

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٠.

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا^(١)
وعنه عليه السلام: «فإن متعتهم إلى حين، ففرّقهم فرقا، واقطعهم قطعاً، واجعلهم طرائق
قدداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فانهم دعونا لينصرونا، ثم عدوا علينا يقاتلوننا»^(٢).
ودعا الإمام عليه السلام عند استشهاد ولده علي الأكبر عليه السلام على ما روي:
«قتل الله قوماً قتلوك، ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله
على الدنيا بعدك العفاء»^(٣).
وما روي عنه عليه السلام في قوله لشيخ من بني عكرمة، يقال له عمرو بن لوزان: «والله
لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقه من جوفي، فاذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلم
حتى يكونوا أذل فرق الامم»^(٤).
وفي رواية: «أذل من فرم الأمة»^(٥).
وعنه عليه السلام: «لا أراهم إلا قاتلي فاذا فعلوا ذلك لم يدعوا الله حرمة إلاّ انتهكوها فيسلط
الله عليهم من يذلمهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة»^(٦).
وفي الرواية: «أوحى الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله: إني قتلت يحيى بن زكريا سبعين ألفاً،
وأقتل بابين بتك سبعين ألفاً، وسبعين ألفاً»^(٧).
وعن مولانا الإمام الرضا عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله في عذاب قاتل الحسين عليه السلام:

(١) الملهوف، ص ١٥٧.

(٢) مقتل الحسين، ابن اعثم، ص ١٣٨.

(٣) الملهوف، ص ١٦٧.

(٤) الإرشاد، ج ٢ ص ٧٦.

(٥) الحسين، الجلاي، ص ١٩٦.

(٦) الحسين، الجلاي، ص ١٩٦.

(٧) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٢٩٨ ح ١٠، ولاحظ الحسين، للجلاي، ص ١٩٧.

«ان قاتل الحسين بن علي عليه السلام في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شدّ يده ورجلاه بسلاسل من نار، مُنكَّس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوّذ أهل الدنيا إلى ربّهم من شدّة ننته، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم، مع جميع من شايح على قتله، كلما نضجت جلودهم بدّل الله عزّ وجلّ عليهم الجلود «غيرها» حتى يذوقوا العذاب الأليم لا يُفترّ عنهم ساعة ويسقون من حميم جهنم، فالويل لهم من عذاب النار»^(١).

وهذه العقوبات، بهذا التفصيل، إنما ثبتت لأولئك المجرمين بعد اقترافهم لجريمتهم، أما أصل استحقاقهم للعقوبة فقد ثبت لهم بمجرد الرد على الإمام عليه السلام^(٢) قبل البدء بالقتال، وقد خطب فيهم الإمام عليه السلام ونصحهم وذكر لهم النصوص عن رسول الله ﷺ

بأنه سيد شباب أهل الجنة، ويبيّن لهم وجه الحق والباطل في القضية بأدلة وجدانية مُعاشة لهم فلم يعبئوا بما قال، وأظهروا له عدم اهتمامهم، وإن المهم عندهم تسليمه لابن زياد، وتمكين الطاغية منه، وهذا منتهى الصلف والاستهتار المعبر عن انتفاء عُلقَة هؤلاء بالإسلام، وعدم مبالاتهم بغضب الجبار^(٣).

ومن جملة ما ورد:

١- ان حركة الإمام المهدي عليه السلام جزء من الإنتقام الإلهي من قتلة الحسين عليه السلام حيث ورد أن الإمام المهدي عليه السلام سيقتل أثناء حركته المظفّرة ذراري قتلة الحسين عليه السلام

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٤٤ ص ٣٠٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٥ ص ٢٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ٣٠٠.

لرضاهم بفعال آبائهم^(١) أي انهم على نفس نهجهم ومعتقدهم وحقدهم وإجرامهم وانحرافهم، ويستفاد من التعليل شمولية العقاب لغير الذراري أي ان كل من رضي بقتل الحسين عليه السلام فسيقوم الإمام عليه السلام بقتله، إذ كيف يرضى إنسان يحترم إنسانيته فضلاً عما يؤمن بالله ورسوله عليه السلام بقتل الحسين عليه السلام.

إذ من هو الحسين عليه السلام:

إنه خليفة الله ورسوله عليه السلام في الأرض.

والرضا بقتله رضا بقتل من يمثل الله ورسوله عليه السلام.

ومن لا ذنب له إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة لدين الله، وإرادة احقاق الحق، وإزهاق الباطل، وإحلال العدالة في الأرض، وإرجاع الناس إلى إنسانيتهم.

فكيف يُقتل من هذه صفاته وشيئله وكيف يُرضى بقتله؟

والواقع ان قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام لرضاهم بفعال آبائهم امر منطقي جداً، وله ما يبرره تشريعاً وتكويناً.

أما تشريعاً فلأن من يرضى بقتل الحسين عليه السلام مع معرفته بمقام الحسين عليه السلام، ورفع صفاته وملكاته، ومع معرفته ايضاً بصفات قتلته وأهدافهم ودوافعهم، فلا شك أن رضاه نابع من بغضه لآل محمد عليهم السلام، بمرتبة عالية من النُصب، والناصري كافر بأدلة مسرودة في كتب الفريقين الشيعة والسنة، والكافر لا حرمة له عند الله سبحانه دنيا واخرى، إذ حكم الناصبي في الدنيا هو مهدورية دمه وجواز قتله بدون مراجعة الحاكم الشرعي على رأي، وبعد مراجعته على رأي آخر، وحكمه في الاخرة حكم أي كافر بل

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥٥، ٢٩٥.

مرتبه عاليه في الكفر - بحسب النصوص - فهو معدّ لمستوى عظيم من العذاب. واما تكويناً: فلأن من يرضى بقتل الحسين مع ما قدمنا من عظيم مقامه وخصاله، وفظاعة وخساسة أعدائه وذرالتهم، فلا شك انه على شاكلتهم بمرتبه ما، وينهج نهجهم، ويستحلّ ما يستحلّون، ويميل حيث يميلون، ومثل هذه الطائفة من الخطورة بمكان على الإسلام والإنسانية، ومن المجازفة المؤدية إلى أوحش العواقب تركهم في عيشتهم وشأنهم، اذ - تأريخياً، وفي واقع الحال - ما رأت الأمة يوماً أسود إلا من هذه الطائفة - في الأكثر - فلا بد من اتخاذ الإجراءات الصارمة والحازمة معهم، وهذا ما سيقوم به حجة الله المهدي عليه السلام حين ظهوره، فسيستأصلهم عن بكرة أبيهم، ويظهر الأرض من رجسهم، وينجي الجنس البشري منهم.

٢ - شيوع القتل، وسفك الدماء بما لا يُحصى في مشارق بلاد المسلمين ومغاربها، فلم تُرَع حرمة لأحد كائناً من كان، فالرجل والمرأة، والصغير والكبير، والشاب والهرم، والمتدين والعالم، والمحسن للبشرية والمنعزل عن المجتمع، كلهم - لا فرق بينهم - تحت سياط وسيوف الجبابرة، بل استشهد الأئمة عليهم السلام من آل محمد عليه السلام بأجمعهم بأيدي المجرمين من عتاة النوع البشري، وكذلك ذريتهم نساءً ورجالاً، أطفالاً وشيوخاً، كما قُتِل المخالفون لهم كأبي حنيفة والشافعي، وأصاب سيوف الدولة، المعتزلة والحنابلة وكل طوائف المسلمين على اختلافهم وتشرذمهم، ونالت السياط منالها من مالك بن أنس رئيس المذهب المالكي، وأحمد بن حنبل، كما قُتِل ونُكِل أيضاً بالملوك والخلفاء، والأمراء والقادة، وبكثير من الظالمين والمجرمين عبر التاريخ، ونَبَش بنو العباس قبور بني أمية، وجاء المغول لبني العباس فقتلوهم شرّ قتل، وهكذا دواليك، أما ذرية علي وفاطمة عليهما السلام وشيعتهم فالأرض مليئة بدمائهم، ومراقدهم في طول وعرض العالم الإسلامي بهالم تشهده فئة، وما أصاب آل محمد عليهم السلام من الخلفاء والملوك والأمراء الذين

حكموا بلاد المسلمين فيما لم تُصب به أية أسرة في المجتمع الإسلامي، وفي هذا ما يكفيك أن تتيقن وتعلم ما سيصنع الله تعالى بهذه الأمة القاتلة أو الخاذلة في الدنيا والآخرة، وبركات محمد وآل محمد ﷺ وشفاعتهم لن تنال من سفك دماء ذريتهم، وأبادهم من جديد الأرض

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وقد ورد عن سيد الشهداء ﷺ أنه قال لجيش يزيد وشيعته قرب استشهاد:

«أما انكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إياي، وأيم الله اني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون»^(٢).

٣- الانتقام الذي جرى على القتلة - بما أبادهم تقريباً - بحركة المختار بن أبي عبيدة الثقفي.

ذلك أن المختار استولى بجنده على الكوفة وأطرافها، وتتبع قتلة الحسين ﷺ، حتى قيل أنه قتل في سنة ونصف قرابة الثمانية عشر ألفاً من المجرمين أي بمعدل ألف لكل شهر.

ومن قتلهم:

الطاغية عبيد الله بن زياد، إذ قتله إبراهيم بن مالك الأشتر في مواجهة عسكرية ضخمة.

وقتل شمر بن ذي الجوشن^(٣) - القاتل المباشر للإمام ﷺ - .

وقتل حرملة بن كاهل قاتل الرضيع المظلوم.

(١) سورة يوسف، الآية ٢١.

(٢) حياة الحسين ﷺ، القرشي ج ٣ ص ٢٨٥.

(٣) راجع لترجمة الشمر: مقتل الحسين ﷺ، السيد عبد الرزاق المقرم، ص ٢٠٧.

وقتل عمر بن سعد^(١) قائد جيوش ابن زياد.

أي أنه قتل كل رؤوس الجريمة - باستثناء المجرم الأعظم: يزيد -.

وقد أمر المختار بحمل رؤوس المجرمين الرئيسيين المتقدم ذكرهم إلى الإمام السجاد عليه السلام وإلى عمه محمد بن أمير المؤمنين عليه السلام - ابن الحنفية - في المدينة وأدخلت الرؤوس على الإمام الطاهر الصابر عليه السلام وقت غذائه فما إن وقعت كريمته على تلك الرؤوس حتى سجد لله شكراً وذكر عليه السلام أنه دعا الله سبحانه للانتقام من الطاغية ابن زياد حينما رأى رأس أبيه أمامه، وقد أجاب الله سبحانه الآن دعائه.

والواقع - رغم كل ما قيل ويُقال - في المختار، فإن حركته ووقعته بهؤلاء المجرمين، يوم من أيام الله سبحانه ضد أظلم الأمة وأشدّها عتوّاً، ومن هو السبب الأكبر في استمرار محنتها ومآسيها وتسلط الجائرين عليها.

وقد ابْتُئِيَ بعض من شارك ضد الحسين عليه السلام ببلايا ومصائب عجيبة أثناء المعركة وبعدها، نقلتها كتب التاريخ والمقاتل، وذكر السيد ابن طاووس في الملهوف^(٢) نصوصاً فيما سيؤول إليه قتله الحسين عليه السلام في الآخرة من عذاب لا يعدله عذاب.

ومما يحسن الإشارة إليه والتأكيد عليه أن ما آل إليه حال الأمة بعد الحسين عليه السلام،

(١) المعروف إن عمر بن سعد «لعنه الله تعالى» قُتل في الكوفة بأمر المختار بن أبي عبيدة الثقفي - ثائر الحسين عليه السلام - إذ حصد الآلاف من المشاركين في الجيش المقاتل له عليه السلام والمهم أنه حصد الرؤوس المهمة، ورأس عمر بن سعد منها إذ لم يخرج من الكوفة لظنه أنه في حرز وأمن، وقيل أنه قُتل في وقعة الجارز قرب الموصل، راجع: ص ١٤٤، هـ، من الحديقة الهلالية، والصحيح ما قدمناه، والمقتول بوقعة الجارز هو عبيد الله بن زياد «لعنه الله تعالى» فراجع مثلاً: البحار، ج ٤ ص ٣٣٦ عن أمالي المفيد، وكذا ص ٣٣٤، والصحيح الخازن لا الجارز وهو اسم نهر في الموصل، وهذا وذكر الشيخ عباس القمي في منتهى الآمال ج ١ ص ٥٤٨ إن سنَّ عُمر بن سعد، حين قتله لابن رسول الله ﷺ كان «٣٧» سنة.

(٢) الملهوف، ص ١٨٤ - ١٨٥.

من تسلط الجبابرة والظالمين والجهلة والقتلة على الأمة ومقدراتها وعروشها، وخضوع الأمة كلها حتى علمائها وزهادها لهؤلاء القتلة - والمقصود بالعلماء هنا غير علماء الإمامية، إذ علماء الإمامية يحرمون عقد عقدة للظالمين وبناء مسجد لهم فضلاً عن غير هذي من الأمور، بينما نجد أن غيرهم قد أفتى بوجوب الخضوع لهؤلاء الحكام القتلة، الخونة الجهلة، وأوجبوا إطاعتهم واعتبروهم أولياء للأمر، وأن لزوم طاعتهم ينبع عن نصوص الكتاب والسنة - وكذلك ما آل إليه حال الأمة من تشتتها وتفرقها واختلافها في دينها، والتباس معرفة الدين الصحيح عليها، من عقيدة أو تشريع، حتى اخذوا بالرأي، وحاولوا إصابة التشريعات الإلهية بالقياس والاستحسان، وجعلوا حكم الله تعالى تبعاً لاجتهاد المجتهد، بل اعتبروا النبي الذي لا ينطق عن الهوى مجتهداً من المجتهدين، يخطأ ويصيب كما هم يجتهدون ويخطئون ويصيبون - مع أن الله سبحانه يصفه فيقول: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١).

وما آل إليه حال الأمة من تشرذمها وتفتتها حتى استولى عليها كل من هب ودب، وأصبحت طعمة لكل آكل ومشتهي، واليوم يبصق اليهود الصهاينة في وجوه بعض الحكام العرب والمسلمين ليلاً ونهاراً فلا يستطيعون لهم رداً ولا جواباً ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾^(٢).

كل هذا المآل الذي عاشت فيه الأمة من بعد الحسين عليه السلام إلى يومنا هذا، هو جزء من الانتقام الإلهي الرهيب منها، والذي أعقبها خسراناً لدينها، وخسارة في معيشتها، وفساداً عارماً في كثير من جوانب الحياة، فخرست دنيهاً وفي الآخرة عذاب عظيم، وهذا كله فيمن رضي بقتل الحسين عليه السلام، واخذ نهج قتلته، وحاد عن الاهتداء بآل محمد عليه السلام.

(١) سورة النجم الآية ٣-٤.

(٢) سورة البقرة: من الآية ٦١.

وأما أتباع آل محمد ﷺ فقد ركبوا سفينة النجاة، ودخلوا باب حطة، وأخذوا بحبل الله، وتمسكوا بالعروة الوثقى، فعرفوا اصول الدين كما جاء بها النبي الأعظم ﷺ، واستوعبوا فروع الدين وتشريعات الإسلام كما بلغها النبي لآله وخلفائه في أمته، وكتب الله تعالى لهم حياة طيبة خالية من بغض آل محمد ﷺ، ونصرة قتلة الأمة، وهدمة الدين، ووعدهم الله سبحانه في الآخرة الخيرات الحسان ونعيم الجنان.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۖ﴾^(١).

في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني عن النبي الأكرم ﷺ حول هذه الآية قوله ﷺ:
لعلي

«هو انت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين»^(٢).

وفي نص آخر: «ورب هذه البنية ان هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة»^(٣).

وأورد نصوصاً أخرى، بأسانيد عدة، بنفس المفاد.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾^(٤)

(١) سورة البينة، الآية ٧ - ٨.

(٢) شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، ج ٢ ص ٤٦١.

(٣) شواهد التنزيل، ج ٢ ص ٤٦٧.

(٤) سورة الإسراء من الآية ٣٣.

محمّد بن الحسن المهدي عليه السلام

الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، ومن خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله والتاسع من ولد الحسين عليه السلام، وخاتم سلسلة المعصومين عليهم السلام في الدنيا، هو:

ولي دم جدّه الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

أيُّ امرئٍ مسلمٍ إذا قُتل، فإن أوليائه يتابعون مسألة قتله من جهة رفع القضية إلى الحاكم الشرعي، إلى حين إثباتها، بتعلّق الجريمة بدمّة قاتل معين، سواءً قتله عمداً، أو بنحو شبه العمد، أو بنحو الخطأ، ثم يتم البتّ النهائي في القضية من طلب تنفيذ حكم القصاص به، أو أخذ الدية منه، وهكذا^(١)، وأوليأؤه مراتب^(٢) وكل مرتبة تتقدم على التي تليها.

أما قضية الحسين عليه السلام والجريمة التي تمّت بحقه، فلا يحتويها هذا الإطار فقط، بل هو وغيره ممّا سناخذ بتفصيله.

الجريمة التي وقعت على الحسين عليه السلام:

تُلاحظ تارةً من حيثيتها الشخصية:

فلا بُدّ من إيقاع القصاص بمن قتل الإمام عليه السلام.

وتُلاحظ تارةً أخرى من حيثية أنّ المقتول هو إمام معصوم، وخليفة الله ورسوله في الأرض، وسيّد الأمة وقائدها وزعيمها.

(١) تُراجع: الأبواب المناسبة لهذا البحث من كتب الفقه لمعرفة تفاصيل الأحكام في هذه الجوانب.

(٢) يُراجع كتاب الميراث من الرسائل العملية الفقهية لمعرفة مراتب الورثة وأولياء الميت.

وحكم الإسلام في هذا المجال:

أ- قتل قاتله المباشر: وهو شمر بن ذي الجوشن عليه لعائن الله تعالى، بل كل من صدر منه فعلاً قاتلاً للإمام المظلوم عليه السلام.

فالذي رمى السهم المثلث يُعتبر قاتلاً مباشراً وإن تأخر موت الإمام عن هذه الضربة لساعات كما قد تلاه غيره بضرباتٍ أخرى قاتلة - ولا يبعد أن تأخر شهادة الإمام بعد السهم المثلث كتأخر شهادة أمير المؤمنين لمدة ثلاثة أيام، أي إنه أمر إعجازي، لأن نتيجة هذه الإصابة هي الموت القطعي الفوري بسبب قوتها وموقعها -.

ب- قتل كل من رفع سلاحه على الإمام سواء ضربه به أم لا، لأن رفع السلاح في وجه المعصوم كفر وارتداد من جانب، ومحاربة وإفساد في الأرض من جانب آخر، وهذا يشمل الأثيم ابن سعد «لع» قائد جيش الجريمة والكفر.

ج- قتل ابن زياد ويزيد، لجريمة المحاربة والإفساد في الأرض وذلك لأمرهما وتحريضهما ودفعهما الناس لمقاتلة الإمام المعصوم.

ونحن - هنا - لا نستقصي كل جوانب جرائم هؤلاء وكل ما يتعلق بذمتهم من عقوبات بل أخذنا جانباً منها فأقل ما يثبت بحقهم ما قدمناه.

د- كل من شارك في هذه الحرب بأي شكل من الأشكال وإن لم يرفع السلاح فلا ريب أنه ارتكب كبيرة من أعظم الكبائر بركونه إلى الظالمين وإعانتهم في جريمة هي الأعظم ولا أقل من أنه سمع واعية الحسين عليه السلام فلم ينصره.

أما شمول عنوان الباغي والمحارب له، أو توسعته إلى الحكم بارتداده فلا تتبّع عندي فعلاً لهذا من أقوال أساطين المذهب - وإن لم يكن التزامه بذلك البعيد -.

هـ- كل من سمع واعية الحسين عليه السلام فلم ينصره - وإن لم يشارك الفئة المحاربة في

قتالها للإمام بأي شكل من الأشكال - فقد ارتكب جريمة من أعظم الكبائر، وقد ورد تصريح سيد الشهداء (عليه السلام) لبعض من التقاهم بأنه: «من سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله على منخريه في نار جهنم».

ولذلك نصّحهم بالابتعاد عن ساحة القتال بحيث لا يسمعون له صوتاً.

و- كل من بايعه وعاهده وخذله فقد ارتكب كبائر عدة، والكبائر تستوجب النار في الآخرة، ولها قانون عقابي عام في الدنيا، أما هذه الجرائم باعتبار صلتها بالمعصوم وبقضية الحسين (عليه السلام) بالذات فلم يرد نصّ في مقدار عقابها الدنيويّ على ما هو متوفر بأيدينا، غير الحكم العام في أصحاب الكبائر وهو التعزير.

ز- من شارك بدعم الحملة لقتل الإمام (عليه السلام) بأي شكل من الأشكال وإن كان بمقدمات بعيدة بعض الشيء إلا أنه يعلم أنّها ستكون في هذا المجال، كتسهيل جمع المياه للمقاتلين الخارجين لحرب الإمام من الكوفة.

ح- كل من رضي بقتل الإمام (عليه السلام).

قبل ان نذكر البقية وحكمهم أقول: أن هناك مواقف، لا نشكّ في جرميّتها وإيجابها للإثم ولغضب الله سبحانه في الدارين خصوصاً إذا كانت واقعة على المعصوم، وليس كل معصوم، بل بخصائص الحسين (عليه السلام) بالذات، إلا أنّ توفر أسباب التقية، وسعة دائرة القائمين بالجريمة، ولعدم إمكان تطبيق أمثال هذه العقوبات قبل عصر الظهور، فإنّه لم يجر بيان تفاصيل كثيرة في أمثال هذه الجرائم.

ط- كل من عرف بقضية الحسين (عليه السلام) ونهضته ولم يبادر للمشاركة فيها وتقديم نفسه للإمام (عليه السلام) فقد فعل جرمًا كبيراً يستحقّ عليه النار الكبرى.

ي- بل يُحتمل شمول الحكم السابق في الفقرة المتقدمة، لمن لم يعرف بالقضية

أصلاً، وذلك لوجوب متابعة أحكام الإسلام والبقاء على ارتباط بمصدر التشريع كي لا يَصْدُقَ عليه عنوان - المتعرب بعد الهجرة - والتعرب في حدّ نفسه كبيرة، فكيف إذا نتج عنه كبيرة، أو كبائر، وبهذا المستوى.

وبهذا التصنيف تكون الروايات المصرّحة بأنه:

كفر الناس كلهم بعد قتل الحسين (عليه السلام) إلا.....

مقبولة ومنطقيّة، والأصناف المتقدمة ليست من المستثنيات، فلم يُنَجَّ من نار هذه الجريمة إلا:

أ- من شارك في القتال إلى جانب الإمام (عليه السلام) سواء استشهد أو قاتل وأغمي عليه ثم عولج بعد المعركة وتمائل للشفاء كالحسن بن الحسن (عليه السلام).

ب- أو حصل على إذن حقيقي من الإمام (عليه السلام) بعدم المشاركة.

ج- أو اعاقه معوّق حقيقي عن نصرته الإمام (عليه السلام) فالإمام السجاد (عليه السلام) كان مريضاً أشد المرض بحيث تتابعت عليه حالات الإغماء وأمور أخرى ولولا مرضه لكان في أول المتقدمين لنصرة الإمام وقد نهض الإمام لهذا مرة وما كان به من قوة غير المشي لخطوات.

د- أو لم يسمع بقضية الإمام الحسين (عليه السلام) كما لم يكن مكلفاً باستطلاع الأوضاع ولم يمكنه هذا، أو كان غافلاً عن هذا بالمرّة فيأخذ أحكام القاصر-والذي يسقط التكليف عنه في مثل حالته -.

فعلى ما تقدم: ان نطاق الجريمة في قضية عاشوراء يضمّ أصنافاً كثيرة، من الأمة بل من النوع الإنساني - بناءً على تكليف الكفار بالفروع وإن لم تصحّ منهم - والآثار الأخروية دائرتها واسعة جداً فتشمل من لم تُشرّع بحقه عقوبة في الدنيا، كمسألة الراضي

بالجريمة.

وبعد ما تقدّم كله نصل إلى محل الكلام نقول:

كيف يكون الإمام المهدي ولياً لدم الإمام الحسين عليه السلام، وأين عصره من عصر الحادثة وقد انتقل ذلك الجيل كلّ إلى العالم الآخر، وما هو الأثر من ولايته والحال هذا؟ إن الجريمة الواقعة على الإمام الحسين عليه السلام لا يُلاحظ فيها الجانب الشخصي البحت فقط بل هذا الجانب، ويُلاحظ أيضاً خلافة الإمام الحسين عليه السلام لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله في الأرض وإمامته وعصمته.

إذ أن الجريمة وقعت عليه مع الالتفات لتوقّر هذه الجوانب - كلها وبعضها - فيه، ومع افتراض عدم الالتفات فهذا لتقصير لا لقصور ولا يُعذرُ المرء فيما قصر به. وقد ورد - بناءً على ما تقدم -:

بأنّ الإمام المهدي عليه السلام سيقتل عند ظهوره كل من رضي بقتل الإمام الحسين عليه السلام. ومن المعلوم عدم اقتصار من سيشملهم حكم الإعدام في زمن الإمام عليه السلام على هذه الشريحة بل هم من جملة من سيشملهم تطبيق هذه العقوبة بهم وإن كانت الدواعي مختلفة بين فئةٍ وأخرى فبعض من سيعدمون فلا ارتباطهم بشكلٍ وآخر بهذه الجريمة، وبعضهم لوقوفهم أمام زحف الإمام المهدي عليه السلام في إخضاع الأرض لحكم الله سبحانه وبعضهم لبقائه على كفره وهكذا.

أي أن جريمة الرضا سيقتن لها عقوبة في زمن إمام العصر صلوات الله عليه ولعلها من الأحكام التي تُذكر بحسب تدرّج الزمان وبحسب إمكانية تنفيذها. إن الإمام المهدي عليه السلام - في الواقع - سيفتح العالم لإقامة الدولة الإلهية العالمية. وسيمحو الكفر، والعصيان.

وسيمحو الدواعي إلى الكفر والعصيان، فلا يبقى لمجرم عذر. وسيقيم الحياة الأسعد على ظهر الكرة الأرضية والتي لن تر النور أبداً إلى يوم الناس ذاك إذ لم يتحقق هذا حتى في زمن النبي الأكرم عليه السلام، نعم كان سيد الإنسانية وخاتم الرسل في سبيل تحقيق هذا والإيصال إلى تلك الغاية لكن منافقي المدينة ومن حولها ومشركي قريش أبوا عليه إلا أن يقتلوه ولما يتم هدفه واستلبوا منه ومن أخيه الوصي زمام الحكم ففضوا على الآمال وهدموا بعض تلك الجهود العظيمة.

هذا وقد ورد عن مهدي آل محمد مخاطباً الحسين عليه السلام في زيارته له:

«فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلاندبتك صباحاً ومساءً، ولأبكين لك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك، وتأسفاً على ما دهاك، وتلهفاً حتى أموت بلوعة المصاب، وغصة الاكتئاب»^(١).

وهنا أمر: مسألة توقف ظهور الإمام المهدي عليه السلام على توفر العدد الكافي من الأنصار مع كفاءة هذا العدد لهذه المهمة وتوفر الشروط اللازمة فيه كالإخلاص والإيمان والفدائية مما لا توقف فيها.

لكن...!

لعلّ - واقول لعلّ - توفر العدد الكافي كما وكيفاً له مدخلته في الظهور المبارك، ومعه يلزم المحافظة على هذا الوجود الشعبي بالمحافظة على الهدوء والسكينة واجواء التقيّة - في الجملة - كي يُمكن ظهور الإمام عليه السلام.

إذن للمسألة ركنان:

(١) بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٣٢٠.

١ - الإكثار من المهين للسير تحت راية الإمام ﷺ ووفق أمره ونهيه.

٢ - المحافظة على الهدوء ومعالم التقية.

وذلك للمحافظة على المكتسبات الكمية والكيفية التي حصلنا عليها، ولإضفاء طابع معيّن على الطائفة يدفع الطواغيت والجبابرة إلى غضّ النظر عنهم والتلهي عن الإيقاع بهم وتفتيتهم فيضيع ما حصلنا عليه.

وذلك كله كي يساعد في ظهور الإمام ﷺ بتهيئة الأنصار ولاشغال العدو المتجبر ببعضه.

أمّا أن نُتعب أنفسنا عشرات بل مئات السنين لتهيئة أسباب الظهور، ثم نمارس سلوكاً يدفع الظالمين إلى التمرّ بنا وتمزيقنا إرباً فإنّ هذا هو الذي سيعطل الظهور لضياح مرتكزاته.

لعلّ سيد الشهداء ﷺ قد لاحظ هذا الأمر، فانه أمر الشيعة بالانتظار حتى تُتاح الفرصة ولذا أمرهم: «فانكمشوا في أمركم وجدّوا»^(١).

والإمام الحسين ﷺ لم يتحرك أيام بطش معاوية بل تحرك أيام الرخاء وهي أيام الغفلة والفترة بين مرض معاوية ونهايته، وتسلم يزيد لزام الأمور، والشيعة في راحة نسبية وفي تهيؤ عددي وكيفي - في الجملة -.

ولعلّ هذا التوجه يتأيد بالروايات الداعية للانتظار، والناهية عن التحرك قبل ظهور السفيناني.

(١) الارشاد، المفيد، ج٢ ص ٧٠.

موقف الإمام السجاد عليه السلام بعد الطف

أول موقف للإمام علي بن الحسين السجاد زين العابدين عليه السلام يُسجل بعد أحداث الطف المروعة ما صدر عنه صلوات الله عليه وسلامه بعد دخول ركب آل محمد ﷺ إلى الكوفة وتجمع أهلها حولهم، إذ خطب في أهل الكوفة بما يلي: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم. أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات، من غير ذحل ولا ترات.

أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله، وسبي عياله.

أنا ابن من قُتل صبراً، وكفى بذلك فخراً.

أيها الناس، ناشدكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة، وقاتلتموه وخذلتموه.

فتباً لما قدّمتم لأنفسكم، وسوأةً لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي».

فارتفعت أصوات الناس من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون.

فقال عليه السلام: «رحم الله امرءاً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله، وفي رسوله وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة».

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا بن رسول الله سامعون، مطيعون، حافظون لذمامك،

غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمُرنا بأمرك، يرحمك الله، فإنّا حربٌ لحربك، وسلمٌ لسلمك، لناخذنّ يزيد، ونبرأ من ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: «هيهات، هيهات، أيها الغدرة المكرّة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل؟ كلاً وربّ الراقصات^(١)، فإنّ الجرح لما يندمل، قُتل أبي -صلوات الله عليه- بالأمس وأهل بيته معه، ولم يُنسني ثكل رسول الله وثلّ أبي وبني أبي، ووجده بين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغُصصه يجري في فراش صدري، ومسألتي ان لا تكونوا لنا ولا علينا»^(٢).

وفي نص: «رضينا منكم رأساً برأس، فلا يوم لنا ولا علينا»^(٣).

يُستفاد من هذا النصّ بالاضافة إلى المعروف من سيرة الإمام السجاد عليه السلام: ابتداء الإمام عليه السلام عهداً جديداً في طريقة التعامل مع الأمة، ومع الأحداث الكبرى في المجتمع الإسلامي.

وفي أول خطاب له عليه السلام في أهل مدينة الرسول عند رجوع العائلة المكرّمة وهم بعد على مشارف المدينة:

«الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الامور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجيليل الرزء، وعظيم المصائب الفاضعة، الكاظة الفادحة الجائحة.

أيها الناس إن الله -وله الحمد - ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة،

(١) الراقصات، الابل، إذا أسرع في السير وركضت.

(٢) بحار الأنوار، ج٤ ص ١١٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٤ ص ١١٤.

قُتِلَ أبو عبد الله وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس! فأَيُّ رجالات منكم يُسَرُّون بعد قتله؟ أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسموات بأركانها، والارض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان، ولجج البحار، والملائكة المقربون، وأهل السموات أجمعون.

أيها الناس، أيّ قلب لا ينصدع لقتله، أم أي فؤاد لا يحنّ إليه، أم أي سمع يسمع هذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام.

أيها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين شاسعين عن الأمصار كأننا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلثة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق.

والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاء بنا لما ازدادوا على ما فعلوا بنا، فانا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها وأفجعها، وأكظها، وأفظها، وأمرّها، وأفدحها؟ فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا إنه عزيز ذو انتقام». قال: فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان، وكان زَمِنًا فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجلية فأجابه بقبول معذرتة، وحسن الظن فيه وشكر له وترحم على أبيه

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا حضر الإفطار جاءه غلامه بطعامه وشرابه، فيضعه بين يديه فيقول: كُلْ يا مولاي فيقول:

قُتِلَ ابن رسول الله جائعاً، قُتِلَ ابن رسول الله عطشاناً.

فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه، ثم يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل».

وحدث مولى له عليه السلام أنه برز يوماً إلى الصحراء قال: فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكائه وأحصيت عليه ألف مرة: «لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا الله تعبدوا ورعاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً».

ثم رفع رأسه من السجود وإن لحيته ووجهه قد غمر بالماء من دموع عينيه فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن تقل؟ فقال لي: «ويحك، إن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم السلام كان نبياً ابن نبي كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله سبحانه واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغم، وذهب بصره من البكاء وابنه حي في دار الدنيا، وأنا فقدت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي»^(١)؟

وورد: ان الإمام السجاد عليه السلام اعتزل الناس بعد استشهاد أبيه السبط، وسكن سنوات عدة في قرية خارج المدينة المنورة، وكان يذهب من هناك إلى زيارة جدّه أمير المؤمنين وأبيه الحسين عليهما السلام من دون أن يُطلع أحداً على ذلك^(٢).

لكن هذه العُزلة ليست مطلقة في حياة السجاد عليه السلام ويُمكن للمرء أن يستنبط ما نريد قوله من خلال سرد نص ورد في روضة الكافي.

فعن سيدنا ومولانا الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «قال أبي يوماً وعنده أصحابه:

من منكم تطيب نفسه أن يأخذ جمرَةً في كفّه فيمسكها حتى تطفأ؟

(١) بحار الانوار - ج ٤٥ - ص ١٤٦

(٢) منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي، ج ١ ص ٧٩٥.

قال: فكاع الناس كلهم ونكلوا.

فقلت وقلت: يا أبة، أتأمر أن أفعل؟

فقال: ليس إياك عنيت، إنما أنت مني وأنا منك، بل إياهم أردت.

قال: وكررها ثلاثاً.

ثم قال: ما أكثر الوصف، وأقل الفعل، إنَّ أهل الفعل قليل، إنَّ أهل الفعل قليل، ألا وإنا لنعرف أهل الفعل والوصف معاً، وما كان هذا منّا تعامياً عليكم بل لنبلوا أخباركم، ونكتب آثاركم.

فقال: والله، لكأننا ماددت بهم الأرض حياءً مما قال، حتى إني لأنظر إلى الرجل منهم يرفض عرقاً، ما يرفع عينيه من الأرض.

فلما رأى ذلك منهم، قال:

رحمكم الله، فما أردت إلاّ خيراً، إن الجنة درجات، فدرجة أهل الفعل لا يدركها أحد من أهل القول، ودرجة أهل القول لا يُدركها غيرهم.

قال: فو الله لكأننا نشطوا من عقال^(١).

وروي نظير هذا المقام والمفاد عن غير السجاد عليه السلام^(٢).

والقصد: أنه يظهر من روايات عدة في مقامات متكررة، إن الأئمة عليهم السلام بمن فيهم السجاد عليه السلام كانوا يؤكّدون أمرين:

عدم القعود مع توفر الناصر المطيع المستميت، وعدم القيام لعدم الناصر المطلوب.

وبتفصيل آخر:

(١) روضة الكافي، الشيخ الكليني، ص ١٥٥ ح ٢٨٩.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٧ ص ١٢٣ ح ١٧٢ إذ روى نظيره عن الإمام الصادق عليه السلام نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب.

ان موقف المعصومين عليه السلام تجاه المجتمع الإنساني في هذا النوع من الأحداث:
أ- عرض القضية على الناس، واستدعاء نُصرتهم.

وهذا ما قام به النبي الأكرم عليه السلام قبل الهجرة من مكة، والزهراء عليها السلام بعد استشهاد النبي عليه السلام، والوصي بعد استشهاد النبي عليه السلام كذلك، أي في فترة أحداث السقيفة وبعدها بقليل.

ب- إجابة الأمة عند استغاثتها، وعند ابدائها الاستعداد لتحمل المسؤولية في مبايعة المعصوم وفي معاضدته وحمايته ونُصرته.

وهذا ما صدر عن الوصي عليه السلام بعد مقتل عثمان، ومن الإمام المجتبي عليه السلام بعد استشهاد الوصي عليه السلام، ومن الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام.
ج- عدم طلب النُصرة، وعدم إجابة استدعاء الأمة في هذا الشأن وتأجيل الأمر وهذا قسماً:

١- بيان تأجيل الأمر إلا إذا تحققت شرائطه، كالذي صدر عن الصادق عليه السلام من أنه لو كان عنده أنصار حقيقيون بعدد جداء التقاها في الطريق -١٧ جدي- لما ترك النهضة^(١).

٢- بيان تأجيل الأمر إلى غاية مبهمه.

والقسم الثالث ابتداءً من عصر إمامنا السجاد -وقد عرض عليه أهل الكوفة نُصرتهم، فابى عليهم، واستهجن سلوكهم، إذ لم ينفضوا أيديهم بعد من غدرتهم بآبيه- إلى إمامنا عليه السلام عصرنا الحجة المهدي عليه السلام عجل الله تعالى فرجه الشريف.
ومن المُبهم: ما روي عن إمام عصرنا المهدي عليه السلام في جواب سؤال بعض الشيعة

(١) الأصول من الكافي، ج٢، كتاب الإيثار والكفر، الباب ١٠٠ ح ٤.

هذا الخصوص: ﴿يَكَايُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ سُؤُكُمْ﴾.

فاغلقوا أبواب السؤال... واكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم^(١).

هذا، وقد ورد عن مولانا الإمام السجاد عليه السلام رواية بسندين، تبين بعض الشيء منهج الإمام بعد الطف.

إحداها: عن إمامنا الصادق عليه السلام: «لقي عباد البصري علي بن الحسين عليه السلام في طريق مكة، فقال له: يا علي بن الحسين، تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه، إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْنِلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية.

فقال علي بن الحسين -صلوات الله عليه -: أتم الآية.

فقال ﴿التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ﴾ الآية.

فقال علي بن الحسين -عليه السلام -: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم، فالجهاد معهم أفضل من الحج^(٢).

ومن هنا يظهر وجه التوجه العبادي المكثف للإمام السجاد عليه السلام على نحو يظهر شموله للمقطع الأكبر من حياته المقدسة، والألّا لكثافة العبادية في حياة المعصومين الاربعة عشر شأن طبيعي إذ جميعهم قاموا بالجانب العبادي بما لا يستطيع غيرهم تحمله ابتداءً من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يقوم للعبادة عامّة الليل وأكثره حتى قال له المولى: ﴿طه﴾ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى^(٣)

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢ ص ٥٤٤، والآية من سورة المائدة، الآية ١٠١.

(٢) راجع: وسائل الشيعة، ج ١ ص ٤٦ ح ٣، وكذا ج ١ ص ٤٨ ح ٦ حسب طبعة المؤسسة.

(٣) سورة طه، الآية ١ - ٢.

وقال جَلَّ وعلا: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ﴾ (١)

إلى المهدي - عجل الله تعالى له الفرج - .

أي: ان السجادة عليها السلام لتركه ممارسة الجهاد، وإدارة شؤون المسلمين، بشكل مباشر، وتعويضه عنها بالعبادات، فقد ظهر فيه هذا الجانب بشكل أوضح من أكثر المعصومين، والآن فالجميع في الانكباب على عبادة ربهم، والاستزادة منها سواء، فهي قرّة عين لهم، وراحة لنفوسهم، وساعة بُشراهم، حين الارتباط برّبهم عبر الصلاة والدعاء.

وأمر آخر مهم: وهو بدأ تنفس الحركة العلمية الإسلامية الحقيقية لصحبها من جديد على يد الإمام السجاد عليه السلام - وكانت بدايتها الأولى على يد النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله - والتي ازدادت قوّة وسعة على يد سميّ رسول الله وحفيده وبشارته باقر علوم الأولين والآخرين الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام وبلغت أوجها وغاية مداها وعظمتها على يد حفيد رسول الله ووصيّيه وخليفته الحق في أمته الإمام جعفر بن محمد بن علي الصادق، ويظهر أنّ لفاجعة كربلاء ولطبيعة النهج الذي سلكه السجاد بعد الطف وما ولّده هذا السلوك عند السلطة من تصورات عن حقيقة التوجه وطبيعة اهتمامات أهل البيت في هذه المرحلة مما وجّه نظرات السلطة الحادة ومؤامراتها الشيطانية إلى جهة أخرى - كجبهة ابن الزبير والذي أعلن ثورته على الحكم القائم - دون أن يغفلوا عن أهل البيت تماماً، كل هذا أدى إلى انفساح المجال للإمام ليبدأ بناء الكيان العلمي الإسلامي وإنهاض الأمة من كبوتها العظيمة التي لا تكاد أن تُستقال من جديد.

الطواغيت في قلق دائم، والسبب: الحسين عليه السلام

الحسين عليه السلام: سببُ صِداغٍ دائمٍ للطواغيت، ومصدرٌ للقلق الشديد. كثيرون استشهدوا قبل الحسين عليه السلام وبعده، وأُقبرت ثوراتهم، ومات ذكرهم. واستطاع الطواغيت التعتميم على قضيتهم، أو تشويهها، فأحدثت ثوراتهم نتائج عكسية، والمسألة لا تخلو من شواهد. الثورة الحسينية، بقيت كما هي في وضوح أحداثها وأهدافها، عاملٌ دَفَعٍ وإحياء للإسلام وتعاليمه. الحسين عليه السلام أقلق بني أمية حياً، وأقلق من بعدهم جميع الطواغيت، وهو مضطجع في مرقده المقدس.

زُلزل تحتهم الأرض:

لم يهنأ لهم العيش بعد الحسين عليه السلام، ولا استساغوا متعة ولذة الحكم. الثورات متتابعة مترادفة، وكلها تُنادي بثأر الحسين عليه السلام، ومظلومية الحسين عليه السلام، وبما جرى للحسين عليه السلام، حتى أسقط الحسين عليه السلام دولة بني أمية، ومن بعدها دولة بني مروان.

جاء بنو العباس إلى الحكم تحت شعار الأخذ بثأر المظلومين من بني هاشم، وعلى رأسهم الحسين سيد الشهداء عليه السلام، غير أنهم سلكوا درب بني أمية فتالت الثورات عليهم.

وحرث متوكلهم قبر الحسين عليه السلام، ومنع زيارته، وعاقب عليها، فُقُتِلَ قَتْلُهُ شَنِيعَةً على يد ابنه الذي هو وليُّ عهده.

واستمر تيار الحسين عليه السلام، وذهب بنو العباس إلى مزابل التاريخ، تلعنهم الأرض وما عليها -بالاسم أو بالصفة- والسماء ومن يسبح في أرجائها.
غير انه بدأ يظهر في ساحة الحكم في ديار الإسلام من ينحني لعاصفة الحسين عليه السلام ومن يُسَاقِرُ الأمة في حب الحسين عليه السلام، وفي البكاء على الحسين عليه السلام، وفي الاحتفال للحسين عليه السلام، وفي المناداة بمبادئ الحسين عليه السلام.

تيار منافق يوطد حكمه بهذا ونحوه:

وشيء آخر: بدأ تيار الحسين عليه السلام بالوصول إلى مراكز القرار، وسدة الحكم في أنحاء شتى، وفي فترات متباعدة من حركة التأريخ، وتشتدّ الهجمة ممّن يخاف من اسم الحسين عليه السلام، وفكر الحسين عليه السلام، وروح الحسين عليه السلام.
لكن زرعَ الحسين عليه السلام بدأ ينمو من جديد، ويقوم على سوقه، حتى تعذّر على الطواغيت قطعه.
لقد أثمر.

ها هو الحسين عليه السلام في كل أرجاء المعمورة.

ألا من ناصرٍ ينصرنا.

ألا من مغيثٍ يُغيثنا.

ألا من....

لقد آن للحسين عليه السلام أن ينهض من مرقد من جديد.

لقد تجذّر زرع، ورسخ في أعماق الأرض، وتطاول في عنان السماء، وبدأ الجمع

الذي يلهج بالحسين عليه السلام يزاد ويتعاضد.

لكن اليزيديين في الساحة، لم يزالوا، غير أنهم مرعوبون، إذ لا يجرؤ من يصرّح منهم بيزيديته، إذ يعلم أن من ينتسب ليزيد فقد تجلبب بأعظم العار، لكنهم موجودون، ينشق منهم واحد بعد واحد بين فترة وأخرى.

وفي العراق، طائفة مغلوقة على أمرها، وأفرادها يتقلبون في شواذ الفكر والسلوك: يعبدون الشيطان، ويقدمون يزيد، اسمهم: «اليزيديون».

عجباً للضلالة كيف تركب ضالّتها.

ولكن، إن وجد إبليس في بعض بني آدم من يقبل بعبادة البقر والجرذان والحجارة، فلا يعسر عليه إقناع أمثال هؤلاء بتقدّيس يزيد.

عجباً للإنسان، إذ يتمرد على أنبياء الله ورسله عليهم السلام، ويتمرد على ربّه وكتبه، ويتمرد على أفضل التشريعات وأزكاها مما بها ترقّيته في مسيرة استكمال إنسانيته.

وإذا به يعبد البقر والحجارة ويخضع لعبادة الفرعون ولتقدّيس يزيد.

سُئل بعض اليزيديين: لم تعبدون الشيطان؟

فأجاب: إنه شرّ كله، فنعبده للنجاة من شرّه.

وعجباً لهذا النمط من التفكير، كيف يُضلّ الشيطان غنيمته من بني آدم:

يعبده للنجاة من شرّه، ولا يعصيه ويحاربه للنجاة منه.

عندما نكرة أحداً ونبغضه، وعندما نتوقع الشرّ والضرر من أحد: نعصيه، ونحاربه،

وفي الأقلّ نبتعد عنه، لا أن نخضع له ونستسلم له، ونعبده.

ضلال ما بعده ضلال: وهذه واحدة من جرائم يزيد وبني أمية.

أسمعتهم عنهم ارشادهم لأحد، وهدايتهم لفئة، وتلبّس اتباعهم بفضيلة.
كل رذائل النوع البشري مجتمعة في بعض أفرادهم، ومتفرقة في بقيّتهم.
ولذلك يقلق الطواغيت من الحسين ونهجه، إذ لا مسانحة بينهم وبين هذا النهج،
فيحكم اختلاف الطباع يتنفّرون من هذا النهج، ومن هذه الخصائص والخصال.

واليوم:

إضافة للنهج القديم - نهج القسوة والاستئصال - في محاربة الحسين عليه السلام وفكره
وطريقة قضيتته لاعادة الإسلام ومبادئه وقيمه وتشريعاته إلى الساحة.
نهج آخر، بقيم جديدة، وبناء للإنسان بناءً آخر، يتناسب مع ما يريد مخالفي نهج
الحسين، بما لا تلتفت معه الأمة إلى عمق المؤامرة، والجريمة التي تُنفذ بحق هذا الدين،
والذي وعد الله سبحانه بشانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

(١) هذه الآية الكريمة وردت في ثلاثة مواضع في الكتاب العزيز، اثنان منها تنتهي بجملة:
«ولو كره المشركون» هما في سورة التوبة الآية ٣٣، وفي سورة الصف الآية ٩، والثالثة تنتهي
بجملة «وكفى بالله شهيداً» وهي الآية ٢٨ من سورة الفتح.

علماء السوء حصن للطواغيت

ذكر^(١) صدور فتياً من المجرم شريح قاضي الكوفة لتسهيل جريمة قتل ولد رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليه السلام - وما يوم الأمة مع أمثال هذا المجرم الأفاك بواحد-.

شريح هذا أحبط محاولة لإطلاق هاني بن عروة^(٢) من معتقله، والتي ستساهم -مع نجاحها- في تقدّم الحركة الحسينية مرحلة مهمة إلى إمام^(٣).

إذ مع خروج هاني من المعتقل فإن عشيرته ستكون طوع أمره، وعندها سيتمكن من حماية نفسه وعشيرته، والأهم من هذا حماية مسلم رضوان الله تعالى عليه سفير الإمام^(٤) ورائده لمعرفة أوضاع الكوفة وشؤون أهلها، وعند هذا فلن يحتاج مسلم لإعلان الثورة، وسيستبقي كل الإمكانيات لحين ورود الإمام^(٥).

بل إن خروج هاني من السجن سيعجل بنهاية ابن زياد، إذ سيشعر هاني بخطأه في معارضته مسلماً في قتل ابن زياد، بعدما حصل الاتفاق على قتل مسلم له في داره - لو كان ترك مسلم لهذا الأمر عن طلب هاني -.

لو حصل كل ما تقدّم لكان نجاح الحركة الحسينية أكيداً، استمراراً لمسارها قبل مجيء ابن زياد.

ومما تقدم يتبيّن مدى فداحة الجرم الذي صدر عن شريح، وعظم مدخليته كجزء

(١) الإمامة الإلهية، بحث الشيخ محمد السند، ص ٢٣٨.

(٢) مقتل الحسين^(٦)، ابن اعثم الكوفي، ص ٥٩.

علّة مهم في انهيار الأوضاع في الكوفة، والذي أنتج في النهاية استشهاد الإمام (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) وصحبه رضوان الله تعالى عليه، وانكفاء الإسلام، وتقهقر الأمة، بل سقوطها في جهنم الأبدية.

شُريح هذا، عيّنه عمر للقضاء في الكوفة، فبقي فيها إلى حضور الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها بعد حرب الجمل، فعزله عن القضاء، غير أنه تحدّى الإمام (عليه السلام) (١) ولم يعتزل، بل استمر في ممارسته للقضاء، فتركه الإمام (عليه السلام)، غير أنه اشترط عليه أن يعرض عليه كل ما يقضي به قبل أن ينفذ مضمونه - أي أن الإمام (عليه السلام) أفرغ عملية قضائه من مضمونها ومحتواها، ورجع الأمر في النهاية إلى أن الإمام (عليه السلام) كان يبت في كل القضايا التي تُعرض على شريح هذا -.

ولو تتبعنا المسيرة الإسلامية، لوجدنا الكثير من أمثال شريح، ممن أوغروا الصدور ضد الحق، أو أعانوا عليه، أو خذلوه في الأقل، كما ثبت هؤلاء عروش الظالمين، ومكنوهم من رقاب العباد، وبرّروا لهم، وسهّلوا سبل الإجرام بفتاوى، بها تمنع السماء قطرها والأرض بركاتهما.

وما زالت هذ الشريحة - إلى يوم الناس هذا - على نفس نسق اولئك، ومآل الجميع في الآخرة واحد، فلهم مستقر في الجحيم.

(١) راجع: وسائل الشيعة، ج ٢٧ ص ١٧ ح ١-٢، وتنقيح المقال، الشيخ المامقاني، ج ٢ ص ٨٣.

القضية الحسينية والوحدة الإسلامية

لعلّ هناك من يتساءل :

أليس طرح هذه الوقائع وأمثالها مما يُخلُّ بأجواء الهدوء المعاشة بين المسلمين في أيامنا هذه، مع اننا ندعو ونسعى لإقامة الوحدة الإسلامية ولترتيب البيت الإسلامي من جديد بعد قرون من التناحر والصراع والتباعد والتباغض، إذ أنّ هذا مما يُثير حفاظ البعض، للمسّ ببعض متبنياتهم من خلال أمثال هذا الطرح، كما أنه لا فائدة من نبش أحداث الماضي واستذكار تفاصيلها، إذ لا يترتب أثر على إحقاق جانب وإبطال دعوى الطرف الثاني.

والجواب :

إننا نؤكد سعيينا إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، وإلى تحقيق أقصى ما يُمكن من تقارب وتفاهم وتعارف بين فئات المسلمين كافة.

الأنّ أن الوحدة لا تقتضي منّا ترك عقائدنا وفقهنا وفكرنا مع قيام الدليل القطعي عليه، إذ ما نحن فيه: دين، والدين مجموعة من القوانين والضوابط والعقائد تؤخذ من خالق الوجود عن طريق الرسول الأكرم ﷺ وغير قابلة للتغيير والتبديل فمن أخذ بها فهو متدين، وإلاّ فهو كافر أو فاجر.

الوحدة لا تقتضي طمس حقائق التاريخ، ولا تغيير الواقع عما هو عليه، ولا محو ما كُتب، أو التعتيم عليه، أو عزله عن متناول الأيدي والأبصار والأفكار.

لا تقتضي تركنا لمبتنياتنا التي قام عليها ألف دليل ودليل، ولا تركنا لتربية أبنائنا وفق ما نهضت الأدلة اليقينية به.

لا تقتضي ترك ما قطعنا بإرادته كتكليف محتم ثابت في ذمتنا، وسنطالب به في الآخرة، وعلى أساسه سيتم التمييز والتفضيل.

فلا بُدَّ من بيان كيفية تحقيق الوحدة، مع المحافظة على التزاماتنا الدينية، وإلا نكون قد وقعنا فيما أردنا أن نفرّ منه.

إن غرضنا من الوحدة هو: تحقيق إرادة الله، كغرضنا من تأدية الصلاة وبقية الفروض المطلوبة شرعاً، وذلك لأن الوحدة مطلوب شرعي أيضاً.

المرحلة الأولى من الوحدة: تحقيق التعايش وعدم الاعتداء، وتقبل الآخر كما هو. إلا أنه وبطبيعة الحال لا يرتضي أحدٌ بأن يتواصل مع الآخرين في ظرفٍ أشبه ما يكون بحالة الحرب.

فلا بُدَّ من مراعاة كلِّ جانب الآخر بحدودٍ ما، كي يتحقق للتعايش رُكنه.

ورُكنه: ترك التصادم الجسدي بأشكاله كلها، مهما كان السبب.

وترك السباب والشتائم واللعن ونحوها.

والتهيؤ للمرحلة الثانية، والتي تُعين على تقوية أواصر المرحلة الأولى.

المرحلة الثانية: التواصل الفكري بين الطرفين، وإبداء كل طرفٍ لوجهة نظره وما يعتنقه، بشرط توفر الدليل -الحجة- على ما يُبديه ويلتزمه.

فإن توفّر الدليل لأحد الطرفين دون الآخر، أخذ الثاني بموقف الأول.

وإن توفر لكليهما الدليل -الحجة- وهذا بمرتبة المستحيل، إذا كان البحث منصفاً وعلى أسس شرعية صحيحة وعقلانية مستقيمة، فليتبّع كلُّ دليله.

وإن لم يتوفر الدليل لكليهما أعرض كُلَّ عَمَّا يلتزمه، إلى وجهة أخرى يقتضيها الدليل.

إلا أن هناك ما يلزم قوله في هذا المقام، وبمقدار ما يتعلق بالقضية الحسينية. إن موقف أهل السنة من القضية الحسينية، ومستوى تفاعلهم معها، يحتاج لمراجعة في ضوء الأحاديث الكثيرة المروية في كتبهم عن الحسين وما يتميز به عن الأمة كلها في الدنيا والآخرة من خلال موقعيته في الإسلام.

فهو ولد رسول الله ﷺ وإمام الأمة إن قام وإن قعد، وسيّد شباب أهل الجنة، وسفينة نجاة الأمة، ومن الثقلين اللذين لا يضلّ من تمسك بهما، ومن أهل آية التطهير، ومَن تجب مودته على الأمة كلها بحكم الآية الشريفة، إلى آخر ما توفر بحقه من آيات وروايات لا يُملُّ من تعدادها وتسجيلها، غير أن ما أوردناه كافٍ لاستحصاء النتيجة المطلوبة وزيادة.

فكيف يمكن التعامل مع من تقدم شرح بعض حاله وموقعيته، ومن أمر النبي بنصره، وصرّح بأن الحرب معه -الحسين عليه السلام- كالحرب معه -النبي ﷺ- فكيف يسوغ لمن يدّعي الإسلام الاصطفاف مع أعداء الحسين ومناوئيه وقتلته، لا أقلّ بالتوجيه لهم والتبرير، وتهوين الجريمة العظمى التي اقترفوها بحق الإسلام، والحسين عليه السلام، والأمة ككل.

الحسين عليه السلام أمل الأمة وملاذها في الدنيا والآخرة، وبقتله أجهز بنو أمية على آخر أمل للأمة بالعودة إلى رحاب الإسلام الحقيقية، وَمِنْ قَبْلُ وَصَفَ الله تعالى في كتابه بني أمية بالشجرة الملعونة، ووصفهم رسول الله ﷺ بأنهم أصحاب الملك العضوض، وبأنهم قردة ينزون على منبره.

بل بقتل الحسين :

انقصم ظهر المجموعة التي طالما بذلت نفسها ونفيسها في سبيل الإسلام ورفعته .
وارتقت المجموعة التي طالما حاربت الله ورسوله، وكادت للإسلام المكائد، سدة الحكم.

وأما الاعتذار بالفتوحات ونحوها، فإنها خدعة الصبي عن اللبن.
أفهل يصح لامرءٍ، كائناً من كان، قتل رسول الله ﷺ أو هدم الكعبة، أو فعل ما يؤدي إلى احماء الإسلام، بدعوى الفتوحات، وتوسعة رقعة الدولة، والحسين عِدْلُ القرآن بنص حديث الثقلين، فما قيمة الفتوحات التي يتفاخرون بها في قبالة، وما كانت الفتوحات لغير توسعة رقعة دولتهم، ولزيادة الغنائم، ولتكثير العبيد والإماء، والآن فهذه البلاد التي فتحوها لا يزال الكثير منها تسوده أديان غير الإسلام، وأما سياستهم فيها وفي غيرها فقد ضجّت الأرض من ظلمهم والسماء، وتلك عهودهم فساد كلها وقصورهم ملؤها المبازل والتفسيخ، فقلّب صفحات التاريخ والتي كتبها أولياؤهم لترى العار والخزي الذي لحقهم، ولحق الأمة بسببهم، فما قيمة الفتوحات، وما عائدتها للإسلام، أو للأمة، أو لاهل تلك البلاد.

المطلوب: على من يخاف يوم الحساب ان يُراجع نفسه، ويُصلح موقفه، خصوصاً: من يعلم أنه سيلحقه بسبب موقفه أوزار الناس كافة إن أصرّ على الضلالة. وثواب الناس كافة ان اتبع ما نهجه الكتاب والسنة له، وأعاد الامور إلى نصابها، والأمة إلى لُحمتها.

ولا ننكر ان جمعاً من السنة، من محبي الحسين ﷺ، ومن المتأثرين لقضيّته وشهادته، لكن ما يصنعه هؤلاء وعامة السنة، هو دون المطلوب الذي ذكرته الأحاديث المروية

عندهم، فيما يلزمهم مع الحسين عليه السلام، وفيما يلزمهم مع أعداء الحسين عليه السلام، وفيما يلزمهم مع هدف الحسين وقضيته ونهجه في الحياة، الذي هو عين نهج الرسول صلى الله عليه وآله والقرآن.

شِيعَةُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الشِيعَةُ أَوْفِيَاءُ لِلْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلِقَضِيَّتِهِ - بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَسْدِيدِهِ وَتَأْيِيدِهِ - .
إِلَّا أَنَّ هُنَا أَمْرٌ يُجَدَّرُ بِنَا ذَكَرَهُ، وَلَا يَصَحُّ السَّكُوتُ عَلَيْهِ.
والمَوْضُوعُ الَّذِي نُرِيدُ إِثَارَتَهُ، مِمَّا تَكَرَّرَ فِي الرِّوَايَاتِ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ، وَالتَّأْكِيدُ لَهُ،
وَبِإِيضَاحِهِ نَحَقِّقُ أَهْدَافاً عِدَّةً.

وَنَبْدَأُ فَنَقُولُ:

ان التكاليف الموجهة إلى الأمة بشأن أهل البيت النبوي متعدّدة، ويلزم الأمة
-بأجمعها- القيام بها، وتفريغ الذمة منها.
فمنها: -وهو أهمها- الاعتقاد بإمامتهم -لأن هذا الاعتقاد من أصول الدين، وبه
يكتمل إيمان المرء.

ومنها: متابعة الأئمة من أهل البيت في أقوالهم وأفعالهم بتمامها وفي مختلف شؤون
الحياة -إلاّ فيما اختص من تكليف بهم-.

ومنها: نصرتهم على عدوهم.

ومنها: محبتهم ومودتهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

ومنها: الاعتقاد باحقيتهم لمقام رسول الله ﷺ من بعد وفاته ﷺ مباشرة إلى غيرها
من التكاليف المتعلقة بهم.

ولا يخفى ان جميع ما ذكرناه، يُمكن أن ينطوي تحت فقرة: لزوم متابعة الأئمة في اقوالهم وافعالهم، وانما ننبّه على الاختص مع دخوله تحت الأعم، لأهميته، وللفت النظر إليه.

ومن المعلوم أن كل تكليف كليّ، مما تقدّم وغيره، بل كل تكليف جزئيّ، هو تكليف على حدة - باستثناء التكليف الارتباطية كأجزاء الصلاة مثلاً - يسقط بقيام المرء به العقاب عنه، ويستحق بسبب ادائه الثواب. والأمة - بملاحظة التكليف المازّة الذكر - أقسام:

١ - فقسم لم يقوموا بأيّ تكليفٍ إلهي - مما تقدّم وغيره - تجاه أهل البيت النبوي، بل أعلنوا عداوتهم، وبغضهم، وشاركوا في ما جرى عليهم من مصائب وكوارث. وهذا القسم ليسوا من الأمة في حقيقة الأمر، لا دنيوياً ولا اخروياً، بحكم مجموعة من النصوص، وهم المعبر عنهم بالنواصب.

وقد مرّ زمان على ديار الإسلام اصطفّ فيها مجموعة كبيرة من الأمة مع أعداء أهل البيت عليهم السلام ولبسوا معهم ثوب العداوة والبغض لآل النبي صلى الله عليه وآله فوالوا عدوهم، وعادوهم، كما عادوا وليّهم، غير انه بمرور الزمان خفت نيران هذه الطائفة، وانتكست أعلامها، وإن وجد هنا أو هناك شذاذ يحملون فكرهم وحقدهم.

٢ - والقسم الثاني: لم يُبغضوا آل محمد، كما لم يحملوا لهم مشاعر الود والمحبة، فلم يوالوهم حق الموالاتة، كما لم يبرؤوا من أعدائهم.

٣ - وقسم لم يبغضوهم، بل احبّوهم وحلّوا لأهل البيت النبوي مشاعر الودّ والوفاء، وظهروا تعاطفاً معهم، إلّا أن هذا بقي ضمن هذه الحدود، دون أن يتعدّاها لمراتب أعلى، يتوفر بشأنها نصوص منجزة للتكليف، على وجوب موالاتهم، ونصرتهم، والاعتقاد بإمامتهم، والانضواء تحت رايتهم، واتباعهم في مناهجهم، والتحرّك أو

السكون وفقاً لأوامرهم.

وقد انضوى قسم من مخالفين خط أهل البيت ومنهجهم العقائدي والفقهية، تحت هذا القسم، فهُم مع مخالفتهم لخطهم، فإنهم يظهرون الحب والود لهم كذلك، وكانوا قلة، وهم في ازدياد.

٤- وآخرون أحبوا أهل البيت عليه السلام واعتقدوا بإمامتهم، وباستحقاقهم للقيام مقام رسول الله صلى الله عليه وآله - بعد رحيله - في إمامة الأمة وزعامتها، كما اعتقدوا بعصمتهم، وبلزوم نصرتهم وتفديتهم بالغالي والنفيس، والتزموا بكل الأمور الكلية المطلوبة منهم تجاه أهل البيت عليه السلام.

والخلل في توجههم:

أنهم لم يلتزموا بكل ما جاء عن أهل البيت حرفياً، فهم عاملون بمجموعة أساسية من التكاليف تجاههم، ومتقاعسون عن اتباعهم في كل ما جاء عنهم حرفياً، فقصروا في مجموعة من التكاليف لثقلها ومشقتها أو لدواعٍ أخرى.

٥- والطائفة الأخيرة هي التي أدت كل ما هو مطلوب شرعاً من المرء المسلم المؤمن حقيقةً تجاه أهل البيت النبوي، وصنعوا كل ما امرؤ به حرفياً، وانضوا تحت لوائهم في حياتهم، وحملوا مشعلهم بعد رحيلهم عن ساحة الدنيا، وهم اليوم عاملون بما هو مطلوب، ومنتظرون لغائبهم المهدي الموعود.

والطائفتان الأخيرتان هما اللتان يصدق عليهما عنوان الشيعة الوارد في الأخبار الشريفة، وتتبعهما الأحكام المختصة بالشيعة دنياً وآخره.

غير أن الطائفة الأولى - من هاتين الطائفتين الأخيرتين - مسلوب عنها بعض المراتب في الدارين، وبعض الأحكام المتعلقة بالشيعة، أي سلب عنها بعض الجزاء الحسن الذي

وُعد به الثابت على الطريق والقائم بكل التكليف، وإن لم تخرج من دائرة الشيعة وحيّز الإيمان، ولعل أن تدركهم رحمة أو شفاعة تلحقهم بالطائفة الأفضل، وهناك وعدٌ بهذا في الجملة، ولا يصحّ لامرئ الاتكال على هذا الوعد كي يتفلّت من التكليف فإنّ الامر غير مقطوع به لاحدٍ كي يعتمد عليه.

والطائفة الأخيرة بالخصوص هي الشيعة بكل معنى الكلمة، وهي أمل الأئمة عليهم السلام في التغيير، والمراتب السامية لها، والوعد بأجل الجزاء متوجه إليها، وعلى هذا مجموعة من النصوص، وقد اورد الشيخ الصدوق في كتابه - صفات الشيعة - مجموعة مهمة منها.

عن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا أهل الورع والإجتهد، وأهل الوفاء والأمانة، وأهل الزهد والعبادة، أصحاب إحدى وخمسين ركعة في اليوم واللييلة، القائمون بالليل، الصائمون بالنهار، يزكون أموالهم، ويحجون البيت، ويحجّون كلَّ محرّم»^(١).

وعن مولانا الإمام الرضا عليه السلام: «شيعتنا المسلمون لأمرنا، الآخذون بقولنا، المخالفون لأعدائنا، فمن لم يكن كذلك فليس منّا»^(٢).

وفي بعض النصوص، التصريح بعدم كفاية حبّهم بدون اتّباعهم بالعمل بما أمر الله به، والانتهاز عما نهى، وإظهار مكارم الأخلاق^(٣).

ومنها ما عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام في قوله لجابر بن يزيد الجعفي:

(١) صفات الشيعة، الشيخ الصدوق، ص ١٨٩ ح ١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٠ ح ٢.

(٣) راجع الأحاديث ٢١ - ٢٢ وغيرها من كتاب صفات الشيعة للصدوق، والبحار، ج ٦ ص ١٤٩.

«يا جابر، أيكثفي من اتّخذ التشييع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون إلّا بالتواضع والتخشّع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبرّ بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أُنماء عشائرهم في الأشياء...»^(١).

وكما أورد الصدوق مقداراً مهماً من النصوص تتضمّن الصفات المطلوب توافرها في الشيعة الكرام، فكذلك أورد نصوصاً في فضائل الشيعة ومقاماتهم وعلوّ قدرهم في الدارين^(٢).

إن نتيجة ما تقدّم:

هو ان شيعة علي أمير المؤمنين والحسن والحسين وبقية الأئمة الأطهار (عليهم السلام) إلى المهدي (عجل الله فرجه) بحقيقة الكلمة هم الطائفة الأخيرة، وبأمثال هؤلاء نهض النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته، ولثلهم ينتظر قائم آل محمد (صلى الله عليه وآله).

وقد ورد في حق هذه الطائفة مجموعة مهمة من النصوص، تمدحهم وتشيد بهم وتنوّه بالدور العظيم الذي قاموا به في إسناد حركة الإسلام وخط أهل البيت (عليهم السلام) ونشر العقيدة الصحيحة والفقه الإسلامي النقي والدفاع بالسيف واللسان عن كل مضامين الإسلام بدون انتقاء أو ملاحظة المنافع الشخصية من ورائها.

فلاحظ النصوص التي وردت في حق هذه الطائفة، ومثالها ما تقدّم - وغيره - عن كتاب صفات الشيعة للشيخ الصدوق^(٣).

(١) صفات الشيعة، ص ٢٠٠ ح ٢٢.

(٢) راجع: فضائل الشيعة، للصدوق.

(٣) وراجع أيضاً: بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج ٦٥ ابتداءً من صفحاته الأولى.

وأما ما ورد في بعض الشيعة فإليك نبذة منها:

عن النبي الأكرم ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى أمرني بحب أربعة... علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي»^(١).

وعن النبي الأكرم ﷺ: «سلمان من أهل البيت»^(٢).

وعن منصور بزرج قال:

قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما أكثر ما أسمع منك سيدي ذكر سلمان الفارسي.

فقال: «لا تقل سلمان الفارسي، ولكن قل: سلمان المحمدي، أتدري ما كثرة ذكري

له؟»

قلت: لا

قال: «لثلاث خلال:

إحداها: إيثاره هوى أمير المؤمنين عليه السلام على هوى نفسه.

والثانية: حبه الفقراء واختياره إياهم على أهل الثروة والعدد.

والثالثة: حبه للعلم والعلماء.

إن سلمان كان عبداً صالحاً حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»^(٣).

وعن مولانا الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «ضاقَت الأرض

بسبعة، بهم يُرزقون، وبهم يُنصرون، وبهم يُمطرون، منهم: سلمان الفارسي والمقداد وأبو

ذر وعمار وحذيفة رحمة الله عليهم، وكان علي عليه السلام يقول: وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢ ص ٣٢١ ح ١٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٢ ص ٣٢٦ ح ٢٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٢٢ ص ٣٢٧ ح ٣٣.

على فاطمة عليها السلام ^(١).

ثم لاحظ ما ورد في حق بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام مثل ميثم التمار، ورشيد الهجري، وقنبر، وأويس القرني ^(٢)، وكُميل، وعمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، وسليم بن قيس الهلالي، والأصبع.

ومن النساء: أم سلمة، وأسماء بنت عميس، وحَبَّابة الوالبيّة.

وعن مولانا الإمام الكاظم عليه السلام:

«إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حوارى الحسن بن علي ابن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله فيقوم: سفيان بن أبي ليلى الهمداني، وحذيفة بن أسيد الغفاري. ثم يُنادي: أين حوارى الحسين بن علي؟ فيقوم كل من استشهد معه ولم يتخلّف عنه» ^(٣).

وعن مولانا الإمام الكاظم عليه السلام: «إذ كان يوم القيامة نادى مناد: أين حوارى علي بن الحسين؟

فيقوم: جبير بن مطعم، ويحيى بن أم الطويل، وأبو خالد الكابلي» ^(٤). وذكر ابن شهر آشوب في المناقب: أفقه الأولين ستة - وهم أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام :

زرارة بن أعين، ومعروف بن خربوذ المكي، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢ ص ٣٥١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٢ ص ١٢١ وما بعدها.

(٣) بحار الأنوار، ج ٤٤ ص ١١٢ ح ٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٦ ص ١٤٤ ح ٢٨.

يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وبُريد بن معاوية العجلي^(١).

عن مولانا الصادق^(ع): «ما أحد أحيا ذكرنا، وأحاديث أبي، إلا: زرارة، وأبو بصير المرادي، ومحمد بن مسلم، وبُريد بن معاوية، ولو لا هؤلاء ما كان أحدٌ يستنبط هُدى، هؤلاء حُفَاط الدين، وأُمناء أبي على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا وفي الآخرة»^(٢).

وفي أصحاب الإمامين الكاظم والرضا^(ع): أجمع أصحابنا على تصحيح ما يصح عن هؤلاء، وتصديقهم، وأقرّوا لهم بالفقه والعلم، وهم ستة نفر..... يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن أبي عمير، وعبد الله بن المغيرة، والحسن بن محبوب، وأحمد بن محمد بن أبي نصر^(٣).

وعن مولانا الجواد^(ع) في محمد بن سنان: «رضي الله عنه برضائي عنه، فما خالفني وما خالف أبي قط».

وقد ذكر علماء الرجال أصحاباً كثيرين للأئمة^(ع) ومنهم مجموعة مهمة كانوا على مرتبة عالية من التشييع والتضحية والطاعة للأئمة^(ع) ولا يتسع المقام تتبع اسمائهم وأخبارهم إلاّ اننا أشرنا إشارة خفيفة إلى هذه الطائفة بما قدّمنا ذكره.

إن أمثال هؤلاء هم الشيعة الذين كان يبحث عنهم علي بن أبي طالب في الأحداث التي مرّت على الإسلام، وعلى الزهراء ابنة رسول الله^(ص) وعليه، وعلى الخط الرساليّ القويم، والذين بحث عنهم ابو محمد الحسن المجتبى قبل تسليمه للدولة إلى الطليق معاوية، وبحث عنهم الحسين الشهيد حين كان يصدع يوم عاشوراء:

(١) بحار الأنوار، ج٦ ص ٣٤٥ ح ٢٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٦ ص ٣٩٠ ح ١١٢.

(٣) كليات في علم الرجال، الشيخ جعفر السبحاني، ص ١٦٦.

هل من ذابٍ يذبّ عن حرم الله.

هل من موحدٍ يخاف الله فينا.

هل من مغيثٍ يرجو الله بإغاثتنا؟

هل من معينٍ يرجو ما عند الله في إعانتنا؟

هؤلاء هم الشيعة الذين يطلبهم السجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم آلاف الصلاة والسلام.

هؤلاء هم الشيعة الذين ورد عن مولانا الصادق عليه السلام ان لو كان له بعددهم سبعة عشر رجلاً لما حلّ له القعود.

هؤلاء هم الذين يطلبهم المهدي المنتظر عليه السلام لينهض بهم نهضته المقدسة، كي لا تتكرر أحداث الطف الثانية، مع أنه آخر معصوم في ساحة الوجود، ولابدّ ان تنتهي به مهزلة دولة الكفر التي تحيا البشرية بين أكنافها منذ آدم عليه السلام وإلى اليوم، بل إلى حين ظهوره - باستثناء اشعاعات نور هنا وهناك في فترات متباعدة -.

وحين ينهض تبدأ صفحة ثانية من تاريخ البشرية.

صفحة الدولة الإلهية التي لا انقضاء لها، وتأخذ الدنيا شكلاً ثانياً لم يحلّم به أحد. وإن كانت مسيرة التكليف مستمرة.

ولكل زمانٍ احكامه وتكاليفه وامتحاناته الخاصة به.

ومن أوّل يومٍ للبشرية إلى آخر يوم لها، فان الغربال يعمل عمله، إذ يتميز من خلاله الجيّد والردئ.

إن الشيعة الذين يطلبهم جميع المعصومين - ومنهم الحسين المظلوم - هم من قبيل النخبة التي صدقت الوعد مع الإمام الحسين عليه السلام، وهافت على الموت، دون أيّ حسابٍ

لمنافع عاجلة، أو لمناصب، أو لما ستسفر عنه ساحة الكفاح.

ما عليهم فقد صنعوه.

والعواقب بيد الله سبحانه، وهو الذي يرزق سبعمئة حبة من حبة واحدة.

حَفِظُ جهود الأنبياء والأوصياء والشهداء والصلحاء ومن تبعهم بإحسان: عليه سبحانه، وهو ينمّيها لهم حتى يرزقهم إياها شجرة متجذرة راسخة في الأرض، وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين، على يد: «المهدي » أمل الجميع.

إحياء عاشوراء

الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء، وحق أن يقال هذا في الحسين عليه السلام فقد قال النبي ﷺ من قبل: «حسين مني وأنا من حسين»

فإذا كان الإسلام حسيني البقاء، فأحرى بالتشيع أن يكون كذلك.

وكما لرسول الله ﷺ المنة على كل إنسان إلى أبد الدهر بما كان سبباً للهداية والنجاة من رذالة الكفر وخسرانه إلى مدارج الإيمان وشموخته، فقد أحيا العقائد الواقعية السليمة، والسلوك الطاهر، والإنسانية الرفيعة، وكل ما يسعد الناس ويهينهم في الدارين، ويرقى بهم إلى ما هو أكمل وأسمى، ومن لم تعل به همته إلى مراتب الملائكة - عبر الأخذ بشريعة النبي الخاتم ﷺ - فهي تحفظه في الأقل عن سقوطه عن مراتب الإنسانية، إلى حيث أُرذل من البهائم وأدنى.

فالحسين عليه السلام له المنة أيضاً على كل البشر بما أحيا شريعة جدّه الخاتم، ولمنعه آل أمية من دفنها وإلى الأبد، ولإعادته لها إلى حيّز الحياة والديمومة، لكنّه أفرح العيون بتضحيته التي ما سمع الدهر بمثلها من مثله.

فأحرى بالدنيا كلها أن تُسخّر للحسين عليه السلام بعدما وهب الحسين عليه السلام ذاته وما يرجع إليه للمولى سبحانه، وانقذ أمة عظيمة من البشر إلى حيث الحياة الطاهرة الزكية في الدنيا، والنجاة من السعير في الآخرة، ويتم هذا التسخير من خلال إحياء ذكرى الإمام الحسين صلوات الله عليه وسلامه.

فإحياء ذكرى الحسين عليه السلام ينطلق من حيثيتين:-

١- العمل للمحافظة على ما استشهد الحسين عليه السلام من أجله، وفداه بنفسه المقدسة، وأفلاذ كبده، وأهل بيته، وأحب أنصاره، وعرض عائلته المقدسة، وعوائل صحبه الأشراف للأسر، وبذل لأجله كل غالٍ ونفيس.

٢- إحياء ذكر الحسين عليه السلام: الإمام عليه السلام المنصوب من الله تعالى، وصاحب الملكات العظيمة، والمواهب الربانية، خامس أصحاب الكساء، وأحد من خلق المولى سبحانه الدنيا لأجلهم، وليس للبشرية عند الحسين إلا الفوز والسعادة ونيل المكارم والمغانم. افيقتل إنسان كهذا، بعد ما يُنكب بكل ما جرى عليه مما سرده التاريخ، ويُذبح عطشاً على شط الفرات بين نسائه وأهل بيته في فلاة قفر من الأرض؟

فاللازم الاهتمام في إحياء مراسم عاشوراء، أداءً لحق هذا العظيم، وإعلاناً لمظلوميته، وتحطياً لمن عانده، وقاتله، وسفك دمه، أو شارك من بعيد أو قريب في محنته ومظلوميته، واماتة لما حاول الأمويون إحيائه وتخليده، من جاهلية عقائدية وسلوكية. أما ما استشهد الإمام عليه السلام من أجله، فإن هذا الكتاب مُعدّ لبيان وتشخيصه، وطريق إحياءه هو استمرار ذلك النهج وتلك الروح، حيثما أمكن - إلا أن يحصل ظرف يقتضي نهجاً آخر بعنوان ثانوي -.

وأما إحياء ذكر الإمام الحسين عليه السلام فله طرائق كثيرة بنصوص عليه، بعضها بالنص الخاص، وبعضها بنص يتضمّن عنواناً عاماً تدرج تحته عناوين كثيرة تصلح كلها كتطبيقات ومصاديق لذلك العنوان العام، فلا يُعترض على واحدٍ منها لعدم ورود نصّ عليه بخصوصه وذلك لانه منصوص عليه أيضاً وإنما بحسب اندراجه تحت ذلك العام، وهذا العام يُمكن ان تزيد العناوين المندرجة تحته بحسب اختلاف الزمان والمكان كما يُمكن ان تُلغى منه بعضها للاختلاف الزماني والمكاني.

يقول السيد الجليل رضي الدين ابن طاووس الحلي:

ولو لا امتثال أمر السنّة والكتاب، في لبس شعار الجزع والمصاب، لأجل ما طُمِسَ من اعلام الهداية، وأُسِس من أركان الغواية، وتأسفًا على ما فاتنا من تلك السعادة، وتلهفًا على أمثال تلك الشهادة، وإلاّ كنّا قد لبسنا لتلك النعمة الكبرى أثواب المسرة والبشرى.

وحيث إن في الجزع رضی لسلطان المعاد، وغرضاً لأبرار العباد، فيها نحن قد لبسنا سربال الجزوع، وآتسنا بإرسال الدموع، وقلنا للعيون جودي بتواتر البكاء، وللقلوب جدّي جدّ ثواكل النساء.....

... وكيف لا يكون كذلك، وقد أصبح لحم رسول الله ﷺ مجرّداً على الرمال، ودمه الشريف مسفوكاً بسيوف الضلال، ووجوه بناته مبدولة لعين السائق والشامت، وسلبهنّ بمنظر من الناطق والصامت، وتلك الأبدان المعظمة عارية من الثياب، والأجساد المكرّمة جاثية على التراب^(١).

فحقاً ما يقول السيد ابن طاووس، فكما ان في ملحمة الطف حيثة المأساة وموجبات الحزن والجزع، فإن فيها حيثة أخرى هي موجبات الاستبشار والفرح العظيم. والسرّ في دواعي الاستبشار:

إن الثورة الحسينية حققت مكاسب هائلة للإسلام، والأمة، بل لكل مؤمن. بالإضافة إلى المغنم العظيمة التي نالها نفس الحسين الشهيد صلوات الله عليه وسلامه.

إذ ان الدولة السفينائية كانت بصدد القضاء التام على الإسلام الحقيقي واقتلعه

(١) الملهوف، السيد ابن طاووس، ص ٨٣ - ٨٤.

من جذوره واستبداله بإسلام ممسوخ وفق المقاس الأموي الجاهلي عقيدة وسلوكاً، غير أن الحسين عليه السلام كان لخططهم بالمرصاد وقام بإجهاض تلك المؤامرة المحبكة، وأعاد الإسلام إلى تنسّم الأنفاس من جديد.

كما إن حركة الحسين عليه السلام أحدثت هزة عميقة في ضمير الأمة، وأيقضتها من غفوتها، بل أحييتها بعد ما كادت تلفظ أنفاسها كامّة إسلامية، وكمجتمع إنساني إذ أن الأمة كانت تدق أبواب الجاهلية من جديد والحسين أعادها إلى مسار الإسلام وانقذ منها ما أمكن إنقاذه من السقوط الأبدي في جهنم.

وبإعادة الإسلام والأمة إلى الارتباط من جديد يتضح وجه المكاسب التي حققها الحسين لكل مؤمن بالاضافة إلى إن ارتباط المؤمن بالحركة الحسينية أصبح سبباً جديداً لانفتاح هذا المؤمن على البركات الإلهية الخاصة في الدنيا والآخرة وهي بركات سببها الحسين تبدأ بحطّ الذنوب العظام وآثارها في الدنيا وتنتهي بالشفاعة الحسينية والنجاة في الآخرة -ضمن الشروط المذكورة لهذه البركات- وأما المغانم التي نالها نفس الحسين عليه السلام السبب غير محدودة. ومن أهمها ما ذكرته بعض النصوص من أن له منزلة خاصة لن ينالها بدون الشهادة وقد حققت له تضحيته وشهادته في سبيل الله النتائج المرجوة، ورفعته إلى أعلى منزلة.

فحقاً يقول السيد ابن طاووس، أنه لو لا الأمر الشرعي بإظهار الحزن والجزع على سيد الشهداء لكان الأجدر بأحباب الحسين عليه السلام هو إظهار السرور بهذه الشهادة التي حققت ما تقدّم وكثير غيره للإسلام وللمؤمنين وللحسين عليه السلام لكن حيثة الجزع تغلب الحيثة المتقدّم ذكرها، لأن جريمة الأمويين بحق الحسين وآله عليهم السلام والإسلام يوم الطف، فاقت كل حدّ إذ أظهر أولئك المسوخ كل رذيلة باقصى مراتبها ذلك اليوم، وبلغوا مع الحسين عليه السلام وآله وصحبه غاية الخسة، وطبيعة سلوكهم ذلك اليوم ينم عن

ان المسألة ليست قضية محاولة الإمام (عليه السلام) لإخراجهم من السلطة وانهم متمسكون بها، بل تصرخ بحقدهم الدفين على الإسلام وبيت النبوة، وان جوانحهم لا تنطوي على أيّ جريمة وخلق إنساني فضلاً عن المبادئ والمعاني الإسلامية، والأّ كيف تفسّر الأساليب التي استعانوا بها لتحقيق الانتصار على الإمام (عليه السلام) ابتداءً من نفس تخييرهم للإمام (عليه السلام) بين الموت أو الأسر المذلّ الاستعبادي - والعياذ بالله العظيم - وهو إمام الأمة بنص رسول الله (صلى الله عليه وآله) المروي عند الشيعة والسنة - وابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسبطه وهو سيّد شباب أهل الجنة.... الخ مروراً بالاعداد الهائلة - رجالاً وسلاحاً- التي حشدوها لآبادة الإمام وأسرته وصحبه، ومنع الماء على الجميع بما فيهم النساء والاطفال الرضّع وانتهاءً بقتل كل طفل حتى الرضيع إلى ذبح نفس الإمام (عليه السلام) - وهو يكلمهم مع انه فقد كل قدرة له على الحركة فضلاً عن المقاومة نتيجة الضربات الهائلة التي تلقاها - كمية ونوعية- وكان سيؤول إلى الموت المحتم بعد دقائق إلاّ انهم ذبحوه ذبحاً وهو يكلمهم ثم كسّروا عظام جسمه بإمرار عشرة من الخيول عليها.

ثم تعال إلى نهب النساء وإحراق الخيام وإدخال ما لا يوصف من الرعب والخوف على من بقي، ثم أخذ النساء والأطفال - مع إمام الأمة (عليه السلام): زين العابدين حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله) - أسارى إلى الكوفة ثم إلى الشام في رحلة مهلكة مأساوية كما يقاد العبيد وفي أسوأ حال.

الله أكبر: أسرة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) أسارى في بلاد تسمى بلاد المسلمين، وبايدي من يسمّون انفسهم بالمسلمين، وإمام سمع وبصر من يسمّون بالمسلمين، ولا من منكر ولا من ناثر.

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيّهِ يالرجال على قناةٍ يُرفع

والمسلمون بمنظرٍ وبمسمعٍ لا منكرٍ منهم ولا متفجعٍ
مع أن القرآن يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾^(١).

ويقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢).

ولو كان كل واحدٍ من المسلمين قد رأى نساء هذه الحالة لحمل السلاح وخرج
وجازف بدمه في سبيل استنقاذهم ولا تجد أحداً يحمل السلاح لانقاذ بنات رسول
الله ﷺ من الأسر، وهذا يدل على مدى كفر وجبروت السلطة الأموية الكافرة الفاجرة،
وعلى الحال الرذل الذي بلغته الأمة عقائدياً وسلوكياً.

مراسم الأحياء:

لقد بينا في كتابين لنا شيئاً عن هذا الموضوع وهما «مسلم بن عقيل» و«العباس بن
علي»، وليس هدفنا استيعاب الموضوع في أيٍّ من كتبنا فهذا يحتاج لكتاب خاص به،
ولعل التوفيق يحالفنا أو يحالف أحد اخواننا من أهل العلم في القيام بهذا البحث الجليل،
لكن مرامنا هنا هو التعرّض للموضوع ولتناوله جزئياً.

إن السلوك الذي أمر به الأئمة عليهم السلام في إحياء أمر الحسين عليه السلام ونهضته، وقام به
الشيعة، من الإصرار في البكاء على الحسين، وإقامة المآتم، وزيارة القبر المقدّس، وتذاكر
أمر الحسين وقضيّته وأهدافه، أدى بالنتيجة إلى جعل الوجود الحسيني بكافة جهاته أمراً
واقعيّاً يحسب له حسابه.

إذ بحسب ظروف المنع والضغط، فإنه كان على هذه الظاهرة أن تنتهي في مهدها،

(١) سورة الاحزاب من الآية ٣٣.

(٢) سورة الشورى من الآية ٢٣.

ويخبو ضوءها، مع أنك تجد الحسين عليه السلام في العالم اليوم مذكوراً من أقصاه إلى أقصاه، وحيثما وُجد شيعي، وحيثما وُجد حُبّ للحسين عليه السلام، وأصبحت الثقافة الحسينية مفروضة على الأمة الإسلامية، وتتسع يوماً بعد يوم، ليشارك في إحيائها والكتابة بشأنها- بشكل أو آخر- شريحة أوسع من نطاق الشيعة، وكل ذلك من العمل الحثيث لأئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام ولنشاط الشيعة.

لئن ورد عن الإمام المظلوم الحسين عليه السلام في وصيته لأخته زينب عليها السلام:
«أقسمتُ عليك فأبري قسماً: لا تشقي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور، إذا أنا هلكت» ^(١).

فقد ورد عن بقيّة الأئمة المعصومين عليهم السلام الشيء الكثير من النصوص الموضّحة للثواب العظيم الإلهي، لمن حزن للإمام الشهيد وبكاه وذكره وانشد فيه شعراً إلى غير ذلك من مظاهر الحزن والجزع عليه ^(٢).

وهذا مهدي آل محمد -صلوات الله عليه وسلامه- يروى عنه:
فلئن أخرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم اكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلاندبتك صباحاً ومساءً، ولأبكين لك بدل الدموع دماً، حسرة عليك، وتأسفاً على ما دهاك، وتلهفاً، حتى أموت بلوعة المصاب، وغصة الاكتئاب ^(٣).

وورد ان السيدة زينب عليها السلام ضربت راسها بمقدّم الحمل، لما رأت رأس الإمام

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ٢.

(٢) راجع: كامل الزيارات، للشيخ ابن قولويه.

(٣) ضياء الصالحين، الحاج محمد صالح الجوهرجي، ص ٥٥٠.

محمولاً على الرمح^(١).

وورد انه: لم تختضب هاشميّة ولا رجّلت ولا أدّھنت حتّى أتى الهاشميين رأس ابن زياد «لعنه الله تعالى»^(٢).

وهذا زين العابدين عليه السلام «الشاهد الأعظم على أحداث كربلاء» يقول لأهل المدينة في المروي عنه بعد أن يصف الحدث بأنه ثلّمة في الإسلام عظيمة:

«قتل أبو عبد الله الحسين وعترته، وسُبيت نساؤه وصبيته، وداروا براسه في البُلدان، من فوق عامل السنان، وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها الناس: فأَيّ رجالات منكم يُسرّون بعد قتله، أم أيّ فؤادٍ لا يحزن من أجله، أم أيّة عينٍ منكم تحبس دمعها، وتضنّ عن انبهاها....

أيّها الناس: أيّ قلب لا ينصدع لقتله، أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه، أم أيّ سمعٍ يسمع بهذا الثلّمة التي ثلّمت في الإسلام ولا يُصمّ»^(٣).

ان مسألة الإحياء واستحبابه في اصلها هي مسألة ضرورية لا تحتاج إلى مراجعة مُفَتٍّ اصلاً، إذ أنّ استحباب إحياء قضية الحسين عليه السلام في الجملة مسألة لا تحتاج إلى إقامة الدليل عليها إذ بلغت مرتبة القطع بالجواز، بل هي من البدهاة بمكان عند كل شيوعي متدين قريب من الأجواء الدينية والفقهية.

نعم في تفاصيلها كلام فيرجع كلّ إلى مقلده لمعرفة الحكم في بعض مراسم الإحياء وانها تصلح للممارسة بحسب الزمان والمكان والظروف المحيطة ام لا. فنقول: ان مجموعة من هذه المراسم وصلت إلى حدّ القطع بالجواز بل الاستحباب كأصل المسألة

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥ ص ١١٥.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ١ ص ٣٩١ الباب ٢٢ ح ١.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٤٢٥.

مثل البكاء على الإمام (عليه السلام)، وإقامة المجالس لذكر قصته، وزيارته، إذ وردت الأدلة الكثيرة عليها ومارسها الأئمة المعصومون (عليهم السلام) وشيعتهم أيضاً في عصرهم، ثم تناولها الشيعة بالممارسة جيلاً بعد جيل يتقدمهم في هذا فقهاؤهم وكبرائهم دون نكير من أحد أصلاً ولا يزداد الأمر إلا علّوا وسعة وعادت هذه المراسم اسساً لا يُعترض عليها، نعم لعل المناقشة تحصل في أمور أخرى استجدت زماناً بحسب مسير العصور وتغير الظروف وحلول المستجدات.

والذي نريد قوله هنا بكلام جامع هو:

كل امرٍ ثبت بدليل، استحباب أو جواز اقامته، بعنوان خاص، فلا ريب في شأنه. وما انطبق عليه أحد العناوين العامة فكذا.

لكن كل ما تقدّم بحيث لا يزاحمه حكم آخر اقتضاه ظرف خاص، وما تحققت فيه المزاخمة فيلاحظ الأهم والمهم فيه، إذ يُقدّم الأهم بحسب القانون الاصولي في مسألة التزام.

وقد تبه أحد الفقهاء الكرام إلى التروّي والتثبت في هذا المجال وعدم التسرع في الاقدام على المنع من المراسم الحسينية بحجة المزاخمة وتقديم الأهم، وذلك أن أهمية القضية الحسينية ومراسمها تجعلها هي الأهم في عدة من المزاخمات فالتزام أهمية غيرها يحتاج إلى تثبت وتدقيق للجزم به ثم البناء عليه^(١).

لكن إذا تم التثبت والتحقيق والتدقيق وجزم بالمزاخمة فلا ينبغي التوقف ابداً في المنع من محل البحث، والكلام في مورد المزاخمة، إلا أن يزاحم المنع منه عنوان آخر، كانفتاح باب فتنة، أو حلول التفرقة بين أبناء الطائفة المحقة، أو حصول وهن في مذهب

(١) السيّد محمد سعيد الحكيم، رسائل للمبلغين، ص.

الحق، أو تقوِّي الظالمين على المذهب وابناءه، أو انفتاح باب اكيد لضرب تلك المراسم والشعائر... الخ، فيلزم معالجة حالة التزاحم الجديدة إلى حيث مقتضيات قوانين علم أصول الفقه لمثل هذه الحالات حتى نصل إلى الموقف النهائي المطلوب إيصاله إلى المؤمنين والمسترشدين.

ثمَّ انَّ في النصوص: عناوين عامة، وأخرى خاصة، تتعلق بقضية الإحياء.

فمن العناوين العامة: إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وتذاكر أمرهم.

ومن الخاصة: البكاء على الإمام عليه السلام، وإقامة المآتم.

أما ما ورد بخصوصه في نصوص الشريعة، فيؤخذ به، لورود النصِّ بالأمر به، وإن خفي وجه الفائدة فيه.

على ان كل ما ورد الأمر به في الشريعة في هذا المجال، قد بانت فوائده، بل آثاره العظيمة، في إحياء قضية الإمام عليه السلام، بل في اعطائه الديمومة للحركة الإسلامية ككل، ولا يزال يرفد الأمة بالعطاء.

ونتعرّض هنا لما ورد من أوامر لاهياء قضايا أهل البيت عليهم السلام عامة، وقضية الحسين بشكل خاص، لكن تحت عناوين عامة، تصلح لها تطبيقات كثيرة، قد تختلف بحسب الزمان والمكان.

فمنها: ما ورد بعنوان إحياء أمرهم عليهم السلام:

عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «تجلسون وتحدّثون».

قال «الراوي» قلت: نعم، جعلت فداك.

قال: «تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيا أمرنا»^(١).

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٠ ص ١٨٠ ح ٤.

وعن أبي جعفر الثاني (عليه السلام) - الجواد - قال:
«رحم الله عبداً أحيا ذكرنا».

قلت: ما إحياء ذكركم.

قال: «التلاقي والتذاكر عند أهل الثبات»^(١) - أي الشيعة المتمسكين بنهج أهل البيت (عليهم السلام) -.

وعن الصادق (عليه السلام): «رحم الله امرئاً أحيا أمرنا».

فقليل: وما إحياء أمركم يا بن رسول الله؟

فقال: «تذكرونه عند أهل العلم والدين واللّب»^(٢).

وعن أبي جعفر، محمد بن علي (عليه السلام)، قال:

«اجتمعوا وتذاكروا، تحفّ بكم الملائكة، رحم الله من أحيا أمرنا».

ومنها: ما ورد بعنوان ذكّرهم، وقد روي فيه أحاديث عدة في الحث عليه^(٣).

كما ان هناك عناوين عامة اخرى تركنا استقصائها، وهناك عناوين عامة إلا أنها أضيق دائرة من العناوين المتقدم ذكرها، وتندرج تحتها.

واما العناوين الخاصة فمنها:

١- زيارة الإمام الحسين (عليه السلام).

فقد حفلت روايات كثيرة، واردة في كتب الشيعة والسنة، في الحث عليها، ببيان الثواب العظيم المعدّ للعامل بها.

(١) المصدر السابق، ج ٢٠ ص ١٨١ ح ٥.

(٢) المصدر السابق، ح ٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٢٠ ص ١٨٢ وما بعدها.

فمن طرق السُّنَّة: ما ذكره المحبُّ الطبري في ذخائر العقبى: سُئل جعفر بن محمد عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام فقال: «أخبرني أبي أن من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه كتب الله له في عليّين.

وقال: إنَّ حول قبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملك، شُعْثاً، غُبْراً، سيكون عليه إلى يوم القيامة»^(١).

ومن طرق الشيعة الإمامية^(٢): ما عن الإمام الباقر عليه السلام: «مُرُوا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام فإنَّ إتيانه يزيد في الرزق، ويمدّ في العمر، ويدفع مدافع السوء، وإتيانه مفترض على كُلِّ مؤمن يقرّ للحسين بالإمامة من الله»^(٣).

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: «من أراد أن يكون في جوار نبيّه عليه السلام وجوار علي وفاطمة عليهما السلام فلا يدع زيارة الحسين بن علي عليهما السلام»^(٤).

والروايات كثيرة جداً من طرق الإمامية وفيها ما يخيّر الألباب من آثار الزيارة المباركة للحسين عليه السلام دنيوياً وأخروياً، فراجع واغتنم.

ب- البكاء على الإمام عليه السلام.

ففي مصادر السُّنَّة: ما نقله المحبُّ الطبري، عن الحسين بن علي عليهما السلام: «من دمعت

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، الفيروز آبادي، ج ٣ ص ٣٢١، عن المحب الطبري، ص ١٥١.

(٢) وردت روايات كثيرة جداً تجدها في كتاب: جامع احاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ١ ص ١٧٩ - ٤٧٢، وفي: مسند الإمام الشهيد، للعطارد، ج ٢ ص ٣١٩ - ٤٧١، وهذه الروايات تتعلق بأهمية زيارة الإمام الحسين عليه السلام وفضلها العظيم عند الله سبحانه، والآثار الدنيوية والأخروية المترتبة عليها، وتتعرّض لذكر نصوص الزيارات.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج ١ ص ٣٢٠ باب ٦٣ ح ١.

(٤) جامع أحاديث الشيعة، ج ١ ص ١٨٢ ح ١.

عيناه فينا دمة، أو قطرت عيناه فينا قطرة، آتاه الله عز وجل الجنة»^(١).

وفي مصادر الإمامية: عن الإمام الحسين عليه السلام: «أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا بكى»^(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام:

«نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي عليه السلام وهو مقبل فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً».

ثم قال عليه السلام: «بأبي قتيل كل عبرة».

قيل: وما قتيل كل عبرة يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: «لا يذكره مؤمن إلا بكى»^(٣).

بل إن البكاء على الحسين المظلوم قد صدر عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وقد روي هذا في مصنفات الشيعة والسنة.

فمنها ما رواه الخوارزمي في كتابه «مقتل الحسين» عن أسماء بنت عميس:

قالت أسماء: فلما كان بعد حول من مولد الحسن، ولدت-أي: فاطمة عليها السلام - الحسين، فجاءني النبي صلى الله عليه وآله، فقال: «يا أسماء، ها هي ابني».

فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى.

قالت أسماء: فقلت: فذاك أبي وامي مم بكاؤك؟

قال: «على ابني هذا».

(١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٣ ص ٣٢١ عن مصادر عدة.

(٢) جامع احاديث الشيعة، ج٥ ص ٤٤١ ح ٢١.

(٣) المصدر السابق، ح ١٨.

قلت: إنه وُلِدَ الساعة.

قال ﷺ: «يا أسماء، تقتله الفئة الباغية، لا أنالهم الله شفاعتي».

ثم قال ﷺ: «يا أسماء، لا تُخبري فاطمة بهذا، فإنها قريبة عهد بولادته»^(١).

(١) روى هذا جمع تجد ذكرهم في هامش، ص ٥٧٢ من كتاب: ليالي بيشاور، وقد ذكر روايات عدّة عن مصادر كثيرة في بكاء النبي ﷺ على سبطه، فاغتنمها.

أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

ثلاثة أمور تتعلّق بأربعينية الإمام عليه السلام لا ارتباط لأحدها بالآخر، وإثبات واحدٍ منها أو نفيه، لا يؤثر على البقية:

- أ- استحباب زيارة الإمام الحسين عليه السلام الزيارة الأربعينية.
- ب- ورود عائلة الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء - وهي في طريقها من الشام إلى المدينة - وقد صادف وصولها يوم الأربعين من شهادة الإمام عليه السلام.
- ج- ورود جابر بن عبد الله الأنصاري - الصحابي الجليل الموالي لاهل البيت النبوي - إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام وقد صادف وصوله أربعينية الإمام عليه السلام كما صادف أيضاً وصول عائلة الإمام عليه السلام من الشام، وهي في طريقها إلى المدينة. ويُمكن جعل النقطة الثالثة نقطتين:

- ١- ورود جابر إلى قبر الإمام عليه السلام يوم الأربعين من شهادته.
 - ٢- التقاء جابر بعائلة الإمام عليه السلام عند قبره المقدّس.
- والأمور الثلاثة المتقدّمة وقعت محلاً للنقض والإبرام والتساؤل - في الجملة - والوجه في وقوعها كذلك هو:

أ- الوجه في استحباب زيارة الإمام يوم الأربعين من شهادته، وتخصيصه بهذا من دون بقية المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

وقد أجاب الشيخ المجلسي - صاحب البحار - عن هذا التساؤل بقوله:

المشهور بين الأصحاب: أن العلة في ذلك، رجوع حرم الحسين صلوات الله عليه في مثل ذلك اليوم إلى كربلاء عند رجوعهم من الشام، وإلحاق علي بن الحسين صلوات الله عليه الرؤوس بالأجساد.

وقيل: في مثل ذلك اليوم رجعوا إلى المدينة، وكلاهما مستبعدان جداً، لأن الزمان لا يسهل ذلك كما يظهر من الأخبار والآثار. وكون ذلك في السنة الأخرى أيضاً مستبعد.

ولعل العلة في استحباب الزيارة في هذا اليوم: هو أن جابر بن عبد الله الأنصاري - رضوان الله تعالى عنه - في مثل هذا اليوم وصل من المدينة إلى قبره الشريف، زاره بالزيارة التي مر ذكرها، فكان أول من زاره من الإنس ظاهراً، فلذلك يستحب التأسي به.

أو إطلاق أهل البيت عليهم السلام في الشام من الحبس والقيود في مثل هذا اليوم. أو علة أخرى لا نعرفه ^(١).

وقال: قال الكفعمي رحمته الله: إنما سُميت بزيارة الأربعين لأن وقتها يوم العشرين من صفر، وذلك لأربعين يوماً من مقتل الحسين عليه السلام، وهو اليوم الذي ورد فيه جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وآله من المدينة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام فكان أول من زاره من الناس، وفي هذا اليوم كان رجوع حرم الحسين عليه السلام من الشام إلى المدينة. وقال السيد رحمته الله في كتاب الإقبال: فإن قيل كيف يكون يوم العشرين من صفر يوم الأربعين إذا كان قتل الحسين صلوات الله عليه يوم عاشر محرم فيكون يوم العاشر من جملة الأربعين، فيصير أحداً وأربعين، فيقال:

(١) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ٩ ص ٣٣٤.

لعله قد كان شهر محرم الذي قُتل فيه صلوات الله عليه ناقصاً، وكان يوم عشرين من صفر تمام أربعين يوماً.

فإنه حيث ضبط يوم الأربعين بالعشرين من صفر فأمّا أن يكون الشهر كما قلنا ناقصاً أو يكون تاماً ويكون يوم قتله صلوات الله عليه غير محسوب من عدد الأربعين لأن قتله كان في أواخر نهاره فلم يحصل ذلك اليوم كله في العدد، وهذا تأويل كاف للعارفين، وهم أعرف بأسرار رب العالمين في تعيين أوقات الزيارة للطاهرين.

ثم قال عليه السلام -أي السيد ابن طاووس في الإقبال-:

ووجدت في المصباح أن حُرّم الحسين عليه السلام وصلوا المدينة مع مولانا علي بن الحسين عليه السلام يوم العشرين من صفر.

وفي غير المصباح أنهم وصلوا كربلاء أيضاً في عودهم من الشام يوم العشرين من صفر، وكلاهما مستبعد، لأنّ عبيد الله بن زياد لعنه الله كتب إلى يزيد يعرفه ما جرى ويستأذنه في حملهم، ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه، وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوماً أو أكثر منها، ولأنه لما حملهم إلى الشام روي أنهم أقاموا فيها شهراً في موضع لا يُكنّهم من حرٍّ ولا برد، وصورة الحال تقتضي أنهم تأخروا أكثر من أربعين يوماً من يوم قُتل عليه السلام إلى أن وصلوا العراق أو المدينة.

وأما جوازهم في عودهم على كربلاء فيمكن ذلك، ولكنّه ما يكون وصولهم إليها يوم العشرين من صفر، لأنهم اجتمعوا على ما روي مع جابر بن عبد الله الأنصاري، فإن كان جابر وصل زائراً من الحجاز فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوماً، وعلى أن يكون جابر وصل من غير الحجاز، من الكوفة أو غيرها ^(١).

ويتضح مما تقدم أن أربعينية الإمام تُصادف غير ما تقدم ذكره في بداية الفصل أي:

رجوع الركب الحسيني إلى المدينة^(١)، وهو بعيد غايته، إلا إذا التزمنا بأن هذا كان بعد عام من استشهاد الإمام عليه السلام وهو بعيد أيضاً.

استحباب الزيارة:

ورد عن مولانا الإمام أبي محمد الحسن العسكري صلوات الله عليه وسلامه أنه قال: «علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر بسم الله الرحمن الرحيم»^(٢). وفي تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي - وفي غيره أيضاً^(٣) - ذكر زيارة بعنوان زيارة الأربعين، وذكر أنها تُزار عند ارتفاع النهار. والنصوص غير معللة بأن هذه الزيارة لمكان رجوع السبايا إلى كربلاء، أو لوصول زائرٍ إلى قبر الحسين عليه السلام - جابرٍ أو غيره -.

رجوع السبايا وزيارة جابر:

ويُمكن حلّ الإشكال، في استبعاد وصول السبايا، أو جابر، يوم الأربعين إلى كربلاء، بفكّ المطالب، بأن نقول: ان الزيارة مستحبة على حدة - مع ثبوت الإستحباب بادلة خاصة، والّا فالقول به بناءً على قاعدة التسامح في أدلة السنن - ولا ربط لها برجوع السبايا، أو بزيارة جابر، وما

(١) ذكر الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان ص ٣٦١، ان هذا قول للشيخين أي - المفيد والطوسي -.

(٢) مصباح الزائر، السيد رضي الدين بن طاووس، ص ٢٦٨، وتوجد في تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ج ٦ ص ٤٧ ح ٣٧ باختلاف طفيف، وأقدم من نقلها: المفيد في مزاره.

(٣) راجع: بحار الأنوار، ج ٩ ص ٩٨ - ٣٣١ - ٣٣٤، وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ٩٧.

ذكر بهذا الخصوص إنما هو من توجيهات الأعلام لوجه استحباب الزيارة الأربعينية، وليس هو مفاد نص، فيمكن عدم الالتزام بوجود رابط ما بين هذه الحوادث، وبين استحباب الزيارة الأربعينية، ويكون وجه اختيار يوم الأربعين لاستحباب زيارة سيد الشهداء الحسين عليه السلام لعلّة تكوينية أو تشريعية غير مرتبطة بتاتاً بمن زار الإمام عليه السلام.

وأما زيارة السبايا وزيارة جابر، فيمكن حصولهما في غير يوم الأربعين، مهما افترضنا طول مدة مكث عائلة الإمام في الكوفة أو الشام، وكذا طول مدة سفر جابر إلى كربلاء، ويمكن اجتماعهما أيضاً في كربلاء، مع صلاحية المتوفر -روائياً وتاريخياً- لإثبات حصول هاتين الزيارتين، ولا اجتماع جابر بعائلة الإمام عليه السلام.

ويبقى عندنا:

أ- وجه مرور عائلة الحسين عليه السلام على كربلاء، مع ان المجرم يزيد -لعنه الله تعالى- أمر جنده بإرجاع العائلة المكرّمة إلى المدينة، ومع أن طريق المدينة لا يمرّ عبر كربلاء، بل يحتاج لكلّفةٍ ومسارٍ مختلفٍ تماماً، فطريق المدينة يأخذ بالنزول من دمشق، بينما طريق كربلاء يأخذ بالصعود من دمشق إلى حلب ثم الدخول إلى العراق من طرف الموصل والنزول إلى كربلاء.

ب- وجه الزيارة الأربعينية للإمام عليه السلام وتخصيصه بهذا من دون بقية المعصومين عليهم السلام.

الجواب عن رجوع العائلة إلى كربلاء:

لعائلة الإمام الحسين عليه السلام مع السلطة الطاغوتية مرحلتان:

- المرحلة الأولى: تبدأ من تجمّع الجيوش حول سيد الشهداء عليه السلام وصحبه وعائلته وتنتهي بالفترة التي غير فيها يزيد سياسته مع العائلة الشريفة.

- والمرحلة الثانية: تبدأ من حين تغيير يزيد لسياسته الغليظة مع الاسرة النبوية إلى سياسة اللين والمسايرة، وإلى حين رجوع الاسرة إلى المدينة.

ويمكن تقسيم المرحلة الأولى إلى مرحلتين: أي ما قبل استشهاد الإمام (عليه السلام) وما بعد استشهاد، باعتبار أن ما قبل استشهاد (عليه السلام) يعود إلى ضغط الدولة بشكل مباشر على الإمام (عليه السلام)، ثم على عائلته بالتبع، أما ما بعد استشهاد فان الضغط موجه بالأساس والمباشرة إلى العائلة المكرمة.

أما المرحلة الأولى - بشقيها - من تعامل يزيد وابن زياد وجندهما مع اسرة النبي الأعظم (عليه السلام) فإنها تتميز بالغلظة والشدة بما يزيد على ما يتعامل به مع أسارى الحرب، أي أن السلطة الحاكمة كانت تتعامل مع الاسرة النبوية تعاملها مع مهذوري الدم. وقد حاول ابن زياد - كما حاول هذا يزيد أيضاً - قتل السجّاد (عليه السلام) إلا أن الأمور لم تتم لهما.

إذ ان الأول أمر جنده بقتل الإمام (عليه السلام)، ولولا رمي العقيلة (عليها السلام) نفسها على السجّاد (عليه السلام) وإظهارها مفاداته، لالتحق السجّاد بأبيه (عليه السلام)، وحاول يزيد امراً كهذا ولم يجسر عليه فلم يتم له ما أضمره وعقد عليه عزمه.

وبالاضافة إلى مخاطر من هذا النوع عاشها جمع الأسارى، فقد لقيت الأسرة عنتاً شديداً من أول استشهاد الإمام (عليه السلام) إلى حين تغيير يزيد لسياسته، وما من قلم ولا فكر بقادرين على ان يحيطا بفاجعتهم في تلك الأيام.

إذ ابتدأ الأمر بهجوم الجيش عليهم وإرعابهم، ولما يزل في الإمام الحسين (عليه السلام) رمق، فصاح الإمام المظلوم المفجوع بجموع جيش الضلالة من نواصب الامة:

«ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا

أحراراً في دنياكم هذه، وأرجعوا إلى أحسابكم إن كُنتم غرباً كما تزعمون». ثم أكد عليهم بقوله عليه السلام:

«أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم وجهالكُم وطُغاتكم من التعرّض لحرّمي ما دُمت حياً»^(١).

وبعد استشهاد الإمام عليه السلام هجم الجيش عليهم من جديد، فأحرق الخيام وارعب النساء والأطفال، فهرب الجمع على وجوههم، ولو لا العقيلة التي جمعت شملهم، ودفعت عنهم بأس المجرمين، لزاد أولئك على ما صدر عنهم من أفاعيل تناسب ذاتياتهم ونهجهم.

وما بين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام إلى تغيير يزيد لسياسته، فان معاملة السلطة لهم كانت بأسوء ما يُمكن، فالقتل يتهددهم، وحال السبايا قد أحاط بهم، ولا يدّخر أذئاب السلطة ولا رؤوسها جُهداً في ايدائهم، وإيقاع الضرر بهم. والذي غير من يزيد نهجه:

أ- حُطِب الإمام السجاد والعقيلة عليهما السلام وغيرهما في الكوفة، وفي قصر يزيد، بل في تمام مسيرة الاسرة النبوية المسبية، إذ انتجت من جملة ما انتجته امرين مُهمّين:

١- توعية الناس بحقيقة أمرهم وأنهم عائلة النبي الأكرم، وحقيقة قضيتهم وحقيقة السلطة الكافرة الفاجرة.

٢- تهيج الناس وإثارة غضبهم وغيظهم على السلطة، وقد امتد الوعي والهيجان إلى داخل قصر ابن زياد بمواجهة بين زيد بن ارقم وابن زياد، وكذا إلى قصر يزيد بمواجهة رسول ملك الروم ليزيد، واعتراض زوجة يزيد عليه جرائمه وأفعاله.

(١) الملهوف، ص ١٧١.

ب- الزلزال الذي أصاب الأمة باستشهاد ابن رسول الله ﷺ، وسيد شباب أهل الجنة، واحد المشمولين بآية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وحديث الثقلين، وسفينة النجاة، والكثير الكثير من الآيات والروايات والأحداث، وقد شمل الزلزال المكان الذي يعتصم به يزيد ويستأسد.

وهذا الزلزال ونحوه أوصل يزيد وابن زياد وغيرهما إلى الندم على ما صدر منهما - والندم المقصود هنا: ما كان باعثه الخوف على أنفسهم وكيانهم مما ستؤول إليه الأحداث، لا الندم على ذنب صدر عنهم، إذ لم يندم أحد منهم ولم يتب أبداً، بل هم مصرّون على نهجهم، إذ استولت الظلمة واستحكمت على قلوبهم ونفوسهم -.

ج- إحساس يزيد وابن زياد بأنهما قد حققا مآولهما من خلال القدر الذي حصل. فقد اشتفيا بقتل الإمام ﷺ، والنخبة من عائلة النبي الأكرم ﷺ، وخيرة شيعة آل محمد ﷺ، كما اشتفيا بأسر عائلة النبي ﷺ وتبديد شمل الثورة الحسينية، وتقطيع أوصالها، وبتحويل الناس من انصارٍ لعلي والحسين وأهل البيت ﷺ عامة، إلى شيعة لبني أمية، وقد وطّدوا بكلّ هذا أركان الدولة، واستتب الأمر لها، وحقّقوا كل المآول، وبلغوا الغاية فيما يريدان، فلا يضر يزيداً بعد هذا أن يسلك مسلماً آخر، يمتصّ به النعمة، ويذهب بآثار الجريمة - بحسابانه -.

وبناءً على هذا فانه بدء بتغيير مسلكه مع أهل البيت ﷺ، ومما نُقل في هذا الباب: انه استدعى حُرّم رسول الله ﷺ فقال لهم:

أيّا أحبّ اليكن، المقام عندي، أو الرجوع إلى المدينة، ولكم الجائزة السنيّة. قالوا: نحبّ أولاً أن ننوح على الحسين. قال: افعلوا ما بدا لكم.

ثم أُخليت لهُنَّ الحُجر والبيوت في دمشق، ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلّا ولبست السواد على الحسين، وندبوه على ما نُقل سبعة أيام، فلما كان اليوم الثامن دعاهنَّ يزيد وعَرَضَ عليهنَّ المقام، فأبين وأصررن على الرجوع إلى المدينة، فاحضر لهُنَّ المحامل وزينها، وأمر بالانطاع الابريسم وصبَّ عليها الأموال، وقال:

يا أم كلثوم خذوا هذا المال عوض ما أصابكم.

فقالَت أم كلثوم: يا يزيد، ما أقلّ حيائك، وأصلب وجهك، تقتل أخي، وأهل بيتي، وتعطيني عوضهم^(١).

ومما يجدر الفات النظر إليه: أن يزيداً يعرض المال على العائلة الكريمة عوضاً عما أصابهم، ووالي المدينة يهدم بيوتهم، وهكذا ديدن بني أمية دائماً وأبداً، وهذا هو نهج هذا التيار مع آل محمد وشيعتهم.

فبناءً على ما تقدم كله من تغيير يزيد لسياسته، فلا يمتنع أبداً أن يسمح لهم بزيارة الطف قبل رجوعهم إلى المدينة، إذ لا يخشى خطراً من رجوعهم إلى تلك الديار، وقد قلب كثيراً من الناس لهم هناك إلى أعداء ونواصب بعدما كانوا لهم انصاراً ومريدين.

وتؤيّد المطلب بل تشهد له، روايات إرجاع الرؤوس المقدسة - أو رأس الإمام عليه السلام فقط - إلى كربلاء، وإلحاقها بالأجساد الشريفة، إذ هذا يعني أن العملية كلها تمت بعلم من السلطة، وبموافقة منها.

وكذلك: إن رجوع العائلة المحمدية إلى كربلاء قبل التوجه إلى المدينة منطقي جداً، وذلك لتوديع الإمام وتجديد العهد بقبره المقدّس إذ لم يقضوا من حقّه ولا أظهروا من عواطفهم تجاهه بعد استشهاده، وقد أوسعهم جند بني أمية أسراً وضرباً وإرعاباً.

(١) بحار الأنوار، ج ٤ ص ١٩٦.

فعودتهم إلى كربلاء منطقية جداً، لكن مع حذف الزوائد، كتحديد المدة بأربعين يوماً ونحو هذه.

على إننا لا نُضايِق لو أُلجئنا إلى الأخذ بموافقة وصولهم إلى كربلاء في يوم الأربعين من استشهاد الإمام عليه السلام، إذ توجد حلول أخرى هناك، بالتخلي عن الالتزام ببعض المنقولات من مدة سفرهم ومكثهم في دمشق ونحو هذي، لتصحيح الزيارة الأربعينية الممكنة في حدّ نفسها، مع ترتيب تفاصيل الاحداث جيّداً، ما بين الاستشهاد وبين العودة الأربعينية.

الزيارة

مما امتاز به شيعة أهل البيت عليهم السلام عن بقية المسلمين بل جميع الملل والأديان اهتمامهم العظيم بزيارة مثوى قادتهم وأئمتهم وتعاهد مراقدهم، وزيارة قبور من يمت لهم بسبب ديني، أو نسيي - بحيث يعود الاهتمام به إحياء لأمر الدين - بل الاهتمام بزيارة القبور عموماً، وإن اختلف مستوى الاهتمام بين كل من تقدّم شدة وضعفاً. وهو توجّه ورد الأمر الشرعي بالتعبد به، والتقرب إلى المولى سبحانه من خلاله.

فقد استمرت سيرة الشيعة الإمامية الاثني عشرية من أول يومهم - مع يوم الإسلام الأول - إلى يومنا هذا على الاعتناء بموتاهم عموماً، لما ورد من أنّ حرمة المؤمن ميتاً كحرمة حياً، ولما ورد في آثار تعاهده وزيارته بعد الموت، من منافع وبركات دنيوية وأخروية.

وكان اهتمامهم الأعظم بزيارة مرقد النبي الأكرم الأطهر عليه السلام ومرقد البتول الطاهرة عليها السلام، - وإن كان الأخير غير معلوم على التعيين، إلا أنه مردّد بين أماكن عدة منها البقيع - ومرقد الأئمة من علي أمير المؤمنين إلى الحسن العسكري صلوات الله عليهم بل ومراقد ذريتهم ومراقد من له صلة بهم من خيرة أصحابهم أو من علماء الطائفة المحققة.

وبالإضافة إلى أن هذا النهج موافق للفترة الإنسانية السليمة، ولما جُبل عليه الإنسان من رحمة وشدة عُلقة، بمن يحبّ، خصوصاً إلى من إليه ينتسب: لِرَحِمٍ أو دين أو خُلّة، فإن النصوص أكدت ما جُبل عليه وأحكمت وثاقه وعزّزت ذلك الميل بالوعد

بالثواب الجزيل والآثار الحسنة في الدنيا والآخرة وخصّت زيارة الحسين عليه السلام بخصائص ومزايا تكشف عن أهمية الحركة الحسينية عند الله تعالى، وفي مسار الأحداث، وحركة التأريخ على طول الدهر.

وقد ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام بالخصوص ما يُذهل العقول، بالإضافة إلى أن النصوص تحتّ المؤمن على عدم ترك هذه الزيارة حتى عند الخوف من الظالمين.

وقد ابتدأ تأريخ الزيارة للإمام الحسين عليه السلام من حين استشهاد إذ زاره عدّة ما بين يوم استشهاد إلى يوم الأربعاء، ويُصادف هذا اليوم وصول ركب سبايا عائلة الحسين عليه السلام إلى كربلاء في طريق رجعتهم من الشام إلى المدينة، مصطحين للراس المقدّس - على القول برجوع السبايا إلى كربلاء ^(١) - إذ أعاده الإمام السجاد عليه السلام معه، ودفنه مع الجسد المقدّس، وصادف هذا أيضاً مجيء جابر بن عبد الله الأنصاري لزيارة الإمام بعد وصول خبر استشهاد إليه - مع ملاحظة ما ذكرناه حول هذا الموضوع -.

وكما اهتم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم - تبعاً لهم - بزيارة الإمام الحسين عليه السلام فقد حاربها أعداؤهم ومناهضوهم محاربة اختلفت شدّة وضعفاً عبر مراحل التاريخ، ففي الوقت الذي بلغ فيه الأمر أيام المتوكل العباسي إلى هدم كربلاء، وهدم قبر الحسين عليه السلام وحرثه وتضييع أثره، ومعاقبة زائريه بأنواع العقوبات والتي قد تبلغ القتل،

(١) في هذه المسألة قول بالعدم عن بعض الأجلاء، ووجهه: أن طريق الشام إلى المدينة لا يمرّ عبر الكوفة ويحتاج الأمر إلى الصعود من دمشق إلى حلب ثم الدخول إلى العراق من طريق الموصل والنزول إلى كربلاء أي عبر الطريق الذي سار فيه ركب الأسرى عند الذهاب بهم إلى الشام - غير أنه يمكن توجيه الأمر مع ورود خبر هذه الزيارة عن طرق وكتب لها بعض الاعتبار، بل له وجه وجيه جداً بعد ما تركّ - صلوات الله عليه - مطروحاً على الرمضاء، وهذا من الأسرة محاولة للتأكد مما آل إليه حال جسد الإمام عليه السلام ولتجديد العهد به قبل الرجوع إلى المدينة، مما لا يتيسّر معه زيارة الإمام من جديد.

نرى استماتة الشيعة في زيارته عبر مختلف مراحل التاريخ بما فيها مرحلة المتوكل، والأمر على هذا إلى اليوم، ولا يزيده ضغط الظالمين وقسوتهم إلا كثرة في عدد الزوّار، وبذلاً منهم للأموال، وقلة مبالاة منهم بالنتائج.

ومما ورد عن الائمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام للترغيب بزيارة السبط الشهيد عليه السلام:

١ - عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام:

قال: سألته عن زيارة قبر الحسين عليه السلام.

قال: «أنّه أفضل ما يكون من الأعمال»^(١).

٢ - عن أبي الحسن الرضا عليه السلام:

قال: «من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»^(٢).

٣ - عن قايد عن عبد صالح عليه السلام قال:

دخلت عليه، فقلت له: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إنّ الحسين عليه السلام قد زاره الناس، من يعرف هذا الأمر ومن يُكرهه، وركبت إليه النساء، ووقع حال الشهرة، وقد انقبضت منه لما رأيت من الشهرة.

قال: فمكث مليّاً لا يُجيبني، ثمّ أقبل عليّ فقال:

«يا عراقى، ان شهر و انفسهم فلا تشهر أنت نفسك، فوالله ما أتى الحسين آتٍ عارفاً بحقه إلاّ غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر»^(٣).

٤ - عن معاوية بن وهب قال:

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥ ص ١٧٩.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥ ص ١٨٠.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥ ص ١٨٥.

استأذنت على أبي عبد الله ﷺ فقل لي: أدخل فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه ويقول:

«يا من خصنا بالكرامة، وخصنا بالوصية، و وعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى وما بقي، وجعل أئمة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولاخواني ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين الذي أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسرورا أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله، وإجابة منهم لامرنا، وغيظا أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، وأخلف على أهاليهم وأولادهم الذي خلفوا بأحسن الخلف، وأصحابهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعظمهم أفضل من أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم إن أعدائنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخصوص إلينا، وخلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله ﷺ وارحم تلك الاعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا.

اللهم إني استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان، حتى نوافيهم على الخوض يوم العطش».

فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت:

جعلت فداك لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً، والله لقد تمنيت أن كنت زرتة ولم أحج.

فقال لي: «ما أقربك منه فما الذي يمنعك من إتيانه».

ثم قال: «يا معاوية لم تدع ذلك»؟

قلت: جعلت فداك لم أدر أن الأمر يبلغ هذا كله.

قال: «يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض»^(١).

٥- عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إنَّ الحسين عليه السلام صاحب كربلا قتل مظلوماً، مكروباً، عطشاناً، لهفاناً، وحقَّ على الله عزَّ وجلَّ أن لا يأتيه لهفان، ولا مكروب، ولا مذنب، ولا مغموم، ولا عطشان، ولا ذو عاهة، ثم دعا عنده، وتقرَّب بالحسين عليه السلام إلى الله عزَّ وجلَّ، إلَّا نفس الله كربته، وأعطاه مسئلته، وغفر ذنوبه، ومدَّ في عمره، وبسط في رزقه، فاعتبروا يا أولي الأبصار»^(٢).

وهذه الروايات الشريفة بعض الوارد عن المعصومين عليهم السلام ومن أراد الاستقصاء فعليه بمراجعة كتاب «جامع احاديث الشيعة» ج ١٥ ص ١٧٩-٤٧٢.

كيفية الزيارة: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أتيت الحسين عليه السلام فما تقول؟» قلت: أشياء أسمعها من رواة الحديث ممن سمع من أبيك قال: «أفلا أخبرك عن جدي علي بن الحسين عليه السلام كيف كان يصنع في ذلك» قال: قلت بلى جعلت فداك قال: «إذا أردت الخروج إلى أبي عبد الله عليه السلام فصم قبل ان تخرج ثلاثة أيام يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعة فإذا أمسيت ليلة الجمعة فصل صلاة الليل ثم قم فانظر في نواحي السماء واغتسل تلك الليلة قبل المغرب ثم تنام على طهر فإذا أردت المشي إليه فاغتسل ولا تطيب ولا تدهن ولا تكتحل حتى تأتي القبر»^(٣).

(١) الكافي، الكليني، ج ٤ ص ٥٨٢، وعنه: جامع احاديث الشيعة، ج ١٥ ص ١٩٦.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٥ ص ٢١٢.

(٣) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦ ص ٧٦، وجامع أحاديث الشيعة، ج ١٥ ص ٣٨٠.

دروس من الثورة الحسينية

- ١- إن الحسين عليه السلام فدى الإرادة الإلهية بنفسه، وبكل ما يتعلق به.
قذف بنفسه المقدسة في هوات الموت.
قذف بأفلاذ كبده -اولاده-.
قذف بعائلته ونسائه.
قذف بخلّص صحبه.
قذف بكلّ ما يتعلق به.
حتى الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام أصبحا في معرض الفناء.
ما أبقى الحسين عليه السلام شيئاً يتعلق به ويعود إليه إلاّ قدّمه للخالق العظيم.
ما حصل فيما بعد كان على الخالق العظيم، ومنه.
أنجى من مخالب الذئاب، السجاد والباقر عليهما السلام، ونساء الحسين عليها السلام، وبعض من صحبهم نساءً ورجالاً.
وتقبّل هذه التضحية الهائلة بكل تفاصيلها.
وعوّض الحسين عليه السلام عن شهادته وما قدّمه، بتعويضات في الدنيا.
وبارك فيما قدّمه الحسين عليه السلام.
إذ نمت شجرة الإسلام من جديد، بعدما كادت أن تتحول إلى رماد، بمكر بني أمية وحقدهم ورعونتهم.

تنفس الإسلام صباحاً جديداً.

الحسين عليه السلام يعلمنا هذا:

قدّموا كل شيء لله سبحانه.

لو كان كل ما عندكم منكم فقدّموه لله، فكيف وكل شيء منه.

كل شيء منه فلو كان لا جزاء على تقديمه، لكان يحق تقديمه.

فكيف وهو يجازي على القليل الكثير، ويستقرض عباده، ويعوّض عن الواحد عشرة، إلى سبعمائة ضعف، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً.

٢- وما تقدّم يكشف لنا:

إن المقام السامي، مقام الخلافة لله سبحانه، ورفيع الدرجات عند المولى الخالق المتعال، إنما يحصل عليهما المرء بالسعي لهما عبر التضحيات الجسام، وبتقديمه وجوده كله وما يرتبط به لله تبارك وتعالى.

اذ يُنال ما عند الله، بالتضحية في سبيله، وبالبذل لأجله.

والنتيجة عظيمة، وخالدة.

ولا نسبة بين ما يقدمه الإنسان بالغاً ما بلغ.

وبين ما سيفيضة المولى عليه.

٣- ونتعلّم ان أضمن النتائج وأحسن العواقب، ما كان ناتجاً عن اتباع امر الله سبحانه، والسير على منهاجه، وإن بدت الأمور للوهلة الأولى بخلاف المرضي والمراد. ان الطريق الذي ساره الحسين عليه السلام، كان طريق الخطر والهلكة والفناء بحسب ظاهر الحال، وبالحسابات الآنيّة، لكنه كان طريق الحياة الحقيقية - الدنيوية والأخروية -.

طريق تحقيق المأمول.

طريق النصر.

طريق النجاة.

لأن مسير الحسين عليه السلام كان عن أمر الله ونهيه، وكان عن إرشاده، وكان طبق المراد الالهي، ولذلك هو عين النصر والنجاة.

من الحقائق التكوينية التي ينبغي لكل مؤمن ادراكها:

إن نظام التشريع في الدين الإلهي متوافق مع نظام التكوين في الدنيا والآخرة، فالنهي في التشريع لما يعقب المفسدة في التكوين، والأمر في التشريع لما يعقب المنفعة في التكوين.

كما إن نظام التكوين في الدنيا، ونظام التكوين في الآخرة متوافقان.

فالعمل الحسن في الدنيا يعقب الآخرة السعيدة، والعمل السيء في الدنيا يعقب الخسران في الآخرة.

وذلك ان المولى سبحانه بنى هذه العوالم الثلاث على وفق ارادته المقدسة، فما وافق إرادته أنتج الهناء والسعادة، وما خالفها انتج التعب والعذاب والخسران، وهكذا الأمر طردياً ابداً، كما لا ينعكس أبداً، وما كان ظاهره عكس هذه القاعدة فإن هذا الظاهر للامتحان أو للاستدراج، وحقيقة الأمر كما قدمنا.

وننبئ من كل هذا تفسير عبارة سابقة وهي:

إن حركة الإمام الحسين عليه السلام كانت وفق المراد الالهي، فهي عين النصر والنجاة، ولعل المقصود منها أصبح جلياً.

٤ - لأبدية توفر القائد الموجه للامة، والذي تتوفر فيه الشرائط المطلوبة إسلامياً، وأن يكون هذا القائد أو حداً في الميدان، وأوحدية القائد شرط مهم جداً.

ومما يُلاحظ عند اجتماع عدة من المعصومين في وقت واحد، فإن القيادة وما يعبر عنه في النصوص بالناطقة إنما هي لواحدٍ منهم فقط مع معصوميتهم أجمعين، فانهصار قيادة الأمة والحاكمة في واحدٍ، مطلبٌ مهم جداً، ينادي به التكوين قبل التشريع.

٥- ومن مجريات أحداث الطف يتضح لنا مدى أهمية العصمة في إمام الأمة وقائدها، والذي هو خليفة الله في أرضه، وخليفة الرسول في أمته، إذ تتوفر هذا الشرط تكون الأمة تحت قيادته في مسارٍ هدى صحيح مهما ادلهمت الخطوب، وكثرت الشبهات، وراودت الشياطين.

وكذلك فإن خط الرجعة ينقطع على الانهزاميين، لثبوت الحجة التامة عليهم بوجود المعصوم.

ومن النتائج المهمة لوجود المعصوم في الأمة:

صحة تشخيصه للموضوع والحكم، وصحة القرار الذي يتخذه في المنعطفات، بحيث لا يستريب الاتباع في هذا، فيندفعون للتنفيذ مهما تكن النتائج.

وقد حققت الأمة بقيادة المعصوم انتصارات على جميع الأصعدة، بشكل لا يصدق. وكل الهزائم التي حصلت في الأمة إنما نتجت لنكول الأمة عن قائدها، والسبب: عدم إيمانها الكلي بالإسلام، أو لعدم رسوخ عقيدة العصمة في نفوسهم، إذ نتيجة هذا عدم الاتباع الصحيح، فتحصل الهزائم المرة.

٦- ومن كربلاء نتعلم الأهمية العظيمة للصلاة، ولزوم الاهتمام بها، وإن على المؤمن عدم التسامح فيها في احلك الظروف.

يتجلى هذا بأروع بيان: ترك الإمام  ومن معه حالة المقاتلة والتوجه لأداء الصلاة جماعةً كما سيأتيك حديثه.

٧- ومن دروس كربلاء: إنّ عند بدء المنازلة، على المؤمن ان يهدم كل حاجز بينه وبين الإمام - مهما كانت صلابته - حتى يصل إليه، ويجعل نفسه وفق أمره ونهيه، ولو افترضنا عدم امكانه، فعليه أن يتحرك لنصرة الإمام ضمن مكانه وظرفه لتبرئة الذمة من التكليف، كما صنع أصحاب الحسين عليه السلام في الطف، وهذا الموضوع مهم جداً من الوجهة الفقهية ويحتاج لدراسة أوسع، ولتفريع أكثر، لاستبيان أحكام الظروف المختلفة.

٨- ومن دروس كربلاء:

اتقان العمل الجهادي، وفق اقصى الممكن، وإيكال الباقي إلى المولى سبحانه وهذا هو عين المطلوب الإسلامي.

وقد ذكر المولى سبحانه في كتابه مخاطباً رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله:

﴿ فَقَنْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ ^(١).

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرِّ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(٢).

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَتِكَ اتَّبِعْهُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَرُبُّكَ فَإِذَا نَبَأُ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ^(٣).

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٤).

(١) سورة النساء، الآية ٨٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية ١٢.

(٤) سورة الأنفال، الآيات ٦٥ - ٦٦.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ (١).

﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٦٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ. وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٦٦﴾﴾ (٢).

﴿وَإِنْ تَكْثُرُوا أَيَّمَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ﴿١٦٧﴾﴾ (٣).

والوارد عن علي عليه السلام تطبيقه هذه الآية على الناكثين -عائشة ومن معها- ولا ريب إن ناكثي الطف من قبيلهم.

فالقصد: ان التعليم القرآني، والتربية الإسلامية، يُرشدان إلى اخذ الأهبة للقتال، والاستعداد له بكل ما أمكن، خصوصاً إذا كان مفروضاً على المرء، والباقي على الله تعالى - ولا ينبغي صبّ الاهتمام على الحسابات الدنيوية المحضّة، والاعتماد عليها، وتحديد الموقف من خلاها، ما دامت الحرب لله سبحانه، ووفق أمره ونهيه، فإن الغلبة له ولجنده قطعاً، عاجلاً أم آجلاً:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْمَنُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (٤).

(١) سورة الأنفال، الآيات ١٥ - ١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآيات ١٢٤ - ١٢٦.

(٣) سورة التوبة، الآية ١٢.

(٤) سورة الصافات، الآيات ١٧١ - ١٧٣.

ومن النصر العاجل انتصار علي عليه السلام على الناكثين، ومن الآجل انتصاره في صفين، فإن صفين امتدت إلى الطف، ثم إلى انتهاء الدولة الأموية في الشام، ولعل انتصارها النهائي عند انتصار المهدي على السفياي، أي إنها طويلة، غير إنها منتصرة قطعاً، وهي انتصار تلو انتصار، بما فيها معركة الطف.

إذ إن الطف في واقعها بداية ارتقاء وانتعاش الخط الهاشمي، وبداية الانكسار العظيم والهزيمة الأبدية لبني أمية.

٩- لقد بذل الإمام الحسين عليه السلام غاية جهده في مسيرته التي انتهت باستشهاده وهو درس مهم أيضاً من دروس كربلاء وما كان هناك يومها أي احتمال بأي مكسب سينتج عن تلك الجهود والتضحيات ولكن...

ولم يقتصر بذل الجهد في تلك المسيرة على الإمام بل يظهر هذا من سار معه مسيرته تلك وانتهى إلى التضحية والاستشهاد.

وقد ورد عن المعصوم مدح أبي الفضل العباس عليه السلام بهذه الفضيحة:
«وأعطيت غاية المجهود».

حيث بذل أقصى جهده في نصرته إمام الأمة عليه السلام، وخليفة الله ورسوله صلى الله عليه وآله، ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وبقية ووديعته بين أتباعه، وهو جانب مهم مشرق في شخصية أبي الفضل عليه السلام، ودرس مهم للأتباع المخلصين الحقيقيين لخط أهل البيت عليه السلام.

وهناك جانب من النصر الحسيني لم ولا ولن يلتفت إليه مخالفو خط أهل البيت في كل زمان ومكان، وهو في الوقت نفسه من الدروس العميقة لكربلاء:

١٠- ذلك أن الحسين بسيره طبقاً للأوامر الإلهية وعلى مرادها، فإنه كسب التأيد الإلهي وفاز بالرضا في الدنيا والآخرة، وستظهر آثار هذه الإطاعة:

في الدنيا: بمسير الأحداث وفق تحقيق الانتصار العاجل والآجل له ولخطّه ومن على نهجه.

وفي الآخرة: بنيله ومن اتّبعه أنواع الكرامات من الله سبحانه، وسقوط مناوئيه في محطّ الغضب الإلهي - جهنّم الكبرى -.

لقد استطاع الإمام الشهيد عليه السلام من خلال النهج الذي سار فيه، حماية كل من يتعلق به ومن يقتدي بهده، من السقوط في مستنقع مبادئ الدنيا وانحرافات وخسيس أجوائها، إذ سيحيا انصار الحسين عليه السلام واتباعه وفق ضوابط وقوانين تمثّل المصلحة الحقيقية للإنسان في درب الحياة، وهي في الوقت عينه أظهر حياة يُمكن للمرء أن يحياها، وفضلها إيصالاً لسعادة النشأتين، ذلك بالسير على النهج الإسلامي الذي جاء به الرسول وأراداه المولى، وعلى طبق الرضا الإلهي بالنتيجة.

وهذه الحياة المطابقة للمراد الإلهي والمؤيدة بتسديد الله والطافه الغيبية عين المصلحة للإنسان والتي توصل إلى أحسن النتائج، فأين الغرب والشرق الأقصى المنحلّين من المجتمع الإسلامي، وأين المجتمع الإسلامي من مجتمع آل البيت، في خصائص كثيرة لا تُستجلى بكتاب فضلاً عن فصل صغير في كتاب غير مخصص لبحث هذا الجانب المشرق العجيب، وإن حاول شهيد العراق بل الإسلام السيد محمد باقر الحكيم ولوج هذا الميدان في كتابه:

«دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة».

عاشوراء تنادي ﴿الصلاة، الصلاة﴾

ثلاثة مواقف صلاتية في عاشوراء:

أ- تعرّف المرء حقيقة طرفي معركة الطف، بالإضافة إلى المواقف الأخرى، وهي حجة على من حضر معركة الطف، وعلى من سمع بها إلى آخر الدهر.

ب- تؤكد لكلّ مسلم أهمية فريضة الصلاة، ومدخليتها في تحقيق القرب من المولى سبحانه، ولزوم المحافظة عليها والإكثار منها للتزود من معينها.

ج- توضّح أن نزاع أئمة أهل البيت عليهم السلام مع أعدائهم عامّة، ومع بني أمية بالخصوص، ليس نزاعاً من أجل الحكم كمهمّ إسلامي لا يمكن تركه للأراذل والمنافقين فقط.

بل النزاع لأجل تعاليم الإسلام كلها، فكل معالم الإسلام في خطر، وفي إهمال من طرف بني أمية، ولذلك لم ينقل أحدٌ أبداً اهتمام جيش يزيد بفريضة الصلاة، كأن يكونوا تركوا القتال لأجلها، أو انهم صلّوا جماعة مع ابن سعد، أو تفرّقوا جماعات لأجل تأديتها، أو أذاها بعضهم فرادى، أو غير هذه من الفروض.

الموقف الصلّاتي الأول:

طلب سيد الشهداء عليه السلام من أبي الفضل عليه السلام ان يفاوض جيش الضلالة في تأخير المنازلة حين ازمع ابن سعد عليها عصر يوم التاسع من المحرم، بقوله عليه السلام:

«ان استطعت أن تصرفهم عنا في هذا الليل فافعل، لعلنا نصليّ لربنا في هذه الليلة، فإنه يعلم أني أُحِبُّ الصلاة له، وتلاوة كتابه»^(١).

فبات الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة، ولهم دويّ كدويّ النحل، ما بين راعك وساجد، وقائم وقاعد، فعبر اليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً^(٢).

لقد تحققت أغراض متعددة نتيجة ما صنعه الإمام عليه السلام، ومن جملتها إن اهتدى هؤلاء الإثنين وثلاثين رجلاً، فإنّ من لديه أقلّ حسّ ديني، وصحوة ضمير، لأبداً ان يصنع ما صنعه هؤلاء المهتدون، إذ كيف يُقاتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وحاله هو وصحبه هكذا وهم مستميتون ومتصلّبون في موقفهم في مقابل دولة طاغوتية لا ترحم أبداً. أفمن أجل يزيد والذي شاع فجوره وخسته يُقاتل الحسين عليه السلام ومن معه من عبّاد مصر؟ الحسين عليه السلام استنقذ بفعله هذا آخر ما يُمكن استنقاذه من فئة الضلالة والانحراف، وقد كشف تحوّل هذه المجموعة، والحر من بعدهم صباح يوم العاشر، عن استفحال الانحراف في نفوس من بقي، فلا أمل يُرجى فيهم من صحوة ضمير، أو نزعة نحو دين.

والموقف الصلّاتي الثاني:

وقوف الإمام وصحبه ظهر يوم العاشر لتأدية صلاة الظهر، بعد أن قدّم الإمام عشرات الضحايا والقرايين لله سبحانه، من عبّاد الأمة وليوث الإسلام وأصحاب الضمائر الحيّة ومجيبى دعوة النبي صلى الله عليه وآله لنصرة ولده في عرصات كربلاء.

وقف الحسين وأصحابه، وأدّوا الصلاة، وهم بحالة... وأيُّ قلم يصف، وأيُّ ذهنٍ

(١) الملهوف، السيد بن طاووس، ص ١٥٠.

(٢) الملهوف، ص ١٥٤.

يستجمع شوارده لينقل صورة تلك الكوكبة الطاهرة في تلك الساعة من عمر الزمن. لقد ملأ جند السكير الفاجر عيونهم من ذلك المنظر المهيب، فأَيُّ عُذر لهم بعد هذا.

لم ينقل أحد أنّ صرخة صدرت من ذلك الجمع تعترض على قتل آل محمد ومن معهم من عبّاد الأمة، وعلى لأبدية إيقاف المجزرة والبحث عن حل آخر، ولو كان عندهم شيء من الإيمان بالله سبحانه، وبيوم المعاد والجزاء، لصدر عنهم ما ينبىء به، ولكن لم يحركهم وازع من دين، أو ضمير، أو خصلة كريمة، ولا خوف سطوات الله وأخذه.

تنقل النصوص^(١): أن النبي كلف أبا بكر وعمر بقتل رجل، فذهب الأول ورجع غير منفذ للأمر بدعوى أنه وجده يصلي، ورجع الثاني كذلك معتذراً بنفس العذر، وما أدري بم سيوّجه فعله هذا، مع إن النبي لم يرتض فعل الأول فكيف نهج الثاني نهجه، وخالف أمر النبي ﷺ والنبي أمر بقتله لنفاقه، بل لأنه من رؤوس الفتنة والضلالة.

فالعجب من هذه الأمة:

يترك أبو بكر وعمر رأساً من رؤوس الكفر والنفاق بدون تنفيذ أمر النبي بقتله بدعوى حرمة صلاته مع أمر النبي الصريح المتكرر بقتله.

ويقتل شيعة بني امية - وهم من المعتقدين بإمامة أبي بكر وعمر وبلزوم الأخذ بنهجهم - ابن رسول الله وَمَنْ النصوص في حقه لا تُحصى بعد أن صلى إمامهم، دون مراعاة أية حرمة منهم له، أو لصلاته.

لقد رماه حُثالة الأمة بالسهام وهو في صلاته، غير أن سعيد بن عبد الله الحنفي

(١) راجع: النص والاجتهاد، للسيد عبد الحسين شرف الدين، ص ٧٩، فقد نقل تفصيل هذه القضية عن مصادرهم.

وزهير بن القين كانا يتقيان السهام، وسقط سعيد الحنفي ميتاً بعد إتمام الإمام لصلاته^(١).
والموقف الصلاتي الثالث:

صلاة السيِّدة زينب عليها السلام نافلة الليل، ليلة الحادي عشر من المحرم بعد المجزرة
الرهيبة، وقد صلَّتها - صلوات الله عليها وسلامه - من جلوس.
آية أهميّة عظيمة يُعطيها محمد وآل محمد صلوات الله عليهم للصلاة، لو تأملنا الأمر، ووعينا
جوانبه.

آية ليلة تلك، واية مصائب مرّت وتترى.
امرأة في منتهى الشرف والقداسة، هي حفيدة النبي صلوات الله عليه الأعظم، وابنة عليّ
وفاطمة عليهما السلام، وسط عشرات الآلاف من احطّ أهل الأرض وأكثرهم اجراماً، هم
قتلة أعزّتها ومظهر سُوددها:

الحسين عليه السلام خليفة الله في الأرض.

أبو الفضل العباس بن علي عليه السلام.

وبقية الأتقار من آل هاشم:

عدّة من أولاد علي عليه السلام.

عدّة من آل جعفر

وجمع مهمّ من آل عقيل.

اثنان من أولادها.

عدّة من صغار الأسرة.

ومع بني هاشم: عبّاد الأرض، وأنصار الحق، من الصحابة الأبرار.

بين يدي السيّد زينب عليها السلام تلك الليلة: الأبرار من أهلها مقطوعي الرؤوس قد غدوا أشلاء في صعيد كربلاء، وشاركهم في هذا الطريق أفضل أنصارٍ وصحب. في عهدتها وكفالتها عدّة من نساء وصبية الاسرة النبويّة، وبعض عوائل الصحب الكرام.

وهناك ايضاً زين العابدين عليه السلام، وصي الحسين عليه السلام، وخليفة الله في الأرض، وإمام الأئمة بعد الحسين السبط عليه السلام، منهوك القوى، يُعالج الموت، من تواتر الأحزان والأمراض عليه.

لقد أدّت العقيلة كل ما هو مطلوب منها في تلك الاحوال المهولة، وتوجّهت تصلي لربّها نافلةً من جلوس، ولو تركتها، لما كان في هذا أيّ محذور شرعي، بل لكان لها الف عذرٍ وعذر.

والاهتمام بالصلاة ليس بجديد في دار النبوة والإمامة ولا بغريب، إلّا ان المثير لنا شدة هذا الإهتمام، وكثرة المواصلة، فأين نحن عن هذا الأمر والذي بَلَغَه محمد وآل محمد عليهم السلام لنا بالقول والفعل والتقرير.

صلاة علي عليه السلام ألف ركعة في اليوم، من المشهورات عنه، المسلّمات في حقه. وورد عنه عليه السلام أنه وقف بين فريقَي القتال في صفين ليلة الهريز لنافلة الليل، والسهام تأتيه كالطر، وهو المقصود الأوحَد في تلك الحرب.

ونقل الديلمي: كان علي عليه السلام يوماً في حرب صفين مشغلاً بالحرب والقتال، وهو مع ذلك بين الصّفين يُراقب الشمس، فقال له ابن عباس:

يا أمير المؤمنين ما هذا الفعل؟

قال: «انظر إلى الزوال، حتى نصلي».

فقال له ابن عباس: وهل هذا وقت الصلاة؟ إنَّ عندنا لشُغلاً بالقتال عن الصلاة.

فقال ﷺ: «على ما نُقاتلهم، إنما نقاتلهم على الصلاة».

قال: ولم يترك صلاة الليل قط حتى ليلة الهير^(١).

ولو أردنا استقصاء حالات المعصومين مع الصلاة لطال بنا المقام.

وعبادة النبي ﷺ، والزهراء ﷺ، والوصي ﷺ، والحسين ﷺ، بل كل الأئمة ﷺ، بل أولادهم وذريتهم، في السيرة والتراجم مسطورة، وبين الأمة مشهورة، فأين المسلمون من هذا التبليغ، وهذا الاهتمام، والكلّ مطالبون بالتأسي بهم.

ومن الامثلة على حال بعض ذريتهم في العبادة:

كان محمد بن موسى من أهل الفضل والصلاح وقد حدثت عنه هاشمية مولاة رقية بنت موسى قالت: كان محمد بن موسى صاحب وضوء وصلاة، وكان ليله كله يتوضأ ويصلي فنسمع سكب الماء والوضوء ثم يصلي ليلاً ثم يهدأ ساعة فيرقد، ويقوم فنسمع سكب الماء والوضوء ثم يصلي ثم يرقد سويعة ثم يقوم فنسمع سكب الماء والوضوء، ثم يصلي فلا يزال ليله كذلك حتى يصبح، وما رأيته قط إلا ذكرت قول الله تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^(٢).

فما بالك بحال خلفاء رسول الله وأوصيائه صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) بحار الأنوار، ج ٨٠ ص ٢٣، عن الإرشاد للديلمي.

(٢) الارشاد، الشيخ المفيد ج ٢ ص ٢٤٥.

دروس من توبة الحر

الحر قام بعمل خطير ضد الإمام الشهيد عليه السلام ^(١).

لكنه تاب توبة لم يتبها أحد، ولا يتوبها أحد - إلا أوحدي الناس -.

هو جندي من جنود الفئة الحاكمة، بل قائد من قادة أجنادها، فهو يتحمل أوزارهم أيضاً - لو بقي على ذلك النهج - من دون أن ينقص عنهم من أوزارهم شيئاً.

خرج قائداً لألف رجلٍ من جيش ابن زياد، للبحث عن الحسين عليه السلام ومن معه، ولجلب الإمام عليه السلام لابن زياد، فلما وجده حاول هذا معه فلم يُفلح - لصلافة الإمام عليه السلام وامتناعه عليه - فكان أن حاصر الإمام عليه السلام ومن معه، ومنعهم من التوجه إلى حيث يريدون، وضايقهم في المسير، والحسين عليه السلام يحاول الابتعاد، والحر يضغط لتقريب الإمام من الكوفة، حتى وصل القبيلان إلى كربلاء، فعسكر الحسين عليه السلام هناك مختاراً، وبقي الحر مُرصداً له ومحاصراً، حتى تتابعت جيوش ابن زياد واكتمل عدّها.

إنّ جريمة الحر يومذاك، ليست فقط في محاصرة الإمام عليه السلام، وتسبب تمكّن ابن زياد منه، بل ان له جرماً عظيماً آخر، وهو عدم انضوائه تحت راية الإمام عليه السلام المفترض الطاعة، وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله بل ابنه - بالنص المنقول لدى الفريقين - وكذا وصيّ النبي صلى الله عليه وآله وخليفته الحقّ في أمّته.

لقد ترك نصرة الإمام عليه السلام وصار سبباً لعدم انضواء جنده معه.

(١) راجع للاطلاع على ما فعله الحر بشكل مفصّل: الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٧٧ وما بعدها

وكل الفجائع التي وقعت بعد ذاك كان للحر سبيّة فيها، لكن:
لقد تاب الحر توبة قال له الحسين عليه السلام عندها: «أنت الحر كما سمتك أمك، وأنت
حر في الدنيا والآخرة»^(١).

وجوهر توبته: أنّه حرّ، كما قال له الحسين عليه السلام المظلوم.
الحر كبا كبوّة عظيمة، غير ان الحسين عليه السلام أنهضه منها.
لو بحثنا في أغلب أفراد النوع الإنساني عمّن يقف موقف الحر في عرصات الطف،
ثم يُمتحن كامتحانه، أفهل يختار ما اختاره الحر.
أنا أكاد أقسم إن لا نظير له إلّا فيما ندر وشذ.
موانع تراجع الحر عن موقفه، وعن انضمامه لجيش الكرامة والحظوة الإلهية كثيرة:
١ - هو قائد من قادة جند ابن زياد، وهذا في حدّ ذاته حجاب عن التراجع: حرمان
المنصب، حرمان الامتيازات، الفضيحة الاجتماعية - ضمن الدائرة التي يحيا فيها -
ونحو هذي.

٢ - الخوف من انتقام ابن زياد من عائلته، وممن يتعلّق به، نتيجةً لتغييره لموقفه.
٣ - إن تغييره لموقفه لا ينفع الحسين عليه السلام شيئاً، إذ أن الإمام عليه السلام مقتول حتماً، غير
الحر موقفه أم لا.

٤ - ان المصير القطعي للحر هو القتل لو انضم إلى الحسين عليه السلام.
٥ - يحتمل احتمالاً كبيراً أن لا يرتضيه الحسين عليه السلام ولا يقبل توبته، لأنه - الحر -
سبب مهم في النتيجة التي انتهى إليها الحسين عليه السلام وهذا له مثيل في الشرع، في أحكام
التوبة، إذ هناك موردٌ أو أكثر، لا تُقبل فيه توبة العبد ظاهراً، بل واقعاً - كما ورد هذا

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٢٢٣.

فيمن أضلّ الناس مثلاً - .

٦- الثقل النفسي الذي يحسّه المرء المقترف لذنب، إذ تأخذه العزة بالإثم، فلا يتنازل ولا يعترف بجرمه - والنتيجة انه لا يتدارك أمره بالسعي في محو خطيئته - .

٧- يُمكن له ان يكتفي بالانسحاب من ساحة المعركة، أو ان يتحول عنها جانباً ويغمد سيفه، ما دام لا يستطيع نفع الإمام بشكل مهم ومؤثر.

ولعلك أخي القارئ، تستحضر معاني أخرى، وموانع كثيرة، تحجب الإنسان عن التراجع والندم.

لكن شيئاً واحداً غير موقف الحر، ونقله من حال إلى حال، وقد ذكره لمن كان بجنبه يوم الطف.

قال له:

إني أُخَيّر نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئاً^(١).

هذا التفكير في تلك الساعة لا يفكر به إلا عرفاني رباني، متعلقة روحه بالملأ الأعلى، وهذا هو مقياس السعادة، ومن هنا فاز الحر بكرامة الدارين، كان خائفاً من النار ومتشوقاً للجنة، وهذا الحال علامة إيمان أكيد.

إيمان بالمعاد، وبالجنة والنار، وإيمان بوجود المولى ووحدانيته وصفاته الكريمة من عدل ورحمة وحكمة، وإيمان برسالة النبي، وكون أهل بيته سفينة النجاة، والصراط إلى الله، وإن موقفه من الحسين خطيئة، والطريق هو ترضية الحسين.

موقف الحر تلك الساعة عبّر عن إيمان كامل متحقق فيه، وأردف إيمانه بالتوبة عن الخطايا والرجوع إلى الله.

(١) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي، ج ٤ ص ١١.

من هو الأقدَر على تقييم ذلك الموقف البطولي المتَّوَلَّهُ اللهُ سبحانه.
لقد رمى بنفسه على رحمة الله وعفوه، فتلقاه الله سبحانه صفحاً ورحمةً وحباً،
وأكرم الله الحر.

ومن العجيب، ولطيف الأمر، إن الحر لم يكن ممن كاتب الإمام الشهيد ﷺ مع أن
الكوفة كانت لفترةٍ طويلة كالمرجل، تعج بحركة ثورية، ولم يكن الحر من المتفاعلين
معه، بل لم يكن على علمٍ بتفاصيل ما يجري، وقد نبّه لهذا جوابه للإمام ﷺ حين التقاه،
والإمام في طريقه إلى كربلاء، وبمعية الحر ألف فارس، جنّدهم ابن زياد للبحث عن
الإمام ﷺ ومحاصرته.

قال الإمام ﷺ للحر وجنده:

«أما بعد: أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أَرْضَى اللهُ عنكم،
ونحن أهل بيت محمدٍ، وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس لهم،
والسائرين فيكم بال جور والعدوان، وإن أبيتم إلا كراهيةً لنا والجهل بحقنا، فكان رأيكم
الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم، انصرفت عنكم».

فقال له الحر: أنا - والله - ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر.

فقال الحسين ﷺ لبعض أصحابه:

«يا عقبة بن سمعان، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ.

فأخرج خرجين مملوئين صُحُفًا فنُشرت بين يديه».

فقال له الحر: إنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك، وقد أمرنا إذا نحن لقيناك ألا
نُفارقك حتى نُقدّمك الكوفة على عبيد الله.

فقال له الحسين عليه السلام: «الموت أدنى إليك من ذلك» ^(١).

والقصد أن الحر لم يكن ممن كاتب الإمام عليه السلام، فُعاني عقدة الذنب إذ تسبب في مجيء الإمام عليه السلام إلى الكوفة ثم في وقوع الإمام عليه السلام ومن معه في حصار جند ابن زياد، فكان من السهل عليه أن يصل إلى نتيجة أن الحل الأمثل له هو إعتزاله القتال وعدم المشاركة في الجريمة الأعظم في تاريخ الإسلام، إلا أنه لم يرتض هذا لنفسه دون أن يقدم نفسه قرباناً في سبيل الإمام عليه السلام.

ويقيني ان جريان الأسباب لغاية عدم قطع رأس الحر وبناء ضريح منفرد له يقصده الناس تكريماً واعتزازاً، إظهاراً من المولى سبحانه لمقام التوبة والتائب، وان بابه سبحانه تسع لولوج أصحاب الذنوب وإن عظم ذنب الراغب بالولوج منها.

﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ^(٢)

لكن: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ^(٣).

الدرس المقتبس من خطوات الحر:

مع ملاحظة إننا نأخذ من الحر من حين توبته لا مما قبلها، لأن خدمته للدولة الطاغوتية قبل التوبة هي جناية بحق الدين والأمة والنفس، وهي الفخ الذي سقط فيه الكثير من أبناء الأمة المغلوبين على عقولهم، وجاء الحسين ليحرر الأمة من شباك هذه الورطة فيما يحررها منه.

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ١٦٤، وبحار الأنوار، ج ٤ ص ٣٧٧.

(٢) سورة الزمر، الآية ٥٣.

(٣) سورة الزمر، الآية ٥٤.

فنقول: مما نستفيده كدرس من الحر الشهيد:

أ- التوقف عن ارتكاب الذنوب وإن فَعَلَ المرء ما فعل، لأن التوقف عن الذنب بعد اقتراف جريمة معينة - مهما عظم أمرها - أفضل من مواصلة اقتراف الذنوب.

وذلك أنَّ صيرورة المرء في أول دركة من دركات الجحيم، خير له من ان يبلغ الدركة الثانية أو أسفل منها، إذ الفرق بين دركة وأخرى عظيم وهائل، ومن يحتمل حر الصيف، ومضايقة الذباب والبعوض، كيف يستسهل عذاب الأبد في نار لو سقطت حلقة من حلقات سلاسلها على الأرض لأذابت الأرض وما عليها، ولعلّ وصفي هذا تقريبي وليس بواقعي، بتمام واقعية الحال وعينيته.

ب- التوبة عن الذنوب، لأن التوبة تمنع من دخول النار، بل عليك المسارعة إلى التوبة، فإنك لا تدري متى يُحال بينك وبينها بالموت.

ج- حتى مع بلوغ المرء مرحلة اليأس من مغفرة الله ونيل رضوانه - مع ان هذا لوحده موجب لدخول النار الكبرى وذلك لحرمة اليأس من عفو الله وَرَوْحِهِ - فإنّ على المرء عدم التوقف عن التوبة، فعليه الارتقاء على رحمة الله وعفوه والتوسل إليه سبحانه ليشمله بها وإن لم يكن مستحقاً لها، فلعلّ الله سبحانه يجعل له من أمره فرجاً ومخرجاً، ويسبّب له بعظيم قدرته وواسع رحمته ما ينجيه من غضبه.

د- أن يصنع عكس ما صدر عنه من ذنب، فإن الحر الذي صار سبباً لمنع الإمام من الرجوع إلى مقرّه، أو التنقل في بلاد الله العريضة، وامتنع - في بادئ الأمر - عن الأخذ بهداية الإمام (عليه السلام) كما قام بمضايقة الإمام (عليه السلام) حتى ألجأه إلى أرض كربلاء، ثم حدث ما حدث:

١ - فإنه عرض توبته على الإمام ملتمساً قبولها.

٢- وتصدّى لدعوة جيش الضلالة إلى اتباع الإمام سبط رسول الله ﷺ، وإلى نبذ الفئة الحاكمة الطاغوتية، ولا أقلّ من تركهم لمواجهة الإمام ومقاتلته.

٣- ثمّ أنّه بعدها تقدّم طالباً الرخصة من الإمام للقتال بين يديه والتضحية في سبيله، فنزل إلى ساحة المعركة وسطر ملحمة عبّرت عن صدق توبته، وعالي همّته وطهارة ذاته.

٤- وكان خاتمة الأمر أن قدّم روحه قرباناً في سبيل السبط - إمام الأمة وقائدها ومنقذها في الدنيا والآخرة وسبب نجاتها-.

ولم ينقل عنه أبداً الوصية بشيء، أو أنّه التفت إلى شيء ما خلا الإحساس بعظم ما ارتكبه، وبحرصه على نيل عفو الحسين ورضا الله تبارك وتقدّس.

لقد ارتقى على رحمة الله ذاهلاً عن كل شيء... ونالها بشهادة إمام الأمة: الحسين (عليه السلام).

٥- الطعن في السلطة الطاغوتية وفضحها وتسفيهاها وكشف زيفها إمام اوليائها، ومن يلتزم بمشروعيتها، أو يخضع لها لأي سبب من الأسباب.

وقد تحوّل جمع من جند ابن زياد إلى صف الحسين (عليه السلام)، ويُحتمل ان لمواقف الحر وتحوّل إلى الجانب الحسيني مدخلية في تقوية قلوب هذا الجمع وتحوّلهم أيضاً.

إساءات للثورة الحسينية

وَجَّهَتْ للثورة الحسينية إساءاتٍ عدَّة عبر التاريخ.

منها: ان الإمام (عليه السلام) عرض على ابن سعد أن يضع يده في يد يزيد كي ينتهي الأمر وتُبتَر الأُزمة.

وهذه الاكذوبة الصلعاء، رُدَّت بها ذكره من رافق الإمام (عليه السلام) من أول حركته حتى نهايتها، وهو خادمه عقبة بن سمعان، من أنه رافق الإمام (عليه السلام) حتى استشهاده فما سمع منه مثل هذا أبداً^(١) وعموماً لم تلق هذه الإساءة غير التكذيب.

فما أصلها وباعثها؟

أساس هذه الاكذوبة: عمر بن سعد.

إذ ذكر هذا في كتاب أرسله من كربلاء إلى اخبن زياد.

وقد كتب فيه:

أما بعد، فإنَّ الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة.

هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي أتى منه، أو أن يسير إلى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أمير المؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لكم رضى وللامة صلاح^(٢).

والسر في كتابته لهذه الاكذوبة على ما يظهر من علاقة هذا الشخص بالملحمة

(١) حياة الإمام الحسين (عليه السلام)، الشيخ القرشي، ج٣ ص ١٢٨.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢ ص ٨٧.

الحسينية، أنه كان كارهاً لمقاتلة الإمام عليه السلام من أول الأمر، إلا أنه رضي فيما بعد، لتغلب حب الدنيا على نفسه.

فقد ذكر ابن زياد ولأه بلاد الري وجرجان، وسلّمه كتاب توليته، فلما أراد التوجه لغايته، بعث إليه وطلب منه الخروج لحرب الحسين على إن يذهب إلى عمله - ولاية الري - بعد انتهائه من حرب الإمام، فطلب إعفائه من محاربة الإمام عليه السلام فأجابه ابن زياد بالموافقة على أن يردّ إليه كتاب توليته الري، فطلب مهلة للتفكير والاختيار فأمهله، وبقي الشقي ابن سعد ليلته تلك متفكراً، وسمعه أهله يُنشد:

أترك ملك الريّ والريّ بُغيّتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الريّ قرّة عيني^(١)

وانتهى به تفكيره إلى اختيار الدنيا وشقاء الأبد على الآخرة فرضي بالخروج لحرب الحسين ثم الذهاب إلى عمله حيث ولاية الري وجرجان لينهب ويترع في الممذات.

ونتيجة الأمر أن ابن زياد غدر به، فحرمه من ولاية الري وجرجان بعد أن أتم ابن سعد له المهمة كاملة، بما فيها تنفيذ وصيته بتعريض الجسد المقدّس للإمام إلى وطء الخيل^(٢) وقد تكسرت عظامه المقدّسة نتيجة لذلك.

أقول: ولعلّ الأمر حيلة من أوّلِه لغرض الإيقاع بابن سعد لنيل قبوله لحرب الإمام عليه السلام والّا فلم تكن عند ابن زياد نية حقيقية لتأثيره على الريّ، وهذا الاهتمام منه بتوليّ ابن سعد لقيادة الجيش المحارب للإمام الحسين عليه السلام:

١ - لما يُمثّله عمر بن سعد بن أبي وقاص من ثقل اجتماعي لدى بعض الفئات

المنحرفة عن أهل البيت عليهم السلام.

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١١٣.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ٣٠٣.

٢- القضاء على سمعة آل أبي وقاص، بل القضاء عليهم، وذلك أن خروج عمر لحرب الإمام عليه السلام سيؤدي إلى الإيقاع بينه وبين شريحة واسعة من الأمة وسيجعله في معرض خطر الاغتيال منهم، وبهذا سيتخلص الأمويون منه، بل ولعلهم سيتخلصون من عامة هذه الأسرة لنفس السبب، إذ أن هذه العائلة من العوائل الطامحة للخلافة منذ أيام الشورى العُمريّة، حالهم في هذا حال طلحة والزبير.

٣- ان لهذه العائلة تأريخ في الانحراف عن أهل البيت عليه السلام منذ أيام تلك الشورى -المهزلة- وكذلك أيام تولي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لشؤون المسلمين، إذ كان سعد بن أبي وقاص من الممتنعين عن بيعة أمير المؤمنين وسيد المسلمين عليه السلام وأخي رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه، مع أنه من العارفين بفضلته ومقامه حتى أنه تحدّى معاوية فتحدّث أمامه بفضائل علي عليه السلام في الإسلام وبخصائصه، ومع كل هذه المعرفة به فقد خذله، -وياويله يوم يلتقي برسول الله صلى الله عليه وآله في عرصات القيامة- ولمّا كانت هذه الاسرة بمستوى عالٍ من الانحراف عن أهل البيت عليه السلام المطهرين، فقد كان من الأفضل للأمويين استغلال صيتهم وانحرافهم من خلال قيادة عمر لحرب الإمام المظلوم عليه السلام.

حين وصل ابن سعد بجيوشه إلى كربلاء أرسل إلى الحسين عليه السلام متسائلاً عن سبب قدومه إلى العراق فأجاب الإمام عليه السلام:

«كتب إليّ أهل مصر كم هذا أن اقدم، فاما إذ كرهتموني فانا أنصرف عنكم»^(١).

فقال ابن سعد: أرجو أن يعافيني الله من حربه وقتاله.

وكتب إلى ابن زياد مخبراً له بجواب الإمام عليه السلام.

فأجابه أمراً له بأخذ البيعة من الإمام عليه السلام.

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ٨٥.

فلما ورده كتاب ابن زياد قال: لقد خشيت ألا يقبل ابن زياد العافية.
وبدأ الأمر يشتد، إذ كتب إليه في إثر ذلك الكتاب أن حُل بين الحسين وأصحابه
وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة.

ففي هذا الحال كتب ابن سعد إليه الرسالة - محل البحث - لكي يؤثر على ابن زياد
ويدفعه لتغيير موقفه، حباً بالسلامة لا حباً بالإمام عليه السلام ولا تديناً، وليغنم ما يُنجيه من
خوض القتال مع الإمام عليه السلام، بالإضافة إلى مُلك الري.

وكاد ابن زياد أن يوافق لو لا شمر لعنة الله تعالى عليه ^(١).
فشمر زَيْن لابن زياد الامتناع، ورجح له عرض النزول على حكمه أي الاستسلام
بما هو شأن العبيد، إذ قال له:

ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة وإن
عفوت كان ذلك لك.

وافق ابن زياد فوراً على اقتراح شمر، وكتب إلى ابن سعد يأمره بهذا المضمون، وان
يزحف إلى الإمام عليه السلام ويقتله ويمثل به ان رفض الإمام عليه السلام ما يُعرض عليه ^(٢).
وأضاف ابن زياد بأمر ابن سعد بأن يوطأ الخيل جسد الحسين عليه السلام بعد قتله ^(٣).

يتضح مما تقدم ان ابن سعد كان كارهاً لمقاتلة الإمام عليه السلام وانه كان يحاول تجنب
هذه النتيجة الخطرة لما يعلم من وخيم عواقب هذه الجريمة سواء أكان تخوفه لما لِفَعْلِهِ
من عظيم الخطر في الآخرة - لو كان ثَمَّتَ إحساس وإيمان عنده بالآخرة - ام لما له من

(١) راجع له: حياة الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٢٨.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٣١، وراجع: مقتل الحسين عليه السلام، لابن
أعثم، ص ١١٠.

(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ القرشي، ج ٣ ص ١٣١.

نتائج مُرّة ومرعبة في حياته، إذ سيكون في معرض الاغتيال والانتقام من شيعة الإمام وأصحابه فلا تنهأ له حياة، وهو ما وقع بعدئذٍ إذ دُبِحَ على فراشه بين زوجته وولده. لما كره ابن سعد تلك المقاتلة حاول تجنبها فأفعل بعض ما في الكتاب لتهدئة الأجواء ولينجّي نفسه من هذه الورطة.

والمنقول بتأكيد: إن الإمام ﷺ عرض الرجوع من حيث أتى.

أما أن يعرض عليهم قبوله وضع يده في يد يزيد، فما فرق هذا عن البيعة التي يريدونها وقد رفضها الإمام ﷺ بشدّة وتصميم، كما عرضوها عليه كآخر عرض قبل المناجزة، وأباها عليهم أشدّ الإباء.

ثم إنّ هذا العرض من جهة الإمام ﷺ على فرض وقوعه -وهو محال- يحتاج إلى مراجعة يزيد من طرف ابن زياد، لأن هذا تطور مهم في مواجهة السلطة مع الإمام ﷺ، ذلك أنّه ﷺ أبى عليهم حالة وضع اليد هذه سنين عدة، ولو تحققت هذه المكاتبة لاستغرقت وقتاً، وعدم المكاتبة يعني أنّ ابن زياد قد استلم أوامر مؤكدة بقتل الإمام ﷺ مهما آل إليه الحال وبأي نحو جرت الأحداث، وهو أمر مسلّم على كل حال، وهذا التصميم من يزيد لقتل الإمام ﷺ لم يكن إلّا ليأسه من توفّر فرصة حقيقية للتفاهم مع الإمام ﷺ لإنهاء رفضه ليزيد وللحكم القائم، إذ لو أمكن هذا لهم لما تركوا هذا الخيار، فمبايعة الإمام ﷺ تعني خضوع ومبايعة أمة كبيرة لهم، كما تعني كسر الهيجان المستفحل في المجتمع ضد يزيد، وإخماد للبراكين التي تفجّرت في عدة أماكن فيما بعد.

وإنما اصرّوا على الإمام ﷺ، وصمّموا على قتله، لإصرار الإمام ﷺ على المواجهة وعدم البيعة وإن أدّى هذا إلى تقديم ذاته المقدّسة قرباناً لله سبحانه دفاعاً عن دينه وإعلاناً لإرادة المولى سبحانه القدسية، فمن غير المعقول أن يصمّموا على قتله ذاك التصميم، وهناك أقلّ احتمال لرضوخه - صلوات الله عليه وسلامه - لهم، إذ بهذا

تضييع كل الفوائد التي يترقبونها ويتمنونها إثر بيعته.

الإساءة الثانية:

وقد فصل هذا: الشيخ الشهيد المطهري في كتابه «الملحمة الحسينية» حيث ذكر أسماء كتب حُشدت فيها كمية كبيرة من الأكاذيب والموضوعات حول الثورة الحسينية عمداً، ولغرض التشويه في بعضها، كما هو الحال في كتاب «روضة الشهداء» للكاشفي، وغفلة عن الحال كما في «أسرار الشهادة» للدربندي.

والكاشفي - بحسب ما بيّنه المطهري - أصلاً من غير الشيعة، لكنّه دخل في التشيع وأساء إليه كثيراً، ومن إساءاته كتابه هذا الذي بناه على الكذب والافتعال عمداً، وقد افتعل فيه ما يصدّم النفس، وقد يجرّ بعضها الناس إلى الاستهزاء بالعلم والعلماء وكتب الدين، ولعلّ مطلوبه هو هذا.

وقد ذكر الشهيد المطهري بعض ما احتوته تلك الكتب، ومنها ما تقدم ذكره من الأكاذيب والمرفوضات.

وللمناقشة فيما تقدّم مجال واسع:

أ- أنّ هناك كلام في صحّة نسبة كتاب الملحمة الحسينيّة إلى الشهيد المطهري، وقد تعرّض لهذا الأمر السيّد جعفر مرتضى العاملي في كتابه «كربلاء فوق الشبهات» حيث صرّح بجزمه بعدم صحّة نسبة الكتاب إليه^(١).

ب- إنّ هذا الكتاب وإن صحّت نسبته كلاً أو بعضاً إلى الشهيد المطهري، إلّا أنّ بعض ما سُجّل فيه لا يُمثّل آراءً نهائيّة للمؤلّف، فلا يُمكن اعتمادها كموقف له في

(١) كربلاء فوق الشبهات، السيّد جعفر مرتضى العاملي، ص ١٥، وراجع ص ٧٧ من الكتاب لملاحظة الدلائل على هذا الرأي.

المقام^(١).

ج- إن ديدن أمثال هذه الكتب على جمع كل ما يمكن الوصول إليه مما يتعلق بالموضوع محل البحث وحصرها في كتاب واحد كي يتسنى ويسهل للباحثين والمحققين المراجعة والتحقيق والمقارنة ثم اتخاذ الموقف النهائي، فلا يصح الإشكال على مؤلفي أمثال هذه الكتب بما تحتويه مؤلفاتهم من نصوص شاذة وغير مرضية لانهم لا يلتزمون بصحة كل ما سطروه في هذه المدونات وقد قدمنا لك السبب في نحو هذا الجمع وهو عمل جليل ومفيد يُشكرون عليه ولا يُلامون بسببه بتاتاً.

وكيف كان فإنّ تنبيهات الشهيد المطهري في محلها وهي تقتضي التأنّي والحذر في الاقتباس من مضامين هذه الكتب لأنّ ما فيها إنّما هو لجمع كلّ ما هو متوفر دون لابدية الاعتماد، وعلى المحققين والباحثين اعتماد الوسائل العلمية المقررة لفرز ما هو مرضي ومقبول، دون غيره مما هو مرفوض قطعاً أو باقياً ضمن نطاق المشكوك.

الإساءة الثالثة:

ما يحاوله البعض بشكل حثيث ويأثس من اختلاق الأعذار وطرح التبريرات المختلفة لقتلة الحسين وخصوصاً لرأس الجريمة: يزيد.

والطريقة التي يطرح هؤلاء فيها الأعذار والتبريرات تنتهي بالنتيجة إلى إلقاء اللائمة على سيد شباب أهل الجنة وحفيد رسول الله ﷺ والثائر لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولإسقاط النظام الطاغوتي وإقامة حكم الكتاب والسنة في دولة إسلامية تقوم على القسط والعدل والأحكام الإلهية، والذي أقل ما يقال في تحرّكه أنّه نهض إستجابة لصرخات أهل الكوفة المستضعفين من السلطة الجائرة والتي أعملت فيهم مختلف صفوف الاضطهاد والإجرام طيلة عشرين عاماً.

(١) المصدر السابق، ص ٩٠ وما بعدها.

ومع أنّ النبي ﷺ قد وصف الحسين ﷺ بمختلف أوصاف التكريم والتعظيم حتى أعلن أمام الملاء بأنه سيد شباب أهل الجنة ولا يشك امرئ بعد ملاحظته لأقوال النبي ﷺ في الحسين ﷺ أنّ الصراط المستقيم هو النهج الذي يخطّه الحسين ﷺ ويأمر بسلوكه لأنّه علم الهداية في الأمة وهو أحد الثقلين اللذين تركهما النبي ﷺ لأمته معلماً للنجاة.

أفهل يصح إتياب النفس وشحن الفكر لإيجاد التبريرات لقتلته ومحاربيه وللمشاركين في منع الماء عنه وعن عائلة الرسول الأعظم ﷺ مع أنّ كل ما يتعلق بهؤلاء القتلة قد دلّ على خستهم ذاتاً وفكراً وسلوكاً وسيرةً مع الحسين ﷺ فما الداعي لهذه الجهود لو لا بغض أهل البيت ﷺ ولو لا النفاق المستتر بين الجوانح والذي فضحته هذه التبريرات.

ومجال البحث في هذا الجانب واسع اكتفينا منه فعلاً بما تقدّم.

أدلة الإثبات

استنتاج أمر من خلال البحث في الحركة الحسينية الخالدة:
إمّا يترتب عليه إثبات حكم شرعي وموقف عملي.
وإمّا يترتب عليه إثبات حادثة وقعت في الخارج.
فما هي الوسائل التي يُمكن بواسطتها إثبات أحد هذين الأمرين.
وما قيمة المصادر المتوفرة الحاكية للحركة الحسينية، والمفصلة لأحداثها ووقائعها،
من جهة امكانية اثبات المطالب من خلالها؟
وهل تنفرد الحركة الحسينية عن غيرها من أحداث التاريخ، أو عن بقية الروايات
الحاكية للأحكام الشرعية بطرق اثبات خاصة بها، أم تأخذ نفس المنحى؟
التزم الشهيد المطهري -شكر الله تعالى مساعيه الجميلة- في الملحمة الحسينية:
في ان المرء لا يجد نقطة إبهام أو غموض واحدة، في تأريخ الإمام الحسين عليه السلام
والحركة الحسينية ^(١).
وإن قضية كربلاء، من أندر الوقائع المدعمة بالاسناد التاريخية الموثوقة ^(٢).
وإن إرشاد المفيد كافٍ في بابه.
وذكر أن الكتب:

(١) الملحمة الحسينية، الشهيد المطهري، ج ١ ص ٤٥.

(٢) نفس المصدر السابق، ج ١ ص ٢٣.

«روضة الشهداء» للكاشفي.

و«اسرار الشهادة» للدربندي.

و«محرّق القلوب» للنراقي.

تحتوي على الكمية الاكبر من المكذوبات والموضوعات والخرافات حول الثورة الحسينية، خصوصاً الأوّل منها، واتهم مؤلفه بالوضع، أما الثاني فبالنقل دون تحقيق. ومدح كتاب اللؤلؤ والمرجان - وهو موجه إلى الخطباء - للميرزا حسين النوري، وذكر انه نفيس في بابه، وأكد على تحقيقه واخراجه للاستفادة منه. وقد تقدّم القول بأنّه قد يكون مبنى مؤلفي هذه الكتب على جمع هذه الاحاديث وتحشيدّها في مصنّف واحد واختيار المقبول والمعتمد منها إنّما هو مسؤوليّة أهل البحث والتحقيق.

لقد بحث علماء الإمامية في «علم أصول الفقه» هذا المطلب المهم -عناصر الإثبات- وانتهوا إلى النتائج التالية:

١- عناصر إثبات الأحكام الشرعية:

- (أ) القطع أو دليل مقترن بما يُفيد القطع على حكم شرعي معيّن.
- (ب) الظنّ المعتمد -وهو الذي قام دليل قطعي على صحة الرجوع والاستناد إليه لإثبات الأحكام الشرعية-.
- (ج) الأصول العملية -بعد عدم توفر دليل من القسمين أ، ب- فيرفع التحير بواسطة الرجوع إلى الأصول العمليّة والتي من أهمّها: البراءة، التخيير، الإحتياط، الاستصحاب.

وبعبارة أخرى فإنّ أيّ حكم شرعي لا يُمكن إثباته إلّا بعلم وقطع، أو بعلمي

- وهو الدليل الظنيّ إلا أنّ العلم والقطع قد توفّر على حجّيته وصحة الاستناد إليه لإثبات حكم شرعي فرعي به.

٢- عناصر إثبات أصول الدين:

ولا يمكن إثباتها إلا بتوفّر دليل قطعيّ عليها ولا يكتفى لها بأيّ دليل ظنيّ.

٣- عناصر إثبات الوقائع الخارجية:

ويمكن إثباتها:

أ) بالعلم والقطع بها.

ب) قيام بيّنة جامعة للشرائط الشرعيّة كي تثبت الواقع الخارجي من خلال شهادتها.

ومن أهم الشرائط عدالة الشاهد وورعه، وتعدّده، فلا يكتفى بواحد وإن كان ثقة، بل وإن كان عدلاً.

وينبغي الالتفات إلى أنّ من محققات العلم والقطع بالواقع الخارجي: تحشيد مجموعة من الشواهد المنقولة عن جهات عدّة والتي يقطع المرء بعدم إتفاقها على الكذب بافتعال المروي.

٤- عناصر إثبات المستحبات والمكروهات الشرعية:

ويمكن التسامح في إثباتها عن طريق آية رواية واردة وإن كانت ضعيفة وذلك إستناداً إلى «قاعدة التسامح في أدلة السنن» وما أخفّ مؤنة إثباتها والحال هذا، لكنّ هذا عند من ثبتت قاعدة التسامح لديه، وأمّا من لم تثبت عنده هذه القاعدة فلا بُدّ من ثبوت اعتبار الرواية التي يتم من خلالها إثبات الاستحباب أو الكراهة لأمر ما.

٥- عناصر إثبات روايات الفضائل والمناقب للمعصومين الأربعة عشر -الذين

وردت عنهم وفيهم ما لا تُحصى من الأدلة من طريق الشيعة والسنة، على فضلهم وعظمتهم وعلو مقامهم وشدة قربهم من الله تعالى، والكثير من هذه الأدلة قطعية الصدور وواضحة الدلالة جداً.

ويمكن التسامح في روايتها ونقلها وإن كان في إسنادها ضعف، ولا غضاضة في هذا بعد قيام الأدلة الكثيرة والقطعية على أصل عصمتهم وعلى المقامات التي جعلهم الله تعالى فيها.

وما تقدّم كله: القواعد العامة التي يصح سلوكها لإثبات الأمور المتقدمة. ويتعلق بها تفاصيل كثيرة قد تكفلت ببيانها والخوض في جنباتها مصنفات الاعلام في علم اصول الفقه فهناك محلّ التوسع فيما أُجمل القول فيه هنا. وبالنسبة لموضوع بحثنا:

فإنّ هذا الكتاب يتصدّى لتحليل الوقائع والروايات دون السرد التفصيلي لها أو إثباتها بإيراد الشواهد على ذلك وإن توفّر مثل هذا في موارد عدّة خلال أبحاث الكتاب لكن المهم بالدرجة الأولى ما ذكر.

وثانياً: فإنّ تفاصيل كثيرة عن النهضة الحسينية وتلك المسيرة المباركة قد رُفِعَ اليد عن التصدي لإثباتها كأنّها بحكم المفروغ منها والمُسلّم من حصولها بقرائن كثيرة وعوامل مختلفة أوجبت هذا الموقف منها، فلا تجد أحداً ينكرها أو يُناقش في أمر حصولها.

فلا تجد أحداً يتساءل عن واقعية مكاتبة أهل الكوفة للإمام عليه السلام.

أو في أنّه - صلوات الله عليه - امتنع من البيعة.

أو أنّه ارتحل في مسيرته من المدينة إلى مكة فالعراق.

أو أن كربلاء هي منتهى مسيرته ومحط رحاله وساحة معركته ومحل استشهاده ومدفنه.

ولا شك في ملاقات جيش الحر له وتضييقه عليه.

ولا في جملة من صحبه كأخيه العباس.

ولا في اصطحابه لعياله معه بالرغم من الخطر العظيم الذي يتهدد الجميع.

ولا في أن قائد جموع جيش الكفر والضلالة هو عمر بن سعد بن أبي وقاص.

ولا في أنهم الجؤوه إلى اختيار القتال بعد أن ضيقوا عليه دائرة الخيارات، وبعد أن حددوا خياراتهم له بين الاستسلام المذل أو القتال فالقتل الجتمي.

وهكذا الأمر في كثير من الوقائع والأحداث والتفاصيل.

ثم إن من طرق إثبات الوقائع والروايات في هذا الكتاب هو تحشيد النصوص المفيدة والمنتجة لثبوت النص أو الواقعة محل البحث وإن لم يحصل الإثبات بكل نصّ تم ذكره لضعفه لكن تظافر النصوص قد يفيد وثوقاً بالتحقق والصدور.

ثم أنه لم تبطل النهضة الحسينية بحصول التعارض في التفاصيل المروية المنقولة بشأنها كما هو الحال فيما حصل لغيرها من الموارد ولو حصل في أمرها شيء من هذا القبيل فإنّ حلّه سهل غالباً كما هو الأمر فيما نُقل من الإكذوبة على الإمام صلوات الله عليه في أنّه عرض عليهم أنّه مستعد لوضع يده في يد يزيد إذ لو أمكن هذا فما فرقه عن البيعة التي أبأها عليهم أشدّ الإباء حتّى استشهاده.

المؤلفات في الحسين عليه السلام

صُنِّفَت عبر التاريخ كثير من الكتب التي تحكي سيرة الإمام الحسين صلوات الله عليه وسلامه عموماً، أو وقائع يوم الطف على نحو الخصوص، والمصطلح على الأخيرة منها بالمقاتل.

وعلى كل مؤمن بل كل إنسان يسعى لبناء ذاته استطلاع سيرة الإمام عليه السلام وتعرّف بعض ما ينكشف له من كمالات هذه الذات بما يدفع به إلى أعلى مراقي الكمال والفضل بحسب استعدادده، عبر هذه الكتب وأمثالها.

من دواعي وعلامات السعادة، أن نتعلم من الحسين، وأن نستهدي بالحسين، فنأخذ منه العقيدة السليمة، والسلوك النزيه، ومكارم الخصال والصفات، ونتعلّم منه الإباء والإيثار والنجدة والإقدام والرافة حتى بالعدو.

الحسين مجمع المكارم، وهو قرآن ناطق، قوله قول القرآن، وسلوكه وفق القرآن، وبعبارة أفصح: هو ترجمان القرآن.

فإذا أردت تعرّف معاني القرآن وكيفية تطبيقه وتمثله سلوكياً فانظر إلى الحسين تعرف مضامين القرآن، ولا عجب فهو عدل القرآن وهو الثقل الثاني، إذ ترك النبي ثقلين في الأمة، إن أَخَذَتِ الْأُمَّةُ بِهَا رَكْبَتِ السَّفِينَةِ وَنَجَتْ، وإلّا هوت، ولا عاذر لها ولا وليّ ولا نصير، ولا تلحقها شفاعة ولا رحمة، ولا تتداركها توبة أو توسل وتخضع، والثقلان هما: كتاب الله والعترة، والحسين من العترة، بل من أفضلها.

الحسين أول شخصية من بيت النبوة رفعت السلاح بوجه ظلم وجبروت

واستعباد الطبقة الحاكمة للأمة العزلاء والحديثة العهد بالإسلام والتوحيد والمثل العليا.

لقد ثنى الحسين عليه السلام بثورته ثورة أمه الزهراء عليها السلام، والتي دوى صوتها في أماكن عدّة من المدينة المنورة، تعلن غضبها على من هجر شرع أبيها بين ليلة وضحاها، وبين من جعل أول فعله بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وأول هدية للعترة والأمة، وجعل وداعه للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وهو ما يزال مسجّى لم يُدفن:

أن عزل العترة عن ساحة التأثير، وحرّمها املاكها وامتيازاتها، وسلب منها أسباب القدرة، فجعلها دون آحاد الأمة في التمتع بتشريعات الإسلام.

فآحاد الأمة يُقبل منهم شاهدين لأي إثبات حق، والزهراء عليها السلام لم يُقبل منها شهادة معصومين، وشهادة امرأة شهد لها النبي صلى الله عليه وآله شخصاً بالجنة.

وآحاد الأمة ان كان بأيديهم شيء فهو لهم بلا بينة، والبيّنة على مدعي العكس، والزهراء عليها السلام تطالب ببيّنة على ما في يدها.

والأمة تتمتع بالزكاة فينال فقيرها من حصصها، وآل محمد صلى الله عليه وآله لا حقّ لهم بالزكاة حرمة الصدقة عليهم - بحسب التشريع - ولا حقّ لهم بالخمس لتحويل الخمس إلى حق عام للأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله - بحسب الموقف الذي اتخذته أهل الحكم خلافاً لموقف الكتاب والسنة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله -.

وكلّ فرد في الأمة من حقّه أن يرث أبويه بعد وفاتها، والزهراء لا حقّ لها بميراث أبيها - لأن الأنبياء لا يورثون، فما يتركونه صدقة - والقرآن يصرخ فيهم: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ ويُعلن: ﴿يَرْثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ والأجيال المتتالية على درب سلفها تلتزم بمقولة - الأنبياء لا يورثون - ومن العجيب أن الأنبياء لا يورثون أولادهم فقط، بينما أخذت عائشة وحفصة ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف ورثنا

ولم ترث الزهراء عليها السلام، وهي لحم رسول الله ودمه عليه السلام، بل هي روحه التي بين جنبيه، وهي بضعته، وهي وهي...

الحسين عليه السلام ثار لاستنقاذ المستضعفين والمحرومين من أيدي الطاغوت والجبث. قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾.

ثار الحسين عليه السلام على التحريف والتدمير لشريعة الرسول الأكرم عليه السلام.

الحسين عليه السلام ذات أبت أن تعيش الخنوع والذلّة والقهر في سلطان الأكاسرة والقيصرة، ودلّت بمسلكتها على ما جاء به سيد المرسلين وحملته أهل البيت المحمدي الطاهر من موقف تجاه مثل هذه الحالات وهم فكر واحد وسيرة واحدة وان تعددت الذوات، فليست قضية الحسين - قضية في واقعة - بل هي: قضية الإسلام المركزية. الإسلام يُزيح عن مقعد الصدارة من لم تتوفر فيه صفات معينة، ويُعطي زمام الأمور ومقاليدها بيد المعصوم المسدّد من الله تعالى والمُعَلَّم منه، ليرفع كل إنسان إلى أعلى مراقبة يستطيع الارتقاء إليها، وليحقق أسعد حياة في الأرض وأطهر مسيرة للإنسان.

فقضية رسول الله عليه السلام في حياته وقضية الزهراء وعلي والحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام واحدة والاختلاف في جزئي القضية، وشخص المدافع عن الانحراف، والآ فاصل القضية واحد، والقتال في جبهة واحدة.

بل قضية محمد وآل محمد عليهم السلام هي قضية كل الأنبياء والأوصياء ومن على نهجهم.

مؤلفات جلييلة :

لم يقتصر التأليف في الحسين عليه السلام على شيعته ومتابعيه وأهل ولائه والمتمسكين بالدين المأخوذ من طريقه عن أبيه عن جدّه المصطفى عليه السلام، بل شمل عموم محبيه، بل حتى من يخالفه في النهج، بل كتب في حقّه اتباع الديانات الأخرى. نعم، بخسه حقّه النواصب، ومبغضو أهل البيت عليهم السلام، ومن يسانخ بني أمية في الجوهر والميول والفكر.

وفي هذا المسار: الاهتمام بأعدائه ومناوئيه.

أحدهم يكتب كتباً في سرد سيرة يزيد وقصة حياته، وما أدري ما الذي يريد أن يسجله هذا غير المخازي، والوان العار والفجور، وغير الكفر والإلحاد. وأين فعل هذا ممن كتب: «الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد» والكتاب الثاني هو لأبي الفرج ابن الجوزي البغدادي الحنبلي^(١). وآخر يتّجه لجمع شعر يزيد ويخلصه من شعر غيره.

وايّة شاعرية في يزيد تقتضي الاهتمام به، وصرف الجهد إليه، مع وجود فطاحل الشعر العربي وهم كثر، كما أن يزيداً عدو الله ورسوله بل الإنسانية جمعاء والله، وعداوته هذه تقتضي إماتة ذكره وتوجيه الأمة نحو لعنه والبراءة منه.

نعم إن كان جمّع شعره كيلاً تضع كفريّاته الشعرية لتعلمها الاجيال، ولتخلد ذكره في طواغيت الأمة وفراعنتها وكفرتها، كقوله:

لعبت هاشمٌ بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

(١) راجع كتاب: أهل البيت في المكتبة العربية، للسيد عبد العزيز الطباطبائي، ص ١٩٢، وقد فصل حال الكتاب وأنه كتب ردّاً على من ألف في الدفاع عن يزيد.

لست من خندفٍ إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل
أو قوله يخاطب زوجته:

فإن متَّ يا أمَّ الأحيمر فانكحي ولا تأملي بعد المساء تلاقيا

في أبيات له يُنكر فيها المعاد، فلجمع هذا الشعر وجه وجهه.

ثم هل هذا العمل أجدى للدين والإنسانية، أم جمع شعر الحسين (عليه السلام) الذي هو أحد أركان الإسلام، بل الوجود، والذي كله رحمة وعطاء للإنسانية، وهو ملاذها وَعَلَّمَ هدايتها ونجاتها، وقد جَمَعَ شعر الحسين (عليه السلام): محمد بن الرحيم^(١).

لكن يبقى أن من تجراً فمدح يزيد وأعداء الحسين (عليه السلام) أو كتب بما به المناوئة لسيد الشهداء (عليه السلام) هم أقل القليل، وغالبهم، بل جميعهم، ممن لا يُعبأ بهم.

نعم، كتب في الحسين (عليه السلام)، وأدَّى شيئاً من حقِّه جمع كثير، بلغنا أسماء بعضهم وأسماء مؤلفاتهم، ولعلَّ ما لم يبلغنا أعظم.

وفي أيامنا هذه أيضاً، توجد في مكتبات الدنيا مجموعة من المؤلفات في شهيد الأمة - الحسين السبط (عليه السلام) - كتبها محبُّوه من شيعة وغيرهم، بل أخذت دائرة الإعلام الحسيني بالاتساع لتشمل غير الكتب والمقالات والخطب، بعدما أخذت دائرة الأساليب الإعلامية بالاتساع يوماً بعد يوم.

وقد تضمنت أسماء بعض هذه الكتب فهرسات، كُتبت لتوثيق ما صدر في الإمام (عليه السلام) إن تعث به يد العدوان، أو يد الزمان.

هذا - مثلاً -: كتاب مقتل الحسين بن علي (عليه السلام)، للشيخ الصدوق لم يصلنا منه

(١) راجع: أهل البيت في المكتبة العربية، السيد عبد العزيز الطباطبائي، ص ١٧٤، وقد ذكر أنه جمعه ورثته وشرحه محمد عبد الرحيم وطُبِعَ في بيروت سنة ١٤١٢.

شيء، غير أنه نبّه عليه في كتابه - الخصال - ^(١).
ومثله كثير.

ومن أراد الإطلاع على أسماء مؤلفات في الإمام عليه السلام سيرةً وشهادةً، فله أن يراجع:

١ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ محمد محسن الطهراني المشتهر بأغا بزرك

٢ - أهل البيت في المكتبة العربية للسيد عبد العزيز الطباطبائي

وقد ضمّن كتابه هذا ما كُتب في أهل البيت عليهم السلام من غير شيعتهم وكذلك ما كُتب فيمن هو لصيق بهم، كأبي طالب عليه السلام، وأبي الفضل العباس عليه السلام، والعقيلة زينب عليها السلام.

وقد أحصيت فيه « ٩٧ » كتاباً في الحسين عليه السلام أو للحسين عليه السلام من الكتاب مقدار مهم.

٣ - كتاب شناسي إمام حسين عليه السلام لنجف قلي حبيبي.

والكتاب باللغة الفارسية، وحوى أسماء مصنفات كثيرة في الإمام الشهيد عليه السلام لمؤلفين من الشيعة والسنة، وقد قام بنشر الكتاب: مؤسسة تنظيم ونشر آثار إمام خميني في سنة ١٣٧٤ هـ ش والموافق لسنة ١٤١٦ هـ ق، وقد تضمّن الكتاب « ٩٧٨ » عنواناً. فهاكها أسماء مصنفات يمكنك العثور عليها في المكتبات العامة أو الخاصة، ولا يستعصيك تحصيلها، وهي تؤدّي بعض المطلوب في مجالها.

١ - الإرشاد الشيخ المفيد.

هذا الكتاب: سردٌ لحياة الإمام وقضيته، ويعتبر من الكتب التراثية القديمة جداً، والمهمة، والمصدر الأصلي لكثير ممّن كتب عن الإمام.

(١) راجع: الخصال، ص ٦٨.

مؤلفه: الشيخ المفيد، عالم، محقق، متتبع، وهو شيخ الإمامية في عصره، ولمنقولاته أهمية كبيرة، لمكان تحقيقه، وتثبته، وغيرته على الدين.

٢- مقتل الحسين ﷺ السيد محمد تقي بحر العلوم

وهو سرد لأحداث الطف مع تعليقات ممتازة ونافعة جداً لولد المؤلف السيد حسين بحر العلوم لا يُستغنى عنهما، وهو يسدّ فراغاً للمبلغين المحترمين إذ كُتِبَ على نهج مجالس عشر.

٣- الملهوف على قتلى الطفوف السيد علي بن موسى بن طاووس ويتناول الثورة الحسينية بنحو سردي.

٤- حياة الإمام الحسين بن علي الشيخ باقر شريف القرشي هذا الكتاب يتناول الثورة الحسينية بنهج سردي تحليلي في مجلدات ثلاث.

٥- كلمات الإمام الحسين

٦- بحار الأنوار ج ٤٤-٤٥

٧- مسند الإمام الشهيد ٣ مجلدات

الشعر: للتذكير بالحسين ﷺ

ذم القرآن الشعراء:

الذين في كل وادٍ يهيمون، والذين يقولون ما لا يفعلون، وذمّ من يتبعهم.
واستثنى منهم:

الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، وذكروا الله كثيراً، وانتصروا من بعد ما ظلموا^(١).

وقد أكثر الشعراء من قول الشعر في الحسين ونهضته، وجمع الخطيب الشهير السيد جواد شبر بعضاً منه في مجلدات عشر، وسمّى مجموعته ب: «أدب الطف^(٢)».

ولم يبن على الاستيعاب، وهيئات.

الشيخ أحمد البلادي من شعراء القرن الثاني عشر نظم ألف قصيدة في رثاء الإمام الحسين المظلوم، وجمعها في مجلدين ضخمين^(٣).

ولا أجازف لو قلت أنه لو تصدى أحدٌ لجمع كل ما قيل في الحسين ﷺ من شعرٍ

(١) راجع الآيات ٢٢٤ - ٢٢٧ من سورة الشعراء المباركة.

(٢) طُبعت هذه الموسوعة الجليلة في حياة مصنفها السيد جواد شبر في التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري.

(٣) ذكر هذا: الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه واقعة كربلاء ص ١٣٦ عن الغدير للشيخ الأميني.

لنا هز كتابه بحار الأنوار ذي المجلدات المائة ونيف.

فما عسى أن يقول المرء في هذا المقام ويسرد.

غير أنني اذكر أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: ما ورد من نصوص في الحث على قول الشعر في الحسين عليه السلام وقضيّته وما فيه من ثواب جزيل أخروي.

الأمر الثاني: أثر الشعر في تربية الأمة وشدّها إلى مبادئ الإسلام وقوانينه وأهدافه، وأثر الشعر الحسيني في هذا بالخصوص.

الأمر الثالث: بعض القصائد في الحسين عليه السلام وقضيّته.

النصوص:

بالإضافة إلى ما في الآية الكريمة من وجه حثّ على قول الشعر في الحسين عليه السلام.
إذ أن نصرة الحسين عليه السلام بكل وجهٍ مُباحٍ مما أكّده النصوص - من كتاب وسنة -
بعمومها، وبالخاصّ منها.

ذلك أن نصرة الحسين عليه السلام بالشعر وغيره من محققات الإيمان ومن علائمه.

كما أنها من العمل الصالح.

وهي من ذكر الله سبحانه، لأن قضيّة الحسين قضيّة الله وفي سبيل الله ولأجل الله
ولتحكيم إرادة الله ولذلك اضحى الحسين عليه السلام ثار الله.

كما أن قول الشعر في الحسين عليه السلام انتصار من أعداء الله والحسين عليه السلام والأمة، من
بعد ظلم وقع بآل البيت عليهم السلام، وبالأمة المتمسكة بالتعاليم المحمدية كاملة - حقيقةً -
مع أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن
تخلّف عنها غرق».

وقال ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتما بهما لن تضلّوا بعدي أبداً».

وقال لعلي وفاطمة والحسن والحسين ﷺ: «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم».

وقال في الحسين ﷺ: «ان ابني هذا يُقتل بأرض من أرض العراق فمن أدركه فليُنصّرهُ»^(١).

أقول: يُعرض البعض عن مفاد هذه النصوص، ويأخذ برواية: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

ومن المقطوع به ان هذه الرواية موضوعة، لأن بعض الصحابة من رؤوس المنافقين، ومن أعلام الضلالة، فكيف يأمر النبي ﷺ بالاعتداء بهم.

بل من أخذ بالرواية الموضوعة - أصحابي كالنجوم - ولم يأخذ بأمر الرسول ﷺ في نصرته ولده الحسين ﷺ، فليس من أمة محمد ﷺ - حقيقةً - ولا كرامة، وعلى هذا سُنَّ عقد محكمة القيامة، والصحاح الستة، وما ينحو نحوها من كتب العامة، تشهد لنا. عن الإمام الصادق ﷺ: «من أنشد في الحسين ﷺ شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين ﷺ شعراً فأبكى أربعين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين ﷺ شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين ﷺ شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين ﷺ شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين ﷺ شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين ﷺ شعراً فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين ﷺ شعراً فتباكى فله الجنة»^(٢).

(١) فضائل الخمسة، ج ٣ ص ٢٨٢.

(٢) كامل الزيارات، باب ٣٣ ص ٢٠٩.

كما ورد الحث على هجو الأعداء بالشعر: فعنه عليه السلام: «اهجوا بالشعر، إن المؤمن يُجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمد بيده كأنما تنضحونهم بالنبل»^(١).

وهناك روايات أخرى كلّها على هذا النسق، وتؤدّي نفس المضمون، وما ناقشها أحد من الاعلام، على نحو التوقف في الأخذ بها دلالة أو عملاً. أثر الشعر في تربية الأمة:

يُستعمل الشعر لأغراض كثيرة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة، وهناك أمم - قديماً وحديثاً - اعتمدت الشعر واستذوقته واتخذته طريقاً في تحقيق هدف لها متسام أو متهافت.

ومهما تكن الأغراض التي يبتغيها الفرد من تناوله للشعر وتداوله له، أو التي تبتغيها الامم، فلا يُنكر أنه يُمكن اتخاذ الشعر طريقاً لتحقيق تطلعات سامية وأهداف رفيعة.

وَمِنْ قَبْلُ بَيْنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ - كَحَالِهِ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنَ النُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ - حَقِيقَةُ الدُّورِ الَّذِي يَلْعَبُهُ الشَّعْرُ فِي الْفَرْدِ وَالْمَجْمُوعِ، عِبْرَ اخْتِيَارَاتِ الشُّعْرَاءِ وَاهْتِمَامَاتِهِمْ فَقَالَ:

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ﴾

فبين الحالة السائدة، واعطى الضابطة الفعلية لحال الشعر والشعراء، واستثنى:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾.

ولعلّه ممّا لا يخفى على أحدٍ دور الشعر في حياة الأمم والأفراد، لما له من قابلية

(١) الغدير، ج٢ ص ٢٣، عن مصادر العامة.

للعلوق في خواطر الناس وفي حافظتهم، وفي استمرارية دوران كلماته ونصوصه على ألسنتهم، مما يؤدي إلى التأثير بشكلٍ أوبآخر بما يحمله هذا الشعر من مضمون، وإلى سريانه فيما يحملونه من فكر، أو ما يصدر عنهم من سلوك.

ولذا كان ديدن جميع الامم الاعتناء بالشعر والاهتمام لترويجه في المجتمع وشحن الهمم له نظماً وحفظاً.

وللعرب في هذا المضمار القدح المعلن فهم أمة شعر وأدب وفي حنايا لغتهم من مفردات وقواعد وضوابط بيانية وبلاغية ما يرفع من محل الشعر عندهم وما يدفع به إلى نيل اهتمامهم، وهو الذي حصل، حتى عظموا المعلقات، ووضعوها في أشرف محل عندهم -الكعبة-.

واستمر الحال بالشعر في عصر الإسلام من صدره إلى يومنا هذا بعد ما أكرم النبي ﷺ بعض الشعراء -كعب بن زهير، وحسان بن ثابت- وبعد ما أبان لهم عن قيمة بعض أغراضه فهو حسن في الجملة لا بالجملة.

وتابع أئمة أهل البيت ﷺ نهج الصادع بالرسالة فأكرموا الشاعر وحثوا على الشعر، لكن ما كان منه ذكراً للحق وترويحاً له، بعد ما حاول الظالمون طمس كل حقٍ وحقيقة، وسعوا إلى إحلال الظلمات في مجتمع الإسلام -مجتمع النور والهداية-. وقد نجح الظالمون أي نجاح في مخططهم ومكرهم الذي تزول منه الجبال، لكن العاقبة كانت لمحمد وآل محمد ﷺ بما صبروا وبما ضحوا وبما أرشدوا الأمة إلى سبل النجاة.

ومن سبلهم في ترويح الحق ودحض الباطل: الشعر.

وقد أدى الشعر والشعراء دوراً عظيماً في خدمة القضية الحسينية من أول يومها

إلى يومنا هذا حتى كتب الفاضل السيّد جواد شبر كتاباً عنوانه «أدب الطف» ذكر فيه شعراء الطف بترجمة قصيرة وذكر لهم ابياتاً أو قصائد قليلة ومع ذلك بلغ كتابه مجلداتٍ عشر، ولم يمنعه عن مواصلة التأليف فيه غير الظالمين - صدام وأعضاءه الذين هم بحق شيعة يزيد -.

كما كتبت كتب عدّة جمعت ما قيل من قصائد في الحسين عليه السلام وقضيّته ولم يقتصر النظم على ذكر الحسين عليه السلام بل قيل الكثير منه في أهل بيته وصحبه خصوصاً أو عموماً والأمر في تواصل.

ومما نُظم في أيامنا هذه ارجوزة تزيد على الف بيت من الشعر في الحسين عليه السلام واصحابه كما تمّ نظم قصيدة طويلة في أصحاب الحسين عليه السلام بعدّهم واحداً بعد واحد - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -.

كما أنّ من سبل ترويح الباطل وإقامة الحق: الشعر. فهو سلاح ذو حدّين.

وقد إستخدمه فراغة الأمة، وبطّاليها، وذوي الأغراض الفاسدة والمنحرفة لإشاعة أجواء الانحراف عن الأخلاق العامة، وكذلك - وهو المهم - لحرف الأمة عن خط أهل البيت النبوي ونهجهم الذي هو عين ما جاء به النبي وعين الإسلام دون زيادة أو نقصان، وكل زيادة أو نقصان عما جاء به الرسول الأكرم عليه السلام فأهل البيت النبوي منه براء إلا أنّ تحديد ما جاء به النبي عليه السلام إنّما يؤخذ منهم بعد ما أعلن الله تعالى في كتابه طهارتهم من كل رجس - فهم معصومون عن كل خطأ وخطيئة - وأعلن النبي عليه السلام أنّهم سفن نجاة الأمة وأنهم أحد الثقلين - والثقل الآخر هو القرآن الكريم - اللذين باتباعهما تتحقق النجاة والسعادة في الدارين.

لقد ساهم الشعر في تربية الأمة وفي معاضدتها للثبات في المحن التي تعيشها في

مختلف جوانب الحياة فكان هناك الشعر التعليمي والشعر الحماسي والشعر الحكمي. في الشعر التعليمي، قام جمع من أهل الفضل بنظم قواعد العلوم المختلفة ومسائلها في قصائد ساهمت في نشر هذه العلوم وتسهيل تناولها، ولعل من أشهرها الفية ابن مالك في النحو، وفي الشعر الحكمي اشتهرت قصائد أبي تمام بتضمينه لها مختلف المعاني الحكيمة التي شددت الأعلام لها على مدى أجيال.

وفي شعر الحماسة الكثير، الكثير مما تضمنته المدونات ولاكته الألسنة في المجامع، وليس ما تقدّم إلاّ للإشارة.

ولكن ينبغي التنبيه إلى أنّ الشعر قد أسفّ حين نحى الشعراء مناحي ينبغي بل يلزم للمرء التنزه عنها واتقاء الله سبحانه فيها حين مدح الشعراء الظالمين والطغاة لاستدراار المنافع منهم من أموالٍ أو مناصب.

أحيث التضحية الحسينية الشعر عموماً، والشعر العربي بالخصوص في جوانب:

- شعر الرثاء.

- شعر الحماسة.

بل جوانب عدة من أنحاء الشعر وأغراضه.

فقد أطلقت هذه الثورة ألسنة الشعراء، إذ نظموا البيت والبيتين حتى جاوزت بعض قصائدهم الألف من الأبيات، ونظم بعضهم القصيدة والقصيدتين في القضية الحسينية وبعضهم نظم ألف قصيدة كالشيخ أحمد البلادي وقد قدمنا ذكره، كما قدمنا أنّ الفاضل الخطيب الشهيد جواد شبر ذكر تراجم شعراء الطف وبعض شعرهم فجمع مجلدات عشر ولم يتوقف عن عمله لكنّا أوقفه عنه إعتقاله.

نصوص شعرية

النصوص الشعرية في إمامنا الحسين - صلوات الله عليه وسلامه - لا تُحصى ولا تُستقصى، ونكتفي هنا باضمامة منها مشاركة في نشرها:

الشيخ محمد جواد البلاغي^(١) :

يا تريبَ الخدِّ في أرضِ الطفوفِ	ليتني دونَكَ نهباً للسيوفِ
يا نصيرَ الدينِ إذ عَزَّ النصيرُ	وحمى الجارِ إذا عَزَّ المجيرُ
وشديدَ البأسِ واليومُ عسيرُ	وثمالِ الرفدِ في العامِ العسوفِ
يا صريعاً ثاوياً فوقَ الصعيدِ	وخضيبَ الشيبِ من فيضِ الوريدِ
كيفَ تقضي بينَ أجنادِ يزيدِ	ظامئاً تُسقى بكاساتِ الختوفِ
كيفَ تقضي ضامئاً حولَ الفراتِ	دامياً تنهلُ منكِ الماضياتِ
وعلى جسمِكَ تجري الصافناتِ	عافرَ الجسمِ لقيَ بينَ الصفوفِ
سيّدي أبكيكَ للشيبِ الخضيبِ	سيّدي أبكيكَ للوجهِ التريبِ
سيّدي أبكيكَ للجسمِ السليبِ	من حشاً حرانَ بالدمعِ الذروفِ
سيّدي إنْ منعوا عنكَ الفراتِ	وسقوا منكِ ظمأَ المُرَهفاتِ
فسنسقي كربلاً بالعبراتِ	وكفّاً من علقِ القلبِ الأسوفِ
سيّدي أبكيكَ منهوبَ الرحالِ	سيّدي أبكيكَ مسبيَّ العيالِ

(١) من لا يحضره الخطيب، داخل السيد حسن، ص ١١١، والشيخ البلاغي من مراجع الأمة وهو أحد أساتذة المرجع الكبير السيد أبي القاسم الخوئي، وقد توفي البلاغي سنة ١٣٥٢ هـ.

بين أعداك على عَجَفِ الجمال
سيدي إن نقض دهرًا في بُكَاك
لو عكفنا عمرنا حول ثراك
لهف نفسي لنسأك المعولات
باكيات شاقيات صارخات
يا حمانا مَنْ لَنَا بعدَ حماك
ولمَنْ نلجأ إن طال نواك
يا حمانا مَنْ لأيتام صغار
راعها المزعج من سلب وناز
لست أنساها وقد مالت إلى
أشرقنت منها محاني كربلا
هاتفات بهم مستصرخات
صارخات أين عنا يا حماة
يا رجال البأس في يوم الكفاح
كيف أذنتم جميعاً بالروح

في الفيا في بعد هاتيك السجوف
ما قضيينا البعض من فرض ولاك
ما شفى غلّتنا ذاك العكوف
واليتامى إذ غدث بين الطغاة
ولها حولك تسعى وتطوف
ومن المَفزَعُ مَنْ أسر عداك
ودهتنا بدواهيها الصروف
ومذاعير تعادي بالفرار
حيث لا ملجأ ولا حام رؤوف
صفوة الأنصار صرعى في الفلا
كشموس غالها ريب الكسوف
باكيات نادبات عاتبات
يا بدور التّم ما هذا الخسوف
يا ليوث الحرب في غاب الرماح
ورحلتهم رحلة القوم الضيوف

الشيخ عبد الحسين شكر^(١) :

البدارَ البدارَ آل نزار
قوموا السمرَ كسروا كل غمد
سوموا الخيل أطلقوها عراباً
طرزوا البيض من دماء الأعادي

قد فنيتم ما بين بيض الشفار
نقبوا بالقَتام وجه النهار
واتركوها تشق بيد القفار
فلّقوا الهامَ الظبا البتار

(١) من لا يحضره الخطيب، ص ١١٤، وقد توفي الشاعر في طهران سنة ١٢٨٥ هـ.

وارفعوا للسما سماء غبار
وامتطوا للنزال قُبَّ المِهار
وسمّتْ أنفَ مجدكم بالصغار
ألبستكم ذُلاًّ مدى الأعمار
من بني غالب وكلّ يسار
إن تركتم أميةً بقرار
رفعوه فوق القنا الخطّار
بعد ضام قضى بحدّ الغرار
إنّ في الشمس مهجة المختار
بعد ما كفّن الحسين الذاري
فابن طه مُلقى بلا إقبار
هذه زينب على الأكوار
ليوث الوغى حماة الذمار
وليهبوا طراً لأخذ الثار
بأيادٍ في الطعن غير قصار
أسد الله حيدر الكرار
ولينادوا بذلة وانكسار
فهم في الطفوف نهب الغرار

واسطحوا من دم على الأرض أرضاً
خالفوا السمر بين بيض المواضي
وابعثوها ضواً بحاً فأمي
سلبتكم بالرغم أيّ نفوس
يوم جَذَّتْ بالطف كلّ يمين
لا تلذّ هاشميةً علوياً
طأطأوا الرؤوس إن رأس حسين
لا تذوقوا المعين واقضوا ضمايا
لا تمدّوا لكم عن الشمس ظلاً
حقّ ألا تكفّنوا هاشمياً
لا تشقّوا لآلٍ فهر قبوراً
هتّكوا عن نسائكم كلّ خدر
أين من أهلها بنو شية الحمد
فليسّدوا رحب الفضل بالعوادي
وليقلّوا الأعلام تخفّق سوداً
وليؤمّوا الى زعيم لؤي
وليضجّوا بعولة وانتحاب
عظم الله في بنيك لك الأجر

السيد مهدي الأعرجي^(١) :

ما بال فهر أغفلت أوتارها

هلاً تثير وغى فتدرك ثارها

(١) من لا يحضره الخطيب، ص ١٢٦.

أَغْضَيْتِ عَلَى الضَّيِّمِ الْجَفُونَ وَضَيَّعْتَ
عَجْباً لَهَا هَدَأْتُ وَتِلْكَ أُمِيَّةٌ
عَجْباً لَهَا هَدَأْتُ وَتِلْكَ نَسَاؤُهَا
مَنْ كُلُّ شَاكِلَةٍ تَنَاهَبَ قَلْبُهَا
لَهْفِي لَهَا بَعْدَ التَّحَجُّبِ أَصْبَحْتُ
تَدْعُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَهْجَةٍ
قُمْ وَانْظُرْ ابْنَكَ فِي الْعِرَاءِ وَجِسْمُهُ
ثَاوِ تَغَسَّلُهُ الدَّمَاءُ بِفِيضِهَا
قَدْ هَشَمْتُ مِنْهُ الْخِيُولُ أَضَالَعاً
وَبَيوتُ قَدَسٍ مِنْ جَلَالَةِ قَدْرِهَا
يَقْفُ الْأَمِينُ بِبَابِهَا مُسْتَأْذِناً
أُصْحَتْ عَلَيْهَا آلُ حَرْبٍ عَنُودٌ
كَمْ طِفْلَةٌ ذَعَرْتُ وَكَمْ مَحْجُوبَةٌ
وَيَتِيمَةٌ صَاغَ الْقَطِيعُ لَهَا سِوَا
أَيْنَ الْكِمَاةُ الصَّيْدُ مِنْ عَمْرِو الْعَلَا
أَيْنَ الْكِمَاةُ الصَّيْدُ مِنْ عَمْرِو الْعَلَا

السَّيِّدُ رِضَا الْهِنْدِيُّ^(١) :

كَيْفَ يَصْحَوُ بِمَا تَقُولُ اللُّوَاحِي
وَعَزَّتُهُ عَسَاكِرُ الْحَزَنِ حَتَّى
كَيْفَ تُهْنِنِي الْحَيَاةُ وَقَلْبِي

يَا لِلْحَمِيَةِ عَزَّهَا وَفَخَارَهَا
قَتَلْتُ سِرَاةً قَبِيلَهَا وَخِيَارَهَا
بِالطَّفِّ قَدْ هَتَكَ الْعَدَى أَسْتَارَهَا
أَيْدِي الْأَسَى وَيَدُ الْعَدُوِّ خِمَارَهَا
حَسْرَى تَقَاسِي ذُلَّهَا وَصَغَارَهَا
فِيهَا الرِّزْيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
جَعَلَتْهُ خَيْلُ أُمِيَّةٍ مَضَارَهَا
عَارٌ تَكْفُنُهُ الرِّيحُ غُبَارَهَا
فِيهَا النُّبُوَّةُ أَوْدَعَتْ أَسْرَارَهَا
كَانَتْ مَلَأَتْكَ السَّمَاءُ زُؤَارَهَا
وَمَقْبَلًا أَعْتَابَهَا وَجَدَارَهَا
فِي يَوْمٍ عَاشُورَا تَشُنُّ مَغَارَهَا
بَرَزَتْ وَقَدْ سَلَبَ الْعَدُوُّ أَزَارَهَا
رَأَى عِنْدَمَا بَزَّ الْعَدُوُّ سِوَارَهَا
عَنْهَا فَتُرْخَصُ دُونَهَا أَعْمَارَهَا
لِتَشِيرَ لِلْحَرْبِ الْعَوَانَ غُبَارَهَا

مَنْ سَقَتُهُ الْهَمُومُ أَنْكَدَ رَاحِ
أَفْرَدَتْ قَلْبَهُ مِنَ الْأَفْرَاحِ
بَعْدَ قَتْلِ الطُّفُوفِ دَامِيَ الْجَرَاحِ

(١) من لا يحضره الخطيب، ص ١٥٢.

بفراقِ النفوسِ والأرواحِ
 عنه والنبلِ وقفَةَ الأشباحِ
 البيضِ والنبلِ بالوجوهِ الصباحِ
 أطلعوا في سماءِ شهبِ الرماحِ
 أكؤسُ الموتِ وانتشى كلُّ صاحِ
 وجسومِ الأعداءِ والأرواحِ
 وأعاديه مثلُ سيلِ البطاحِ
 بسنائه لظلمةِ الشركِ ماحي
 كلما شدَّ راكباً ذا الجناحِ
 ونزفَ الدِّما وثقلَ السلاحِ
 فرماه القضا بسهمِ مُتاحِ
 برمادِ المصابِ منها النواحي
 تربَ الجسمِ مُثخناً بالجراحِ
 بدموعِ بما تجنُّ فصاحِ
 وظلالِ الرميضِ واليومِ ضاحِ
 سجسجَ الظلِّ خافقَ الأرواحِ
 منعونا من البكا والنياحِ
 واغترابي مع العدا وانتزاحي
 بين سمرِ القنا وبيضِ الصِّفاحِ
 رفعوه على رؤوسِ الرماحِ

بأبي مَنْ شَرَوْا لقاءَ حسينٍ
 وقَفُوا يدرؤون سُمَرَ العواليِ
 فَوَقَّوه بيضَ الطُّبا بالنحورِ
 فئةٌ إن تعاورَ النقعُ ليلاً
 وإذا غنَّتِ السيوفُ وطافتِ
 باعدوا بينَ قريهمِ والمواضيِ
 لستُ أنسى مِنْ بعدهمِ طودَ عزٍّ
 وهو يحمي دينَ النبيِّ بعَضْبِ
 فتطيرُ النفوسُ منه ارتياعاً
 ثمَّ لما نالَ الظَّما منه والشمسُ
 وقفَ السبطُ يستريحُ قليلاً
 فهوى العرشُ للثرى واذلَّهتْ
 حرَّ قلبي لزينبٍ إذ رأتَهُ
 أخرسَ الخطبُ نطقَها فدَعَتْهُ
 يا منارَ الضُّلالِ والليلُ داجِ
 كنتَ لي يومَ كنتَ كهفاً ربيعاً
 أترى القومُ إذ عليكَ مَرَرنا
 إن يكنْ هيئناً عليكَ هواني
 فبرغمي أني أراكَ مقيماً
 لكَ جسمٌ على الرمالِ ورأسٌ

السيد محمد القزويني^(١) :

أحلباً وكادتُ تموتُ السُّننُ
وأوشكُ دينُ أبيك النبيِّ
وهذي رعاياك تشكو اليك
تناديكَ معلنةً بالنحيب
ولم ترم طرفك في رافة
لقد غرَّ إمهالكُ المستطيلُ
فمذ عمنا الجورُ واستحكموا
شخصنا اليك بأبصارنا
وفيك استغثنا فإن لم تكن
أنسى مصائبَ آبائك التي
مصাবَ النبيِّ وغصبَ الوصيِّ
ولكن لا مثلَ يومِ الطفوفِ
غداةَ قضى السبطُ في فتيةٍ
تُغسلُ أجسامهم بالنجيعِ
تفانوا عطاشى فليت الفراتُ
وأعظمُ ما نالكم حادثُ
هجومِ العدوِّ على رحلكم
فغوردن ما بينهم في الهجيرِ
تدافعُ بالساعدينِ السياطِ
ولم تر دافعَ ضيمٍ ولا

لطولِ انتظارك يا ابنَ الحسنِ
يُمحى ويرجعُ دينُ الوثنِ
مانها من عظيمِ المحنِ
اليك ومبديَّةً للشجنِ
اليها ولم تصغ منك الأذنُ
عداك فباتوا على مطمئنٍ
بأموالنا واستباحوا الوطنُ
شخوصَ الغريقِ لمرِّ السفنِ
مغيثاً مجيراً وإلا فَمَنْ
هدمَ مآدهاها الركنُ
وذبحَ الحسينَ وسمَّ الحسنُ
في يومِ نائبةٍ في الزمنِ
مصاييحِ نورٍ إذا الليلُ جنَّ
وتُسدي لها الذارياتُ الكفنُ
لما نالهم ماؤه قد أجنَّ
لَهُ الدمعُ ينهلُ غيثاً هتنَ
وسلبُ العقائلِ أبرادهنَ
ورُكبنَ من فوقِ عجبِ البدنِ
وتسترُ وجهاً بفضلِ الردنِ
مغيثاً لها غيرَ مضمْنِي يَحْنُ

(١) من لا يحضره الخطيب، ص ٣٨٦.

فتذري الدموع لما ناله

ويذري الدموع لما ناهن

السيد حيدر الحلبي^(١) :

إن لم أقف حيث جيشُ الموتِ يزدحمُ
لا بُدَّ أن أتداوى بالقنا فلقد
عندي من العزمِ سرٌّ لا أبوحُ به
لا أَرْضعت لي العُلى ابناً صَفَوَدَرَّتْهَا
إليَّ بطبا قومي التي حَمَدت
لأحلبنَّ ثديَّ الحربِ وهي قنَّا
مالي أسالمُ قوماً عندهم تَرَقِي
مَنْ حَامِلٌ لَوِلي الأمرِ مَأْلَكَةٌ
يا ابنَ الأُولَى يَقْعِدُونَ الموتَ إن نهضت
الخيْلُ عندَكَ ملَّتْها مرابطُها
هذي الخدورُ لها الأعداءُ هاتكة
لا تطهرُ الأرضُ من رجسِ العداءِ أبداً
بحيثُ موضعُ كُلِّ منهمو لك في
أُعِيذُ سيفَكَ أن تصدأ حديدُته
قد آنَ أن يُمْطَرَ الدنيا وساكنها
حرّاً أن تدمغُ هامَ القومِ صاعقةً
نهضاً فَمَنْ بظباكم هَامُهُ فُلِقَتْ
وتلك أنفالكُم في الغاصيينَ لكم

فلا مَشَتْ بي في طُرُقِ العُلى قَدَمُ
صبرتُ حتى فؤادي كُلُّهُ أَلَمْ
حتى تبوحُ بهِ الهنديةُ الخُذْمُ
إن هكذا ظلَّ رحي وهو مُنْقَطِمُ
قدماً موافعها الهيجاءُ لا القِمَمُ
لبأنها من صدورِ الشمسِ وهو دُمُ
لا سألتنِي يَدَ الأيامِ إن سلِموا
تطوي على نفثاتٍ كُلُّها ضَرَمُ
بهم لدى الروحِ في وجهِ الظبا الهِمَمُ
والبيضُ منها عَرَى أَعْمَادُهَا السَّامُ
وذي الجباهُ أَلَا مشحوزةٌ تَسِمُ
مالم يُسَلْ فوقها سيلُ الدمِ العَرَمُ
دِمَاهُ تَغْسِلُهُ الصمصامةُ الخُذْمُ
ولم تكن فيه تُجلى هذه الغَمَمُ
دماً أَعَرُّ عليه النقعُ مرتكِمْ
من كَفَّه وهي السيفُ الذي علِموا
ضرباً على الدينِ فيه اليومَ يحتَكُمُ
مقسومةٌ وبعينِ الله تُقْتَسَمُ

(١) من لا يحضره الخطيب، ص ١٥٨.

جرائمُ أَذْنَتُهُمْ أَنْ تُعَاجِلَهُمْ
وإنَّ أعْجَبَ شَيْءٍ أَنْ أَبْنَكُهَا
مَا خَلْتُ تَقَعْدُ حَتَّى تُسْتَشَارُ لَهُمْ
لَمْ تَبْقِ أَسْيَافُهُمْ مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ تَقَى
فَلَا وَصَفْحَكَ إِنَّ الْقَوْمَ مَا صَفَحُوا
فَحَمَلَ أَمَّكَ قَدَمًا أَسْقَطُوا حَقًّا
لَا صَبْرًا أَوْ تَضَعُ الْهَيْجَاءُ مَا حَمَلَتْ
هَذَا الْمَحْرَمُ قَدْ وَافَتَكَ صَارِخَةً
يَمْلَأَنَّ سَمْعَكَ مِنْ أَصْوَاتِ نَاعِيَةٍ
تَنْعَى إِلَيْكَ دِمَاءً غَابَ نَاصِرُهَا
مَسْفُوحَةً لَمْ تُجِبْ عِنْدَ اسْتِغَاثَتِهَا
حَنَنْتَ وَبَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةٌ شَرِبَتْ
مُوسِدِينَ عَلَى الرَّمْضَاءِ تَنْظُرُهُمْ
سُقِيًّا لَثَوِينَ لَمْ تُبْلِلْ مُضَاجِعَهُمْ
أَفْنَاهُمَا صَبْرُهُمْ تَحْتَ الطُّبَا كَرَمًا
وَحَائِضِينَ غَمَارَ الْمَوْتِ طَافِحَةً
مَشَوْا إِلَى الْحَرْبِ مَشَى الضَّارِيَاتِ لَهَا
وَلَا غَضَاضَةً يَوْمَ الطَّفِّ أَنْ قُتِلُوا
فَالْحَرْبُ تَعْلَمُ إِنْ مَاتُوا بِهَا فَلَقَدْ
أَبْكِيَهُمْ لِعَوَادِي الْخَيْلِ إِنْ رَكِبَتْ
وَلِلسَيْفِ إِذَا الْمَوْتُ الزَّوَاءُ غَدَا
وَحَائِرَاتُ أَطَارَ الْقَوْمُ أَعْيَنَهَا

بِالْإِنْتِقَامِ فَهَلَّا أَنْتَ مُنْتَقِمٌ
كَأَنَّ قَلْبَكَ خَالَ وَهُوَ مُحْتَدِمٌ
وَأَنْتَ أَنْتَ وَهُمْ فِي مَا جَنَوْهُ هُمُو
فَكَيْفَ تُبْقِي عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَهُمُو
وَلَا وَحِلْمَكَ إِنَّ الْقَوْمَ مَا حَلِمُوا
وَوَطْفَلَ جَدِّكَ فِي سَهْمِ الرَّدَى فَطَمُوا
بِطَلْقَةٍ مَعَهَا مَاءُ الْمَخَاضِ دُمٌ
مِمَّا اسْتَحَلُّوا بِهِ أَيَّامُهُ الْحَرُمُ
فِي مَسْمَعِ الدَّهْرِ مِنْ إِعْوَالِهَا صَمَمٌ
حَتَّى أُرِيقَتْ وَلَمْ يُرْفَعْ لَكُمْ عِلْمٌ
إِلَّا بِأَدْمَعٍ تَكَلَّى شَفَّهَا الْأَلَمُ
مِنْ نَحْرِهَا نَصَبَ عَيْنِهَا الطُّبَا الْخُدُمُ
حَرَى الْقُلُوبِ عَلَى وَرْدِ الرَّدَى أَزْدَحَمُوا
إِلَّا الدَّمَاءُ وَإِلَّا الْأَدْمَعُ السُّجُمُ
حَتَّى قَضَوْا وَرْدَاهُمْ مِلْؤُهُ كَرَمٌ
أُمَوَّجُهَا الْبَيْضُ بِالْهَامَاتِ تَلْتَطَّمُ
فَصَارَعُوا الْمَوْتَ فِيهَا وَالْقَنَا أَجَمُ
صَبْرًا بِهَيْجَاءٍ لَمْ تَثْبِتْ لَهَا قَدَمُ
مَاتَتْ بِهَا مِنْهُمْ الْأَسْيَافُ لَا الْهَمَمُ
رُؤُوسَهَا لَمْ تُكْفِكِفْ عِزَّهَا اللَّجُمُ
فِي جَدِّهَا هُوَ وَالْأَرْوَاحُ يَخْتَصِمُ
رُعْبًا غَدَاةً عَلَيْهَا خَدْرَهَا هَجَمُوا

كانت بحيثُ عليها قومُها ضربت
يكادُ من هيبَةٍ ألاَّ يطوفَ بهِ
فغودرت بينَ أيدي القومِ حاسرةً
نعمَ لَوْتُ جيدَها بالعتبِ هاتفةً
عجَّتْ بهم مُذ على أبرادِها اختلفت
نادت ويا بُعدَهم عنها مُعَاتِبَةً
قومي الأولى عُدَّتْ قدماً ما زَرَهُم
عهدي بهم قَصُرُ الأعمارِ شَأْنُهُم
ما بالهم لا عَفَتْ منهمُ رسومُهُم
يا غادياً بمطايا العزمِ حَمَلُها
عَرَّجَ على الحيِّ من (عمرِ العلى) وأَرَحَ
وَحَيَّ منهمُ حُمَاةً ليس بآبِنِهِمُو
المُشْبِعِينَ قِرَى طيرَ السَمَا ولَهُم
والهَاشِمِينَ وَكُلَّ النَّاسِ قد عَلِمُوا
كَمَاةً حَرْبُ تُرى في كُلِّ باديةٍ
كَأَنَّ كُلَّ فِلا دَارَ لُهُم وبِها
قَفَّ منهمو موقفاً تغلي القلوبُ بهِ
جَفَّتْ عزائِمُ فِهْرٍ أم تُرى برَدَتْ
أم لم تجدْ لذعَ عَتبي في حُشاشَتِها
أين الشهامةُ أم أينَ الحِفاظُ أما
تُسبى حرائِرُها بالطفِّ حاسرةً
لَمِنْ أَعَدَّتْ عِتاقَ الخيلِ إنْ قَعَدَتْ

سُرادقاً أرضُهُ من عِزِّهِم حَرَمُ
حتى الملائِكُ لو لا أَنَّهُمُ خَدَمُ
تُسبى وليس لها من فيهِ تَعْتَصُمُ
بقومِها وحشاها مِلؤُهُ صَرَمُ
أيدي العدوِّ ولكن مَن لها يَهُمو
لَهُم وَياليتُهُم من عَتَبِها أُمُّ
على الحميَّةِ ما ضَيِّمُوا ولا اهْتَضِمُوا
لا يَهْرَمُونَ وَلِلْهَيْيَابَةِ الهَرَمُ
فَرُّوا وقد حَمَلْتنا الأَنْثِقُ الرُّسْمُ
هَمًّا تَضيقُ بهِ الأَضلاعُ والحَزْمُ
منهم بحيثُ اطمأنَّ البأسُ والكَرْمُ
مَنْ لا يَرِفُ عليه في الوغى العَلَمُ
بمنعَةِ الجارِ فِيهِم يشهدُ الحَرَمُ
بأنَّ للضيفِ وللضيفِ ما هَشَمُوا
قتلى بأسيافِهِم لم تَحَوها الرُّجْمُ
عيالُها الوحشُ أو أضيافُها الرِّحْمُ
من فورةِ العتبِ واسألْ ما الذي يَهُمو
منها الحميَّةُ أم قد ماتت الشَّيْمُ
فقد تَساقطَ جِمرًا من فمي الكَلِمُ
يأبى لها شرفُ الأحسابِ والكَرْمُ
ولم تكن بَغبارِ الموتِ تَلْتَمُ
عن موقفٍ هُتِكت منها بهِ الحَرَمُ

فما اعتذارُك يا فهِرٌ ولم تبي
أَجَلَ نِساؤِك قد هزَّتْكَ عاتِبةٌ
فلتُلفتِ الجيدَ عنك اليومَ خائبةٌ

بالبيضِ تُثَلِّمُ أو بالسُّمْرِ تنحطِمُ
وأنتِ من رقدةٍ تحتِ الثرى رَقْمٌ
فما غناؤُك حالتِ دونَكَ الرُّجْمُ

السيد صالح الحلبي^(١) :

يا مدركَ الثارِ البدارِ البدارُ
وأَتِ بها شعواءَ مرهوبةً
يا قمرَ التَّمِّ أما آنَ أنْ
يا غيرَ الله أما آنَ أنْ
يا صاحبَ العصرِ أترضى رحي
فاشحذْ شبا عَضِبِكَ واستأصلِ
عَجَلَ فدتكَ النفسُ واشفي بهِ
فهاك قلبها قلوبَ الورى
قد ذهبَ العدلُ وركنُ الهدى
أغثَ رعاكَ الله من ناصرٍ
متى تسلُّ البيضُ من غمدها
في فئةٍ لها التقى شيمَةٌ
كأنَّما الموتُ لهمْ عادةً
تنسى على الدارِ هجومَ العدى
ورُضَّ من فاطمةٍ ضلعُها
تعدو وتعدو خَلْفَ أعدائها

شَنَّ على حربِ عداكَ المغار
تعقُدُ أرضاً فوقَها من غبار
تبدو فقد طالَ علينا السرار
تُغيرُ أعدائكَ فالصبرُ غار
عَصَاةِ الخمرِ علينا تدار
الكفرَ ولا تُبقي صغاراً كبار
من غيَضِ أعداكَ قلوباً حِرار
أذاها الوجدُ من الانتظار
قد هُدَّ والجورُ على الدينِ جار
رعيةً ضاقتْ عليها القفار
وتشرعُ السُّمَرُ ويحيى الذمار
ويا لثاراتِ الحسينِ الشعار
والعمرُ مهرٌ والرؤوسُ النثار
مذ أضرَموا البابَ بجزلٍ ونار
وحيدرٌ يقادُ قسراً جهار
يا قومُ خلّوا عن علي الفخار

(١) من لا يحضره الخطيب، ص ٣٨٨.

من لطمَةِ الخدِّ العيونِ احمرار
ما لطمُها ما عصرُها بالجدار
وما انتثارُ قرطِها والسوار
عن البكا وما لها من قرار
نبشُ الثرى منهم عناداً جهار
نبيهم وقد رعاهم مرار
كلُّ الذي جرى عليها وصار
من دارها تُهدى الى شرِّ دار
أعوزها السترُ تمدُّ اليسار
زينبُ حسرى ما عليها خمار
جسومهم أقيمُ لوثُ الازار
تأكلُ من لحمي وحوشُ القفار
مضاماً بينهم لا يُجار
بالحبلِ موثقاً يميناً يسار

قد أسقطوا جنينها واعتري
فما سقوطُ الحملِ ما صدرُها
ما وكزُها بالسيفِ في ضلعها
ما ضربها بالسوطِ ما منعها
ما دفنُها بالليلِ سراً وما
تعساً لهم في ابنته ما رعوا
قد ورثتُ من أمِّها زينبُ
وزادت البنتُ على أمِّها
تسترُ باليمنى وجوهاً فإن
لا تبزغي يا شمسُ كي لا تُرى
صاحتُ بحادي العيسِ دعني على
وخلّني عند ابنِ أمي ولو
وأعظمُ الخطبِ ترى حجةَ الله
يقادُ في جامعةٍ جهرةً

السيد رضا الهندي^(١) :

وردٌ هنئٌ ولا عيشٌ لنا رَعْدُ
يا ابنَ الزكيِّ ليلِ الانتظارِ غَدُ
يكادُ يأتي علينا نساها الرمدُ
يُغني اطباءٌ وهى من درعه الزردُ
وشملُكم بيدي أعدائكم بددُ

يا صاحبَ الأمرِ أدركنا فليس لنا
طالت علينا ليالي الانتظارِ فهل
فاكحلُ بطلعتك الغرّا لنا مقللاً
هأنحُ مرميً لنبلِ النائباتِ وهل
كم ذا يؤلفُ شملُ الظالمينَ لكم

(١) من لا يحضره الخطيب، ص ٣٩٠.

بها النوائبُ لما خانها الجلدُ
لا قى بسبعينَ جيشاً ما لهُ عددُ
جدّوا بإطفاءِ نورِ الله واجتهدوا
من قبلُ حقَّ أبيه المرتضى جحدوا
غيرِ الخيانةِ للميثاقِ ما عهدوا
صدرُ الفضا ولها أمثالها مددُ
سيوفُهم مطروا حتفاً وما رعدوا
في موقفٍ عَقَّ فيه الوالدُ الولدُ

فانهضْ فدتك بقايا أنفُسِ ظفرتْ
هَبْ أَنْ جندك معدودٌ فجَدَّكَ قَدْ
غداةَ جاهدَ من أعدائه نفراً
وعصبة جحدوا حقَّ الحسينِ كما
وعاهدوه وخانوا عهدهُ وعلى
تجمعتْ عدّةٌ منهم يضيّقُ بها
فشدَّ فيهم بأبطالٍ إذا برقتْ
صالوا وجالوا وأدوا حقَّ سيّدهم

الشيخ محمد حسين الأصفهاني^(١)؛

بالمعجز الباقي مدى الاحقاب
منه بناء قصره المشيد
قام بحمله الثقيل كاهله
انت لها المبدئ وهو المنتهى
بنعمة ليس لها نهاية
فكن قرير العين بالحسين
نفسك في العزة والمناعة
كاشف ظلمة العمى ببهجته
به علت اركانها الرفيعة
ما اخضر عود الدين الا بدمه
فيالها من ثمن ثمين
داوى جروح الدين من جروحه

بشراك يا فاتحة الكتاب
منك اساس العدل والتوحيد
منك لواء الدين وهو حامله
والمكرمات والمعالي كلها
لك الهنا يا صاحب الولاية
انت من الوجود عين العين
شبلك في القوة والشجاعه
رافع راية الهدى بمهجته
به استقامت هذه الشريعة
بنى المعالي بمعالي هممه
بنفسه اشترى حياة الدين
احيى معالم الهدى بروحه

لو لم يردّها دم المظلوم
 يانعة زاكية الثمار
 حتى اقام الدين بعد كبوته
 مذ لجأت بركنها الشديد
 بعزته عزائم القرآن
 معاهد السنة والكتاب
 عنها فكيف شاهدتها الاعين
 سبي ذراري سيد الأنام
 سبي بنات الوحي والرساله
 بين الملا أشنع ظلم وأشد
 دخولها في مجلس الملاهي
 دون وقوفها لدى طليقها
 يا ساعد الله بنات الحجب
 وعارها مذ سلبت إزارها
 تبت يد مدت الى خمارها
 وفي ذراريه قضت اوتارها
 من اهل بدر بالبدور النيرة
 بما جنت به يد الاعادي
 أعزّه الله بِفَتْحٍ وَظَفَرٍ

جفت رياض العلم بالسموم
 فاصبحت مورقة الاشجار
 اقعد كل قائم بنهضته
 قامت به قواعد التوحيد
 واصبحت قويمه البنيان
 غدت به سامية القباب
 له مصائب تكلّ الألسن
 اعظمها رزء على الاسلام
 ضلالة لا مثلها ضلاله
 وسوقها من بلد الى بلد
 وافظع الخطوب والدواهي
 ولدغ حية لها بريقها
 ويسلب اللب حديث السلب
 تحملت امية أوزارها
 وكيف يرجى الخير من خمارها
 وادركت من النبي ثارها
 واعجباً يدرك ثار الكفرة
 فيا لثارات النبي الهادي
 وَمَنْ لَهَا إِلَّا الْإِمَامُ الْمُتَنَظَّرُ

الخاتمة

كانت سيرة النبي ﷺ درساً عملياً للامة، في كيفية التعامل مع المشركين والكتابين والمنافقين.

وتعلمت الأمة من الإمام الوصي عليه السلام كيفية التعامل مع البُغاة، والفتن الداخلية، والحركات الانقلابية.

وتعلمت من الإمام الحسن عليه السلام كيفية التعامل مع البُغاة والفتن الداخلية، حين يُحيط الخطر بأصل الإسلام ومقدساته، مع عدم التمكن من دفع الخطر أو عند وجود مصالح أهم.

وتعلمت الأمة من سيد الشهداء عليه السلام كيفية التعامل مع الحكام الظالمين الخائنين الجبابرة، حين يُخاطرون بالإسلام والامة.

وتعلمت من باقي المعصومين كيفية التعامل مع الحكام الظالمين في الظروف المختلفة عن الظرف الحسيني.

ونتعلّم اليوم من إمام العصر والزمان -عجل الله تعالى له الفرج- أن لا نستسلم أبداً، وإنما ننتظر حتى يحين موعد الانطلاق لإسقاط عروش الظالمين، وإلى أن يحين الموعد، هناك مهام كثيرة علينا انجازها، منها تقوية العُلاقة بالله تعالى والفناء فيه.

إن دراستنا للنهضة الحسينية تفيدنا تبصراً أكثر بحقيقتها وأهدافها وظروفها مما يُملي علينا موقفاً عقائدياً وفقهياً وسلوكياً نواجه به أعاصير الطغيان في أيامنا، فليست هي على نحو -القضية في واقعة- كما يُسبغ عليها البعض من إطار.

إن إدخال القضية الحسينية في هذا الإطار وإن كان له ما يبرره نتيجةً للتأمل في مواضع مهمةٍ منها، إلا أنّ دراستها بامعان عبر التجوّل بين مختلف المصادر والتحليلات تلغي الكثير من علامات الاستفهام المطروحة من رواد الحقيقة كما هو شأن المحبّين والمخلصين، بل من المرجفين، ومن قصيري النظر كذلك، وهم كُثُر.

ذلك لأنّ هذه الثورة المقدّسة وقعت محل اهتمام الأئمة عليهم السلام فكانوا دائمي التحدّث بها وعنّها، وأضحت محل اهتمام الشيعة والناس عامة فأكثروا من الاستفسار حولها، وبالرغم من أجواء الكبت والضغط والحصار فإن الكثير مما يتعلق بهذه النهضة قد وصل إلينا، ويُمكن من خلال مقاييس معينة أن نحصل على يقين أو اطمئنان من قيمة هذا الواصل صدوراً أو رفضاً، فلا نبخس حق هذه الثورة، ولا نخرجها عن ساحة التأثير في حياتنا.

لقد نظر إليها على أنها:

- أ- قضية في واقعة، وسرٌّ من الأسرار.
- ب- حكم تكليفي ظاهري، اكتملت له مستلزمات النصر، ثم حصل الانهيار فجأة.

ج- تصميم على الشهادة، مع عدم تهيؤ ظرف الانتصار، إلا أنّ الأثر سيظهر على امتداد الزمان، وستنفخ تضحية الحسين الروح من جديد في جسم الأمة، وتحرك فيها غيرتها، لتثار لله وللإسلام وللنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته، بل تثار لنفسها ولكرامتها المهذورة ولحقوقها السليبة، والتي استلبها سراق الأمة، وأراد لها، في مؤامرة واسعة النطاق، والأمة تجري وراء هذا وذاك، فهذه تُتبع لأنها زوجة للنبي صلى الله عليه وآله، وذاك يُتبع لأنه خال المؤمنين، مع أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله محرّر للأمة من الدجل والخرافات وعبادة الأوثان، وقد

منع زوجته تلك من الخروج، بأحاديث في كتب أنصارها مروية^(١) - بل قد منعها الله تعالى من قبل بقوله سبحانه (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)^(٢) - ولعن ذلك الخال^(٣) - بل قد أمر بقتله^(٤) - والذي قضى عمره :

قبل فتح مكة: بمحاربة الإسلام بكل كيانه.

وبعد فتحها: يكفيننا من أمره أن نحتكم الى عقل كل عاقل، فنقول له:

إذا قال رسول الله ﷺ:

«من سبَّ علياً فقد سبني، ومن سبني فقد سبَّ الله، ومن سبَّ الله عزَّ وجلَّ أكبه الله على منخريه»^(٥).

ومعاوية سبَّ علياً ﷺ علانيةً وجهاراً، ومن وقَّاعه في هذا:

سبَّه له أمام جيشه، وجيش الإمام الحسن ﷺ، وبحضور أهل الكوفة عامة، بل بمحضر الحسن والحسين ﷺ - سيدي شباب أهل الجنة، وامامي الأمة بنص رسول الله ﷺ بالنصوص المتوفرة في كتب الجمهور -.

بل ما اكتفى بسبِّه حتى أمر به، وعاقب تاركه، من أقصى العالم الإسلامي الى أقصاه، وجعله سُنَّةً، ومن أجزاء خطبة صلاة الجمعة من كل اسبوع.

فما حكم ذوي الدين على خال المؤمنين هذا ؟

(١) راجع: فضائل الخمسة، ج ٢ ص ٣٦٩، ج ٢ ص ٣٧٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٣) أبو هريرة للسيد شرف الدين، ص ٩٨ هـ، وبحار الأنوار، ج ٢ ص ٤١٦.

(٤) فضائل الخمسة، ج ٣ ص ٢٤٣ عن مصادر عدة منها ميزان الاعتدال للذهبي.

(٥) راجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد الفيروز آبادي، ج ٢ ص ٢٢٤، فقد نقل هذا النص والمعنى عن مصادر عدة، منها: مستدرك الصحيحين للحاكم، وذخائر العقبى للمحب الطبري، وغيرهما.

إنَّ أفضل ما نختم به بحثنا هذا، ما ختم به الإمام السجاد عليه السلام صفحة الطف في مرحلتها الأولى، وذلك بخطبته التي ألقاها في أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله قبل دخول ركب الإمام عليه السلام وعائلة النبي صلى الله عليه وآله إليها، وقد خطب وهو جالسٌ على كرسي لما أُلِّمَ به من مَرَضٍ وألم، فقال عليه السلام: «الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بُعدَ فارتفع في السماوات العُلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفواجع، ومضاضة اللواذع، وجيليل الرزء، وعظيم المصائب الفاضعة، الكاظئة، الفادحة، الجائحة.

أيها القوم: إن الله تعالى -وله الحمد- ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمةٍ في الإسلام عظيمة:

قُتِلَ أبو عبد الله عليه السلام وعترته، وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السَّنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس، فأَيُّ رجالٍ منكم يُسرّون بعد قتله، أم أَيُّ فؤادٍ لا يحزن من أجله، أم أية عين منكم تحبس دمعها، وتضنّ عن انهماها.

فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة المقرَّبون، وأهل السماوات أجمعون.

أيها الناس: أَيُّ قلب لا ينصدع لقتله، أم أَيُّ فؤادٍ لا يحنّ إليه، أم أَيُّ سمعٍ يسمع هذه الثلمة التي ثلّمت في الإسلام ولا يُصمّ.

أيها الناس: أصبحنا مطرودين مشرّدين، شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد تُركٍ أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما

سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلا اختلاق.

والله، لو أن النبي تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظّها، وأفظعها، وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا، انه عزيز ذو انتقام^(١).

وفي زيارة جابر بن عبد الله الأنصاري للإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعاء من استشهاده، عن عطية العوفي قال:

خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري عليه السلام زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ثم اتّزر بإزار، وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه فألمسته فخر على القبر مغشياً عليه فرششت عليه شيئاً من الماء فأفاق. ثم قال: يا حسين - ثلاثاً - ثم قال:

حبيب لا يحيب حبيبه، ثم قال: وأنى لك بالجواب، وقد شحطت أوداجك على أثباجك وفرق بين بدنك ورأسك فأشهد أنك ابن النبيين وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى. وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النساء، ومالك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين، وريت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، وفطمت بالإسلام، فطبت حيا وطبت ميتا غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكّة في الخيرة لك فعليك سلام الله ورضوانه وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال:

السلام عليكم أيها الأرواح التي حلت بفناء الحسين، وأناخت برحله، أشهد أنكم

(١) السيدة زينب عليها السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، ص ٣٢٠.

أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة وأمرتم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين
والذي بعث محمداً بالحق لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه.

قال عطية: فقلت لجابر: وكيف ولم نهبط واديا، ولم نعل جبلا، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤسهم وأبدانهم، واوتمت أولادهم وأرملت الأزواج؟
فقال لي: يا عطية سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل القوم أشرك في عملهم».
والذي بعث محمداً بالحق نبيا إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه، خذوا بي نحو آيات كوفان.

فلما صرنا في بعض الطريق فقال لي: يا عطية هل اوصيك؟ وما أظن أنني بعد هذه
السفرة ملاقيك:

أحبّ محبّ آل محمد ما أحبّهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم، وإن كان
صواما قواما، وارفق بمحب آل محمد فانه إن تزلّ «لهم» قدم بكثرة ذنوبهم، ثبتت لهم
أخرى بمحبتهم، فإن محبتهم يعود إلى الجنة، ومبغضهم يعود إلى النار^(١).

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٦٥ ص ١٣٠.

المصادر

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الإرشاد: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان المفيد البغدادي - تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث
- ٣- الملهوف على قتلى الطفوف: السيد رضي الدين علي بن موسى بن طاووس الحلي - تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسون
- ٤- الكاف: الشيخ الكليني: محمد بن يعقوب - تحقيق: الشيخ محمد جواد الفقيه
- ٥- تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي: محمد بن الحسن - تحقيق: الشيخ محمد جواد الفقيه
- ٦- الاحتجاج على أهل اللجاج: الشيخ الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب الإشراف على التحقيق: الشيخ جعفر سبحاني
- ٧- تحف العقول: الشيخ الحراني: الحسن بن علي بن أبي شعبة
- ٨- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: لجنة
- ٩- مقالات تأسيسية في الفكر الإسلامي: السيد محمد حسين الطباطبائي - تعريب: خالد توفيق
- ١٠- حياة الإمام الحسين بن علي عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشي
- ١١- الملحمة الحسينية: الشهيد الشيخ مرتضى المطهري

- ١٢ - جهاد الإمام السجاد: السيد محمد رضا الحسيني الجلاي
- ١٣ - العباس: السيد عبد الرزاق المقرّم
- ١٤ - مسلم بن عقيل: السيد عبد الرزاق المقرّم
- ١٥ - منتهى المقال في أحوال الرجال: الشيخ أبو علي الحائري: محمد بن إسماعيل - تحقيق: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث
- ١٦ - الحسين: سماته وسيرته: السيد محمد رضا الجلاي
- ترجمة مستقاة من تأريخ دمشق لابن عساكر
- ١٧ - تحفة العالم في شرح خطبة المعالم: السيد جعفر بحر العلوم
- ١٨ - مقتل الحسين: السيد محمد بحر العلوم
- ١٩ - معالم المدرستين: السيد مرتضى العسكري
- ٢٠ - الثورة الحسينية: الشهيد السيد عبد الحسين دستغيب
- ٢١ - المقتل: أبو مخنف
- ٢٢ - تاج المواليد: الشيخ الطبرسي: الفضل بن الحسن - صاحب مجمع البيان، والتاج مطبوع حجرياً مع مجموعة بعنوان - مجموعة نفيسة -
- ٢٣ - تأريخ أهل البيت: لابن أبي الثلج البغدادي - تحقيق: مؤسسة آل البيت للإحياء التراث
- ٢٤ - مسند الإمام المجتبى: الشيخ عزيز الله العطاردي
- ٢٥ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة: السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي
- ٢٦ - نهج البلاغة: السيد محمد بن الحسين الرضي
- ٢٧ - الغدير: الشيخ عبد الحسين الأميني

- ٢٨- على ضفاف الغدير: إعداد: مجموعة
إشراف: السيد فاضل الميلاني
- ٢٩- معجم رجال الحديث: السيد ابو القاسم الخوئي
- ٣٠- نفحات الأزهار: السيد علي الميلاني
- ٣١- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق: محمد بن علي بن بابويه
- ٣٢- نسمة السحر فيمن تشيع وشعر: الصنعاني
- ٣٣- البحار: الشيخ محمد باقر المجلسي
- ٣٤- تفسير كنز الدقائق: الشيخ محمد بن المشهدي
- ٣٥- كشف الارتباب: السيد محسن الأمين
- ٣٦- حديث الثقلين: السيد علي الميلاني
- ٣٧- مسند الإمام الشهيد: الشيخ عزيز الله العطاردي
- ٣٨- تأريخ المدينة: عمر بن شبة
- ٣٩- الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء عليها السلام: السيد عبد الحسين شرف الدين
- ٤٠- المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين
- ٤١- الفصول المهمة: السيد عبد الحسين شرف الدين
- ٤٢- مرآة الكمال: الشيخ عبد الله المامقاني
- ٤٣- بغية الباحث: التهمي
- ٤٤- مستدركات علم رجال الحديث: النمازي
- ٤٥- المقتطفات: العيدروسي

- ٤٦- أضواء على السنة المحمدية: الشيخ محمود أبو رية
- ٤٧- ليالي بيشاور: سلطان الواعظين
- ٤٨- الأنوار القدسية: الشيخ محمد حسين الاصفهاني
- ٤٩- شذرات الذهب: ابن العماد
- ٥٠- مجلة المنهاج: عن مركز الغدير
- ٥١- شواهد التنزيل: الحسكاني
- ٥٢- تفسير الميزان: السيد محمد حسين الطباطبائي
- ٥٣- الحجة الغراء على شهادة الزهراء: السبحاني
- ٥٤- موسوعة الإمام المهدي: السيد محمد الصدر
- ٥٥- صلح الإمام الحسن: الشيخ راضي آل ياسين
- ٥٦- أجوبة المسائل الحاجبية: الشيخ المفيد
- ٥٧- بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار
- ٥٨- ينابيع المودة: الشيخ سليمان الحنفي القندوزي
- ٥٩- المقتل: السيد عبد الرزاق المكرم
- ٦٠- النص والاجتهاد: السيد عبد الحسين شرف الدين
- ٦١- النصائح الكافية: محمد بن عقيل
- ٦٢- الإبهاج
- ٦٣- دراسات في ولاية الفقيه: الشيخ حسين علي المنتظري
- ٦٤- المرجعية والقيادة: السيد كاظم الحائري

٦٥- مجلة فقه أهل البيت: تصدر عن مؤسسة دائرة معارف الفقه الاسلامي

٦٦- الحسين بن علي نحو معرفة أفضل: الشيخ محمد اليزدي

٦٧- الشيعة في ايران: رسول جعفریان

٦٨- وسائل الشيعة: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي

٦٩- بناء المقالة الفاطمية: السيد جمال الدين أحمد بن طاووس

٧٠- جواهر الكلام: الشيخ محمد حسن النجفي

٧١- التنقيح: الميرزا علي الغروي

٧٢- صراط النجاة: الميرزا جواد التبريزي

٧٣- الاستغاثة: السيد علي بن أحمد الكوفي

٧٤- السقيفة: سليم بن قيس الهلالي

٧٥- الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي

٧٦- كشف اليقين: العلامة الحلي

٧٧- النُصرة لسيد العترة: الشيخ المفيد

٧٨- تحفة العالم: السيد جعفر بحر العلوم

٧٩- كشف المحجة: السيد رضي الدين بن طاووس

٨٠- منع تدوين الحديث: السيد علي الشهرستاني

٨١- السيدة زينب: الشيخ باقر شريف القرشي

٨٢- مقتل الحسين (عليه السلام): ابن أعثم

٨٣- المنجد في اللغة:

- ٨٤- الشيعة في الميزان: الشيخ محمد جواد مغنية
- ٨٥- الجامع لمواضيع آيات القرآن: محمد فارس بركات
- ٨٦- واقعة كربلاء: الشيخ محمد مهدي شمس الدين
- ٨٧- مقباس الهداية: الشيخ عبد الله المامقاني
- ٨٨- عقد الدرر: المقدسي الشافعي
- ٨٩- الحديقة الهلالية: الشيخ البهائي
- ٩٠- منتهى الآمال: الشيخ عباس القمي
- ٩١- الإمامة الإلهية: محمد سند
- ٩٢- تنقيح المقال: الشيخ عبد الله المامقاني
- ٩٣- صفات الشيعة: الشيخ الصدوق
- ٩٤- كليات في علم الرجال: الشيخ السبحاني
- ٩٥- كامل الزيارات: ابن قولويه
- ٩٦- ضياء الصالحين: الحاج محمد صالح الجوهرجي
- ٩٧- مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمي
- ٩٨- مصباح الزائر: السيد رضي الدين بن طاووس
- ٩٩- كربلاء فوق الشبهات: السيد جعفر مرتضى
- ١٠٠- أهل البيت في المكتبة العربية: السيد عبد العزيز الطباطبائي
- ١٠١- الخصال: الشيخ الصدوق
- ١٠٢- من لا يحضره الخطيب: داخل السيد حسن

المحتويات

٣	روايتان
٥	التقديم
٧	آفاق الثورة الحسينية:
٢٤	فائدة البحث في أطراف القضية الحسينية:
٢٧	في رحاب حياة الإمام (عليه السلام)
٢٧	الميلاد المبارك:
٣١	رحيل الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله):
٣٤	فترة الوصي والمجتبى:
٣٩	وأما حركة الحسين (عليه السلام) أيام المجتبى (عليه السلام):
٤٠	الحسين بعد الحسن (عليه السلام):
٤٣	الإمام السبط قبل الطف
٥١	محمد وآل محمد (عليهم السلام)
٥٧	آل أمية
٦١	أبو سفيان:
٦٨	معاوية:
٧٠	يزيد:
٨١	بنو أمية وعداواتهم لمحمد وآل محمد (عليهم السلام)

- ٨٣ انقلاب الأمة على الأعقاب
- ٨٧ الأمر الأول:
- ٩٣ النفاق والارتداد بعد رحيل النبي الأكرم ﷺ:
- ١٠٥ الجمهور والإطاعة المطلقة للجبايرة
- ١١١ الحسنان عليهما السلام ووجه الفرق بين موقفيهما
- ١٢١ مُسَلِّمَات
- ١٢١ المُسَلِّمَةُ الأولى:
- ١٣٠ المُسَلِّمَةُ الثانية:
- ١٣٦ المُسَلِّمَةُ الثالثة:
- ١٣٧ المُسَلِّمَةُ الرابعة:
- ١٣٩ المُسَلِّمَةُ الخامسة:
- ١٤٠ النصوص:
- ١٤٣ أسباب الثورة الحسينية
- ١٤٣ «الإسلام في خطر»
- ١٤٥ الكوفة كمنطلق للثورة، لماذا؟
- ١٥٦ نقطة ابتداء الأحداث، والسبب الأول للثورة:
- ١٥٧ صلح الإمام الحسن عليه السلام، بل استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام
- ١٧١ علي، وحبّه، وفضائله، وشيعته
- ١٩٣ أيضاً في سبب الثورة
- ٢٠٧ السرّ في النهضة أيام يزيد
- ٢٣٩ مسار واحد أم متعدّد

- ٢٤٣ دور الإمام (عليه السلام) في إنضاج الثورة، وإشعال فتيلها
- ٢٤٥ أهل البيت دعوا الناس لاتباعهم مرات.
- ٢٥٥ مقومات الثورة
- ٢٦٥ على طريق إنجاح الثورة
- ٢٧٣ يوم عاشوراء:
- ٢٧٧ استغاثة وغدر
- ٢٨٣ أثر علم الإمام (عليه السلام) باستشهاده
- ٢٨٧ هدف الحركة الحسينية
- ٢٩٥ سرد مختصر لأحداث الحركة الحسينية
- ٢٩٩ يوم عاشورا:
- ٣٠١ آل محمد أسارى:
- ٣٠٧ ابن محمد وعلي في ساحة المعركة
- ٣١٣ صرخة في وجه الطاغوت
- ٣٢١ اختيار الموت
- ٣٢٧ سياسة منع الماء
- ٣٣٣ نُعْرَج على كربلاء:
- ٣٣٦ النزول على حكم ابن زياد:
- ٣٣٦ منع الماء عن الحسين واسرته وصحبه:
- ٣٤١ أدعية الحسين (عليه السلام) في نهضته
- ٣٤٧ موقف الإمام (عليه السلام) من أنصاره
- ٣٥١ سيد الشهداء (عليه السلام) وأنصاره:

- ٣٦١ مسلم وما أدراك ما مسلم
- ٣٧٥ المرأة في كربلاء
- ٣٨٢ عهدُ يزيد:
- ٣٨٩ عود على بدء:
- ٣٩١ نساء بيت النبوة:
- ٣٩٣ المرأة في معركة الطف:
- ٣٩٩ أسباب الانتكاسة
- ٤٠٧ من الذي قتل الإمام
- ٤٢٣ تنبيه:
- ٤٢٧ المرقد الطاهر
- ٤٣٣ نتائج الطف
- ٤٤٣ من نتائج الطف الانتقام الإلهي لسيد الشهداء 
- ٣٥٤ محمد بن الحسن المهدي 
- ٤٦١ موقف الإمام السجاد  بعد الطف
- ٤٦٩ الطواغيت في قلق دائم، والسبب: الحسين 
- ٤٦٩ زلزل تحتهم الأرض:
- ٤٧٠ تيار منافق يوطد حكمه بهذا ونحوه:
- ٤٧٣ ضلال ما بعده ضلال: وهذه واحدة من جرائم يزيد وبني أمية.
- ٤٧٣ واليوم:
- ٤٧٥ علماء السوء حصنٌ للطواغيت
- ٤٧٧ القضية الحسينية والوحدة الإسلامية

٤٧٧	لعلّ هناك من يتساءل:
٤٧٧	والجواب:
٤٨٠	بل بقتل الحسين (عليه السلام):
٤٨٣	شيعة الحسين (عليه السلام)
٤٨٥	والخلل في توجههم:
٤٨٧	إن نتيجة ما تقدّم:
٤٩٣	إحياء عاشوراء
٤٩٨	مراسم الإحياء:
٥٠٧	أربعينية الإمام الحسين (عليه السلام)
٥١٠	استحباب الزيارة:
٥١٠	رجوع السبايا وزيارة جابر:
٥١١	الجواب عن رجوع العائلة إلى كربلاء:
٥١٧	الزيارة
٥٢٣	دروس من الثورة الحسينية
٥٣١	عاشوراء تنادي ﴿الصلاة، الصلاة﴾
٥٣٧	دروس من توبة الحر
٥٤١	الدرس المقتبس من خطوات الحر:
٥٤٥	إساءات للثورة الحسينية
٥٥٣	أدلة الإثبات
٥٥٩	المؤلفات في الحسين (عليه السلام)
٥٦٢	مؤلفات جليّة:

- الشعر: للتذكير بالحسين ﷺ ٥٦٧
- ذم القرآن الشعراء: ٥٦٧
- النصوص: ٥٦٨
- نصوص شعرية ٥٧٥
- الشيخ محمد جواد البلاغي: ٥٧٥
- الشيخ عبد الحسين شكر: ٥٧٦
- السيد مهدي الأعرجي: ٥٧٧
- السيد رضا الهندي: ٥٧٨
- السيد محمد القزويني: ٥٨٠
- السيد حيدر الحلّي: ٥٨١
- السيد صالح الحلّي: ٥٨٤
- السيد رضا الهندي: ٥٨٥
- الشيخ محمد حسين الأصفهاني: ٥٨٦
- الخاتمة ٥٨٩
- المصادر ٥٩٥